

صَبْوَةُ الْأَعْتِبَاءِ

بِمُسْتَوْجِ الْأَضْيَاءِ وَالْأَقْطَابِ

تَأليف

محمد تيمم الخايمي التونسي

دار صادر
بيروت



۲

صِفْوَةُ الْأَعْتِبَاءِ

بِمُسْتَوْجِبِ الْأَمْنَانِ وَالْأَقْطَابِ

٥-٤

تأليف

محمد بريم الخماري التونسي

دار صباد
بيروت

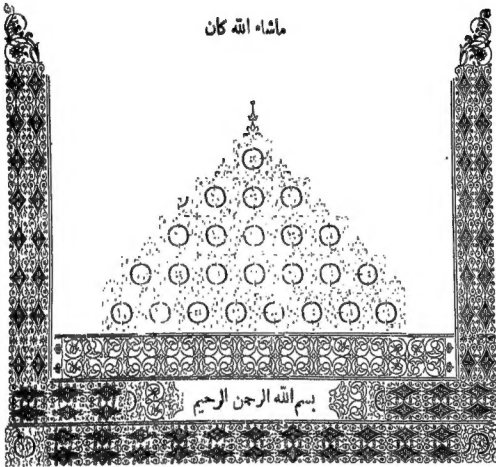
الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار بمسودة الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الزكياء
وحيد العصر وفريد الدهر
الشيخ محمد دبيرم الخامس
التونسي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

﴿ لا يجوز طباع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن ﴾
﴿ تقبلي على ذلك بحسب القوانين ﴾

﴿ طبعة اولى ﴾

﴿ بالطبعة الاعلامية خمس سنة ١٣٠٣ هجرية ﴾

ما شاء الله كان



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ال باب ال خام س فى ق ط ر ال ج ز اى ر

ال ف ص ل ال اول فى س فى رى ال ي ه

قد تقدم فى المسار جعت المرة الاولى من فرائدا كان رجوعى بحر امارا اعلى بالمديونية المعروفة بعنايه رهى احد فرض الجزائر فأرست بها البانخرة صمبا حافى مينا صناعية واسعة متدنة تصل البوانخره بها الى الرصيف فى البر و يصل الرتل بطريق الحمديد الى حذوف و ههاته المرسى الصناعية لى كنه رتل للسلع خاصة و بهاته المرسى كثير من السفن والبوانخره منها نحو ثلثة بوانخره اشركه معدن الحمديد الموجود بقرب عنابه فهنا الماعدن هناك غنى ويستخرج بكثرة ويحمل فى حوافل طريق الحمديد وهى توصله الى ذات البوانخره التى تعمله الى مرسى بابا وفى كل يوم تخرج من المرسى بانخرة مضمونة به وتدخل أخرى

خاوية

خاوية وفي مرسى يابا صفي و يشغل لاهم وجدوا ذلك أرض خص مصر وفان جلب معمل
 لتصفينته في محله ولما ارينا رأينا البلاد من جهة الغرب متصاعدة في جبل وحول
 المرسى اذنية حسنة من النوع الاورباوى ثم نزلنا الى البر فوجدنا ناعجملات الى كوب
 للسكراء اذ كثرت اربطة وصحفة فذهبت لدخل البلد فاذا فيها قرب المرسى بطحاء وطريق
 متسع وحوايلسه اربعة جبهه له وفيه اوى ومنازل للسافرين وحوايلت لبيع الخيل والحيوانات
 والتحف الظريفة وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة منزهة للسارة وفي وسط البلد بطحاء
 أخرى صغيرة يحيط بها مرادقات تحتها حوايلت وفي هاته البطحاء الجامع الكبير فذهبت
 الى الحمام الذى هو قرب الجامع حيث كان فرضي النعيم في السقيفة اذ لاجسامها ولما
 دخلنا الى البلد وجب الحمام فاذا هو على منحوجات تونس وسائر بلاد المشرق غير انه
 غير معتن بالانظافه وليس فيه بيوت منفردة للتطهير للانسان وحده وانما يتطهر الانسان
 بهـ والتطيف في محله فيقع الحرج من التقفظ على كشف العورة امام المفسلين ولذلك
 كان اكثرهم مكشوف العورة وهى مصيبة صاعقة في اغلب البلاد الاسلامية انما رأيتها
 على خلاف تونس فان حماماتها الهاسيوت صغيرة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها
 ولها انايب للساء الحار والبارد والبيت باب يغلق ويفرد الانسان للتطهير ووجهه بلا
 مشقة ولذلك كفت اختار الحمامات الاقرب بحجة في أكثر اسقارى وفي البلاد الاسلامية
 لانما ابعده من الحرم من كشف العورة وان حصل فيها تعب من جهة الاغتسال المعتاد
 وذلك ان همتها بيت صغيرة فيه حوض كبير يحمل الانسان وله انايب للساء الحار
 والبارد وفي البيت متكأ ومسطحة ومعلق للباب وأرض البيت مفروشة بترسية
 فلا يمكن اخراج الماء من الحوض وانما ينطس الانسان في الحوض وبعثل فيه
 بالصابون اما بنفسه او بخادم من الحمام ثم يجذب سائله من فعر الحوض لجلب سداة
 فيخرج ما فيه من الماء ثم يجدد له ماء ثانيا او باقى بمناديل من السكان مستحثة نظيفة جدا
 يتكشف بها الانسان وهو مفرد وبابه مغلق لا يدخل عليه احد الا باذنه فاذا اراد الانسان
 التطهير يزيل ما على يديه من التماسه في بيته ان أمكنه والا عند انيائه الى الحمام يأمر
 الخادم بأن لا يملأ الحوض بالماء لئلا ينغرق في الحوض ويأمنه ذلك الكس الموضوع
 في البيت لاجل الشرع فيلوه بالساء الحار والبارد من الأنايب ويترك ما عليه من
 التماسه ويسبل رجليه ويخرج من الحوض ثم يشح له منفذ خروج الماء منه ويشح
 انايب اندفاع الماء ويظهر أرض الحوض بالنسل ثم يسد منفذ الخروج ويغسل الحوض

(٤)

ماء على قدر ما يكفيه ويتغسل ويطهر فيه وهو سائغ على مذهبه لان الماء لا يصب
منه لالا بعد انفصاله عن جميع البدن والبدن كله في الغسل عضو واحد (وأما)
على مذهب المالكية فهو بأسر وقد اضطررت في ذلك الحسام الى استئجار أحد خدمته
ليستر زاوية الحسام بمسك ازار في يديه حتى تيسر لي تطهر برمانحت ازارى وهناك
صعوبة أخرى وهي بعد الماء بحيث ان كل يغسل بأى اليه بخوضه عما يسمى برميل
مملوءة ليطهر بها هذه التنظيف ثم خرجت من الحسام وأتيت الجامع واذا هو نظيف
محرورس قائم الادوات مفروش بالحصى برمن الحجر على نحو ما هو بتونس ولما كنت
لايسال الفعل كالتف عما يصح المصح عليه وهو تنظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان
هناك بعض الناس قرأيتهم ينظرون الى شئرا منكوبين الدخول بالانه الى المسجد
ليكن لم يقل الى أحد منهم شيئا فاسألت من الصلاة فاطمني من يجنبى فقال لي أنت مسلم
ولم تذهب الى المسجد بذلك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قالت ما هو مذهبك قال
مالكي فانظروا في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسألة المصح على
الحنفين وان المسافر يصح عليه ولا يترجمه او يصلى فيها وانما مسافر وحتى المقيم أيضا
له لدمها والمصح عليه او الصلاة فيها وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مذكور في كتب الحديث وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يدخولون المسجد
ينالهم بعد تقدها وتطهروا ان كان بها نجاسة فهذا جاز شرا وليس في زلي نجاسة
ولا يصح فرضي بذلك وأخير الحاضرين جبهة بأن الرجل مسافر وعارف بالحكم ثم خرجت
من هناك وتطهرت في الماد وقد فطرت فيها في حافوت اطباخ مسلم أسبلا عريسا
واسم المذبة لآية كيفما كان لاشيقا في الامتداد سها وقد كانت تلك المسفرة هي أول
سفر اتي والاشياد الغير المعتادة تصعب على النفس أولا واحسن ما في البلاد سوق الخضر
فانه على النهر الممتد في اربو يامن كونه واسمها ذاقبة من الزجاج محمولة على قطع حديد
مرفوعة على أعمدة حديد والحيطان أيضا مثل ذلك مع النظافة وحسن التقسيم ولكن
ليس فيه حوانيت ولما كل يباع يجلس في جهة ويضع مبيعها أمامه وبخارج البلاد آثار
قديمة للرومان من البناء والذهاب التي تقصد للفرج وبخارجها أيضا إستان عمومي ويبيع
منه الاشجار الصغيرة وليس هو جنتن والحدائق القديمة في البلاد وديارها على قصود يار
تونس وحاراتها الضيقة الطرق غير ان أبواب دورها به يدفة واحدة وبناء ابواب مقوس
قليل الارتفاع وبخارج البلد أيضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وجسمات من

المخشب

- المختب على ماء البصرة تنديهم الناس في الصيف وحولها ساقه اوى تحوى في الصيف الفث
والسبعين وسافرنا من هاته البلدة بعد الغروب قاصدين تونس وعدت اليها في سنة ١٢٩٥ *
في سفرنا الى فرنسا ذهابا وايابا واقمت في الايام اسبوعا وكان الزمن صيفا مغاوي
لصغرها وعدم وجود الحركة الكثيرة بها الا ينشرح المسافر فيها وفي هاته السنة ايضا
مررت في الايام على مدينة الجزائر فاعده هذا القطار وهي لها عرسى على شعومات قدم
في عنابه والبلد اكبر من السابقة ومنظرها من جهة المرسى اوسع وأضخم وقد انشئ بها
طريق للترمواي يخترق البلد من جهة المرسى ويذهب الى قرية تسمى مصطفي جهة
الشرق من الجزائر وابنية البلاد على شعومات كفي عنابه وهي ايضا متساعده في جبل
وليس بها عيون فزيرة بل المياه خزانة في الجبل تحتسرع فيها مياه الامطار من جهات
الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف محتاجة الى الرش لئلا تترشبه وبها
اربعة جوامع للغسل اثنتان مالكيان واثنان حنفيان والجوامع نظيفة مستقيمة وبقية
ما كان بها من الجوامع هدمت وبذلت وبها حصون متينة وهاته البلدهى مقر الحاكم *
العام لقطر الجزائر ومنظر البلد من جهة البحر جميل لكثره الديار والبساتين في الجبل
مفوت به درج يصعد فيها من أسفل البلد الى أعلى الجبل كما انه به طرق صناعة قليلة
الاختصار يصعد بها في الجهلات الى قمته وأمام دار الحاكم بطبعا صغيرة منظمة والدار
من نوع ابنية الالهة في قديما وأمامها محل اطائف من المجدد حرسا في خارج البلد ودخلها
مقامات للاولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبد الرحمن الثعالى رضى الله عنه
خارج البلد في الجبل في مكان مفشوح نزه واضر يح الشجيرة هابة ووقار فلى وحوانيت
البلد على شعومات كرنافى تونس وبساتينها تسقى بأبار سنى عليها بالذوايب وأغلب
القصد من الانتفاع بالغلل واكثر ذوى اليسار يسكنون في بساتينهم في الصيف وتنور
البلد باليل وانبس الغاز ويحار جهابستان انتزاه عموى قليل المجدوى وبقره سبيل
قديم لازال قائما وحذوه قهوة على الفخ والعري لكثره ذرية بقنا بها بعض الناس ومنازل
المسافرين بالبلد جديدة على الفخ والاور وباوى وقد اقامت هاته البلدة ليلتين ثم سافرت *
بجرا قاصدا اعانته ومنه الى تونس فمررت ببلد لس وهي قرية صغيرة على البحر لم تستطع
الدخول اليها لشدة هيجان البحر وعدم عرسى امينتها بها ثم مررتا على بجاية ثم جيلجى
ثم اسكني كده وكلها قرى صغيرة الجديده من ثم على الفخ والاور وباوى والقدير على
عادة أهل القطر والالهة اقبلهم فرسا ويون ارتحلوا الى هناك وأما اسكني كده فالبلد *

القديمه قد خستهم الارض والعباد بالله وقد بنى على شاطئ البحر قرية عجيده ديدة
منقطعة الطرق واسمها على نحو النواع الأوروياوى ولم أشاهد تفصيل هذه القرى لأن
الباخرة لا ترمى فيها إلا قليلا واجمال حالهم يندمج فيما سبأنى ان شاء الله تعالى ومن
القرى التى رايت باقرية قديمة البعيدة عن عنايه نحو أربع ساعات فى طريق الحديد
فى الجهة الجنوبية الشرقية منها وهى قرية مسجدة يعلو على طبع أهلها البعداوة
وهى منقطعة البناء والطرق قليلة المساهو بها جامع وقاض وحاكم فرانسواى وعساكر
وحصن وكيسة وحديقة صغيرة للعامة

الفصل الثانى

﴿ فى التعريف بالجزائر ﴾

هذا القطر واقع على شاطئ إفريقية الشمالى ويحده جنوبا الصحراء الكبيرة وشرقاً تونس
وشمالاً البحر الأبيض وغرباً أكش وهو قطر مقسم ذو جمال شاهقة وأنهر عديدة وعيون
دافقة وبه مادن غنية من الحديد والفضة والآن مستغلون بأشراجها اسمها المعدن الذى
أصله نابع الى تونس قرب حدودها فى القالة وسموها مادن أخرى ديدة منها المعدن
كالقصدير ومنها الذى لم يزل فى زوايا الجبال وأما هوأوه وحيواناته ونسبته فهو مثل
قونس فى عموم ما ذكرناه فيها والمجهاات الشمايلية هى ذات الخصب والأشجار العظيمة
والغابات ومدن هذا القطر وبلداته أشهرها قاعدة الجزائر ثم وهران ثم تلمسان
ثم قسنطينة ثم بوننة وغيرها كثير لا يبلغ مبلغ ما ذكره ومراسمها المهمة هى المدن
المذكورة فبيرة قسنطينة لأن هاته متوقفة فى البر على قمة جبل وينقسم القطر بالنظر الى
طبيعة الارض والسكان والادارة الى ثلاثة أوطان كبار (أولاً) وطن الجزائر وهو فى الوسط
وعتد من الشط شمالاً الى الصحراء جنوباً (وثانها) وطن وهران غربى السابق متمدنه
كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقى الاول متمدنه كذلك ولكل وطن قاعدة هى
المنبسة المنسوب اليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه فهو ملبونين
وسبع مائة ألف وستون ألفاً والمسلمون منهم ملبونان وخمسة مائة ألف والنصارى مائتا
ألف ونيف والميلودن واللاتين ألفا وقاعدة الجميع هى الجزائر عدد سكانها نحو مائة
وسبعين ألفاً منهم ثمانية عشر ألفاً مسلمون وتسعة آلاف يهود وثمانية وأربعون من
النصارى من أجناس مختلفة وأكثرهم الاسبنيول والسكان المسلمون أصلهم من البربر

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والجيال وباقي الجهات سكانها من نسل العرب والمختلطة
 منهم ومن البربر وبعض من نسل التركة الذين استوطنوا هناك وكذلك الأندلسيون الذين
 هاجروا بعد استيلاء الأسبقيول على بلادهم (وأما النصاري) على العموم فأكثرتهم
 فرانسايون انتقلوا إلى هناك بعد استيلاء الفرانسيديس سيما بعد حرب البانيا منهم سنة
 ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وأخذها الأقبليجى والجساس واللورين فارتحل من أهالي ذينك
 الأقبليجى نحو المائة والسبعين الفا سكنوا الجزائر واجانتهم ولتهم بأعطائهم الاراضى
 الخاصة التي أخذتها من الاهالى الاصليين مقابلتهم على الثورات وغيرها وأغلب هؤلاء
 الفرانسيديس سكنوا جهات الشطوط ونشوا فيها قرى (وأما المسلمون) فأغلبهم على مذهب
 أهل السنة في العقيدة وعلى مذهب الامام مالك في العروغ ونسل التركة على مذهب الامام
 أبى حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبنى مزاب ثم ان أهل السنة في المدن
 والقرى يكثر فيهم معرفة احوال الديانة وان حصل الا من كثير منهم تمارن كثير
 بالشعائر (وأما البوادي) فيغلب عليهم الجهل بالاحكام لكنهم لازالوا متصافين في العقيدة
 الاسلامية سيما أهالي الجهات الجنوبية والوسطى

الفصل الثالث

في اجمال تاريخ الجزائر

مطلب في التاريخ القديم يعلم ان احوال هذا القطر التاريخي في القديم كانت
 في الاغلب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب سيما بيناه في احوال تونس كان شاملا
 لهذا القطر حتى في زمن الفتح واستقرار الحكم حكومات الاسلاميه لانه في اغلب الاعصار
 تابع لتونس لما سكنت هي مقر الحكم العام الاسلامي لا فرقة ثم لما انفرد
 المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بني
 حفص وعن قهرها وانفرد المغرب انشأت بعض حكومات منفردة في الجزائر كما ملكة
 بني زيان من زناته التي مقرها في تلمسان ثم لما اشرفت الدولة الحفصية على الاضمحلال
 واستولى الأسبقيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المنقسمة إليها
 الجزائر غلبت قدرة على مدافعة دولة كبيرة مثل الأسبقيول اذ ذلك وكانت الدولة
 العثمانية رافعة علم الحمائية لاهل الاسلام واسطولها يجوب البحار تحت عدة امراء
 وارسى فرقة من هذا الاسطول تحت امرته ميرالد بن بروس باشا وانبيه عروج على

(٨)

شروط الجزائر للبحث عن حالة الانداس مع الاستيفول ضج الى هذا الاسطول اهالي
الجزائر وطلبوا من الامراء حماية هذا القطر الاسلاني مادام فيه رمق قبل هجوم
الاستيفول عليه وذلك احق من تتبع الاستيفول في الانداس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا
طالبهم بعدم تعديهم للاتفاق ومن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية
وذلك في حدود سنة ٩٤٥ وجرى اعمال الدولة في الجزائر على نحو ما قرره في تونس
لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية واتحادها وجرى من الولاة الترك اولاً الاستقامة
والعدل ثم استهوت العساكر اليشكارية في جميع الجهات حصل منهم ايضا في
الجزائر ما اضحيت منه الاهالي وطفوا في النصب والعزل للولاة من هؤلاء العساكر
حسب الشهوات وقوة العصية ولم يحسن من هؤلاء الولاة الامثال لا و امر الدولة
العثمانية الى ان ولي حسين باشا الذي كان سينا في دخول الفرائس او بين الى البلاد
والحكم لله رب العالمين

● ثم طلب في تاريخ الجزائر الجدي في اعلم ان الدولة الفرنسية لما تفرقت في
المعارف والقوات سميت في العصر الاخيرة لازمة لها حجب الظهور و عدم تحمل الهوان
وكانت الدولة العثمانية في شغلها الشاغل من اعمال اليشكارية وحروب الروسية
● وثورات اليونان وضم الى ذلك طغيان ولاة الاقاليم وعدم امتثالهم للامور وكان حسين
باشا والي الجزائر مستبداً على ما مر تشبهاً قليل التدبير وحصل منه اهانة لقنصل فرنسا
وذلك على ما في تاريخ ابن الضيايف احدثه القبحار اليهود الغشياء الجزائريين الملقب
ببقري ابو حنا له خبطة مالية مع قبحار من الفرائس وسداعوا في خسائر من الجهتين
وانتهمر حسين باشا لرعيته بالحاج على قنصل فرنسا في انصافه وآل الامر الى صلح
يدفع على مقتضاء التجار الفرائس ويون الى التاجر الجزائري ما لا وافر واوضح حسين باشا
أخذ المال لنفسه مائة ذريعا ورجع رعيته تلك طاعة الفوضى والمساو في دفع المال
واذا قبحار آخر فرائس ويون قاموا على بقري المذكور بدين اوقفوا عليه المال الذي
يريد قبضه فاستاء حسين باشا من ذلك وطلب من القنصل رفع الايقاف وقال ان ارباب
الدين الفرائس الطالعين رعيته يتبعون ذمة المدين بعد قبضه للمال بحيث لا يكون
لطلالين حق في المال الذي ينقصه الفرائس ويون فامتنع من ذلك القنصل مدة ثلث
الى ان المال المعزول مال المدين والفراصة لهم حق فيه الا اذا ضمنه من يرضون بنقته
وكان المدين نفسه معزياً بهذا التدبير خوفاً على ماله من الضياع باستيلاء الباشا عليه
فأعرض

فأعرض الباشا عن القنصل وكاتب دولة فرنسا في غرضه فارسلات المكتوب الى القنصل وأمره بالجواب عنه وما قدم القنصل الى الباشا البعض ما سرب خاطبه الباشا في استبطاء جواب مكتوبه المشار اليه الى دولة فرنسا فقال له القنصل ان المكتوب ارسلته الدولة الى أرمقني بالجواب عنه فسأل عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم منه احتقاره وكانت بيد الباشا منشة يطرد بها اللذباب فضرب بها وجه القنصل ول واردة وبقي أسفا على ما فاتته من مال يقرى وتهددت فرنسا الوالي المذكور على اهانة نائبها وألححت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا فاني وأصر مع أمر الدولة العثمانية له بذلك ومن النصائح المتباعدة له من الدول الاجابة وخواص الاعمال وقد كانت فرنسا في شغل من داخلية في ذلك الوقت مما مر بك في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب نابليون الاول وكانت أيضا متوقفة المشاهدة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى رضيت فرنسا بان يكاف الباشا أى انسان كان في باريس يطلب الترضية لكي ترفع عنها الحمة ولا تخفقه هو ومذلة يارسال أحد من متوكله الى القنصل لاقى والى باريس وكان قصده بذلك كله اجتناب الحرب بما يمكن لاشنة الحرب وجرها واحزابها الداخلية فأمر الوالي على رأيه وارسلات فرنسا اسطولها وحاربت بالجزائر واحتلت عليها وجعل ذلك الوالي الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور مذسأ اجمال الباشا المشار اليه الى كونه لا غيرة له على الوطن من حيث كونه لم يكن من ابتاه تراه لذلك خافه الى ذلك الحمد مع علمه بالضعف والخلل عرى عصبته ونفرتة الا انه الى من جوره الخ والحق ان مثل ذلك التعديل تأباه الشرع على ما سيأتي ايضا حده في الخسامة ان شاء الله تعالى فالمجسية الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تنافض مقالها ايضا فكم شاهدنا وسعنا من النار ينح ما ثبت فيه الوافدين على الاقطار ووفاءهم لها بشكر نعمها واودا واجبات الديانة فيهم امن القسسين والخصيين وكما شاهدنا وسعنا ايضا ضد ذلك من ابناء الاقليم ومن دعين فيها فحقق السبب هو ان الله اذا تاذن في امة بالخللها فسدت اخلاق اكبرها فسد عواظهم او من فسودهم اسناد الامر الى غير أهل الحق عليها القول وسطا عليها ما يدمرها وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والمحدث الشرع وهو المشاهد بالعبان والمعلوم من التور ينفي ضمير لال الدول وتقرها وحسذاق الناظرين في احوال الدول يذهبون نه كاتسها لاصول منته الفساد وان طال الزمان ويكون الذي انحل بيده الامر ظهر الراس من الداء الزمن وهو مع ذلك مسؤول لله ولعباد

إذا كان يمكن له توقيف المرض فيعوض ذلك بزيادة مهيئات بحراناته فيكون أشد على الأمة من وقع الصواعق إذا اجتمع العليل يتأمر على الابتأق منه السليم فكيف خربا في الدنيا والاسخرة ان كان مظهرها لشرو ورفدها الجزائر قد ابتدأ منذ انخوم أمر الدين كشارية في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العائمة ونشأ عنه ما نشأ من فساد الادارة والولادة الى ان اصبحت عدة جهات وباء حسـ بن باشا في الجزائر بايم الظلم والخراب والتمور الذي كان أعظم المصائب وانتقلت حالة الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط افريقية الى الشامية الى طور آخر وكان مبدأ اسئلة فرانس على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة كارلوس العاشرة لافرانسا وقد كان الفرانسيس أولامن القاعدة وما حولها ولكن بقية الجهات اصروا على الامتناع من الطاعة لفرانسا لانها لم تدارك الانتقام من الوالى حسين باشا وقد حصل فالحجوات الشرقية من القطر انفراد الحكم فيها الحاج احمد باي قسطنطينية والجهات الجنوبية والغربية نشأت تحت رؤساء القبائل ورام الفرانساويون محالولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الامر في وهران والى تونس بارسال أحد مدحا لثله واحد متوظف في فارس الى تونس واحدا من جهته ومعه شريطة من المحرس في بغداد امره في مدينة وهران فضلا عن خارجها ورجع من حيث أتى ثم اجعت الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيد لسلالة الفرس المظهر الامير سيدى عبد القادر بن محي الدين الحسيني وقام به حق القيام ومعه بته النصرة الالهية في كثير من الوقائع الى ان كان في بعض ايامها موارق لاعادة من السكرامات كطفر فرسه الازرق به ستمين متروحي حيث احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا مسكه باليد فطفر به فرسه على رؤس العساكر واسلمتهم ذلك الذي ونجا راكض الى منتهه ودام محاربا لهم نحو سبع عشرة سنة واسه تقامت له حكومة شرب في السكة باجمه وانشا المدافع والمدادق ونفذ امره ونشئت فرانس ودعا الحاج اجداي ليه تحدا ويكونا يد او حدة فلم تنفع تحيرا وطغيا فانخذل الامة الى ان وهن امره واسه تولى الفرانساويون على ما كان تحتونه وبقي الامير سيدى عبد القادر مدافعا ومهاجا الى ان سوت الغايات النفسانية الخرافة للديانة الاسلامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرانسيس على محاربة الامبراشور اليه وقطع عنه سلطان المغرب خط التجاهل جهات الهضراء فاضطر الامير الى التسليم لفرانسيس فاقتبلوا بالرحب والاكرام وجعلوا الى باريس تحت المراقبة فيها وكان اذ ذلك تابا لفرن الثالث مقبوضا عليه هنالك فخصت منه مودة للامير ويقال انه

انه وعده بالمساعدة لولاية قضى ملك فرنسا اليه وعده بمساعدة رنايلون الثالث في منصب
الامبراطورية لم تساعده رجال دولته على انجاز قصده من تولية الامبراطورية اليه على
الجزائر فاهدى اليه رسالة في عمان الشام وغيره في انتخاب محل لاقامته فاختار الامير
سيدى عبد القادر أرض الشام وقدم من فرنسا اولاً الى الاسنانة واكرم مقدمه السلطان
عبد الحميد واقام مدة في بلاد الترك ثم استقر في دمشق الشام ادام الله بركته للاطلاع وحاطه
بالامن والعلامة في نفسه وفي آله الكرام وبعد خروج الامبراطور الى الشام من الجزائر
خفف الخطب على فرنسا لكن بقي جبل الزاوة ثائراً عليها تحت امره كبرائه فطوعته
كما انهم احرار تها في الجزائر أيضاً دولة المغرب يجربون كبرياء خالية عن التدبير والتدريب
الحربي فلم تفسد شيأ سوى ضياع ما جملوا معهم وكان البوادي المنضين الى الفرنسيين
أشد على المغاربة من نفس الفرنسيين وذلك بسبب الخذلان ولا زالت تتوالى الثورات
في الجزائر على الفرنسيين متسدة نزاهة الى الآن تارة مشددة وتارة خفيفة والله عاقبة
الامور

في مطالب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر في اهل ان ادارة الجزائر في
الحقيقة مقابلة بار باب الاموال والنسي في باريس على ماهي قاعدة الفرنسيين من ارجاع
كل الامور في محالكم ومستهراثهم الى باريس من غير التفات الى بعد المستعمرات أو
قربها ولا الى الجهل بأحوالها وانغلاق أهلها وعوائدهم فيضطروا أصحاب الحكومة الى
اعتماد أقوال المباشرة في المستعمر المجهول فيه فيؤمل الامر الى ما تقتضيه حالة ذلك المباشرة
من الانصاف أو بسطه مع أنه في نفس الامر غير مسؤول عما يقع الا في الاجراء فلا يلزمه
الاعتراض الا بالضرورة ومع ذلك فلا يحكم والادارة كلها في الجزائر كانت استبدادية
بمجة تمت المحكم العسكري فما هي الاجتهادات من المباشرة من بلا تعقب لمحكم لان
الدولة منعت الاضالى من الحرية السياسية ومقتضهم بعض الحرية الشخصية من
التصرف في ديانتهم وانضامهم بامرهم كيفما أرادوا فيما لا يضر بالدولة ولا بأحد
في نظام الحكم والدولة تختص بما كما عام من أهل المناصب العالية من الفرنسيين
ويولى حاكم عام في الجزائر جميعها ويستقر في مدينة الجزائر وهي أيضاً تختص بولاية
حكام آخرين كبار الفرنسيين تناوباً بهم ولاية الجزائر وبالأستور ولاية وهران
وبالأستور ولاية قسنطينة ويرجعون في النظر لحاكم الجزائر العام وعلى كل قبيلة قائد

والاغراب ان يكون من بنى القبائل ويلقب كبارهم هؤلاء القبايل الاغراب ويتصرفون بحسب
اجتهادهم وحسب ما يفتنون به من الاوامر من الولاة وفي كل بلدة قسم من المساكن
ولكن باتهم نفوذ كبير في الاهالي وفي كل بلدة اوقرة حاكم فرساوى والرسوم الظاهرية
في الجباية وان كانت محدودة مقرنة بأخذ الاغراب من المزروعات والأكاش على الجمادات
فكثيرا ما تمتد الايدي الى المسكاسب من غير النقات من المتوظفين على اوجه شبهة بالسريرة
حيث انه ليس عليهم احتساب حق في ثم لا توظف مخلص عندما تنقبه الشكاية بان ياسب
الماخوذ منه الى الدورة أو السبي فيما يوافي قول في ذلك تثبت التهمة وانما ستمام وقوف
على القرائن لدى الحاكم المستبد وكل من تمت عليه شيء من ذلك فخرجه تجميع كسبه
للمحكومة زيادة من عقابه البدني الشديد ولا عقب لتلك الاحكام وقد ابتدأ ذلك العمل
منذ دخلوا الجزائر ان جدران بن عثمان خوجه الذى هو من الاعيان العظام الاغنياء
العارف بالالسن الاجنبية اتهم بانه كانت الحكومة السابقة امتعت منه اموالا فخذماله
وما فرقه وشككا الى دولة فرانسافا حالته على مجلس شورا الدولة المسمى كونسيل دى تا
وكل اشهر اعارفين باحكامهم وعصفه منظار الحكم ثلاث سنين صبارا وفاته
في مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرنسية المسمى مرآة الجزائر الذى اودعه
اخلاق القبائل وحالة السيرة بحكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرنسيين ما لم يكن
يظن مصدوره عن امة مقدسة وقد قبل هذا التأليف في فرانسابا لاعتبار ان حكم
الجزائر اسناؤا منه وزادوا كالا بكل من له علاقة بالمؤلف المذكور وبعد ما مر عليه ما مر
صدر الحكم من المجلس المشار اليه ان جدران المدعى بحق في دعواه لكنهم المارفت الى
المجلس بعد صدور امر الدولة بان لا تقبل دعاوى تلك السنة التي حصلت عليه فيها
المظالم فلا حق له حينئذ فاصغر الدولة العثمانية واستقر بعد ما في الاستانة وكان ابيه
على ما شام من اعيان رجال الدولة وعلى نحو ذلك العمل تجرى الادارة السياسية في الجزائر
الى الآن ترى في صحيفة الترجمانة المصنوعة باليدى على الاستعمار صدر الامر بتغاف
املاك فلان وهى كذا وكذا واملاك فلان الخ لكن منذ سنة ١٢٩٥ دخلت
الهند وبعض قرى تقيم تحت الحكم المدنى الفائق لكنه خال عن الحرية اللازمة
والناساهاون من الحكم العسكري الاستبدادى لبعض اقسام الناس واما كسبر من
السلافة وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكري ويريدون خيرا لهم ما يأتى
بيانه لمجوع ما تم دم ذكره مع التحالف فى الديانات بين الاهالى والدولة المظلمة

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعذرهم على ذلك «نصفوا الفرنسيس حتى
 سمعت من كثير منهم سسا كنى الجزائر يتشكون من الادارة وما زالت معهم طلب
 انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاهم الحرية المناسبة بل ويطالبون المساواة مع فرنسا
 في جميع قوانينها وعلى هذا الرأى قسم واقر من أهالي فرنسا ايضا بل ان نابليون
 الثالث نقر عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين تأييدهم للتسكين فورة
 وقعت هناك وعلم ان أعظم أسباب ذلك من سوء معاملة الالهالى من الحكام فصحى
 الى شكائهم وأزال عنهم كثير من المظالم وساعفهم الى مطالبهم فسكنت الثورات بدون
 سفك الدماء ولا تشفى في الشائرين كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبته عند
 رجوعه الى فرنسا وكان توغل في دواخل الجزائر وأواسط القبائل المحسنة ذات السيادة
 متفردا عن الجماعة الفرنسية معتقدا على وفاء العرب وصدقهم وقد تنهدوا له بذلك
 وقاموا له حق القيام من حمايتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه لهم وماوا اليه والى انصافه
 وأظهره له من الضاعة والتعظيم ما عذبه من رزاهم موقنا بانصاف مطلبهم ومحملا
 خالصا وطائفة اخذوا منهم واختص منهم في باريس قسما من العساكر لمخرسة ذئابها وكرم
 مقامهم ورفع من شأنهم واتخذ قسما من الفرسان في مصاحبتهم في ركوبه بجلابهم العربية
 وكذلك العساكر يابسون العمامة ويمهون بالزواف وقد حاربوا في الدفاع عن
 الفرنسيين في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م بمعية أكثر من حية الفرنسيين
 أنفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمعرفة والمجودة كل من الفرنسيين والامان ولما
 وقع انكسار الفرنسيين اثناء تلك الحرب حركت الدساس أهالي الجزائر الى الثوران
 فامتنعوا ووافعهم مع الامبراطور نابليون الذى أحكم معهم الصلوة ووعدهم بمجزيد
 المساعدة والتخارج قبل تلك الحرب الى ان هلكوا خلع الفرنسيين له قتار بعضهم اذ ذلك
 لكنه لم يجد نفعا لتفرغ فرنسا من حربهم اذ لم ينفق السكامة بين الجزائريين
 ولازال أهل الجزائر يشنون على نابليون وعائلته لما شاهدوا منه من انصافهم واعتبار
 حرمته حتى قال في خطابه الى أهالي امبراطور الفرنسيين كما في امبراطور العرب
 وكان ذلك هو الذى أوجب لكثير من جميع الحكومة العسكرية ظفاسهم انما التمسير
 الاعلى فهو ماتر كه ساعليه الامبراطور بخلاف غيرهما من لا يراعى لهم مدة حتى ان
 العساكر مع ما ذكره لم يمتنع لاحد منهم ان ينال رتبة رفيعة في العسكرية فذلك
 هو سبب المال الذى لا يبرح من نفوس الالهالى وان جعل منهم بعض أعضاء في المجلس

الذي يدعو الحاكم للتشاور في المصالح لكنه -م أعضاؤه صورية لأن أغلب الأعضاء من
 الفرائس أو بين مدافعون عن حقوق الفرائس أو بين المستوطنين هناك وهو لا يبرون
 أنفسهم مظلومين بالنسبة لأمثالهم في فرنسا مع عدم الدعي إلى ذلك لأنهم قد تحققوا أن
 الأهل إذا نالوا انصافهم وتوحيدهم في الحقوق يكونون أهلا لنيل سائر المنافع الحائز لها
 الفرائس أو يرون وأهل الجزائر لأن يعتبرون أنهم في حماية الفرنسيين لأن لهم الجنسية
 الفرائس أوية والفرق بين هذين هو أن من له الجنسية ينال سائر المنافع الفرائس أوية وعليه
 ما على أفراد الفرنسيين من القوانين من الدخول في العسكر وأجراء أحكام الزواج
 المدني والتوارث على مقتضى القانون إلى غير ذلك وأما صاحب الجنسية فيعتبر أحكام
 ديانتهم فيما ذكر ولا يدخل في العسكر إلا برضاه نعم يتخذ منهم نوع من العسكر الخيالة
 يسمون بالمايس دون رتبة العسكر وللأفراد أن يدخلوا في الجنسية باختيارهم بحيث
 لا يصب فيها وقد دخل فيها كثير منهم للشهوات وبعضهم تملة كاليهود وبعضهم طامعا
 في الرتبة العالية العسكرية وهو وإن قال شيئا منها لكنه معان في اعتبار النفوس من لها
 يوجب ذلك من امتنانها لديانتها في نظر العموم ولومن الفرنسيين واسعة. فلم يكن
 للأهل المساواة في الاعتبار بينهم وبين الفرنسيين ويظهر ذلك حتى ينظر الدين
 في المساملات التكميرية والتوقير وترى اليهود أحزنا للحرية في معاملته الفرنسيين
 ونهطهم من المدين

(معالج في السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية إذا السياسة انما هي
 لفرائس أو لا ترى في قاعدة الجزائر ولا غيرها من اعتبار أو ذكر لقناصل الدول الأجنبية
 ومهام فيها الا كما مثلهم في إحدى مدن فرائس

الفصل الرابع

في بعض صفات الاهالي وعوائدهم

أغلب عوائد الاهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في اهالي تونس في السلام والحياة غير
 اننا نجعل الجديد في المدن تغلق أغلبه باخلاق مخضرة بين العادات الاصليّة وبين
 عوائد الفرائس أو بين ومن المعلوم ان النفوس مائلة الى التشبه بالغالبة غير اننا أول
 ما نرى اليها اخلاق الشريرة أما الهامد فانها تميل الى العقل بالكلية ولهذا
 فست قلّة الحياء في كثير حتى مري ذلك الى أبناء الفرنسيين الذين نشأوا هناك وقد

- صاحبه في الفاو ومن الجزائر الى غاية امرأة حكيم بلاد قافله مصاحبة لابنائها الصغار
 وهم ثلاثة ذون الجوخ كانوا يملكون الفنون في مكتب بلاد الجزائر واما ارسيت البانيرة
 على مرسى جيجل صعد اليها نائب اللجنة تلك البانيرة فوجدوا كان حاضرا فذاك وقت الفطور
 يقاس مع كل على المسائدة وكان من جهة الحاضرين الابناء المذكورون وبعد الاكل
 اتى بالقهوة ومن عادة الافرنج الاقليات بقية فيها توقع من المشروبات الروحية المسمى
 بالكينيك ومعه كيسان صغار لمن يريد الشرب من ذلك مع القهوة فأخذ منه من أخذ
 وامتنع من امتنع فبعد اوانت الصبابة الى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضعها أمامه
 فنبههم كبار الحاضرين متبهمين من ذلك وأهمهم فأرسلهم العرق من الحساء ولم يكادهم
 بشئ وبعد عنهم أخذ في نائب اللجنة الى ناحية منفردة وقال لي أرايت ما وقع قات باهو
 فقال لانزهره هي لو كان اولئك ابناي لا لقيتهم في البحر فقلت لسا ذوا هو عندكم ليس
 بممنوع قال كلا فانه وان كان المنجز عندها ما بالكن انما هو ما يؤخذ منه مع الكل
 من نوع ما العنب فقد دار لا يقل نشرة أما هذا فانه لا يستعمل الا بعد الاكل بخورد
 النشرة والصغار ينعون من ذلك بمقتضى التربية الحسنة وليكن فمن قدر خرفان
 طورنا وقد سدت أخلاقنا وأفسدنا أخلاق غيرنا هؤلاء ابناء أحد حكام البلاد على هذا
 النوع فبالك بغيرهم الخ وكان من شأن هذا الفساد هو ان الحرية في القرانيس قد فطروا
 عليها بقسمها اعني الحرية الشخصية والحرية السياسية لكنهم جعلهم في بلادهم الحرية
 السياسية على النفاق بجماد الاخلاق على قدر مستطاعهم وادراكهم وأما في الجزائر
 فقد دسروا في أنفسهم من الحرية السياسية وكذلك الاها الى اطلقوا لهم الحرية
 الشخصية وحرموهم من الاخرى فانبعثت القوات كلها الى الاولى مع ملازمة الطوائع
 الفسادية فأقوى كل ما يكرههم التوصل اليه من الفسوق وقبائح الكلام والتزوج بين
 كل متراضين من غير نظر لداينة ولا همة شرعية بل يقع حتى لبنات مسلمات الفرار من
 آبائهن الى رجال من الافرنج وغيرهم وبصاحبهم بدون زواج أو به ولا مانع عندهم من
 ذلك وأضف الى ما تقدم من السبب ان الحكماء كانوا من العساكر مدة من فتراتهم
 يشتمون بالكلام الفاحش وكأنه هو اول ما يعلونه بالصبر فانه لئلا الهالي ثمان
 السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ان الغالب على الضباط الصغار فن دونهم هو
 الميل الى الشهوات الطبيعية والانجساق فيها ولا ينفك كرون منها الا بازارع الحكيم
 أو العادي كافي بلدا انهم في فرانس بالظن للعادته هاته العادة منتشرة في الجزائر اهدم

اعتبار عادات الأهل إلى حق الاعتبار فنفى ذلك القسمة زيادة الامتلاء وقد تمهم
 صغار الأهل إلى على قاعدة الناس على مذهب أمثالهم ومع هذا فلا زال في ذوي
 الينوثات وأصحاب الأصول مكامم الأخلاق الإسلامية وقضايا الطابع العربية
 وأن كانوا بالأساليب الدليلين في المدن وأما أهل القبائل من البداوية والنوغان في الجنوب
 ودواخل القطر فلا كثرة منهم على الطبايع والعادات الأصلية والقليل الذين لهم علاقة
 بالمكامم والتداخل معهم تغيرت عاداتهم إلى نحو ما وقع في السكينة من أهل البلدان ومن
 الاختيار الذين اجتمع بهم ومعهم في قضايا أخلاقهم الخبرير العالم الشيخ علي بن
 المحافى المفتي المسالك بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة علامة القطر الأفريقي الشيخ
 إبراهيم الرابحي كما أخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة وإطلاع
 والسعة في الفقه والحديث وذو كرم في المعجزة فذكرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك
 القطر وإن قاده فيه لتعاليم الناس دوتهم أنفع للعامة وله عند الله من تروجه برأسه وإبقاء
 تلك الأمة المسلمة خالية من مثله بل وربما جمل خروج فيه عن شاكته على
 الخروج فتبقى العامة بلا تعلم لم يأتوا منهم وأصعب جعل منهم الديانة شديدة أفشداً والعيادة بالله
 بخلاف ما ذابني هو وأمثاله فإنه تنقشر تعاليم العقائد والفقه وتبقى الديانة أن شاء الله
 محفوظات في الأهل وذلك هو المنصوص عليه في كتب فقهاء حتى أن الأسارى إذا لم
 يمكن فداهم جملته فيؤخر منهم العلماء ومن الاختيار أيضاً الأصمى الفهامة الشيخ أحمد
 أبو قندور المفتي الحنفي بالقاعدة المشار إليها وهو ذو بصيرة في المعارف السياسية ومتقن
 للغة الفرنسية وصاحب حجة في المداومة عن أهالي وطنه وهو عضو أيضاً في مجلس
 الولي له مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيوخ الموحى إليه إمام وخطيب في
 جامع بالقاعدة المشار إليها وقد زرت كلهم في مقصورة جامعة ودعاني نائبه الوليعة
 اتخذها كراماً جازاه الله أحسن الجزاء وتوجهت معه إلى بستانه في الجبل وهو بستان
 ناري جامع للشباب العربي والأوربي وأوى بناؤه طريفة نظيف على النواحي
 المتقن ومن أكرم من اجتمع به صفوة كثيرة سيدي قدور الشريف نقيب السادة
 الاشراف صاحب سمائل تليق بجلالة نسبه ومنهم العالم المتفهم الشيخ علي بن موسى
 نقيب زاوية سيدي عبد الرحمن النعماني رضي الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان
 وفي في إحدى المناصب المحكمة وإسلامه الامتناع تصام واعتدرا بهم فاعني
 ومنغ تقابة الزاوية المذكورة في ساكنة هناك مئة كفا على العبادة والمطالعة وله

- أشعار جديدة ومنهم الوجه السيد الشريف الصفصافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت
 بثقات من كبار موظفي الفرنسيين كالجنرال شامبرناكم. هران ونائب الحاكم العام
 في الجزائر عند مغيبه في وقت قدومي الى هناك وهذا الجدل غزال زيادة على معارفه
 العسكرية التي توصل بها الى رتبة الفريق فانه نصف عاقل عارف بأحوال سياسة
 الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة وبآيات سائر بكاره ووظفهم
 هناك مثله والذي اعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم وكنيتهم أمثال البحر
 السكنداني دى سان اندى وهو شيخ من مصنف في السياسة ومن لافيته في غير القواعد
 الفقهية القيمة الشيخ السيد بن شتاع قاضي بالقلم وهو مشارك في الفنون الاسلامية وله
 اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم في طاعة - م نوع من
 المحذرة والنشاط وذرية البربر في لوهم شقرة وصهوبة ولهم ولوع بالفروسية والملاهي
 في المدن على نحو ما في أوروبا وفي بقية القرى والبادى على نحو ما ذكر في تونس
- **مطلب في التجارة بالجزائر** التجارة مع خارج القطار أغنيها سيبدا للفرنسيين ثم
 الاسبانيول والاليان ثم غلبت كالمعظم من الاهالي والافرنسيين والاندلسيين من غيرهم وفي
 دواخل القطر مفسدة بين الاهالي والفرنسيين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم
 تحدث بها اعمال ولا كبر حركة تجارية سوى بعض معسدين كمن تقدم في معدن الحديد
 بعنايه مع معدن فضة في القلعة على ان تصفيتها رصناعتها تكون في فرنسا وأصول
 التجارة التجارية على نحو الاصول الفرنسية وعلى ما فيها من المعاهدات مع الدول
 وأما البريد براو بحرافه ويبدشركات فرنسية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانكة
 الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المتبعة في أوروبا ولتسهيل مارك التجارة وان شئت
 قالت لتسهيل الحركة العسكرية قدامت طريق المجديدين الجزائر وهران وتلمسان
 ثم أخرى بين عنابه وقاله وسوق هراس وقسنطينة واسكبكده وهم يصدونهم بالبريق
 تونس ووصل البقية ببعضها والمزاكرا تجارية في مدابريق الحديد الى دواخل
 افريقية والعصر حتى تجمع بين شطوط افريقية الشمالية الغربية من جهة الجزائر
 وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سانيغال وتقر على مالاك السودان ولا يخفى
 ما في ذلك الربح الباهظ
- **مطلب في الاحكام بالجزائر** الاحكام الشخصية مفسدة الى قسمين فيما يرجع الى
 الوقت والنساج والطلاق والارث عنه والمسلمين له فضاة مسلمون على مذهب مالك

وفي بعض المدن مفتون حنفية والقضاة من لهم الحكم بكتاب معتبر الشيخ خليل
ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة على المخصوص وينوبه أكبر جماعة من فيه وأما ما يرجع
إلى سائر المعاملات والمجانيات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء فرانسوا وبين بعضهم
معهم عضو مسلم وهذا المجلس على نحو مجالس الأحكام في فرنسا غير أن القانون الذي يحكم
به يمزج بين ما ترجم من معتبر الشيخ خليل وبين القانون الفرنسي فإذا كان المخصم
من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات الاختيارية فلهما الاختيار بين فصلها
في هذا المجلس أو لدى القاضي المشار إليه. وأما إذا كانت الدعوى من قبيل الجانيات
أو بين مسلم وغيره فلا تفصل إلا بالمجلس كان للمجلس حق التحقيق على القاضي فيما يحكم
به في نوازل المعاملات وذلك جاري في كل بلدة (وأما القبائل) حكمهم هم القواد والأغوات
والقضاة ثم إذا كان أعضاء المجلس في الأغلب غير طائفة بلغة القوم لزم إحصار مترجم
مع مراقبة العضو المسلم ومع هذا فلا يحصل الانقسام الممهود في حكم فرنسا إلا من حيث
الأعضاء الفرنسيين فانهم يقتصر في انتخابهم استكمال الصفات والاستقامة لكن
يحصل أطوارا وعدم إحسان الترجمة جهلا أو عدم عدم جدارة العضو المسلم فلا يجوز
الانصاف وأغلب ما يكون ذلك في المحكم الذي لا يقيم المحكوم عليه وكبلا عارفا باللغة
الفرنسية ومتفهما معروفة الأحكام وقد حضرت يوما متفرجا في مجلس المحكم بنفسابة
الذي هو في الهيئة على نحو ما تقدم في باريس فأتى رجل في دعوى جنائية ويدينها هو
يقم في كلامه وإذا بالمترجم تكلم للمحكم كأن الرجل يتم مقالة ففسد الترجمة حالاً
بفساده وما أخرج من بيت المحكم الإلقاء من اللكم والاهم والسب من أعوان المجلس
ما نهجت من صدره من فروع الأمة التي كنت أشاهد في اعتدالها في فرنسا وأولئك
الأعوان هم من الأهالي غير الثقات ومنهم أيضاً أعوان لضابطية ويتجسسون على من
يقدم من خارج رعايهم الأعراب إذا توجه إليهم ويجرد التهمة يسافرون البلاد وهم
لا يحسنون ولا يجسسون ولا الخطاب لعدم الأهلية في الانتخاب وعلى هذا النحو في عدم
الجدارة جمع من قضائهم فلا يثقون إلا تشاء ولا يحسنون حفظ قانون مناصب حتى
شاهدت قاضياً في منسابة تلامه وتفتاق مع المخصوص ويجلس في حالات الأراذل مما
يتنزه عنه أعضاء مجالس المحكم وكان ذلك في أصل قصد من عدم التصر في الانتخاب
لتفهم الأهالي من أحكام القضاة ويفضلون أحكام المجالس بل وربما أدى ذلك مع

زيادة جهل العامة الى اعتقادهم الاختلال في الشعائر الدينية لمسيرون من سوء حالة
القضاة وأحكامهم واعتدال المجالس وانصافهم
 يطلب في المعارف بالجزائر المعارف فيها على قسمين الاول علوم الديانات والثاني
 علوم الرياضيات فالاول قسمان ايضا الاول ماهو معتنى بالديانة الاسلامية وله
 مدرسون في الجوامع يقرؤون النحو والفقه وفي خصوص الجزائر من هؤلاء عشر مدرسين
 والفقه هو المالكي وقليل من الدروس في الحديث أو غيره وأكثرا لاجتهاد في هاتيه
 العلوم في بلدة سطيف ثم تسان وفي الجهات الجنوبية يقرؤون العلوم في زوايا الطرق
 ولا هي الى هاته الجهات اعتناء بأخذ العلم فبحلون اليه الى فاس وتونس وقليل منهم
 يرحل الى مصر فلذلك لم يتطعم في تلك الجهات من له اطلاع حسن ومشاركة جيدة وقليل
 من يتضلع حقيقة التضلع لانه ليس في أوطانهم علماء محول وانما يقرؤون صفارا الكتب
 وأكثر الانكباب في الفقه المالكي على حفظ معتهم تحليل وتهجهم ومن تهرق العلوم
 في احدى البلاد الخارجية فلما يرجع الى وطنه وفي كل تلك العلوم مدرسون في
 الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرنسية وهي القائمة بمصارف اقامة الجوامع
 وما فيهم من قراءة الاضراب أو كتب الحديث لانها استولت على جميع الاوقاف والمساجد
 واقصرت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وبقية تصرف فيه بما
 ناسبها وحرم المستحقين من مالهم كاتواق الخرفين والقسم الثاني ما يختص بالديانة
 النصرانية ولا دخل للدولة فيه وانما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وقد كان
 نوع من القسوس يعرف بالجوز ويت أنشأ مدارس للتعليم حتى لعلوم الرياضية مع
 الديانة ولهم اتفاق في كيفية التعليم والتربية وقد كانوا في حدود نيف وعشرين ومائتين
 والاف احتاروا بكثرة من أولاد الاعراب وقبرهم المسلمين بناقاوا طفا ولا نصبروهم وذلك
 عند ما وقعت فجأة شديدة بالقطر وما بالغ بحراس النواب في فرانسا ذلك العمل شدد
 قسم منه الكثير على الدولة في اطلاق القسوس على ذلك العمل لكانها لم تنفعهم وعند
 ما كبر البعض من أولئك الاولاد وهملوا بان اهلهم معلون فروا الى اهلهم ثم اسلمت
 الدولة الجوز وتسمن التعليم في فرانسا واستولت على مدارسهم ومكاتبهم في سنة
 ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سمحت ذلك في الجزائر ايضا ونفقتهم من كل عمل لكانها لم تنفعهم
 أوصت بهم فوبها في الممالك الاسلامية بان يحرقوهم في جريتهم أي اذا ارادوا إنشاء مدارس
 والتعليم فيها فليس للدولة الاسلامية منهم وان منعوهم تعارضهم نواب فرانسا مع ان

الدولة الفرنسية والابنة الاكن جمهورية وقطاع المحرقة في كل شئ غير انما سلبت حرية
 الجزويت في مالكيها ولم يتيسر لها جيتهم في مالكا أوربا لاني أكثرها فعل بهم
 مثل ما فعلت هي فكيف يسوغ مصادرة ذلك في الممالك الاسلامية مع اختلاف الديانة
 فيها وأما في فرنسا فان ديانتهم متحدة لان الجزويت نصارى من أتباع الكنيسة
 الكاثوليكية الخاضعة للبابا غير انهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والفلسفة
 فيها جعل لهم نوع انفرد عن بقية القسوس بيد ان الدولة الفرنسية تستند في منعهم
 من التعليم بانهم يترجون في تعليمهم الاحوال السياسية على الاصول الاستبدادية بما
 لاوافق سياستها وتخشى من فسادها في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير
 كالمعسكرات فهدت منها الثور وقواي اليها التاثرون (وأما القسم الثاني) من
 أصل المعارف فهو سائر المعارف الى باضوية وهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان
 المتخذة وهي على نحو المكاتب الفرنسية غير انما اقتصرت على العلوم العالية فبعد
 اتمام التليذ فيها معارفه ينتقل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب
 بالجزائر فيها ما هو للولدان وفيها ما هو للبنات وقد حضرت بالاستدعاء في امتحان
 البنات بعناية ووقع الامتحان في اللغة الفرنسية وفي الكتابة وعرف الباقون انشدت
 المديرية خطبة في قصديس التعليم واغاب المعلمين نساء في هذا المكتب كما حضرت
 امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كلا من الامتحان وجوه البلد
 وحكامها

ومطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر الصنائع ما أحسنها الفلاحية وقد اتفقت في
 الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرنسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما يتونس
 مع الانضمام في الدرجة لاني الكتابة ولا في الكتابة عما في تونس الا بعض أنواع من
 البنس فاهم فيه ميزان ان كالمسمى بالعباسي (وأما هيئة المساكين والطرفات) فان
 الجديد على نحو ما في فرنسا والتقديم على نحو ما في تونس لكن الطرفات معني بتقطيعها
 وتوزيعها على كل حال كما في فرنسا (وأما اللبس) فالرسمي فرنساوي وقواد الاعراب
 السكار يلبسون فقط ناطو بلا مطر زباله لاله الفضة المذهبة وبقية لبس الاهالي على
 نحو لبس التونسيين سوى عموم لبس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدين ويصنعون
 العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤسهم في فوّهة البنس ولباس النسوة أحسن ستره منهن
 في تونس لانه يمدنى وكذلك الاكل والاولكب على أنواعها فانها محرومة في تونس الا
 الذين

الذين لهم مزيد اعتناء بتقليد الاروباوين ففقدوهم في اثناء كسيرة وقد رأيت من
الاعادات القديمة انهم لا يدخلون ديارهم نهالهم بل كن من وصل الى الحقيقة نزع
ناله وليس تملأ خاصا بالدار أو دخل حافيا تحفظا على الضافة والطهارة ولهم أنواع
ظريفة متقنة في الاكل سيما المتخذ من ورق البهين حلوا وما لحا (وأما اللغة) فهي
أيضا غريبة محرفة على نحو ما في تونس غير أنهم أقل فصاحة في النطق ببعض الاحرف
مع وجود كلمات غريبة وفرة في تونس كقولهم أدركني انظر أو ما قاربها وفي جهات
ذرية البر لم تزل لغات أسلافهم مستعملة كما في زاووة وبني مزاب

الباب السادس في ان لئلات يره

في الفصل الاول في سفرى اليها

قد تقدم انى اقمتم في باريس سنة ١٢٩٦ نحو شهر وحيث كنت علمت اغلب
ما فيها ولمنى انتظار اشياء يتوقف عليها رجوعى الى تونس احدثت أن اقضى بعض
أيام في رؤية انكلا تيره لشهرتها مع قربها من باريس فركبت الرتل السريع
صباحا وذلك في رمضان الموافق لثموزا لا محمى واستقر الرتل صباحا بسرعة يقطعها
نحو الخمسة والاربعين أو الخمسين ميلا في الساعة قرأت من منظر شمال فرانسا
ما يربو عن الجهات الشرقية والجنوبية ان نظاما وعمرانا الى أن وصلنا الى بلد
التي هي مصرى على أضيق خليج بحر المذش بين فراندا وانكلا تيره ولها عدة أسوار
وخنادق متينة حصينة للغاية ودخل الرتل بين سورين الى أن وصل الى محاذات
البانرة اللامعة بالاصيف وكنا أخذنا ورقة السكراء الى ذات لندره فانتقلنا من الرتل
الى البانرة وصعدنا باخرة عجبة الشكل اذهى مؤلفة من باخرتين متلاصقتين عرضا
وسطحها مقعد واحد كآلة بخارية وبها بيت جلوس واسع جدا وثائقان بلا غير بها أيضا
بيوت صغار لم يربدا انفرادا لكنه ين يد نحو عشرة فرتل في الكرا من الطبقة الاولى
وفي البانرة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه لم يكن زائدا عن السكراء والداعى لجلس
البانرة كذلك هو صوبه ذلك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويمر فيه
التيار بسرعة فبادى ربح يستد اضطرابه مع تطلب الراحه لا افر فاختره واذلك النوع
من البوانر لكي لا يحصل فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يقدوا اخترعوا نوعا آخر فيه
أيضا وهو أن يكون بيت الجلوس منقسمه الى عن البانرة من جميع الجهات ومعاقه فيها

على نحو الفوانيس بحيث اذا مال البانورة لاجل البيت حيث كان معلقا فتبتع نعل
 المراكز فلم يبق الا باله اذا اشتد الميلان فلا طم بعض اجزاء السفينة حائط البيت
 وينتهي في الميلان فحاولوا ان يخترقوا طريقه ساحتهم فمروا بهرو وضوا ذلك رأس مال
 قدره أربعة ملايين فرنك بين الفرنسيين والناكيز للتجربة اعني تجربة معرفة الطائفة
 السفلى من أرض البحر هل هي صلبة قابلة للاستسكان أم هي رنوة أما أصل امكان
 النفاذ فقد جربوه فثبتت خبر التيمس كجانب أي ذكره ولا زال العمل جاريا في هاته التجربة
 وذكروا أنهم وجدوا الأرض صلبة بان حفروا في شطى البحر بقرين أعنى من أعنى
 محل في ذلك البحر فوجدوا طائفة الأرض صلبة فاجتهد المجهين متوال في أحداث
 هذا الطريق وهذا يدل على من هزائم الامتين في العمل والمال ولا يبعد حصول المقصود
 في وقت قليل ثم انقلبت بنا البانورة ولم تحل الا الى كواب والبريد وما خف من البضائع
 ورحل الكاب وانعم الله علينا بان كان البحر في نهاية السكون ولله الحمد فكنا في غاية
 الراحة فبرانا لانظر الاما قرب من البحر البانورة لسكونه في الشطين وبعد سيرة ساعة
 واربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دو فر من انكلا نيرة التي هي اقرب مرسى في مقابلة
 مرسى كالى ووصلت البانورة ايضا للرصيف ونزلنا الى الزل الذي هو على اربعة السفر
 باصق البانورة فسالني خدمة الزل الى أين توجهي فقلت الى لندره فقالوا اى جهة
 منهم انتهجت هل هو لا لهم بحلات يوصلونني بها الى محل نزل مع اني لم اتخذ من نزل وانما
 كنت كنت لاحد معارفهم اليه لتأق في المحطة فاعدت لهم اني ذاهب الى لندره الى
 محطة سكك الحديد فقالوا اى محطة فنذرت ما كتب لي المتأق الى في المحطة من انه
 ينتظر في محطة فيكتوريا وعلمت اذ ذلك فائدة تنصيصه على اسم المحطة وحينئذ
 ذكرت لهم اسم المحطة فبينوا الى المحطة التي تركوها وكان ذلك بهدوء في التفاهم من
 الجهل باللغات حتى كان الذي فرج الحال رجل يعرف الفرنسيين ثم قتل الزل سرعان
 سا بجا بسرعة ازيد مما هي في فرنسا حتى لا يترك النظر من رؤى الاشياء
 القويصة وكان الزل يطرق فمروا من تغارب مقاطع قضبان الحديد الجارية عليها
 من سرعة السير اذ هو يسير من ميل او ازيد الى التمانين في الساعة الواحدة وكنت
 ارى على بساط الارض ارجاما من بعد من شعرة الدينار التي يضم ورقة من الماء الشخير
 المتخذ سكر كما المعروف باليرة ونرى اكواما كالقوى المنشورة من الاتجار المصنوع حتى
 تعجبت من كثرة وكثرة معاملته ولا كفى عند ما شاهدت بلدانهم زال التعجب لان

- البحر وحده هو مادة البناء لمساكن لندرو، وإذا طبخ على الأرض على نحو مبدئي
 كأنه شبكة صيد بضمضان طرق الحديد المرفوعة إلى جميع الجهات وإلى
 كائنا ما صاحب فوصلنا إلى المحطة وثاناً في المنتظر إلى وفنس على كلاً من
 وهو مستراعى في أحد ابنيه الشام أنقل إلى هناك وسكن باندرو عتقنا صناعة التعليم
 للسان العربي وكان دخله من التعاليم كافياً له بهر لعلوا الاسرار وكانت مدة السفر من
 باريس إلى لندرو تسع ساعات وثلاث أرباع الساعة بين السير في البر والبحر وسكنت في
 الحارة المعروفة ببيت بادك وأقامت باندرو يومين منفصلين وثلاث ليالٍ واليوم الوسط
 ذهبت فيه إلى البادريتين صباحاً ورجعت منها مساء حيث انتهت على شاطئ البحر وبثديها
 أعانهم صغافوهي من أعظم منزهاتهم وأبنتهم مثل أبنية لندرو وأحسني في هاته البلد
 ثلاثة أماكن (أولها) قصر الملك وبستانه فالستان جميل أجالاً (وأما) القصر فقد بناه
 ملكهم ويلم الثالث المتولى سنة ١٦٨٩ الذي كان معجباً بالهندسة والخلق
 للاندرو في قصر بريقن وكان مغرباً بأحوال الصينيين فجعل هذا القصر بعدد
 القاعات لخمسة عشر لاندرو أنشأ القصر على نحو قصور ملوك الصين وجلب اليه من
 هناك سائر الأدوات والمفروشات وغاية الفرق بين هذا البناء والمعمورة أنه
 لا يشبه من الأبنية من القباب كلها على شكل مخروطي الوسط والمخروط والأبواب كلها
 منقوشة منقوشة بالأشكال الصينية والوالماتصاويرها والدرج ذات شكل غريب
 مرتاح وظاهر القصر من طرف وعلى زواياه وأبوابه شرفات وصوامع جيدة موزعة
 بأمتام الملكة فيكتوريا المتولية الآن هذا القصر بجمعية أهلية ليقيم منتهى للعموم في
 خططهم واجتماعهم وقد اتخذوا اليه عقب شرائه من سائر أقطاراً كلاً تبه وما زال
 هكذا ما حاله لاندرو قد شنت صحف أخبارهم على شع ملكهم ونغمته في المسال
 بديهة لذلك القصر لاندرو كان ينبغي لها أن تسمى ياه وأظن ان القوم لم يبلغ
 المليون فرنك (والمكان الثاني) في البلد وهو محل معرض أنواع السمك في أحواض
 من الزجاج وراءها الضوء مركزة في المحيط ينزل إلى بهدرج على الشاطئ وحوله مطاعم
 أنيقة وحسناً وفي فوقها قهوة وفي بيوت هذا المعرض بيوت عديدة لجميع حوطها
 أحواض زجاج فيها أنواع الحيوانات البحرية ما الله به علم ويستفيدون من ذلك كيفية
 حياة الحيوانات وقولدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طولها نحو نصف ميل
 مصنوعة من خشب متين مرفوعة على أعمدة مبنية من الحديد طوله من سطح البحر

وحول الذكة وفوقها قاعدون مناز وفهاوى وذلك هو منتهى المتزهرين واللاعبين
والمتسابقين في البحر وبقية البلد ليس فيها ما يستغرب وانما هي حشنة قليلا لنظافة
الطريق ولم تزل الاشتغال حارية في احداث حارات جديدة فيها تم لما رجعت الى فرنسا
بت ليلة في مرسى دو فلان البائرة تسافر بالعريدم بكرة فاستمرت الذهاب اليها عشية
لنكتة لا تعب بالركوب في الزم ليل الوصول اليها وتطوف فيها فاذا هي مرسى حربية
وحشنة متينة الحصون كثيرتم اومانيا ردة وطرقها وسفحة ومزل المسافرين الذي بقنا
فيه حسن متقن وطعامه ردي وليس في البلاد ما يسط النفس فركبنا معنا بركرى
الصباح ورجعنا الى نرنا في باخرة فرانسوية اعتيادية وكان البحر ساكنا مع الضباب
الكثيف وحول سائى فرانسى كان الجزر حاصلا حتى خشي السفن من مصادمة الارض
وتن قعر البحر يرى في بعض الجهات

الفصل الثانى

لما كانت هاته المصمر المتحصرة هي قاعدة انكارتوفيهما اغوذج سائر المملكة بازم ان
تفرد بالذكور غيرانه لا يخفى ما للمعادن من المعادن وقد ذكرنا من اوصاف باريس
وتفاصيلها ما يغني كثير من عن اعادة في صفة لندره فلنقتصر على ما تفرد به هاته عن
تلك وهكذا نسلكت في سائر المباحث بحيث تقتصر على ما يفيد وما يشترك فيه الجميع يعلم
حاله مما سبق في الابواب السابقة فنقول ان لندره أكبر مصر في أوروبا وسكانها على ما تحرر
سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ١٦٣٣٠٠٠ ذكر و ١٨٥٦٠٠٠
و ١٨٥٦٠٠٠ انما ويخترقها نهر التيمس الذي يحمل السفن الكبيرة وعاليه جسور
جديدة ضخمة جدا منها البناء ومنها الخشب ومنها الحديد الذي لا يحد له يقوم عليها في
النهر وانما طرفاه على العدوتين ووسطه معاق يقضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه بحيث
يوجد أبنية ضخمة مرتفعة ترفى أعلاها تلك السلاسل والقضبان ثم تنزل الى الارض
بحيث تكون على شكل مثلث زاوية الوسطى قائم فيها ذلك البناء وتلك السلاسل
أربع في كل جهتين من طرفيه اثنا عشر هاته الجسور عظيم الطريق الحديد
وبعضها على جسم أنوع عظيم على طريق الحديد وقد تفرقت تحت النهر في قاعها فبسه
الزئ أيضا وطول النفق ألف ومائتا قدم وكان انشاؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء
ثم جدر سنة ١٨٤٣ وكانت مصاريفه ١٥٣٥٠٠٠٠ فرنك بحيث ترى الطرق

عند نهر التيمس في بعض جهاته على أربع طبقات فالز تحت الماء والسفن على
الماء والبهلات والدواب والناس على الجسر والرتل أيضا على جسر فوقهم والطرق
أكثرها في عرض عشرين ذراعا والقليل أزيد من ذلك وأقل حتى أن منها الضيق الذي
لا ترفقه سحابة والطرق قليلة النظافة حتى أن منها ما فيه الوحل من العطين بمقدار
لا يستطيع معه الجسالات على سير الخشب وبعض الطرقات مبلط بقطع من الخشب
في شكل الحجارة ذات الشبر التي يملط بها وذلك لقلّة الوسخ من الخشب مع قلّة الدوى
وفقدان قشرة البهلات وذلك انما هو في الطرق الكبيرة مرور البهلات (وأما غيرها) *
فهي القصور والمعاند والبساتين فالحا من الأسرار الاقليل من أبنية خاصة ضخمة مفعلة
من الحجارة وقليل أيضا من أساسات بعض الأبنية فهاته تحت لها الحجارة على شكل
مستوى جبل المنظر وكثير من الدار عتادوا بهما أسطوانات من المرمر يحمل عليها
رواشن أو مرادق وعمامة البناء ذر ثلاث طبقات والاربعة السفلى وكل دار تسكن عاقلة
فقط ولذلك كان منظر باريس أبهى من بعض حارات بذيّت على نحو باريس فلم
يستحسنها إلا الهالي وبقيت منفورا من سكانها وكل دار تحدها بالها روشن خارج عن
حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحيبة جدا أعظم مما في باريس منها حديقة هيت
بارك وليكل حارة تقربا حديقة صغيرة خاصة بأهلها وأعظم مكان في لندن هو الحديقة
المعروفة باليسين وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلاد
وهو مركز شمال التجارة الكبرى ومحط إدارات أعيان البحار فتري فيه من الازدحام
ودوى العواجل والحوافل والمخاف والركب والساع ما يحير العقل والنظر واللب مع أن
أبنية وتصميماته ليست عما يذكر عادة أهالي لندن أن حارات الأشغال والحوانيت
والتخازن لا يسكنها إلا الصنف السفلى من الناس وحارات السكنى تكون خالية عن
جميع ذلك حتى ينعب الساكنون في جلب ضمر ورياتهم لولا التيسير الكبير في أبواب
الانتقال من مكان إلى مكان على نحو ما في باريس وتزيد لندره بأن خط طريق الحديد
يطوقها بالثنتين احدها أوسع من الأخرى وبالجملة فقصدنا نورد لندره بحاراً رأيت
يوم سمعت من مدن العالم بكثرة الحركة وهول الجد في الشغل والاختصاص والعطاء والسفر
وإن جوع ويرى أن ذلك في محطات طرق الحديد كما أشيرنا إلى ذلك سابقا من رؤية نواح
شبكة القضاة من ميسرة ميسرة أميال وبحار العتلى كيف لا يعطى مسير الزجيات
وحراس مفايق الطرق بذهاب الرتل إلى غير قصده ففي لندره شأن محطات على نحو

ما ذكرنا في محطه فذكر توربا وقد أحصى في أحدها عدد المدخل والمخارج من الزلزل
في مدة نصف ساعة فكان اثني عشر زلزالا ولبق على ذلك وقد نظرت يومان قصر
الزجاج دخان المزجيات الصادرة والواردة جارة للزلزل فاذا هي مثل الجراد المنتمتر في كل
الجهات (وإما بقية) الأحوال فهي دون باريس في نظارة الحوائط وبها حدة البناء وعدم
وجود محل للبول أو كنف في الطرقات وفي النظارة والخطم والتنوير ولذا ذكر بعض
مجلات لم ترم لها في باريس فها قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا فخذ من قصبات
حديد من مصفبها تقاطع الزجاج وقد انتهى أو لا مركز المعرض العام في لندن وهو أول
معرض في أوروبا وبعد انقضاء المعرض نقل ذلك القصر إلى ريو حذر لندره واتخذ
سوقا للبيع تحف وساعات نظيفة ولوضع بحائب وأما ردهريه مصانعة للفرجة والنزهة
وحوله حديقة أنيقة ذات فوارات وفهوى وعلى كل داخل أن يدفع شيئا زهيدا من
المال لجرد المدخول والفرجة وما يشترى فهو بمنه وطريق الحديد يصل إلى هذا القصر
من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات رقيقة على عدة أقسام (وفيها) (وفيها) محل
للرماية (وفيها) حديقة (وفيها) عدة فوارات (وفيها) عدة مطاعم (وفيها) قسم لثال جواه
غرامة بالانداس اعني مثال بعض جهاتها الشهيرة كوسط الحجرات والبيوت الكبيرة
مفتحة التمثيل اعني تمثيل الجسم بحيث يدخل الإنسان إلى قصر هو على شكل الجواهر فيها
تقارن وفي كيفية طلي البيوت وتقومها بالذهب وما فيها من الكجبات الانيقة بالخط
السكر وفي ذلك القصر هو على نحو الابنية العربية لكنه طاقى الاتقان والصناعة والتأنيق
والتزويق وفي القصر الزجاجة (قسم) لأحوال الصينيين وصناعاتهم وأشكال اناءهم
مجسمة بتصاوير من الشمع وهيئة المسكرين منهم لاسيما أعمال الآفيون وتأثيره القوي في
عقلهم وذاتهم (وقسم) منة لتاريخ بلاد يدي من ايطاليا تار يخشاها المشاهدة لصورة
أطوارها وقسم منة لحوائث غريبة منها الغول المسمي بالكور الذي هو نوع من القرد
الكبير وقدم مركزه في باريس وأنواع أنمن القردة صغار شبيهة بالإنسان الزنجي وفي
القصر الزجاجة أيضا (قسم) لبيع التحف والبضائع الرقيقة وقدرت فيه نحو سبعة
رجال من العرب من أهل الشام ومصر والمغرب فخذ من مجلات لبيع تحف بلادهم
والعطريات (والحاصل) أن هذا القصر الزجاجة جامع لأشياء الغرر والنفائس (ومن
الاماكن الشهيرة) في لندره أيضا التريسة المروفة ترافلكر وفيها جرد بسون المبنى من
الحجر مرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما تقايرى وعليه تمثال وحوله شرفات من النحاس اتخذت من

مدافع أخذت من الفرنسيين وحول العمود فوارتان بالماء أمامهما صورة الملك شارل الأول وكان نصب العمود (سنة ١٨٤٢ ومئتا أحمدة) أنرى (ومئتا) الملهى المتعددة وقد شمرعوا في بناء أكبر ملهى في أوروبا وأكثرها ثباتاً بقاءة للملهى قران لوبرة في باريس لكنه لم يتم إلى الآن وأجيب ماريا في مملاهم إلى محل التنزه من اللعبان بتناثر تقع في الهواء إلى السقف وتنب فيه وتارة لما ترتفع إلى نحو نصف الفضاء ثم تجب في الهواء طائراً إلى جهة اليمين من المنفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شيء تعانى به وقد خاضت محضهم في ذلك ولم ينفوا على قول حقيقى في صورة ذلك في براف شعرت بأنهم يقللون الضوء عند اعادة تلك اللعبة (ومئتا) دار الامتحانات العلمية (ومئتا) قصر الندوى وهو أعظم بناء في هاته البلاد ويمكن ان يقال في أوروبا أيضاً ما قصر القاتكان بروم وهذا القصر بالمندريه يشغل على ١٢٦ مدرجا وأزيد للصعود اليه وأكثر من ١١٨٠ حجر و ١٩ ايوانا (مئتا) ايوان الاجتماع الرسمى الرجيب ويشغل على امرة ومقاعد ومطاعم وقهاوى بحيث ان أعضاء الندوة اذا تجوجهم إلى المحلل إلى اقامة ايام هناك فلا يحتاج أحد منهم إلى سوى الملابس يأتي به من محله ولما كان ليهم طويلا يرضون أشغالهم فيه فكان في القصر من التنوير ما يجيب منه الناظر وكذلك أمر قد فتنه (ومئتا) المتحف البرياني الشامل للآثار العتيقة والذخائر الغريبة وعلى فحوه وودونه عدة أحف آخر (ومئتا) دار الصرف اى البنك الدولى وهو أجيب بنوك أوروبا كبريا وغناه اذ فيه من الذهب فقط عشرات آلاف الملايين بخزونه قطعاً كبيرة وصغيرة للذو ولؤلؤ ولين وومن ماله فضة لادن المصوغ والفضة وللغزنة يحمل حصنين محاط بالمياه خشية الحريق (ومئتا) البورس أى محل اجتماع التجار (ومئتا) مجامع التجمار العديدة (ومئتا) قصر الهند أى محل ادارة الهند المتوزق (ومئتا) دار شيخ البلد (ومئتا) الحصن العظيم المسمى تورا في لشدره (ومئتا) منزل للمسافرين المسمى ريتش مانت وهو خارج البلاد على رفعة مطلق على فضاء ومخرج ونهر وبقائه الغاس لال كل بكثرة والسكنى بقوله وأكله أحسن من غيره (ومئتا) بيتان الملك وقصره خارج لشدره أيضا المسمى هميتون كورث وليس به من الفرائب الاعريشة عنب واحدة مغروسة في بيت من الزجاج لوفائته من البرد حيث ان شدة برد انكلا تيريه يمنع من نبات العنب بها فكانت هاته الشجرة معتنى بها منذ ازيد من قرن وقد عظمت جدا حتى ملأت أغصانها جميع البيت التي طولها نحو الاربعين ذراعاً وصارت ثمرها لا فامن العنايد ولا يخرج منها

عنه قودا لا يتذكره من عند ذات الملكية شهاده يها من تقتضيه من الاقارب والاعيان وعلى
 تلك الشجرة قيم خاص وخدمة وتقصده للتخرج بانفرادها (والحاصل) ان لشندولا تونس
 الواردة نظرها الاجماعي ومحاسنها محبته يروق بها الاعالي من الناس ومن أكرمهم معه - م
 حتى انها ليست بها قهاوى كما فى سائر أروبا وليس فيها الا حانات لا يدخلها الا السفهاء أو
 حوائث تبذير الملو بات لمن يدخلها واقفا ومنها عمود مصر المسمى بالسلسلة موضوع
 على عدوة نهر التيس الحاويرة للقصور الملكية وسائر مهمات لشندره وقد صرف على
 جلده من اسكندرية اموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وأنشئ بجانبها سفينة
 خاصة بخازنة وصاحبته المراقبة سفينة أخرى وتلقبت عند الوصول الى لشندره باحتفال
 وركزت فى موضعها فبان هذا الموضع وما حوله ليس مما يذكرو به وهو بين مركز المسلة
 بباريس يون بيم - هو كان الانتظار انما قصده وادام وضع مسلة بقاعدته لانهم أرادوا
 جبالها وبنائها (ومنها أمثال) زوج الملكة الحالية المتوفى سنة ١٨٦١ فاقم له تمثال فى غيضة
 هيت بارك من أعظم الهياكل بناء وروستوا وقانا من أنواع المرمر الملون المزخرف
 بقفاطير الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة
 الحاويرة - لا بين الكتب واحد اها شاملة للكتب التى غنمت من ممالك الهند التى
 استولى عليها السالكين - تيلابا باقها تيه المكتبة ليس بها قاعات وأواوين كبيرة
 كغيرها وانما هى عبارة عن قمر ضخم كقصور السكنى الكبيرة فى باريس وفيه
 عدة طبقات وكل يشتمل على بيوت بها قاعات من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير
 تحته عدة قيمين والكتب المجلوبة من الهند فى أعلى طبقات القصر فى عديده وبت ضيقة
 غير مرتبة ولا نظيفة والقباعلى أكثرها ووضعتها فى الخزان على ترتيب رضى عنها فى دفتر
 قديم اسمائها وهذا الدفتر انما ترتيب منه - تقريبا لان الكتب التى بها من
 الهندى أزيد من أربعة مئتين صنفا وكثيرا بقيت متروكة على حالها زمانا طويلا ثم
 قصت المصاديق ووجدت ملائمة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غير ترتيب
 ثم كلفت بقتضدها وكتب فهرس لها أحد المستعربين من جهات سوربة فرتبها على
 حسب حروف المعجم فى اسمائها من غير نظرا وضوعاتها ومعانيها ففقدت المعجموعة
 ولا جامع الا حروف اسمائها ولم يبقها كلها بل قديم منها ألفا وخمسين مجلدا يبق
 غيرها غير معروف ثم ان الكتب المزخرفة والاوراق المذهبة جمعت فى صفاديق
 من الزجاج لئلا تفسد من فترى ورقة من مصحف كريم وبازائها ورقة من تصاوير الصيادين

الى غير ذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب غريبة قابلة للوجود او غير معروفة وقد طبعت مع ماتم من فهورها واعطيت منه نسخة وليس هو موجود اسم الكتاب بل يذكرا منه وطالعتهم وخاتمتهم ومؤلّفهم وكاتبهم وسننهم بالعربي مع الترجمة لالا تكثيري ومارايت به نسخة من التلويح بخط جيل صحيح اظنها بخط المؤلف حيث قال في آخرها كتبت هذه النسخة للشاب العزيز مني وانا العبد المذنب الغريب الموسوم بسعد التفتازاني غفر الله ذنوبه وسدد طريقه وهو المتهتم المكرم صاحب المروءة والكرم علاه الملة والدين بلغه الله اقصى ما يقدره اه وعلى ظاهر هذه النسخة خاتم مدغم كانه خاتم تيمورلنك والله اعلم

الفصل الثالث

(في وصف انكلترا)

سمي عات المملكة جزيرتان كبيرتان احدهما كبر من الاخرى واقعتان في البحر الشمالي من اوروبا تبعدني من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٥٥ ودرجة ٠٦ وفي الطول الغربي معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١ الى دقيقة ٥٠ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الهالك ومن الجهة الرابعة الخليج المسمى بالمضيق الفاصل بينهما وبين فرنسا متصل بينهما في ذاتهما خليج مارجرس وبحر ارلاندا وكبرها تين الجزيرتين يسمى انكلترا وجهاتها الشمالية تسمى اسكوتسيا والجزيرة الصغيرة تسمى ارلاندا ولهذا كانت هذه المملكة معتبرة ثلاثة اقسام نظرا للتاريخ القديم ويسمى مجموعها الاكن بريطانيا العظمى وعلى الاجال فالارض اخصبة جدا ذات مزارع وراعي واسعة الاتجاهات الشمالية المشهورة اسكوتيا فانها الشدة يربدها كانت غير صالحة للزراعة وهاته المملكة اراضيها ممتدة بهاربات قليلة الارتفاع وكلها مغمورة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال فهي منخفضة بها الا في اسكوتيا فانها مرتفعة شاهقة وليس بها جبل بل كافي (واشهر) مكان في الجبال جهة الشمال على العرف اسكوتيا المكان المعروف بجمشي الجبار وهو واحد من صخرة مركبة على بعضها الى علو ٤٠٠ قلما يتساقط الاحكام فكلما كانت تزهة للناظرين (وأما أنهرها) فكثيرة وأعماجهانهر ساورن الذي يصب في المحيط عند مدينة بريستل ونهر مرعي الذي يصب في بحر ارلانده عند مدينة ليفر بول ونهر راليس الذي يصب

الصفن العظيمة الى مدينة اندرو بين هاته الانهر تررع عظيمة سهلة المواصلات وكذلك
 نهر شافون في ارلانده والترعة الاسكيمية به الموصلة بين البحرين (وأما بحيراتنا) فيكثيرة
 أيضا وهي في اسكوتيا أشهرها محيط بهامن المرج والجبال ولذلك كانت ممتدة في
 الاقضية في الصيف وأشهرها بحيرة نيس وبحيرة لومندطولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك
 بحيرة تياغ في شمال ارلانده وبحيرة ارن فيها أيضا (وأما هواؤها) فهو على العموم بارد
 وفي الشمال أشد وسليم موافق للصحة لكن يكثر فيها الضباب صيفا وشتاء وكذلك المطر
 الذي يسقي مزارعهم صيفا وشتاءه ويوم الصحو الذي يظرون فيه زرقة السماء بعد من
 حسانت الايام لان الضباب يتكاثر أحيانا الى أن يخرج الى ابقاء النور نهارا وربما
 كان فيه جمد في البيوت والسققات أما في الطرق فالنور غاسق يومئذ ولا تشرق
 أشعته تتكاثر الضباب وكاد المطر أن لا يفارقهم ثلاثة أيام متواليات وقد شهدنا الحر
 في الصيف وذلك لان عدم التجمد الاستواء يسبق في دوائر القارة حتى يموت الناس في
 الطرق وذلك لان عدم التجمد وسكون الهواء سكونا زائدا في شدة الحر الى درجة عالية
 للغاية لكنه لا يدوم طاهرا الا يوم أو بعض يوم وتعبه السحب والامطار والبرد (وأما
 نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الماردة والجهات الوسطى والجنوبية ينحصب فيها اشجار
 الجروب وان كانت لا تكفي السكان وأما العنب وما شاكلة من نباتات الاحمدال والحر
 فلا يوجد منه الا ما يجعل له بيوت خاصة معالجتها بالقهقذين الناري ومع ذلك فتجد الارض
 مغطاة بمخضرة النباتات لكثرة العلاج واتقان الفلاحة وقهرية المياه وغاباتها كثيرة
 بها الانهار الضخمة الصالح خشب الانشاء السفن العظيمة فبهاها النساء طر معمرة لا غلب
 البقاع ونباتات المراعي خصبة جدا تنعم عليها الحيوانات (وأما عاداتها) فالعق من
 الحدباء النجم البحري يكثر في أغلب الجهات وفيها الرصاص وغيره وهي أغنى بممالك
 أوربا في المعادن (وأما حيواناتها) ففيها كل أنواع الحيوانات الموجودة في فرنسا
 وايطاليا كلبس ذكركه والسباع منها منقطعة للاجتهاد في ازالتها من قديم فان وجدت
 شيئا من صغار السباع فاعتساها في الجبال الشمالية وذلك كالدب والنعلب وما شاكلة
 وأول من اعتنى باقناء السباع من المملكة الملك أدغر المتولى سنة ٩٥٩ فقد أزم
 رعيته في كل سنة بأن تأتيه بقلعة ثمانية ذئب واستمر ذلك الى ان فني ذلك النوع و قد
 كان مالكا أرضها مع خشمه الشديد لان الذئاب الشمالية كالسباع الكبيرة في الجررة
 والاذابة كالشاهد لان في الروسية وخيلها جيدة للغاية وفيها من أجود الخيل العربية

- أشد العناء يجعلها أو توليدها أو تربيتها حتى فاقت سائر أروبا في الخبز وكذلك غنمها
أحسن أنواع الأغنام وصوفها مرغوبة للصناعات النخسية لأنها كادت أن تكون مثل
الحرير (وأما مدنها فقاعدتها النذرة) وقد مر ذكرها وبتية المدن كثيرة ومن أشهرها
ليفر بول وهي نائبة لندره (في التجارة) واقعة على مصب نهر مرسى في بحر لاندن وفي
مرساها من السفن ما يستغرب من كثرتها ثم (مدينة) مانشستر لها من الشهرة ما يناكب
السابقة وهي شرفها على نحو (٣٣) ميلانم (مدينة) ببرمنهام ثم (مدينة) رشفيلد
(ومدينة) كدرمستروفي أسكوتسيا (مدينة) ايدنير (ومدينة) ابردين (ومدينة)
دندي (ومدينة) كلاسكو وهما أعظم أحوالها التجارية ومرتزاومارفا في أرنلاند أربع
عظيمة (أحدها) جهة الشمال وهي بلغاست (الأنانية) جهة الشرق وهي دبلين
(الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي غلوه وكل من هاته
الأربع قاعدة للقيام الذي هي فيه وهناك مدن أخرى عديدة غيرها (وأما مراسي)
هاها المملكة فيث كانت هي جزائر بحرية فكانت مراسيها أن لا تعدوا أكثرها من
تصنيفا جسيما حتى أن كثير من الحصون في المراسي الحربية صارت الآن مدرعة
بصفاق الحديد الثقين الذي لا يهل فيه الكور من المدافع الجديدة وفي بعضها عامل
للسفن المدرعة والخشبية ومن هاته المراسي ما هو مأمن للسفن بأصل الخاتمة كما ذكر فرامى
أرنلاند لان في شطوطها تساريج كثيرة حسنة المنظر ومنها ما هو مأمن بالصناعة وتبقى
إلى هاته المراسي التجارة في السفن والبواخر من سائر الأقطار وأكثر سفن العالم إنما هو
لأنها أكبر كما يأتي توضيحه إن شاء الله تعالى وقد تهرران لها على شطوطها الهداية السفن
ليلا أزيم من مائتي سفينة (وأما تقاسيم المملكة) بالنظر للإدارة فهي في أملاكها
الاصيلة اثنتان وخمسون مقاطعة وفي أسكتلندا ثمانية وثلاثون مقاطعة وفي أرنلاند أربع
مقاطعات فالجميع تسعة وخمسون مقاطعة لكل منها إدارة على نحو ما يأتي بيانه إن شاء
الله (واعلم) أن هاته المملكة تتبعها جزائر أخرى صغيرة حولها كثيرة أشهرها جزيرة مان
و جزائر نورمونييا وذلك عدد المستعمرات الخارجية لأن ما ذكره هو قطعة من ذات
المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنتان وثلاثون ما يوتا كلهم أملاك بيرون وديانتهم
نصرانية على مذهب البروتستانت إلا البعض وهم أكثر أهل أرنلاند فهو ولاه على
مذهب الكاثوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والمذنبين وأفراد من المسلمين منهم من
أهل المناصب العالية والبروتستانت الكبار بمكة المقاميين بالورد كاللورد سافرنلي وهو من

المصادقين في الاعتقاد الاسلامي والله المجدد نزل اليه عن رؤيته وبرهان نسال الله له مزيد
 * انشاؤه والحمية وعلموا الكعب والهداية ثم ان هاته المملكة الخامسة مستعمرات واسعة في
 جميع قطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة
 الزعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الزعية لكنهم الاول في اتساع المملكة وعلموا
 الشأن في اقطار الارض جميعها فاعظم مستعمراتها هو الهند وما معه وقد عرف في المقدمة
 تفصيل ما وصل اليه من احواله ولها في آسيا ايضا جزيرة هنكونغ في الصين ومدينة
 عدن وباب المنسذب وجزيرة يريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرس في البحر الابيض دخاتها
 بمعااهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ وحماية على مسقط وبعض قبائل شطوط
 جزيرة العرب الشرقية ولها في اوروبا جزيرة الباغولاندي في بحر الشمال وجزيرة
 * وغرني في بحر الرمانش وجزائر صغرى حول المغرب الشمالي وجبل طارق الحائل
 الحصن في ارض اسبانيا على الخليج الموصل بين المحيط والبحر الابيض المهي بونغار
 طارق لان طارق هذا هو الذي عبر البحر من افرقيته واستملك الجبل المذكور للعسك
 فسمى به ثم افتح بقية الاندلس وكذلك لها في اوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض
 وسباني تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افرقيته شطوط من سانيقل وجبال الاسد
 في كينيا العليا وارض شط الذهب فيما وراء الرجا الصالح وجزائر سنن وموريس
 ولاسانبول وشطوط في جزيرة مدسكار ولها في عجايبه اوسلطة على ممالك مستقلة
 في افرقيتها ايضا مثل الزلوس وغيرها في ارض الكفر ونمود في الزنجبار ولها في
 اماريكال بين نينا الجديدة في شمال اماريكال وكندا وبرزويل وسكوسيا ولا برادور
 وكلها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة وارض اخرى غربي شمال اماريكال
 وجزائر المغرب الشمالي وجزائر الاندلس الصغار جزائر جامايك ويمان الانقليزية وما
 جيلان ولها في استراليا الشرقي ومقاطعة هسان بقية الشطوط وجزائر ترميانا
 وزيلاند الجديدة ونورفولك فاذا نظر المتأمل لاتساع هاته المستعمرات وافترقاها على
 جميع اقسام المسكونة علم مقدار قدراته الدولة وسيأتي في فصل التاريخ ان من
 حسن ادارتها كانت هاتيك الممالك قوة لدولتها الاجابة لصفهها وهذا جدول بعدد
 السكان

(٢٣)

سكان انكلا تيره	٠٢٢٧٠٤١٠٨
سكان اسكوتسيا	٠٠٣٣٥٨٦١٣
سكان ايرلانده	٠٠٥٤٠٢٧٥٩
سكان الجزر التابعة لها	٠٠٠١٤٤٤٣٠
عساكرو بحرية خارجها	٠٠٠٣٠٧١٩٨
سكان عمالها بالهند	١٦٣٠٧٢٧١٥
سكان بقيه اماكن ياروبا	٠٠٠١٦٠٣٩٩
سكان عمالها بامريكا	٠٠٥١٣٣٧٢٢
سكان مدن ومجتمعات افريقيا	٠٠١٨٦٠٠٠٠
في استراليا	٠٠١٩٥٨٦٥٠
في بقية الجهات	٠٠٠٤٢٦٠٤٧
	٢٠٣٤٣٠٦١١

الفصل الرابع

(في اجمال تاريخ انكلا تيره)

مطالب في تاريخها القديم لا يصفى ان سائر اربا كانت في الاعصر السالفة على جانب عظيم من التوحش فاذلك كانت قوايربها القديمة عديمة عقمة مجهولة ومن ذلك تاريخ انكلا تيره ايضا وغاية مايسلم من احوالها ان قومها من السكنديين اى قدماء الافراسيدين الذين مقرهم في فرانسا بين نهر السين ونهر غارون عبروا الى اراضي انكلا تيره بقصد توسيع التجارة فلم يجدوا لهم ممانعا واسطوطفوا هناك ثم لحق بهم فرقة من اهل البهليين وبقوا جميعا على التوحش التام بحكمهم بايدي رؤساء القبائل بل العائلات حتى ان خبر هؤلاءهم كالعبيد بايلبيهم وينهم كهم ان لهم سيطرة على الجميع عيانا لونه خفية من علم السيادة والطبعية ليوهموا العامة بخرق العادة لهم حتى اعتبروهم كلاله وكفوا جميعا بعبادون الاصنام حتى اتهم بقرىون اليها دماء الانسان بالتضحية لها وفي سنة ٥٥ قبل التاريخ المسيحي عبر الى انكلا تيره فولوس قيصر بجيش الرومان فلم يتمكن منها لما عرضة الالهالى مع هييجان عظيم في البحر ثم عاد اليها ثانيا واستلك منها بعض الجهات ليحكم المرسى بقرى حالما ايضا وفي سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحي اعاد

الرومان المكرهواقتحموا الجزيرة وارسلوا رئيس حصنها الى رومة اسير اثم ازداد الرومان
تكتناهم باعيا ووقع من التخاذل بين اولئك الكهان الى ان ابادوهم غـ يرانه كانت احدى
القبايل مترسدة عليهم امرأة يقال لها اوديكيا فاستنصت جميع الالهة الى وقعة رت
الرومان وقتلت منهم (سبعين) افاثم اعادوا المكرهوا وتقموا من الالهة الى حتى قتلوا منهم
ثمانين الفا و زادوا عليهم العذاب المعروف من الرومان ثم عدلوا فيهم وكل اخضاعهم
بالعدل احسن من السيف لكنهم شغبهم اهلها اسكوتسيا الساكنون في الجبال بغاراتهم
المتتابعة فبما يدينهم سور اثم آخر اعظم منه طوله ثمانون ميلا وذلك في حدود سنة ١٢١
مسيحية وفي سنة ٦٨٧ استدعى الرومان احد قوادهم عيل الالهة الى اليه وصاروا كما على
انكلا تيره ثم عادت الى الرومان بال حرب لكثرة الانقسات الداخلية ودامت ولاية
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي اربعة قرون حصلت
الالهة الى على معارف جمة عما كان منه الرومان حتى كانت ذات مدن وحضارة
وصنائف وتجارنا في الالهة الى من النشاط الى الكد ثم في سنة ٤٢٠ اضطرب الرومانيون
الى تعميم انكلا تيره لالهة اورفع جيوشهم منها لما وقع في ايطاليان من الحروب الالهية
والخارجية فكان حقا قاعدتهم اولى لهم من حفظ المستعمر غير ان اهلها انكلا تيره
وان حصلوا على ظن الثمدن بسبب المنسلط عليهم فقد فقدوا ما يوازي ذلك من
الحيرة والذهاب للهوان الذي جعلهم اياه فلم يستطيعوا الاستقلال بانفسهم لاهاجة اهل
الشمال من جبال اسكوتسيا فاذ لك استجدوا قبيلة من الاسمان مقرها على مصب نهر
الالب من اربو الشمالية تسمى السكونية لما كان بينهم من المودة والمخالطة وطابوا
منهم الاعانة على دفاع الاعداء فأنجدوهم لكنهم استأثروا عنهم فغادروا النصر فلبوا
الالهة الى كالعبيد لهم وتلك احوالهم وعقد ما أرادوا دفاعهم شتموهم واستقلواهم بالبلاد
ورحلت فرقة من اهل انكلا تيره فارة بعباتها الى اراضي فرنسا واسمى المكان الذي
استقروا فيها باسم برنيطانيا نسبة اليهم حيث كانوا اهلها برنيطاني او سكان مبدأ
اسم الالهة السكونية من سنة ٤٤٣ ميلادية ثم قسموا انكلا تيره الى سبع ولايات
تسمى باسماء اعيانهم ولكل منها امير ورجع الجميع الى ملك وهو واحد منهم وشاع ذلك
منازعات في هاتيك الميادين دامت بسببها الحروب الداخلية وعقد ما فاز بها ملك ولاية
كنت احد السبع المذكورة دخلت في الالهة الى الديانة النصرانية وذلك سنة ٤٩٦
وامتدت الهوة بنا فيهم الى ان عظمهم وفي سنة ٨٢٧ زال استقلال سائر الولايات بدخولها

جميعا تحت تلك الملك واسبكس وهو غديرت وهو اول مستحق حقيقة بالجميع واول ملك
 لان كلا تيره جميعا من العائلة السكسونية ونوارثت الولاية اولاده وفي مدنتهم معهم عليهم
 أهسا إلى الدانيرك وتلك كوا أولاده جهات ثم تمت ولا تتم لهم لكنهم لم تطل واستمر جمع
 منهم المفريد الملك الأصلي من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقده معهم صلحا ومعاملة
 على الذب والاقدام واشترط عليهم الدخول في النصرانية ثم التفت إلى اصلاح البلاد من
 جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدخل جراحاتها ورقاها إلى أوج حسن ومع ذلك
 كان منكبها على التأليف والترجمة فاخذ أمته فوئد جسيمة وفتح لهم بابا من الحربية حتى
 كان من جملة حكمه التي جرت عندهم مثلا إلى الآن قوله يجب ان يكون لانه كما نرا حرا
 مثل أفكارهم ومثل ذلك لقب هذا الملك بالمفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن
 مشاهير ملوك هانة العائلة حفيد الملك كوراشا مستان الذي أتم استخلاص المملكة من
 بقية الدغورق وقواته الحربية إلى أن رغب في موالاته غالب الملوك من أوروبا واعتقد
 الصلح مع فرنسا وصاهر باخته ملكها وباخته الاخرى ملك المانيا ومن مشاهيرهم
 أيضا الدغورق المستولى سنة ٩٠٩ فانه أبلغ القوات البحرية إلى درجة تعلمدهم في ذلك
 النار يخ حتى صارت سفنه أربعمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة في السنة وهو
 الذي قطع الذئاب منها كما مرأ فهاو منهم أيضا الملك انري باد الذي كان سببا سبب قتيلا
 الدغورق على المملكة بقتله جميع من كان فيها منهم فافتتوها بهجر وبذريعة ذلك منهم
 على انكلا تيره ثلاثة ملوك أشهرهم الملك كاث الذي عمم العدل والراحة حتى استطاع
 السفر عن ازيارة المانيا في روية وصكتب إلى عماله بما تعريه اهلوا جميعا في نذرت
 جيا في لله وأن لا يحكم في ملكي الا بالعدل وأن لا يفعل في كل أمر الا المستقيم فان كان
 صدره في وأنا في عنفوان شديدي وعدم مبالا في ما ينقض ذلك فها أنا ذفد عزمت بحول
 الله على تمويض ما فرط مني ولذلك أرجو وأمر كل من قلده شيشان من الامر ويريد
 خلاص نفسه وبقاء طاقته لي ان لا يظلم أحدا سواء كان فقيرا أو غنيا ولتسوي بين الاشراف
 وغيرهم في اناله حقوقهم على مقتضى المراتع التي يجب حفظها ولا يجوز لكم عن ذلك
 الخوف مني ولا تطالبوا رضاء الاشراف ولا الميل إلى ملي خزائن المسالسة فاني لأحب مالا
 جمع فظلمهم وبعد وفاته هذا الملك ثارت الفتن بين أعقاب وأعقاب العائلة السكسونية
 إلى ان استولى منها اثنتان في اربيا كانت متواليه حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ ويغشا
 كانت الاهسا في نزاع فيمن يملكه وعلهم واذابا أحد امراء ولاية نورمندية التابعة

لفرانسا قد هجم عليهم وقهرهم جميعا وادخلهم كاعام على انسكلان تيره وعلى فوره ندية
مع انهم حصلت له حروب في انسكلان تيره جعلته على الانتقام بالقتل لاهلها وافساد الزرع
حتى نضات عنه جماعة مات فيها نحو مائة ألف نفس ثم تار عليه ابنه الذي خلفه في نور
منديه وجاربه وانتصر عليه وبعد مده خلفه ذلك الابن في كل من المملكتين مع حروب
دائمة فيه وفي خلفه حتى استولى هتري الاول من احفاده وطار به فرانسافي مده لويس
السادس عشر لاستخلاص ولاية النور منديه وعليلها وانزع البابا في حق اعطائه ولباها
الدباية واستقل هو بها مثل سائر الولاة ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة
مع الولاية النور منديه في استخلاص نفسه ونزاع في الملك الى ان ولى هتري الثاني
اول العائلة الابلاتاجنية وهو اسم حشيشة كانوا يصنعونها في فلانديسهم ففسدت العائلة
بها وذلك سنة ١١٥٤ فاجل هذا الملك حزمه في ازالة تعصبات المحبات وازال ما فيها
من الحصون وخض رشيمان شوكة الاعيان وأجرى نوعا من التسوية في الحقوق فهذه
الحروب في مده ومن مشاهير فروع في الملك بكنوس الملقب بقلب الاسد الملقى
سنة ١١٨٩ وهو الذي اشترى في حرب الصليب ثم أسر عند النصارى واداه أهله وقتل وهو
محاصر لاحدى القلاع في فرانسافولى أدوه وحن المومسوم باختلال العقل حتى خسر
ممتلكات الانكليز في فرانسافولى ابن اخيه فارت عليه الاعيان وازموه بمسايق
خبره وانتقلت حالة المملكة الى عوارى

فهم طلب في تاريخ انسكلان تيره الجديد اعلم ان مبدأ ظهور الحرية في جيمس اربا
على الاصول المعروفة هي انسكلان تيره ولذلك كانت هي اسبق عمالك اربا الى ذلك
وحصل فيما هذا الامر على نحو ما سبأ في ولده اعتبرنا ذلك فهو تاريخ جديد الى انسكلان تيره
لانهم استمرت على اصوله وزادت مراتبه الى الامم وان اعترت في الامم فوفات
ومعارضات تارة فخصه شوكة الفنون وتارة تزيدها الكن على كل حال قد نسبت اصوله
وأذكر كتمان العقلاء وممرتهم الى غيرهم المهور باشان الاصلاح في كل شيء (وحاصل
هذا البناء) ان الملك يوحنا وبناته هم جان انتبرلما تصرف تصرفات أصرت بالمملكة
والدولة نصب اعيان المملكة وفرضوا قانونا به بالشر الملك الكبير وازموا الملك بقوله
وامضاه والعمل به وذلك في سنة ١٣١٥ فلم يسمعه الا العمل بذلك وخلص هذا الشرط
الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتي بعده بخص الحرية الى جميع الانكليز
وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضا مجلس مركب من الاساقفة ورؤساءهم

وأهل

وأهل الخط الذي يمتد من الامه أصحاب القباب البارون والكنت والمتوظفين في الدولة وان ذلك يجري أيضاً في الحال جعل امانته مالية على مدينة لندره مع بقاء حريتها القديمة وان مجلس الحكم العام لا يلزم انتفاؤه الى حيث يقتل الملك وان المكترين للاراضي لا يلزمهم العقاب المالي لاجل هفواتهم وانما يكون العقاب على الجناية ولا يؤخذ لاجلها الامايز يد على القدر الضروري للعافي وهكذا البيعة والسوقة لاتمس رؤس اموالهم ولا تعطل حركاتهم التجارية ولوجناية وكذلك الفلاحون الذين تحت سلطان الملك أو أصحاب الاملاك لا قوض عليهم ضرائب العقاب عند المذنب الا بقدر الطاقة بحيث لا تعطل اشغالهم وان جنائهم المزمه لذلك لا تثبت الا بشهادة اثني عشر نفساً ممن يرضون للشهادة مع اليمين وان يعطل عمل القسطنطين بأعداء حيوانات الاهالي وبجملاتهم لم يحمل افعال الملك وان تعذر عيار التكبير والوزن والقدس في سائر الاماكنه على عيار لندره وان لا يمس حق الانسان مطلقاً في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولون الملك الاعتصامي القانون وحكم المجلس به وان لا يمنع أحد من السفر الى أي مكان اراد به برا وبحرا ولا يمنع من الرجوع متى اراد مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الخ) فمن تأهل ما لم يخصصه من ذلك الشرط يعلم ما كانت عليه الحال كما ساقها يناقض الشرط والمشار اليها ثم حذف ذلك الملك ابنة هنري الثالث ورأى في الملك خمساً وخمسين سنة مع كونه غير حادير بالاصرفات وانما عضدا بقاءه الهل بذلك الشرط وزاد تأكيده بالقانون المسيحي

بقرار من كسفورد سنة ١٢٧٢ الى البلاد المتقدمه او لم يخصصه ان مجلس البارلمان أي مجتمع البارونات والذي يعين اعيان المتوظفين والمحكام الدين يتبدلون في كل سنة ويجرس قصور الملك ويجتمع ثلاث مرار في السنة ويبقى في بقية السنة بمهمة لخدمته مكرمة من اثني عشر عضواً متفاوضون وانما مع مجلس الملك ويوافقون في كل مقاطعة أربعة أعضاء لقبول الشكاية من الاعيان والمتوظفين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الخ)

ثم وفي ادور الأول المقلب بندي الساقين سنة ١٢٧٢ وقد خاضت في مدته ايامه والس تحت انكلا تيرد ولداً بهم اوهذا اصارا لقب ولي العهد برنس والس وبرنس دي قال نصبة الى الى المكان المولود به من الاعيان المذكورين ثم وفي ابنة ادوارد الثاني سنة ١٣٠٧ بعد حروب طويلة في مدة الملكين افضت بالثاني الى الموت في السجن واستولى بعده ابنه ادوارد الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثنتي عشر سنة وهو المبتدى لحروب المائتين سنة مع فرنسا بدعوى استحقاقه تاجها لانه من ذرية اليفات الاقرب من فليب غاواليكها

واستولى على كالي وبردوبايون مع من تبعه من فرانسايه مدحروب هائلة وفي مدته
 ظهر مذهب البريتسانات الذي تنشأ في انكلترا من رجل فاسق من مدن بالانصرانية
 ولازال يتقوى فيه. ثم ذلك المذهب والحروب ستعرة نارة للديانة وتارة لجور الملوك الى
 أن استولى الملك هنري الرابع سنة ١٤٠٠ وهو أول الملوك المسماة لانكستر نسبة
 الى دوك ولابة تسمى بذلك الاسم ودامت الحرب في أيامه الى أن خلفه ابنه هنري الخامس
 سنة ١٤١٣ الذي جمع تاج انكلترا وبرانسايه فتناحه للثانية وعنده موته تنوج
 ابنه في حصن مرضعه بمدينة باريس بالتساجين مع الاله ابن تسعة أشهر ولقب بمغري
 اساد من غير انه يعرف أمره بالتقباؤه لأم زوجته عند شيوخه فانتسخت انكلترا تيره الى
 قسمين أحدهما تابع لهذا الملك والآخر لثاني من العائلة السابقة واتخذ الأهالي شعارا
 ذا أعلى التبعة فأبغ المالك شعارهم وردة جواهره والآخر شعارهم وردة بيضاء ولهذا
 تسمى حروبهم تلك التي دامت ثلاثين سنة بحروب الورد ونجرت في مدتها فرانسايه
 واستقلت وكشفت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة السابقة فكاندو فظائع من الملك
 ادور الرابع الذي تسبب في ذلك ولم يطل الملك في عقبه عند وفاته سنة ١٤٨٣ وفاته
 اقتزع من ابنه المصغرا الذي نحت وصاية عمه فاغتيم العم الامر الى نفسه بقتل الموصي
 عليه وأخيه معا واستمده سنة ١٤٨٥ متلقيا من هنري السابع وأمه ماري ثرته تأسيس
 ادخال واسط القوم في إدارة المملكة بان ينتخب الأهالي منه. ثم فوابا في محاسن الفلاوضة
 في مصالحهم وأن لا تتم حروب الابد تعذرا طفاها رلوبنوسه أجنبي وسلم لفرانسايه
 بقي لانكلترا تيره بها من ايلة برنيزه انبا بعوض قدره أربع مائة الف ليرة واغتيم من الاموال
 خزائن عظيمة حتى قبل انه خاف في خزائنه الخاصة عشرة ملايين ليرة وارثا في ملكه
 بعد ابنه هنري الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديد البطش لكنه نفع المملكة
 بالاصلاحات التي اجراها وهو أول من مذهب بالمذهب البريتسانات وتغصب له حتى
 أمر قتل كل من لا يقر له وفي مدته دخلت انكلترا تحت انكلترا تيره وصارت محكومة واحدة
 وعلى حكمه ابنه المتولية بعده اخيهما وهي مريم حتى لقيت بالدمويه لقتلها أهل ذلك
 المذهب بل حرقتم. ثم ايضا وضعت شوكة القوانين ومحاسن البارلمان بعزلهم من
 طارضيها وتولية من يوافقها ونصرت مدينة كالي من فرانسايه لباريتا انتصارا
 لزوجها الملك اسبانيا ثم لمساخلة ثم أختها سنة ١٥٥٨ رفعت الاضطهاد الديني وزاد
 مذهب البريتسانات انتشارا الى انكسار المال الاهالي من الحرية في سائر اطوارهم وحصولها على

درجات من التقدم بالعنائع والمعارف من المهاجرين من المائتين وفرنسا وغيرهما من
أهل المذهب البروتستانتي لما وجدوا هناك حريتهم من القتل لهم في أوطانهم وفي
مدتهم عرفوا الشأى عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تسكنت خمسة المهند
التي تقدم بيان أعمالها في المقدمة وحيث لم يكن لها وارث عهدت إلى أحد قرايتها وهو
ملك اسكوتلندا الملقب بحسن استوارد وبه اتحدت الممالك وكان وهو أول عائلة استوارد
استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه على نوع من التقدم لانقته من الحروب وكادى
مدته أن يحرق مجلس البارلمان عن فيه بدسائس السبابا فوضع تحتهم لغم لكنهم تنفذوا
له وولي بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الاول وتفاقم الخلاف بينه وبين الأمة في
حدوده سلطته اذ أراد أن يفي بحسن الهندوة المسمى بالبارلمان صوريا وهو يصرف
كيف يشاء ويحمل المسؤولية على الجاهل لاختضاع الأمة وتبرئة نفسه فلما عارضه الجاهل
عزل أعضائه وانتخب آخرين لكنه كان كلما انتخب اناسا كانوا على خط سلكهم في
معارضته حتى تفاقم الخلاف واشتهرت الحرب بين الأمة والملك وكان من خبئه أغلب
الاعيان وكبراء البيوتات لمبايهم من الحظ من اطلاق الملك لانه كلما اطلقت يده
اقتطعت أيديهم أيضا فالحظ يقتسمونه بل يكون لهم منه القسط الا فرحيت ان كلاً
منهم يجهت في خصوص مرضات الملك وحواشيه يتبع من القاق والتعظيم الباطل الذي
يسخر منه العاقل ويضيف الى ذلك جزء من الاموال التي يفتهم ارشاه لاولئك الافراد
ثم يطلق عنان شهواته في ملاين من الناس على حساب اراضيهم يستعوض منهم كلما
دفعه من المال والاعمال بل ويربها أنفذ أغراضه في أفراده لما وقع بينهم من القهاسد
والتشاحن فها هو الان يرضى تلك الممردمة ويفتقم من ضدهم بالقتل على أوجه لا تخص
منها المجهرى بدعوى من الزور وحكم بحال صورته تلقن ما تقول من اللبل ومنه السرى
بالقصاص وغيره من أنواع القدر ويحصل التنكيل بدون القتل كالغريب والسجين
مع انهم لم يمال كل ذلك باحتيالات صورية على ظاهر الاعيان ليقال انهم لم ينفقوا
القوانين حتى لا تشور العامة وأما متولى كبر حزب الأمة فهو البعض من الاعيان والكبراء
وجهور الزلاسل والاعراع فاما الباعث لهذا المجهور على ذلك فهو وضع لانهم هم
موضوع الغتيال الواقع فيه المنافسة وقد كانوا يعلمون السابق ما كانت عليه حالتهم
ثم ما آلت اليه به بتأسيس القوانين والاحتساب عليها وأما الباعث لبعض الاعيان
والكبراء فربما اشكل مع ما قرئناه في حق اغلبيتهم لكنه في الواقع بين وهوان هذا القسم

ها في يتطرق العواقب ولا يستغنى بالعاجل عن الأجل فعمل ان الزنوفات التي تحصل
 بالنسب لا تدم لانها ما لها الى انقراض الامة وضعها فجمع عليها امة اخرى قويه
 وتصير امة الاصبان كالسوقة (كما قال تعالى) وجعلوا امة واحدة واذله وكذلك بقوله
 وزرعنا عند السوقة وهم المجهور ذلك المباحم الاستراحة معاهم فيه وايضا فان تلك
 الزنوفة التي يحصلونها الى الاعيان بتسلطهم مع قلة مدتها هي في نفس الامر غير مبنية
 لعدم الامن معاهم عدم الاطمئنان عليها الماء اضرنا اليه من كونها موقوفة على رضا
 شخص تتلاعب به اهوام حاشيته والمقر بين اليه مجرد افراض شهوانية و بضواعمها
 عرضة للاضحية في ما اراد الملك فلا يامن بالمقرب من طبيعة الملك المتفسدة للاحلاق
 فربما غضب عنه مقربه اليوم لشي كان يرضى به عنه بالامس وايضا لا يامن ديب
 سعايات اقرانه وحده الغافلين عن كونها تجري عليهم مثلما جرت على صاحبهم كاقيل
 (من حلفت بحية جازله فليسكب الماء على حية) ولهذا انضم القوم حتى عقلاء حاشية
 الملك والبعض من رجال الدولة اذ يتقنوا انه لا خير لهم في نعيم لامن معه لاعدى الدم ولا
 العرض ولا المال ولا الحرم ولا الذرية فاي نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان
 مقدم هذا الخبز رجلا لان اعيان المستوثقات اسمه اوليفر كروم ويل ذا بسطة في المال
 والعقل والشجاعة ورجوت حروب هائلة كشفت عن شلخ الملك وحده ثم قتله بحكم
 مجلس على انه خائن للامة واستولى اوليفر رياسة الدولة بعد ان قلب بيجترال وكان يوم
 دخوله بالعسكر منتصرا الى اندور تلقاه الحزم القدير بالهناه والترحيب فقيل له ألم تر هذا
 الاحتفال من العامة بنا ايها النحاشي عن انكلا نيرة وجعل ذلك لنفسه فقال ان هؤلاء
 الرعايا لا يلتفت لاني تغلبهم ولا لي تحقيرهم فهم تبع لان غالب اذ لو كان هذا اليوم
 اشرحت فيه الى القتل لكانوا اشرحو الى التفرج على منام اشرحو الى لقاى الامم وبه
 يعلم ان تلك الخطة جارية في سائر الامم على السواء اذ هاته امة الانغليز التي قبل في المثل فيها
 يجب ان تكون حرة مثل انكسارها قد قال فيها زعيمها المذكور ما عتبرت بقيت الدولة
 الانغليزية بجهورية بضع سنين الى وفاة الجترال المذكور واستيلاء ابنه من بعده
 واستعانة في مدة قليلة فاجعوا ابن الملك السابق سنة ١٦٦٠ ولقبوه بكارلوس الثاني
 وعادته الى ليمونا كان يريد اياه ونوق سبياج القانون باستبداده على البارلمان متسترا
 بالقاعدة خمسة من اكابر الاعيان لتدبير الامور وانفاذها بدون مراعاة الندوة وحارب
 هلايند وانعدم منها مدينة نيورك من امر بكائهم عقد معها ومع السويد بمائة الف على

فراستأنف اتحادهم فورا على هالاند. ثم خضع للندوة وبقى مضطرا بالى ان مات. وشأفه
 اخو، جس سنة ١٦٨٥؛ فزاد الاراراتيا كامن اشار للذهب السكا توليكى الى ان خلع
 وتودى باحد امراء هولانده المتزوجه بابنة ملك انكلا تيره الاسبق ولقب بويلم الثالث سنة
 ١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين واتبع اشارة الندوة وارتابح فى نفسه حتى لقب بالصياد
 لاشغاله براحتة وحبه الانفراد بها. هنئت به السيادة وذاته والمملكة و زادت الندوة
 أحكاما فى شروط القوانين منها ان لا يتولى الملك الامن كان على مذهب البروتستانت
 واحتاجت الدولة الى اموال لاصلاح داخلتها فى ايامه فاستقرضت من الالهالى رها واول
 دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انكلا تيره أى محل اجتماع الالهال من اناس كثيرين
 لاجل التمركة فى التجارة بذلك المال لاول اجل ان يقرض المال على شروط وذلك البنك هو
 المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو دليل على اجراء القوانين بعدم غصب الالهال
 من الرعية وترقت المملكة فى ايامه بالافناقم والمعارف بزيادة من هاجر اليها من فرانس
 مثل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبي ثم خافه المملكة بوحنا سنة ١٧٠٢ وفى مدتها
 استولت انكلا تيره على جبل طارق من اسبانيا واشتدت الحرب مع فرانس او كان معاضد
 الفرانس سابقا بيرة واسبانيا ولا انكلا تيره التمساهو ولا فدهم ثم انقرضت العائلة له بوجت تلك
 المملكة اذ لم يكن فيها من تتوفر فيه الشروط فتادى الالهالى باحد قرابة العائلة وهو امير من
 الهانوفر من المانيا ولقبوه جورج الاول سنة ١٧١٤ وهو اصل العائلة الموجودة الآن
 واستقر امره بعد حروب مع فرانس لارادتها ان ياتى ابن من العائلة السابقة كاثوليكيا
 وبعد اساستقرار جورج المذكو كورلم يسكن فى انكلا تيره وانما لازم بلاده وانصرف
 بيد الوزراء والندوة ثم خافه ابنه جورج الثانى سنة ١٧٢٧ ونشأت فى مدته عدة حروب
 منها الداخلية لاجل الملك من بقا بالعائلة السابقة ولم ينجهوا (ومنها) الخارجية واعطه
 مع فرانس احدث كانت الحرب قائمة بين ابروسيا والروسيا والتمسا لاجل الاستيلاء على
 بولونيا وكانت فرانس اضداد البروسيا معاضدة للحمى مخالفت انكلا تيره بروسيا لاجل
 زيادة اشغال فرانس افا احتاجت فرانس لاجاب قوتها من مدتها عراها امارا بكا لتقوية
 نفسها فى اوروبا عند ذلك هجمت انكلا تيره على مالفرانس من امريكا وضغته الى
 تملكها ساحتى صار لها اذ ذلك جميع مالها الا فى امار يكام جميع المال المتحددة
 الا ان ذلك بعد حروب هائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت فى
 مدته امريكا اعنى الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكلا تيره لم امتدت املاكهم هناك

وتكاثر في تلك الممالك المهاجرون المبرغة في الفنى لما فهم من انحصار واتساع الاراضى
الجديدة فتمت الدولة تلك الممالك الى دليات وجعلت عليهم مولاة انكليز ومن هم
احق بائهم مستبدين في التصرف ففحش ظلمهم للاهل الى فاشمكروا منهم الى الدولة وينوا
لها اعمالهم فزالتهم واولت ولادة من الالهالى بانقضاءهم غير ان الانتقام لم يكن حقيقيا
بالرضى ولذلك اقمى هؤلاء الولاة افراسه لافوم فتمكن الحقد على الدولة ثم انها زادت
عليهم الضرائب لسارات من غنائم ففروا منها حتى منعوا بالجمع اعطاهم الولاة تراحم ان
تجرى فيهم ضريبة الورق المختوم في صكوك النجج فساعدتهم الدولة لكيما اجازتهم غيرها
فقدوا واجبة مصرية واعلنوا الحرب بالاسكندرية تحت راية الجمهورية سنة ١٧٧٦
واطاعتهم مفرانسا واسبانيا وهولندا بسالهم على اسكندرية من الضمة من البحرية
ودامت الحرب الى سنة ١٧٨٣ التي عقد فيها الصلح بباريس على ان ترجع اسكندرية الى
فرانسا الاراضى سانفال بافريقا وترجع الى اسبانيا اقليم فلوريدا في امريكا وفي ان
تمتلك الممالك المتحدة بامريكا الشمالية وتكاثر الحروب في مدة جورج الثالث
الذكور مع فرانسوا وبرهاسا مع نابليون الاول واشتهرت اذذاك اسكندرية بالقوة
البحرية والمهارة في حروبها البحرية لما ظهره الاميرال نيلسون من البراعة والشجاعة
في مواته المتخارزة على المائتين واقعة وانتهى بها هجومه على حصون كوتهاك
فأعسده الدافعيرك مع ان القسم الكبير من الاسطول لم يدخل معه الى المضائق واقره
وعين تحت امرته من الاسطول عند مآزاة الاميرال الكبير فقد اربع من سفنه اشار
الرسالة بالرجوع وكان هو اعور فلما انجبر بالاشارة جعل النظارة على عينه العوداه وقال
اننى ارشدنا عما تقولون وزاد في الهجوم الى ان غلب عدوه وأجرى شروطه لما اراد
وبمع هذا الانتصار حكم عليه الجاس الحربى بالعقاب لثقلته الامر وقد مات ذلك الاميرال
في حرب سنة ١٨٠٥ ضد فرانسوا واسبانيا وكانت سفنه اربعين وسفنه سبع وعشرين
فاقتربت من سفينة سفينة فرانسوا وبواقية وانضمه الى ان اصابوه برصاصه ثم منها
للمفرغ وكان ينظر البشارة بالانتصار ويدهر فانه قبل الموت فدخل عليه الاعداء
قريب من ساعة مبشرا بالهزيمة فقال كم غنمنا من السفن قال اظن اربع عشرة او خمس
عشرة لانى لم املك من القوم اليك عنده بونا النصر قبل عدها فقال لكى كنت اشترط
على نفسي ان تكون عشرين ثم قضى نحبهم وقد دام الملك جورج الثالث في الملك ستين
سنة لكن كان في اقلها لا يتصرف في شئ بل لا يدرك شيئا من مصالح الملك لا خلال في

عقله ولذلك جعل له ابنه وفي عهده تابعا منه في حدود سنة ١٨٠٤ ثم توفي ذلك الملك سنة ١٨٢٠ ومع ما حصل في مدته من خروج الماسالك والحروب فإن الإنكلا تيرة قد ذهبت
 فمما خطوة واسعة في التمدن والاعتبار والقوة حتى وصلت الى الذروة القصوى فاما
 احداث في ظرف اربعين سنة مائة وخمسة وستين تروى وتكاثر فيها معاميل القطن
 والصوف الثمينة حتى راجت سلعها على سائر ما في غيرها من خضارها وبقاها واكتشفت
 واستعملت اوسنزالها وغيرها وتقدمت فيها المعارف والتأليف الى نحو ما هي عليه
 الآن واسنفادت حكمها سياسية علمتها كيف تدير ممراتها الواصلة في سائر
 أقطار العالم وحصلت على غفر النصر على نابليون وغيره واستتبت الادارة القانونية
 بغير نزاع ولا دسائس ولذلك صار يضرب المثل عندهم بان حرية الإنكلا تيرة انما هي
 جمها في مدة ملكهم الممنون وخلفه ابنه جورج الرابع وفي أيامه وقع الغدر في اسطول
 الدولة العثمانية من اسطول إنكلا تيرة المارش على اساطيل الدول في نظاهمهم على
 طلب تسليم الدولة العثمانية لليونان بالاسقلال لأن فيرا - لأن بالحرب لها تحاللت
 الاساطيل ما بين اسطولها المركب من سفنها وسفن ممر وطرابلس وقونس والجزائر
 وهم على اطمئنان السلم والامن وأطلقت عليهم النيران دفعة واحدة فبعث لم يبق
 منهم باقية فداروا شناعة لانتهمى ومهيرة لا تزال على خصوص الإنكلا تيرة نظاهمهم
 الذين يبدونهم أمرة جميع الاساطيل الدولية وعندما سمعت الذبوة الإنكلا تيرة بظفاعة
 الواقعة هاجروا وهاجروا طامحا كثر رئيس الاساطيل وحكم عليه بحبس جزائي
 بالقتل مع دفاع وزير البحرية بكل ما يمكن من الاعتذار وتلفيق دعوى بان احدى
 السفن العثمانية اطاعت النار عليهم ولم يجد كل ذلك شيئا وعند ما تحقق الرئيس المحكم
 عليه بالقتل أمر الى وزير البحرية بان التذكرة التي بخطه في الامر باقراق الاسطول
 العثماني قد نسي أن يحرقها معه مثل ما أمر (وحيث أنه) تحول الخامس الى جلسة مصرية ثم
 أطلق الرئيس رسالتي في الكلام على الدولة العثمانية الباعث على ذلك التعامل على
 المعلمين وما له الدايعة وان سياسة الدول الكبيرة في الخارج ليست حكمها سياسة في
 الداخلية ثم ورت الملك وليم الرابع سنة ١٨٣٠ و زاد القانون في أيامه تحفظنا
 ونفوذنا واول سكة حديدية أُنشئت في أول سنة من ولايته وألتمت الدولة عتق العبيد
 في الهند ووعدت أصحاحهم بأنماهم وكانت نحو عشرين مليونaire واحدة إنكلا تيرة
 على عتق العبيد في سائر الأقطار ترغيبا وترهيبا لاهلها ولا زال على ذلك الى الآن ثم

ورثته المملكة فيكتورياسنة ١٨٣٧ وهى المملكة الحالية وأعانت الدولة العثمانية على إخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القرم فصارت الى وسواوات الحرب الى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرنسا وأخضعت الهند من الثورة المسلحة بمعاوضة أفغانستان وخرج الهند من وقتئذ من تحت الشريعة القبارية الى الحكومة السياسية كما عرف المقدمة وتقبلت بامبراطورة الهند ثم استولت على الافغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد أخذ أجزاء منها وحاربت الزلوس من بلاد الكفر بأفريقيا ثم صار تلك المملكة تحت نظارتها وتدخلت في حرب الروس بامع الدولة العثمانية عند عقد الصلح الى أن أفضى الى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والغنى في داحلية المملكة الانكليزية

• (مطلب في السياسة الداخلية بانكلا تيرنج) (اعلم) أن السياسة المستقرة الآن كان استنباطها سنة ١٨٣٢ وأما أصولها فقد عدها حسباً أسسها اليه في التاريخ وهاته السياسية مبنية على اعتبار تسلط الملك ونفوذ الأعيان واحدة ساب الاواسط من الناس فكل من السلطات الثلاثة مرتبطة ببعضها ويفتح منها إدارة المملكة مما يرضى الجميع ولا يتجاوز كل منهم حدوده مما يضرب بغيره ولهذا كانت قوانين الانكليزية على نوع مغاير لبقية إدارات الاروباويين من حيث الاشتراك في السلطة وعدم التساوى بين طبقات الرعية في الاعتبار ونيل الرتب مع انالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الإدارة وحل ارتباطها وانفرادها قد تكفل به كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الملوك لمؤرخ الدين باشا التونسي بما يفيد بحجائب أطوارهم واصصلاحهم فاجمع اليه من أراد البيان وانما تقتصر هنا على الاسامى بكماليات الإدارة (فقد قول أما القسم الاول) من ذوى السلطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من أهمها ان الملك لا يورث في ذرية الملك الذى هو من عائلة الها فوفر من الذكر الى بكره والا نبي تستحق ذلك على شرط أن لا يوجد لها أخ ذكر ولا فهو أحق بالتقديم وان كان أصغر منها (ومنها) التزام مذهب البروتستانت (ومنها) اذا اقتضى هذا التورات ان حاز الناج الانكليزي من له ملك أو أرض بملكية أخرى فان الامه لا يلزمها الدفاع عن ذلك مثل ما يلزمها عاير يرجع الى انكلا تيرنج ما لم ترص بذلك الندوة (ومنها) ان رئاسة الديانة لا لاك بحيث يوظف مناصبها مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رئاسة سائر القوات والصلح والحرب الى غير ذلك مما عرف في ملك ايطاليا (ومنها) تالقه بملك برنيطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالمة مكاتيد الرسمية ماصورية فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من برنيطانيا
 العظمى ولانلعه وامبراطور الله دمجها يعان العقيدة الخ والتقلب بامبراطور الله حدث
 سنة ٢٩٣٢ بالتفاق المجلس وقوله بجماعين العقيدة اشارة الى رياسته الدينية (ومنها)
 ان اجراء كل حق لملك في التصرف انما يكون بواسطة رؤساء متوظفين به وهم رؤساء
 الاساقفة والوزراء (وأما القسم الثاني) وهو سلطة الاعيان فهو لاء الاعيان هم المقبولون
 باللوردات وبالقرناء رسيان في مجتث العوائد خصصت بهم واعتباراتهم والذي يتعلق
 بهم هنانة يتركب منهم مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة
 الملك (وعلى) سائر لوردات انكلا تير (وعلى) سبعة عشر لورد من لوردات اسكتوسيا
 (وعلى) أربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكة المتحدة الاخيرة يتنفسان من
 أمثالهم في اقاليمهم لذلك المجلس لمدة حياتهم ويناط بهم هذا المجلس سائر الاحتماب على
 التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم في المتوظفين بحيث لا يضر من
 الدولة شئ الا برضاها وليس لاعضاء هذا المجلس مرتب وعددهم غير محدد ورأسهم
 قد يدعون رؤساء خمسة ولا عضائهم اعطاء الرأي فيه بالباشرة أو بارساله مع أحد
 أمثالهم كاتبة والوزراء ينتخبون من هذا المجلس ومن مجلس النواب والملك انما ينتخب
 رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما في بقية ارباوع عدد الوزراء تسعة الرئيس
 وهو وزير المال في الاقلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند
 ووزير المستعمرات ووزير رئاسة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضي القضاة
 وهو رئيس مجلس اللوردات وموظف المحاكم القانونية ولورد المحاسبات وهو لاء
 الوزراء هم المباشرون اسائر أعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له مخالفتهم الا اذا وافقته
 أغلبية الدولة فحينئذ يستدعهم بفيرهم وهو لاء الوزراء يضم اليهم الملك اعضاء من
 بقية اللوردات فينشكل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد
 مرتب الوزير عن مائتين وخمسين ألفا فرنكا في السنة (ومتهم) من له نفس ذلك فقط
 ووظيفة هذا المجلس الخاص التدبير في اجراءات الاعمال كما ان من حقوق الاعيان
 ان يكونوا هم حكم الولايات كل ولاية حكمها من لورداتها وليس للاك عزل أحد
 منهم من مرتبته اللردوية (ومتهم) أيضا اعضاء المجلس العالي في الولايات التي لها
 التصرف السكلي

وأما القسم الثالث وهو سلطة الاوسط فهي بانتخاب الاهالي منهم فواباعهم *

للمجلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما يقرر عليه راجع إلى مجرى إذا وافقهم مجلس اللوردات كما أنه يدعى ذلك أن ينتخب من هذا المجلس رئيس الوزراء وله هذا انتداب بعض الوزراء من بقية أعضائه هذا المجلس ومدة انتدابهم لأعضاء المجلس سبع سنين وشروط العضوان يكونان وجهان غير محكوم عليه بما يشي العرض إذا دخل من أملاك في المملكة غير منقولة يبلغ مائتين وخمسين فرنكاً أو صاحب مزارع له حائزتها من المدارس العلمية وله هذا اختصاص هذا الاحتساب بأول شرط الناس ولم يكن للأسافل فيه حظ وعدد أعضائه هذا المجلس بحسب واحد على العشرين ألف نسمة من السكان فكان عددهم يتبدل في زهاء سبع مائة ومجموع هذا المجلس مع مجلس الأعيان هو المسمى بالقمة أي الندوة وعلمها مدارس الأعمال في الداخلية والخارجية ومن أصر لها أن ميزان المسال ليس بمحدود على حالة واحدة دائماً بمعنى أنه إذا كان الدخول الموضوع يوفي بمصاريفها للخدمة ويفضل منه بقي الفاضل في الخزنة أو يشتري به من ديون الدولة وإذا كان لا يوفي يترادى الضرائب إلى أن يقع التسديد كما هو جاري المثل الآن ترى بل أن قاعدة الانكياز هي جعل الميزان في كل عام بحسبه فينظر إلى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه يجعل الدخول بحيث لا يكون للدولة فاضلاً ومن الأصول أيضاً إعطاء المحرقة لكل فرد وجسماته في ملكهم بأن يتكاملوا في السياسة العامة والخاصة وتصرفات المتوطنين مطلقاً وإعلان آرائهم بالقدح أو بالمدح في الصحف وفي مجامع الناس ولهم الاستدعاء إلى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير أن يتعرض لهم أحد بشئ ومن الأصول أيضاً التي استقرت الآن أنه انتدب في الأمة خزان (أحدهما) يسمى حزب المحافظين يعني أنه يريد الاحتفاظ على القوانين الموجودة والمجرى عليها في الداخلية والمساعدة على كل ما يساهمها في الخارجية وأن لا يتغير شئ إلا بمقتضى الإجماع واليه الضرورة (والحزب الثاني) يعني يحزب الحرية يعني أنه يريد زيادة إطلاق الحرية في الداخلية وفي كل العمل ويساعد على قطع عوائق الحرية في أي جهة كانت بما يقتضيه حال الانكياز ولكل من الحزبين زعماء مشهورون بما يقولون ويكتبون للاشتهار وتحتفل عليهم الندوة وهم ما مات أكثر بتهماً لا ذكراً أحد الحزبين وجب أن تكون الوزارة مركبة من أعضاء ذلك الحزب فلا تزال تتداول الدولة بينهم ومن لازمها أنه كلما تغيرت الوزارة يتغير معها اسائر المأمورين الذين عليهم مدار الأعمال ولهم حلائق ذات الملك فان كاتب

سمره وحواشيه الذين يخدمونه فيما يتعلق بتصرفات الدولة يلزم تبديلهم بأعضاء
الوزارة خشية من افشاء اميرها الضدها ومن الوشاية أو التراخي من جهة ما يتعلق بالملك
عما يضر بالاجراء ونشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد أدعى
في الاجراء لتبديل المذهب بتبديل الوزارة وان كانت كل وزارة تواتر على اصل ما أسسته
سابقته الكثرة فهو به معنى لا يلائمها فلا يصح من الاعتماد عليه من الخارج رجوعه الى اصول
أيضاً ان الخدمة العسكرية لا يدخل اليها بالانصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار لمن
رغب فيه ولهذا تجد في عسكري الانكليزي في الحرب كثير من الاجانب الراغبين في
المال الذي يبدل اليهم هذا اذا سمحت الحرب خارج المملكة أما اذا هاجم العدو المملكة
فيجب على كل اهلها الى الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان النساء
اراد بهن من الدخول في ذلك واغن فرقاً للعلم وكذلك العسكري الا لازمة بحراسة المملكة
يدخل اليها بالاختيار وهي عددا الضابطيه التي تلزم اهلها كل جهة ومن أهم أمرها
أن لا يمتنع اليها الا العفيف المردى الشهادة حتى يكون كلامه حجة على الخاف وذلك
من الاصول العامة في أوروبا وما يتيسر استقرار الراحة لان حراسة الضابطيه وفوقهم
من أهم الوسائل العامة فهي أهم ما يعتنى به اصول الانكليزي أن لا يتولى
المواثب السامية في الدولة الا من كان على مذهب الكنيسة البروتستانت فتأمل في هذا
مع، بان في ان شاء الله في احوال تدخلهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن مبادئهم
قبول جاء العلمية منهم والاعيان في قوط بف معارفهم وأقرباتهم اذا كان فيه شيء من
الاهلية مع اهـ مال غيره وان كان أحق من المقدم ومثل ذلك الرتب العسكرية لا تتوال
الا للاعيان والعالية والافراد العسكري لا يستحقون ذلك مهما فعلوا غير انه قد حصل
منذ سنة ١٢٨٩ هـ ١٧٧١ م افعال اشتراه الرتب العسكرية من ملازم الى أمير الا
بامر من الملك حيث أن اصل انشاء الملك كان بامر من الملك لا بقانون واغتباط لذلك
كثير من قدوتهم لكن المصلحة قامت فصارت الرتب العسكرية مطلقة لا تتوال
الا بالاختصاص في المعرفة بهم هذا التغيير العسكري يلم الملك من السلطة وان خالفه
الندوة يشاء على حق قد يمد لهم مع موافقة الوزارة اليه
بحيث إدارة الولايات قد تقدم في صفة تربطها بها أنها تنتم الى تسعة وثلاثين ولاية
فهو انه الولايات فيها مدن ذات خصوصية بالامتياز بالشرف حسب عواقد قدوة ومن
كبيرة استعفت بكثرة كانها انهمى عضواً او اكثر في الندوة ومدن يسكنها امدان

من كبراءد بانتمهم وممدن وقرى خالية عن الامتيازات المذكورة (فاما) الانواع الثلاثة
الاول فان لها ادارة خاصة لا تدخل في عموم الولايات التي هي (أما) النوع
الرابع فهو متعلق بادارة عموم الولاية (والحاصل) في ادارة عموم الولاية هو انهارا جمعية
الى والى العام على الولاية وهو احد لورداتها المحصل على عضوية الندية ينتخبه الملك
لذلك وليس له مرتب على هاته الوظيفة وهو ينتخب اثنين من اهل ولايته الاعيان
ايضا لاعتائه ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضي القضاة وليس لهما مرتب ايضا وممدن
أعمالهم حفظ الراحة ورياسة العساكر المحافظة والنظر في الاعمال العسكرية
ولهم ايضا مرجع الاحكام الشخصية والنظر في مصالح الولاية الادارية وحفظ
الطرق وانشائها الى غير ذلك من المصالح كانت فرد البلاد المماثلة من الاصناف الثلاثة
المشار اليها سابقا (ومنها) مدينة لندرة بان يكون لها شيخ ورئيس المجلس
البلدي الذي اعضاءه من الاهل في المنتخبين منهم والمجلس ينتخب رئيسه من أحد
اعضائه كل سنة ولا مرتب له ولها هاته المجالس البلدية من جميع جميع المصالح المتعلقة
بالبلد ومنها ادارة الضابطية ولا تدخل في الدولة فيها شيء وعلى رؤسائه هاته المجالس ايضا
الاحتساب على كيفية انتخاب اعضاء مجالس النواب فيما تحت نظرهم لكي يكون
الانتخاب موافقا للاصول وهو الذي يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف في الاحكام
الشخصية كصرف قضاة الصلح الا في بيانهم ويؤخذ قوله رئيس هذا المجلس
المسمى شيخ البلدية يكون في لندرة موكب حافل من اعظم المواكب وله من الاحترام
والتوقير كما لاحد الملوك ثم انتم توظف في الدبابة في كل الجهات هم مرجع عدد من يزداد
أو يموت وهم المكلفون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرفاء ايضا واعانة
الضابطية عند الحاجة هذا (وأما) الاحكام الشخصية فان لها ادارة مخصوصة
رئيس الورد قاضي القضاة الذي هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة
المجالس العليا في الجهات الكبرى ثم حكام مجالس الولايات ومجالس الضابطية وكل
هؤلاء لهم مرتب وهناك حكام الصلح لكنهم لا مرتب لهم وكذلك حكام الجورى على نحو
الممالك التي تقدم ذكرها فيران الامر الذي اقررت به انكلاية برهوان احكامها
لا تستند الى قانون خاص فشرعتم اصعب الشرائع لانها تستند الى مجموع آداب وهي
ما يوجد من القوانين في بعض امور وما يوجد في احكام سابقة صدرت من مجالس
الاحكام القديمة وما في احكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد اصحاب الاجتهاد وهم

الاورادات أهل المجالس العليا وقاضى القضاة وقرباؤه وعلماء الأحكام وهم المختصون
بالأوقافية فلذلك كان علماء الأحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات
أهل مكة أنهم إذا وجدوا نازلة أو وجدوا حكمها فى إحدى تلك الأصول لكن أصحاب
أحكامهم ظهر لهم أن المصلحة الوقتية تقتضى بخلاف ذلك الأحكام لاختلاف الزمان
فأنهم يمحرون اجتماعهم لمكانهم لا يمحرون تأمينا لاسبق بل يبقى السابق ويبقى المحدث
حتى تكون الأصول متنافضة ويبقى لأهل الاختيار عندهم الخيار وبذلك يعلم مقدار
النفوذ والسهولة للطبقة العليا من الناس عندهم لأنهم هم الذين يكون منهم أهل
الاستيلاء كما به لم به فساد اعتراض بعضهم على أحكام المسلمين بأنها مشنة بخلاف
الاقوال فى كتب الفقه مع خيار القاضى فى القضاء من واجبهم التفرغ من
الدولة تحت الانهاة بر معلومة للجهكوم عليه لأن ذلك الاعتراف على فرض
تسليمه كما هو وهو عندهم أعظم مغباه تعرضون به علينا ثم ان الأحكام المذكرة
لها ترتب فى حقيقة ما من مجالس وراءها الس الحكم باعتبار الخفيف منها والاعمال وما
يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنائيات فالمخفيف لا يستحق التحقيق الا اذا حصل
ظالم يقع فيه الاحتساب العام وأما الثقيل فينقل الى مجالس تحقيقه الى ان ينتهى
الى المجلس الأعلى بالبحث وحيث كانت الخبرة مع الفقه والاحتساب فى رفع الظالم فغنى
كل أحد رفعة الى مجالس الاحتساب ولو كان فى حق غيره مع اباحة نشر النوازل
والافكار فى الصحف الخيرية وفى اعلانات ومطبوعات تنشر متى ما اراد الناشر وفى مجامع
عمومية علنية كان التعدى على الحقوق من أصعب الامور عندهم

ويجوز إدارة المستعمرات الانكيزية كما علم ان الانكيز انما يتصرفون فى استعمارهم
فى مشارق الارض ومغاربها بشيئين (أحدهما) نفس انتظامهم فى داخلاتهم الممثلة فى
التبعية المحررية (وثانيهما) حسن الادارة بما يستلزمه بالانظمة لغيرهم
من الدول سيما بدخول امريكا عندهم واستفادتهم من ذلك للاستيلاء بالبر والبحر
الموجبة للاستغرة منهم فاستقر أمرهم انهم فى كل جهة من المستعمرات يجتمعون مركز
الوجود فى مركزية لهم ويحبسون فيها ثمانية ثقات اعياهم مقيدان بقرى بالشورى
مع اعضاء منهم ومن اهالى المستعمرات يرجع الى هذا النائب الذى هو الحاكم فى تلك
الجهة الامور الكلية من الادارة السياسية وأما جهة الجزئيات والاحكام والسيرة فانها
تفوض لاهالى المحررة على حسب عقائدهم وعاداتهم واحكامهم وكذلك الادارة المرتبة

للحكومة وكيفية استقلاله وتوزيعه الى غير ذلك من غير تدخل الانكليز معهم في شيء سوى انهم يشترطون عليهم ابطال المطالب والتمديد على بعضهم وابطال بعض العوائد القبيحة بالنقل الى نالام الغير كالحرق الاحياء المتعالمين بوث من قرايتهم اوروثايتهم وكفريق الناس مثل ذلك اودبهم بمعايهم - لدخل الصلص منه جهور الالهالي ويبنى المحاكم الانكليزية بمعايهم مرة بالذالك المكليات ولما نفع الانكليز والالهالي حتى ان اعظم مستعمراتهم الاسن وهو الهندله حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم الوظائف فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي اسكن ثاني رتبة منه وهو قاضي القضاة هو مسلم من العلماء الاعيان وجميع احكام الهند راجعة اليه ومقره سنويا أربعة وعشرون الف ليلة انكليزية وعلى ذلك المذوال بقية الادور ودخل تلك الحكومة خاصصها لا تأخذ منه الدولة الانكليزية شيئا ومصاريفها كلها راجعة الى حكومة الهند رعا اذا حدث حرب جوار الهند مع حكومته اعانتها الدولة الانكليزية على مصروف الحرب لعود النفع اليها بواسطة بلرب عاجل أكثر المصروف عليها كما وقع منذ قريب في حرب الافغانستان كما ان انكلانته رتبة تنقسم من عساكر الهند يدعونهم في امرها عند الحاجة اذا حدث حرب مع دولة أخرى وكثيرا ما تبق المصالح على حالتها بملوكها وامراتها وانما لها عليهم مجرد المراقبة والحماية وتلزم الملوك بالجراد المدل في محالهم واجراء الشورى وبذلك يحصل ميل العموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كما ذكرنا فائدة للانكليز في هاتمة المستعمرات سوى تشويش الببال ونسائل الاموال في الحماية او الثورات (فالجواب) ان فائدتهم عظيمة من وجوه (أولها) وهؤلاءهم رواج التجارة الانكليزية فان ثمانين مليون من الخلق لا يبحرون الا في الساع والبضائع الانكليزية له من الاهمية ما لا يخفى وبضائع بقية المسالك امان تمنع بماتونفها من عظيم القمق في تلك المستعمرات او يدخل منها امالا وجود له عند الانكليز مما هو حاجي فاما البضائع الانكليزية فتدخل معضاه من الاداء فان تبور لهم بضاعة ولا تغفل لهم معاملها ينتفع ثلاثون مليون من الانكليز من الصنائع يكونون مطمئنين على رواجه في مستعمراتهم كل على قدر احتياجه ازادة من المعائن الاجنبية وكفي بذلك غنى لازمة الانكليزية وأي فائدة اعظم لها من ذلك ودون مثل هذا فان مستعمرات الهند وحده كانت قيمة التجارة الصادرة والواردة اليه في سنة ١٨٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون فرنك يخص الانكليز وحدهم منها ألفان اثنان مليون والباقي مع سائر الممالك وأعظمها الصين

الصين فهذا مستعمر الهند وحده راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليقص عليه غيره
(وثاني القوائد) أشغال معلمهم في الفنون والصنائع في تلك المستعمرات الواسعة
الكثيرة السكان بما يجدونه للأهالي على وجه الارشاد والتعليم والتمدين على طيب
فقس منهم من الكتاب والمعلمين وطرق الخديعة وغير ذلك (وثالث القوائد) حوز
الاراضي الخالية عن المالك والتمهيراها بالاهالي ان كلا تديره الذر ضاقت بهم جزائرهم
فصاروا مجبرون منها الى كل الاتفاق التي تديرهم المعيشة والعمل فيهم اجبرون الى
مستعمراتهم ولحقهم حتى تلتئم في منهم دولة جديدة كما وقع بالفعل في دول امريكا المتحدة
اذ غالب اهلها اصنامهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الآن في اسبانيا (ومن اعلمهم
قوتهم) القوة الحربية التي تتعرف فيها ان كلا تديره من عساكر ذلك المستعمر مع ان
المصاريف على العساكر من دتمل المستعمر فاعظم بذلك من قوة الانكليز حتى ان
عساكر الهند الذين تحت امرها اضعاف عساكرها المستديسة فهاته القوائد
اعظم وانفجح لامة الانكليز من اخذهم ضريبة على سكان المستعمرات فحورجهم الى
الحقد والتوراة عليهم كما وقع في امريكا اذ يذلهم اعضاء من جهة السياسة فان القوود
والرهبة والوقار الحاصل للانكليز في جميع جهات المسكونة ليس يحصل لاي دولة
كانت اوروبانية وذلك اذ لا انكليز من ان يفيدوا انفا وعشرة آلاف منهم بما طلاق
التصرف في احد المستعمرات فيكون اهلها تحت قبضتهم ويديرون فيهم قانون
الانكليز بالندرو ويوافقون فيهم من قضائهم ويعيدون عوائدهم وشرايعهم بما يلزم
لذلك من مصاريف تكثير القوات ويكون الحقد في المستعبدين حتى ينتهزوا الفرصة لقتل
قيودهم متى ما منحت الفرصة وبمثل هاته السياسة ومجارات الاهالي في مصاددهم
وعاداتهم واحكامهم وكبرائهم وديانتهم ينسر لها امتداد المستعمرات واتساعها واطول
بقائها هانية بدون كثرة مصاريف فان الهند الذي هو اعظم المستعمرات وفيه من
السكان ما ينف عن مائة وسبعين مليون انما تضبطه دولة الانكليز بشهرين الف
عسكري انكليزي فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو اثمثة الف من العساكر
تقت السلاح لكنهم كاهم من الاهالي ماء د العشرين الفا المذكور وقوة ذلك ما خلا
مالمولود الامراء المستقلين بالادارة في الهند من العساكر والقوات وما ذاك الانجساراة
الاهالي بما لا ينفقهم مع ابراء العدل فيهم والزام امرائهم وملوكهم بذلك وحزبتهم في سائر
اطوارهم حتى انها اعظم لهم شعائرهم الدينية كما يظهرونها في انفسهم فالسودن مثلا

تصاف لهم المدافع في أعيادهم وتوقعهم من الاشتغال في المواسم وتعرف الموسمي
 العسكرية في أعيادهم وكذلك تفعل مع الجيوش وتصرف على الجميع أموال الباهظة في
 المعابد وأهل الديانة من دخل الهند وفي عيد الفاجوز الكوكوفي شهر الهند يحضر
 أهل الامرو والحكم من الانكليز ويأخذون ذلك الخوز من أيدي الحكمة ويقلونه في
 النهر بحراة الأهل (وحيثما) تنشر الزايات وتطلق المدافع من الابراج والسفن هذا
 فالبلاد التي تحت ادارتهم أيضا لاعتناء البلاد المستقلة بالادارة فالأهل يوزون بينهما
 فائم من حالة الاستقلال وماهم عليه من المنافع التي لم تكن حاصله اليوم مع موازنة
 المشقات والاهوال الخاصة من اعلان الثورة لان الانكليز أيضا قساة وقولهم قساة
 غليظة عند الثورة يجازون باللفظ التي تقسمهم الجلود السامعين ويقول القائل أين
 التمدن ووجه الانسانية والشفقة التي تغل في صحفهم بالتوبة بها وماهي الاسود على
 بياض يأمرهم بغيرهم ولا يبرن مناشيما يسايسهم ليهلونه من الغدرباغراء أقسام
 الأهل للانقسام وبذل الاموال العظيمة في ذلك فاذا حصل الانقسام وقع الانتقام من
 الكل على التدرج وربما حصل من بعض الاقسام لبعض اشخاص يحصل من نفس
 الانكليز فاذن أثرت أهالي المستعمرات الكون والرضى بها هو عليه مصعتم في
 ثمره ذلك بتدرا الامكان بل ان بعضهم كنتم دولة الانكليز من الاستقلال وأعلنت لهم
 بذلك ورفضوا هم بقوله خوفا من تسلط غيرها عليهم اضفهم وربما ما لهم المتسلط بها
 لم يعاملهم به الانكليزون مثل ما وقع في جهة من استراليا منذ نحو من خمس سنين ومع
 ما مر فقل ما يخلو وقت عن حدوث ثورة في إحدى الجهات من المستعمرات المذكورة
 وفي الاغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو باللين وهو الاغلب ترجيح الدولة البواعث على
 الثورة حتى تعود المصاافة الأهل على وجه كانه راسخا وغافلا ان اللين هو الاغلب
 لانرايها لا تستعمل القوة لا بد من انقلاد الدولتين حتى انهما في نفس حروبهما مع
 التأثيرين لا توجه عليهم قوة كبيرة من أول رهلة بل ترسل مقدار غير كاف لانها اذا
 اذا كانت مستعمرة بهيجان قوى كبر ما تدمر قوتها أولا ولا يباينها لئلا تكن الاتكص
 على حقها لا يمد بلوغ رجاها بعد اومة الحرب على الضو السابق مع ترديد القوة شيئا
 فشيئا الى ان تغلب أو يوقع الصلح على ما مرضها وترضى به الترضي نوع ما كان ذلك
 لعدم وجود قوة عسكرية تحت السلاح ولا حاضرة للدعوى متى أرادت الدولة السام من
 ان الانكليز لا يدخلون العساكر الأباراضي وليس لهم الا مقبلا وحفظ الراحة فاذا غارت

جهة لزوم الدولة احضار العساكر برضاهم وذلك لا يتأتى عما جلا مثل ما يأتى للدول المرتبة
العساكر وأيضا بعد حضورهم تلزمهم هذه النذر بسبب ثمن العساكر عندهم تلزمهم
المصاريف أكثر من عساكر بقية الدول لأن من قانونهم ان العساكر لا يتخدم شيئا سوى
الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة رجل الاثقال ما هو أضعاف عددهم ولا يخفى ما فى
ذلك من المصاريف والمكلفة الموجهة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم على
الحامشة مفوضو عشرين سنة لزمها أن تجعل لهم طريقا جديدة وقنوات بواب الماء كلها
موقوفة وكان خادموا العساكر ضعفي عدد العساكر وهككا إذا ما في حروبها وبناء على
اتساع المستعمرات وافتراقها وبعدها عن مركز الدولة وكون الطرق إليها بجملة معان
نفس مركز المملكة بجزء من أن تكون دولة الانكليز هي أقوى دولة في البحر من حيث
السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البواخر والعارفين بين البحر
حرمطاً في السياسة الخارجية للانكليز اعلم ان ما تقدم من الأحوال العامة
في الخارجية للدول المنظمة مما تقدم ذكره في إيضا لما وفرنسا وهوا أيضا جاز
في انكلازير ومثل وجود السفراء والمراقبة بمجرات المنافع الخ فالذي يخص انكلازير
هنا هو بيان محلات اهتمامها في الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات في جميع
أقسام الكرة المرفوعة كانت عنايتها في الخارج أوسع من غيرها من بقية دول أوروبا
لكن ليست الجهات كلها سواء في الرتبة بل هي تتدرج في أوروبا ليس لها من النفوذ
في دناجاة دولها شيء سواء كانت الدول كبيرة أو صغيرة لا يفتأ اداراتهم على قواعد
راسخة مسلمة بين جميعهم بقررة بمعاها ذات فان ترى حاكما انكلازير اذا سلطه في برلين
قاعدة المانيا واولا في مونكو والتي هي دولة مستقلة في بلدة محاطة بإيطاليا بعدد سكانها نحو
أربعة آلاف نسمة والكل في الدخول تحت أحكامهم من رعية الانكليز سواء انما
نواب الدولة يراقبون الأحوال السياسية لا الأحكام الشخصية نعم لدولة الانكليز زيادة
اعتبار في خصوص ملكة البلجيك السابقة من سنة ١٨١٥ من استقلال
هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجعلها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب
لذلك الحماية هي دولة الانكليز فهذا هو وجه زيادة اعتبارها هناك ومثل ذلك حاصل
في دولة البرية النمسا سبب من حروبها مع اسبانيا وفرنسا (وأما) بقية الدول فلا
فضل عندهم لانكلازير على مونكو في أحوالهم سوى ما يجر إليه السياسة التي
أيضا سها (وأما) امريكا هي أيضا على ذلك المذوال (وأما) آسيا وفرنسية فعلى وجه

اتبرع دولها من حيثين (الاولى) - وه المعاهدات القديمة معهم التي لم يراع فيها
الإحالة الزائدة اذ ذلك مع عدم تقدير الماساهدات بمدة محدودة فتغير الزمان وتغيرت
الحالات وبقيت أحكام المعاهدات على ما هي عليه فلزم منها ان تكون لدولة الانكاي
شبه دولة مستقلة في كل من هاته المسالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الأحكام
مثل الاهالي بل يحكم في الشخصيات قاساهم - م وحدهم أو بمحضورهم أو بحضور أحد
من سفارتهم مع حاكم البلدولة الاعتراض على الحاكم في الحكم وفي بعض المسالك اذ كان
الحكم في جنسية فاغا ينفذ في احدى ممالك الانكاي الى غير ذلك مما يتعسر معه الا الهالى الوصول
الى الحق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة في وسط المملكة وليس ذلك بخاص بالانكاي
بل عام في جميع دول أوروبا مع تلك الممالك وغاية الخلاف هو زيادة التفاهرو والتعظم من
أحكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض في النفوذ في تلك المملكة وفقه ذلك من
ليس له قوة أو ليس له غرض (وثانية) الحقيقة هي ان مستعمرات الانكاي بركة - دمران
أهمها هو الهندو فكانت منقطة خاضعة من كل ما يوهن قوته فاقه اياها بواسطة أو قصد احتي
صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليه فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليه
من المحيط الجنوبي وراء افريقية فاصبحت عدة مراكز في افريقية الغربية
والجنوبية والشرقية مع عدن في آسيا كل ذلك لتكون لها قوافل ومرآة تلبها العائد
الحاجة وبه يعلم ان قوة المستعمرات ليست خاصة بالوجه التي أسس اليها بل منها ايضا
أهمية المستعمر من جهة كونه مركزا يرافقه وذلك مثل جبل الطارق ومثل مالطة
وغير ذلك فبناء على ما شرعنا من سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند
والتي هي في طريقه والتي لها مصالح أو ملحق نظر اليه على نوع آخر من المشاهدة مع
القوى والنفوذ ضعيف وتستعمل لذلك كلالا من الترغيب والترهيب فالدول التي
لها مهم ذاتها زيادة معاورات سياسية هي دولة روسيا من حيث انها امتدت في دوائر
آسياسي اقتربت من افغانستان الذي هو في حدود الهند ومن حيث طموح نظرها
الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التي يحدها كما ياتي ايضا حده والدولة الثانية
التي لها مهمها زيادة العناية سياسية هي الدولة العثمانية وذلك من وجهين (اولهما) انها
لا تريد زيادة نفوذها وقوتها خوفا من امتدادها الى المشرق وارتباط المشرق هناك
بها حتى يتقدم بها المسلمو الهندو ويورد الهندو ما كان عليه من الخلق بالبالفة
الاسلامية (وثانيهما) الخوف على ان الضعف المفرط حتى تنقطعها الدول المجاورة لها

فيكون ان يجوز موقعها الحفر في النفوذ والسطوة التي تخشى منها ان تكثر على قوتها
 قوتها واعتبارها المادي والمعنوي وبناء على هذا صار لها تدخل كلي في سياسة
 الدولة العثمانية الخارجية وجعلها على ذلك التدخل مع بقية الدول الكبيرة السنية
 المسلمة من المعاص بتلك السياسة سواء كانت قصداً أو بواسطة واضع ذلك
 انكلا تيره الى جانب ملاينة فرنسا لانها دولة بحرية قوية في هذا المثلث والاولى لها
 بمقاصدها مع ابقاء سياسة متعادلة مع الجانبية الحرب مهما أمكن كما تقدم ذلك
 نسبة عمله حتى في الحرب مع الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع التمسك
 على حقوقها كما وقع منها اخيراً سنة ١٢٩٤ من التوسل بالسلطان العثماني لانه
 افغانه نان بار الله له رسولاً لكي يلائم انكلا تيره ويقطع معها المشاهدة الداعية
 الحرب من عدم قبوله لسفير مقيم عنده في كابل وغير ذلك مما يشعل به اغراء روسيا ولم
 يقبل التوسط حتى وقع في الحرب كما تقدمت الاشارة اليه في عمله فذلك الباعث دعاها الى
 ملاينة فرنسا كما تقدم في سياستها الخارجية طمعه في التسليم لها في السطوة على مصر
 اوفى الاقل على تصاويرهما معا على ازيد ما نفوذهما في مصر حتى تمنح الفرصة
 لانكلا تيره في الحاقها بما حيث كانت الاثنى هي اقرب الطرق الى الهند بمقدح فتح خليج
 السودان مع ما في ذات مصر من الاهمية الكبرى قنيتين (حينئذ) وجه زيا فاشتهال
 انكلا تير باحوال الدولة العثمانية نوعاً على الخصوص احوال مصر وما يجيرها من ذلك
 الى بقية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التي تتجاوز مسطرتها على حسمها في القوة
 والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مبنية في التعريف على مذهب الحزبين
 الذين مر ذكرهما في السياسة الداخلية وهما حزب المحافظين وحزب المطلق الحميرية
 كانت تختلف في الخارج على حسب مقاصد الحرب الذي يتولى ادارة المملكة في ذلك
 في السياسة الخارجية أيضاً تأثراً بغير السياسة تبعاً على قواي الحزبين حتى
 يكاد ان لا تثق دولة بالاعتماد على سياسة الانكليز في والائتمالاته ينبغي ان يكون حزب
 المحافظين لا في الاحتراس على مملكته مهم بقاؤها وبقية دهرى على مصلحتهم واذ
 بحزب المطلق قد جلب افكار العامة اليه فيصعد الى تحت الادارة وينقض عزل
 سابقه ويخذل من اعتقد عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن مبنية دفعة واحدة
 لسياسة التمسك لا يتصالحه ابطال حرب مدة ودة أو تنقض صلح انهم انكلا تير يسي يتقدم
 الطاقة في انهاء كل ما وجدته وعدم اتمامه حتى يبرهن الخارج على فساد ما سعى فيه

سأفهم غير أن ثبت عليه أنه هو الذي كان سببا في الفساد ولهذا صار كل من الخزيين
 يجهدهم استطاعة في عدم الدخول في حرب موقعة أكر لا يجد ضده بابا للتشجيع به عليه لأن
 عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبغي على هذا وهم دولة الانكليز من سائر الأمم
 المستقلة أنهم ادلة تجارة انما تبحث على زيادة غنى أهاليها من غير بحث عن الشرف
 والجاه لدى الأمم الكبيرة القوية وعدد دخول في انكلا تيره وجد تحت رئيس الوزارة
 هو رئيس حزب المحافظين وهو اللورد بكنسفيلد وانما حاز ذلك اللقب من دمه واحدة برلين
 سنة ١٨٩٥ حيث فصح سبعة في تغيير مائة دة فان امتيا فانوس بذلك الماهة
 واستولت انكلا تيره على قبرس وكان هذا الرجل من نسل اليهود لما شرف في السياسة
 غير دينيه لدين الدولة حتى يمكن له الترقى للناصب العالمية واشتهر بألبه وأفكاره
 وخطبه حتى سميت له رياسة حزب المحافظين وولي الوزارة مرارا (وأما رئيس حزب
 الاطلاق) حينئذ فهو سترا كلا دستون وليس له لقب شرف لكنه باتساع معارفه
 حاز تلك الرتبة واستولى الوزارة مرارا

فصل في بعض عوائد الانكليز وصفاتهم *
 للبليغ القوي أجد فارس قد اشغل على تفاصيل في عوائد القوم بعز وجودها في غيرهن
 رام الاطلاع على جزئياتهم اقلير جمع البه وانما نلم هنا بشئ كاف في التعرف بذلك
 (وحاصله) أن أصل لاهالي كانتهم من قبيلة من قدماء الفرنسيين اختلطت مع قوم
 قدماء في الشمال وتماثل منهم هذا الجيل وهم اقوياء يرض نصح جرمن الدم يغلب
 فيهم الطول وشقرة الشعر نسأؤهم جيلات اباعهم رزينة فمع الملاق الحربية فيهم
 لا يطيشون من حدود الاستقامة والانقياد الى الحكم حتى اذا تجمع منهم الجهم الغفير البالغ
 لعدة مئات من الالف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا وتبع يدتهم خلاف
 في تلك الجماع احوجت الى الخروج من القول الى الفعل فها هو الآن يصعد حاكم ذلك
 المقع على مكان مرتفع ويقول بسيدنا فوفا كننا الملك بأمر كل فرد منكم أم المجهتمون
 بالتفرق حالا وان يدخل كل منكم مسكنه أو يحمل صناعته تحت قبة الحكم الصادر في أول
 سنة في ذلة الملك جورج في قطاع المهرج والغوغا والله يصير من الملك خليفة لا يتفرق
 الجمع الا ما ندر فيحتاج الى افعال القوية من الضابطية والحرس والعساكر بل وعلى كل ما ر
 اعانة الحرس الا اصاب رتبة اللورد فانهم غير مكافئين بذلك ومن النار اقليل وجود
 حالة تمثل تلك بل الافراد الجناة يعضعون للحكم وينقادون الى أمر اعدان الحكم بمجرده

القول

القول وعلى فرض الامتناع فيخرج له العون عصية على رأسها صورة تاج الملك فطاطي
 رأسه وبنو قادن لم فعل وجب على كل من رآه اعادة العون على جبهه فاعانت هاتيك
 الخلة على اطلاق المحربة واطمئنان الدولة من المخرج وقد تقدم أن عدد السكان نحو
 اثنين وثلاثين مليوناً فارد ياتهم الغالبة بن تيسنات وقليل من السكان وليكتم اليهود ثم
 الدهرية ثم الموحدين أى الذين يوحون الله ويعترفون بالماله والعبودية والدمرية
 لعمري وبه قدون بالكتب فهم اقرب الى الاسلام ولا زال يكثر عددهم سيما فى المنيا
 وأما ريكاتى وجد الفناد من المسلمين ثم ان عوائد الاهالى لا يمكن اطلاقها على الجميع
 سواء بل بين طبقاتهم البون اليعبد فهم على خمسة اصناف (الاولى) العلية ولهم امتيازات
 تقدم بعضها فى الساسة ومن خاصيتهم أن لا يدخلوا فى الاعمال البدنية التى تعجب
 على العموم ويتزهون عن مخالطة غيرهم بحيث يكون كل منهم فى داره عند سدائر
 ما يحتاج اليه ولا يحتاج فى الخارج الا مجرد المشى فى الطريق لمكان ثمنه أو صاحب
 الذى هو من نوعه وعلى نحوهم نسائهم وهؤلاء هم اصحاب لقب الورود وغيره من القاب
 الشرفى كالركز والسبر وغيره من الالقاب الوراثية والى عتبيتها الملك عواقب محله
 الخاص ومثل هؤلاء الامراء والوزراء واصحاب المناصب السامية والاساقفة والبيكار
 (الثانية) هم الاعيان الذين لهم املاك تقنيهم من معاطن شغل أو حرفة مع تنعم العيش
 والرفاهية والاسراف لسكنهم ليس لهم لقب مثل الاولى (الثالثة) العلماء والمفسرون
 والقصاص والقضاة والبيكار (الرابعة) الضار واصحاب العلم النبوية مثل الكتبة
 (الخامسة) بقية الناس المتعيشين من كد ابدانهم فالاولى والاخيرة بينهما التباين
 والثلاثة الباقية لكل منها جهة تناسب بها من فوقها ووجه تناسب بها من تحتها ويمكن
 على حسب التقريب ان يقال ان الثلاثة الوسطى فى عاداتهم واطوارهم على نحو ما تقدم
 فى فرانسوا واطالبا وأما العلية العلية فليس لها مثل فى تلك الممالك لكن ومحصل هلم
 انهم على نوع من صفات مالوك الاسمية بداد فى العظمة والكبرياء والفخر والمهابة بالاعب
 والله والتمكين فى الاموال والاراد والقنطرة باللقنطرة من الذهب والفضة والخيول
 المسومة والافعام والحرث فترى للواحد من ذلك الارض مبرية يوم للراجل وملك الفرس
 باربعة مائة الف فرسك ويعد دخله بالدقيقة فيكون له فى الدقيقة أنبيرة أو ليرة
 أو نحو ذلك ويفرش بيته بمناجم أهل المشرق والمغرب والمنسوجات التى قيمة ذراعها
 بنجمه مائة فرسك ونحوها الى غير ذلك من الاطوار التى لا يحصىها الا هو وعائلته أو من

كان من مابقته وبينهم مودة أو من يفضلون عليه بالمعرفة وهي انما تحصل للقريب
 اذا كانت له وصاية من أحد قريبة أو لك لعامة قد تعرف به في أحد الأقاليم
 * وحديث يذكر من أكرامهم - ونسبهم له باشترافهم فيما هم عليه - ما يعرفه
 عينا من القنص والاهو واللعب والماركب والمساكن والشارب والمنازه حتى يكون
 لبعض هؤلاء العامة مراكب خاصة في مرق الحديده محتوية على سائر اللوازم - يرون
 بها إلى حيث أرادوا ويولونه أى الضيف من ملاطفة نسايتهم وأكرامهم له باعطاء قدح
 الشاي من يد كبيرتهم ما يكون به على يقين من الصدقة لان ذلك من غاية الأكرام
 وان لم يصف من الغناء ما هو عنده في غناهم من المحافظة على الآداب والقواعد المعروفة
 لديهم كعدم التويع ولا حكة - من ينده ولا التدخين ومن يهيب أطوارهم فيسه
 التفاضل القام فبعض نسوتهم يكرهون شم أئنه على الثياب وبعضهم يدين كالجال
 ولن ترمى من واحد من هؤلاء ذوى الملايين أو آلاف الملايين يتكبر بشئ ذى قيمة
 ونهاية التواضع بالهدية هي صورته أو ما شاكله مما قيمته اذا تناهت تبلغ ألف فرك
 بل كاذن لا يوجد من يتصدق منهم على الفقراء الا أن يكون لرباء أو عدة فلو مر أحدهم
 على فقير يتسوع جوعا لما رأى له من دافع إلى مرحته حيث انه به - لم يهطى سؤريا
 * إلى ديار الفقراء - دارا من المال فلا يجد ان يكون ذلك الفقير الذى رآه في حالة النزوح
 من البرد أو الحر أو الجوع انه لم يكن له الوصول إلى تلك الدار أو ان لم يكن فيها - عدة
 لقبوله وأقول ان هاته الخلقة كادت ان تكون عامة في أوروبا لا قبل لامتهم فانهم يحرون
 على حسب مكارم الاخلاق وأما أطوار الطبقة السفلى فهى أشنع عما مر ذكره في هيج
 * الفرانسييس سواء كان من جهة الاعتقاد أو من جهة السيرة والحركات فية طيرون
 من أشياء كادت ان لا تسمى ويتقادون إلى السخرة والدجالين بما يخرج عن
 حد العقول وكاد لتعلم ان يكون عندهم مجهول لاسم فضلا عن المسمى سوى ما يرمون
 لهم القبول في الكنائس ومن هذا القبيل اعتقاد عامة جاهل الزنادقة ان قطع
 الحجاب من جزيرتهم بسبب قدس مع انهم اقدوها التلج والبرد مع عدم الاتصال بالعارف
 حتى يحلها - برهاولهم في ذلك خرافات والمحصل ان صفة الانكليز على الأجبال هي
 السكون والزنازة والتجاف عن الغريب الإواسطة في التعرف حتى لو بقي بين أخيه رهم
 سنين لا يكاد ان يقول له واحد - عد الله صباك كما ان من طبعهم الاقبال على الشغل
 والمجد فيه وعدم الايمان بالقدر حتى اذا بقس أحدهم من المال قتل نفسه - فكثيرا

- ما نسمع بذلك وبقتل الآباء والأولادهم وكذلك الآلهات والعكس وما يحصل عندهم من الوفاة أحياناً من ضاحجة الأب ابنته والآخر أخته لكنه لم يسمع بمضاحجة الابن أمه ومنها أيضاً بيع الزوج وزوجته لمن يحب أو بمضى لهم الحكم ذلك فالحجب لقوم بمضى دون على بيع الرقيق في الاستفاق ويحكمون بمضى بيع الزوجه بفلس أو فلسين لان الطلاق عندهم له شروط وهي ثبوت الفاحشة من الزوجه لدى الحكم ومن غريب الوقائع في هذا الصدد ما وقع منذ عهد قريب ونشر في سائر صحفهم وظهرها من أن زوجه أحد هذا للوردات ولدت وعند ما بشرت بانها ولدت ذكر أخا لت من الفرح هو ابن ولي العهد وكانت قرابة فزوجها به من ذلك فثار احتجاج النازلة الى أن رفعت لدى بهاس الحكم لكي يستطيع الرجل طلاقها أو ادعى وكيه انهما اعتراها جنون من النفس حتى صارت تقول ما لا أصل له وادعى وكيل الزوج أن الحفظة حاصله من قبل مع ولي العهد وكلاهما تزاورون ويتم تزورن معافضى الحال بسا من دعاه الشهود ومنهم ولي العهد وعند حضورهم في المجلس الذي هو عاين وحاضره في كتاب الاخبار وغبهم قال القاضي علينا ينبغي ان لا يسئل الانسان عما يشتهى من أو يشين العرض وينبغي للشاهد ان لا يجيب إذا سئل عما يشين عرضه ثم ادعى بولي العهد فسألته عن معرفة المرأة فأجاب بمعرفة ثم سئل عن اجتهادها فأجاب ان قال انه الاجتهاد في منزل من المنتزهات للطعام فغير رأوا كلاً وبقياً حصية بعد الاكل في محل خاص ثم رجع كل منهما الى محله بعد قضاء التنزه فقال له القاضي الذي تبهج به معاً عنه أسألك هل واقعت هاته المرأة عند دخولك فرفع ولي العهد صوته قائلاً لا نضج المجلس له بالتصفيق وحكم القاضي ببراءة المرأة وبقاء الزوجه وانما الايمان بقاها دون عن بيع الزوجات لكنه شاف في السوق وصحفهم بنشر منه شيئاً كثيراً ومن عاداتهم الكام وهو انه كلما عرض لاحدهم حق على صاحبه الا تبادر بضرر جمع الكف وعنده ما يقب أحدهما كثيراً ما يصاح صاحبه ويتراضاً بالحق في ذلك ولا يحصل هذا بين الاعيان وانما يتعاضدون عنه بالمقاتلة كما هو جار في المال الانرى من أوروبا وهي انه اذا اشتد الغضب بين اثنين على شرط النكاح في العرض يرمى أحدهما
- اصحابه بقعازية أو شيء من متاعه ثم يرسل له شاهدين بطالب منه التقاتل فبعين الاشر شاهدين ويتفق الشهود على آلة التقاتل ومكانه وزمانه به الأعمال ووجوده للتراضى واسقاط الطالب فان لم يجد أحضر الطبيب أو حضر المتقاتلان والشهود والطبيب وقتلوا على الصيغة المتفق بها فاما ان يموت أحدهما أو يسأ أو يحصل عطب فيعاجله الطبيب

وينفصل الامر فان لم يجب احدهما لاقتال صار ذاك الامام الناس وصاحبه وقد مر صاحبه
 مهمالا فان عينه عباد الله وهذا الانتقال وان لم يكن مباحا بالاحكام لكن المحكمات
 خاصة النظر عنه بمعنى ان لا تتعصب عليه وان اصناع واحد شرفه بالشكافية فيه حكم له
 لكنه يمان فهو وان كان فيه ما ينبغي عن علو الهمة والشجاعة غير انه من أعمال الهيج
 لان المحكمات انما اقيمت لدفع النعم والعيث والافعال الغراض الشخصية المضرة بالغير
 فبها البقاء هاته الغادة في ارباب بل والجب من ازديادها تدريجا ومن عادة الانكياز
 التهاير بأشياء كثيرة منها اصباح المرأة المحولة ما لم تتكلم ومن انجول العام لاسيما في
 عامتهم الى اقول المتكبرين واصحاب الحدثن وانزعاجهم من اخبارهم حتى يقولون
 انفسهم وكثيرا ما يقولون انفسهم وأولادهم خشية الاملاق وكثيرا ما تلذ المرأة اربعة اولاد
 في بطن واحد وتكثر الخلق عندهم في ازدياد حتى لا يجدون شغلا في بلادهم فتجرب ثبات
 الاولاد ياجرون سنويا الى الاقاليم لخص بل الكسب ومع ذلك فعدددهم في عائلتهم
 لا زال يزداد ودون ثلثها ثمانية في ذلك في اقرب وقت وهو ان عدد اهل انكلا تيره اى
 المملكة الاصلية من الجزيرة الكبيرة وحدها كان في سنة ١٨٥١ لا يصل الى سبعة
 عشر مليون ونصف الا ان هو سنة ١٨٨٢ اعنى في ثلاثين سنة صار عددهم يناهز
 ثلاثة وعشرين مليونافازدادوا خمسة ملايين او تزيد مع كثرة من هاجر منهم الى ممالك
 اخرى يقرب من ذلك العدد ولجموعهم تفال في عقائدهم فمن ذلك مما انظمتهم على يوم
 الاحد بحيث لا يفتح فيه محل عمل سوى الاكل والشرب ومن فتح حانوته عوقب ولو لم يكن
 من مذهبهم وهو ضاية التناقض مع ما يملقونه من الحرية والمكتمل المحالية زيادة توفد
 في ذلك حتى يحكى عنها الشيخ احمد فارس انه عرض عليه احد وزرائها اوراقا همة
 للامضاء في ليلة الاحد لكنه قد فلفها بامكان تاخيرها لاصباح فقال كيف وهو
 يوم الاحد فقال هي مهمة لكم فقالت اذا بعد الكنيسة فقال نعم وما رجت من
 الكنيسة وكان الوزير مصاحبا لها اهلته بان الخطبة التي ايجته هي بامازها الى
 القديس في المحاذقة على يوم الاحد ويناه على ذلك فلما تم اصبحة يوم الاثنين ولوفى
 الساعة الثالثة قبل الظهر لتمضى له اوراقه وتلك الساعة عندهم من الجيب مباشرة
 الاشغال فيها انما مكره جدا حسب عوائدهم ومن عاداتهم التفرغ على الجليلدولهم
 مهارة في ذلك وقد هم الغرائيس وكثيرا ما يحصل العطب بانه لا سارا الجليلد وتفرق
 من عليه في النهر او البركة او البحر او المحاصل ان انحلق الانكياز همة ولا يلتزمون

بالاجنبي مثل ما يقع من الفرنسيين غير انهم اذا واد احداهم احدا سمي من علمتهم فانه يحسافا عهده و يدوم على ولائه و يحسون دماره لهم ولوع بالخيول وتريتها و تسيلاها وغناهم بالنسبة للطلد والفرنسيين ردى لتقطع اصواتهم وحصرها ببقية الصفات هم فم امثل من تقدم ذكره من الممالك ثم يوجد في انكلا تير نوع من البشر يدعون عند اهل تونس بالزمازية وفي الاسنافة جنة كاله وبالفزانساوى بالبوهمية وهم في الحقيقة موجودون في اغلب الاقطار شر اذم وفي كل جهة محافضون على عوائدهم وأهمل الجول وعدم مخالطة الفل وتعاطى علم الفنب وسكنى الخيام وتعاطى الصنائع البسيطة الرذيلة مع الفقر ولهم لغة تخصهم ومن عادات اواسط الانكليز وعلمهم حسن تربية الام لاولادها بحيث يشقون على التذيب والتغفن الى التعليم من غير تب حتى انهم كثيرا ما ياتون الاحرف ويمدوا القراءة لولد التريبة فيما تدبجه الام والمرمية للصغير مع النظافة والابصار عن الاخلاق الذميمة وكل ارباب على هذا النهج والهم في المساء من التعليم الحسن

- مطلب في التجارة بانكلا تير ● اعلم ان الاصول المخيرة التي مر ذكرها في الممالك السابقة هي جارية كذلك في انكلا تير واسكن لحو لازل بادة بسطة وغنى عن سائر الممالك عابرو ج من تجارتهم في سنة مائة وثمانين وثمان مائة حتى احدى سنة ١٢٩٨ ١٨٨١ م ملك الانكليز من المنقولات التي لها دخل مثل اسماهم بكل الحديد وديون الدول وغيرها فكان سبعة وثلاثون مليار فرنك والمبارد الف مليون ودخل ذلك في السنة أربعة مليارات فلو قوم على نسبة عدد انفسهم اصح لكل انكليزى (١٠) فرنك منها ٥٠ من خارج المملكت وذلك كاف في بيان مقدار غنى هؤلاء القوم وحركة تجارتهم فان بريدهم يصل الى جسم جهات السكونية ويواخرهم مائة الف جعر واعظم النضائج الخارجة من مملكتهم هو الفهم الجبرى فقد اخرج من مقاطعة سنة ١٨٦٦ ما يزيد على الف مليون فطارا والمقاطع الموجودة في انكلا تير من هذا الفهم ثلاثة آلاف ومائتان واحد و ثلاثون مقطعا وهو سبب عظيم اثر ونعم من حيث البيع منه للخارج واستعماله في الدانل ومن حيث وقف الاشغال الصناعية عليه لكثرة المعامل التجارية ولذلك اشتدت عنايتهم به حتى انه كان كثير من علماء الاقتصاد عندهم يبحث عن احوال فراخ ذلك المعدن وما يسبب عنه من الزينة لانكلا تير في سنة ١٢٨٨ ١٨٧١ م اشتد البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة لتحقيق الامر وبعد مدة واصات استقر رأيهم على

انه يمكن بقائه هذا المعدن عندهم الى مدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ نظرا لسكرية ما يستخرج منه سنويا ونظرا لصعوبة استخراجها فبما قل من طاقات الارض وكثرة المصاريف عليه حينئذ من تلك السنة ارفع ثمنه نظرا للاقتصاد في استخراجها ولازال البحث عما يوضع عنده من القوات او وجوده في بعض مستعمراتهم ومن موارد تجارتهم الواسعة ايضا ما يخرج منهم من الحديد واغلب المحبوب لهم المحبوب لان ما يخرج منها عندهم غير كاف لهم ويحتاج في افراد الانكليز الغني الذي لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم الفقر المدقع بكثيره وقد انعقدت في خصوصه لندره شركا للتجارة وازارعة ٢١٢٥ شركة افايس منها ٤١٢ شركة رأس مالها ٥٠٠ مليون فرنك وذلك في خصوص سنة واحدة وهي سنة ١٨٨١

فمطلب في الاحكام بان لا يكون قد مررت اصول الاحكام الشخصية عندهم في مبحث السياسة الداخلية وانما نقول هنا ان قضاء الانكليز يضربهم المثل في ارباب العفة ونديم الميل الى الاغراض ووفى منعتهم دولتهم وهناك مدن يقيم فيها القضاة ومدن تذهب اليها القضاة في اوقات معلومة من السنة فتعرض دايهم النوازل الهائلة لهم من احكام الجهات والاحكام التي قبله انما هي من القضاة بمحض الجور وقد تقدم الكلام عليه غير ان جوري الانكليز يختص بانه على قه من الاحكام المخاطرة جوريا يتألف من قضاة منهم واعيانهم واكل منهم ليرة على كل نازلة والاحكام الحقة جوريا من السوق واصحاب الحرف مثل فوانساوين يدجوري الانكليز بجور عظيم على نفس الجوري فان القضاة يوقعهم في محمل منفرد بمكان المحكم حتى يقع اجماعهم على رأى واحد من غير اكل ولا شرب واذا وجد مع احدهم شيئا من مواد المساس غرم ما لا وهذا من بطلان الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق آراء عديدة على قول واحد دائما او يغصبون على ذلك فوضيا ان يكون ذلك وسيلة للدلالة كان واسطة للجور كما أنهم صاروا يستحسنون تعويض المحكم بالاعمال الشاقة عن القتل مهما امكن وذلك جالب زيادة الشكر كما صرح به معصوم المصنعة وكذلك صادر الاممكون همس المدن وانما على المدائن اثبات مال له والمحكم يوصى له به ومن احكامهم المبنية على العادات القديمة تعريضه للوطى في وعاء من العذرة الى ان يموت وهو من أشد الشناعات عندهم ومع ذلك فهو نقاش في كثير منهم سرايما العاكر البحرية وقد وقع عندهم منعه من قارب ان احدا لا الهى وجد فيه لاعبات جيلات جدا فدعا هن مترفوهن واختلوا بهن وبعد

مدة مديدة مكشفت الحرس على أنهن في أرفع مقامان. شدد البحث عن حالهم
فوجدوا بحكم الأطباء أنهم يفعلون بهم كثيرا. لكن حكم فيهم أشد حكم ولا تتبع الجزئيات
ليكن لا تتبع الافتتاح لبعض العلية وقد بقي على عدم حصر أحكامهم. ثم في مرجع واحد
طول مدة الحكم وكثرة المصارف عليهم أن يزيد مما يوجد من الطول في محاكم أوروبا التي
تطول فيها النوازل جدا ومن أحكامهم اباحة زنى بالتراضي مثل ما في غيرهم. لكن يمكن
أن يقال إنساء عليهم أعنف من غيرهن في الممالك الأخرى ونساء أواسط انفرانيس على
ذلك النحور ما عدا هؤلاء فلا ترد أحداهن تعريضا لا ماقبل بل وربما فاحت هي
الرجل

- مطلب في المعارف بانسكال تيريه لا يخفاء أن امتداد الثروة مبنية على كل من العدل
والعلم فعلى قدر ارتقاء ذلك تنمو الثروة وما تقدم من أجل حال ثروته. ثم دال على حالة
المعارف عندهم وأصول المعارف هي الموجودة بغيرها من الممالك السابقة وتقدم
تعالجها إلى التقاسيم الموجودة في فرنسا وأعظم المدن التي توجد اليها من حبات الارتال
لإقامة التلاميذ مدارسها هي مدينة كبريج وواشنطن وفوردوا كثر أنساء الاغنياء
يقعون به إلى المدارس ولهذا كان كل من البلدين غالى الاسعار إذ أغاب التلاميذ يقعون
أوقافهم في التلهي والتفاخر والوسيلة اسم التعلم وقل ما يبيع أبناء الاغنياء في العلوم
لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهد المطبق ومما اختلفت به أنسكال تيريه وجود
جمعية دينية لتشر مذهبهم البروتستانتي وازفاق النفقات الباهظة على إرسال الرسل
● لتصير الناس في أقسام الارض وحماية دولتهم وراهم فيغرون الناس بالمال وبالاحتثات
الدينية وبتقوى المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد بدلوا من تطاوعهم في الهند
لتبديل عقائد أهلها وحصلت مع المسلمين مباحثات شديدة وكان الانتصار فيها والله الحمد
للمسلمين حتى أنه أسلم بسببها كثير من الجيوش بل في هاتاه المدة أسلم أربعة قصوس من
الذين تصدوا للفرع والمجدل بسبب صدق الديانة الإسلامية وروسخ العلماء هناك
وتجبرهم في العلوم ثم إن أسباب فيسير نشر المعارف في تلك البنية كثيرة سهلة المنال
فقد جروا في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م انه يوجد بلندره وحدها ٨٧١ مطبعة
و ١٦ معمل لصنع المكابس التي تشغلها الآلة فضلا عن معمل مكابس البضار
(وتسمية) معمل لا لتأطاعاء الجبرلة روف و ٣٣ معمل لصنع مكابس المطابع
المجربة ٢٢ معمل لسبك الاحرف ولوانها وكل مدينة فيها من المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد المكتبات التي بانكلا تيره ٢٠٠ مكتبة فيم ان الكتب المطبوعة ٢٨٧١٤٨٣ ومن الكتب التي بالخط ٤٦٠٠٠ وأعظم هاته المكتبات مكتبة لندرة الكبرى وهي ثمانية لمكتبة الامة في باريس ومن أهم وسائط المعارف والتجارة والحريية عندهم الصحف الجبرية وهي على أنواع في الموضوع فتمت الخاص ببعض فنون علمية كالطب والكيمياء وغيرها والاعراض عام في الفنون والعلوم جامع للعلوم والاعراض والفنون والتجارة وأهم صحيفة من هذا النوع صحيفة التيس وكان أول انشائها سنة ١٧٨٨ م وكانت لجل خاص ثم صارت ذات اسمهم للشركين ولم يزل حفيدهم فيها حصص منها وصارت لها آله تطبع منها ستين ألف نسخة في الساعة الواحدة مع طبع الحساء في نحو كتاب ذي ثمان صفحات أو ستة عشرة صفحة والورق الذي تطبع عليه يوقى به مائة رفاعلي فهو اسطوانة فتأخذ الآلة وتخرج منه مطبوعا مطويا ويأول كل قطعة من الكاغذ قدر ثلاثة أميال إنكليزية ويوضع لها من تلك القطع من الثلاثين الى الاربعين قطعة بحيث لو وصلت ببعضها لمتحدة تبلغ مسافة مائة وعشرين ميلا في طبعة الصباح وحدها وقارة طبعة فائيا وثلاثا واربعا اذا كثرت الاخبار ولها خمسة مطابع والانشاء وغيرها بمائة عامل نصفهم مخدومة النوار والنصف مخدومة القيل ورئيس المنشئين مرتبه مائة ألف فرنك في السنة تقوز بزيادة على المنشئين الرسميين بالمرتبات كل من أتى عمالة في أي موضوع كان وحسنت عند المديرة فانه يعطى صاحبها الجرا علميا يبلغ الى الالف فرنك على المغالة الواحدة وله في مسأوق الاقطار كاتبون جريبات واقرة ولهم أعوان وكاتب وادارة مثل سفارة لدولة من الدول ولهم اذن في صرف كل ما يلزمهم لاختاد الاخبار واصلها للادارة بزيادة على مصاريفهم الخاصة فيصرفون احيانا على جرح خبروا وحسب ذلك اليك بانه ثلاثة الاف فرنك وازيد بل ويرشون من برقي من متوقفي الدار لاطعائهم الاخبار العربية وقد حصلوا في بعض الدول المهمة على لوائح رسمية قبل وصولها الى السفارة برشوة آلاف من الفرنك وهذه المكاتبون يقتبهم الوزراء والامراء مثل متوظفين ويحاورونهم في المواد السياسية وعند وقوع حرب فلادارة الجمعية مكاتبون حاضرون ترسلهم الى ميادين الحرب في المسكرين حتى يخبروا بما يكون وتقبلهم رؤساء الحرب بالحب غير انهم يشترطون عليهم ان لا يخبروا الا بما وافقهم فيحصل من الاخبار من الشقة من مائة تنج منه جملة الخبر وينال هؤلاء المكاتبين من الاخطار ما هو معلوم في الحرب غير انهم يتقاعدون عن مواقع

الرحى وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس المعسكر ومن المعلوم ان لا يحتاجوا احد منهم لذلك الا
اسك. فرة المال فادارة التيمس لها من الدخل والمخرج السنوى ما يضاهاى دولة من
الدول الثانوية مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثين صانيتها أى ثلاثين من مائة من
الغرفك الواحد ولو اشترى الورق وحده أبيض لكان أغلى من ذلك لان ورقه هو من
معمل خاص به فالربح العظيم انما هو من كثرة المخرج مع كثرة الاعلاف وعدد دفع كل
دفعه فهو من السبعين ألف نسخة وعلى نحوونه فى اصول الادارة صحف أوروبا الشهيرة
صكها

مطلب الى الصانع فى انك لا تبيع ما الفلاحة فى متربة للفاية وأكثر ما يستفيد
هو القمح والشعير والبطاطاس وشجرة الدبنار التى تستعمل منها السكر كة أى البيرة وكل
المستفيضة لانك فى حاجة الالهالى فيجعلون من المخرج كثير الاشجرة الدبنار وقيمة
الصنائع اعظمها عمل لان المجد يد باقواعها والسفن والمنسوجات القطعية ولهـم فيها
مهاورة على سائر الممالك حتى صارت أرخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية
لا سيما المستخرجة من صوفهم الرقيقـة المشابهة للحرير وقيمة الصنائع هى دون ما فى
فرنسا فى الحسن والروقى لكن جميع مصنوعاتهم متينة

مطلب الى هيئة المساكن فى انك لا تبيع المساكن فى انك لا تبيع على خلاف الممالك
المتقدمة ذكرها فان هيئة البناء من خارج على نحو ما فى الاسنانة من خروج جهات من
الدور دخول أخرى وكذلك الطوائى تنفتح أبوابها بالرفع الى فوق مع كونها مبركة بيرة
مثل ما فى بقية أوروبا وكذلك الدباركل منها لا يسكن الا عائلة واحدة ولا تترى يد بطاقتها
على ثلاث والبناء كله من الحجر والسقوف والدرج من خشب متين الصنعة والا لصاق
بهم منه ومن أحسن ما عندهم هيئة الكنف واتساعها ونظافتها وان كانوا يحسبون
عليها اجلا وسافا تقدم فى الابنية هو الغالب والقليل مثل بقية البنية الممالك السابقة تم
ان منازل المصافيرين هى أيضا مثل الممالك السابقة غير ان أكثر الواردين انما يسكنون
فى ديار منفردة يحدها الانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق فى أكله على حسب
ارادته والذي يقوم له بلوازمه هو صاحب المنزل فيسا له عن مقدار ما يريد يصرف يوميا
وعن اجال رقت أكله وما هو مشتهر منه فيصرف له على نحو ما يريد يتقدمه خوادم
المنزل الذين هم فى الأغلب من البنات المجيلات ومن أراد كراهيت واحد فله ذلك وهذا
الطريق أرفق بكثير من السكنى فى منازل المصافيرين لانها فى انك لا تبيع غالبه جدا كانتها

معدة لأرباب التعرف خاصة ثم إن حارات السكنى لا تجد فيها حوانيت لبيع أو غيرها من
اللازم بل ذلك من عيب المسكن عندهم والطرق التي بها الأسواق وحوانيت البياعة
لا تسكن إلا لأراذل بحيث يصبح إن يقال إن عادتهم في المسكن قرية كثيرة من عادات
المسلمين في أفراد العائلات وحمايه الديار من التطرق وشدة النظافة في داخل الديار
تنظيمها كل على قدر سعته إما الفروش والأثاث فهو على نحو ما تقدم في الممالك السابقة
من أوروبا وواقعة الإنكليز في البيوت أقف من غيرهم وتلزمهم نفقة تضاهي نفقات
المدينة لشدة البرد وطول مدته ولما رأيت إن بلدانهم كانت أن تكون كلها من الأجر
زال نهبي عما رأيت من كثرة معاملته في الطريق (أما الطريق) في أشكال تبهه في
دون غيرها من أعمالها وبالمتقدمة في المذكور من جهة النظافة والاعتماد بتنظيمها
حتى إنى رأيت في ذات لندره ما يقال ببيع الأبحلة واحدة لا يكاد أهلها تعرف فيه من
كثرة ما فيه من الوحل والطين مع كونه كثير المرور فيه (وهكذا) سائر الطرقات كثيرة
الوحل قليلة النظافة سيما وقت نزول المطر الذي لا يكاد ينقطع ولهذا عوفاً عمل
تليط الطرق بقطع الخشب لئلا أنقلب (وأما تنوير العارق) فهو على نحو ما في سائر أوروبا
لكن القرى الصغيرة في بلاد الإنكليز هي أسوأ حالاً من غيرها إذ كثير من أهلها لا تجد
فيه حافواً لبيع شيء إلا ما تدر من بيع ما ليس من عوزة كفي بما ذكره الشيخ أحمد
فارس في صفتهم في هذا الموضع حتى يكادوا يلحقوا بالوحشين نعم إن طرقت
المدينة والترع والسفن هي هنا أكثر وأما من غيرها ومن الأبنية المعنى
السجين فهو عندهم بل وعند سائر أربابهم على أنواع على حسب الجناسيات
وحسب الأقفال والمكس فعمل الأقفال للتمسك حتى يثبت عليه الحكم أشبه بمنزلة
بسجين ثم يندرج الأمر إلى الجناسيات الجديدة فيضن الجاني في بيت منفرد ينزل له
الضوء من أعلى ويحفظ به الهواء وعلى شغلها وقيامها فرائضها فيدفع الجور والبرد وأكاد
سألم من طعام واحد ويخرج في وقت معلوم للتمسك في البستان الذي حول السجين
لكنه يمنع من الكلام مع غيره مطلقاً فإن خاف الأوامر سجن في محل مظلم بطل
وإذا مرض وجع بال طبيب والدواء فحضرهم سجن لا يقتل
* مطلب في اللبس في أشكال تبهه لبس الإنكليز مثل لبس الفرنسي بل
والثيابات التي كانت عبال في القبايل على الفرنسيات وهم يوفرون مصنوعات
الفرنساويين عن مصنوعاتهم في اللبس واللبس العساكر أحسن من لبس عساكر غيرهم

تخافة وشكلا وان كان على نحو واحد وما كانت الا بغيره والدخان والذباب
في انكلا تبه تنكلاثر جدا كانت الاباب البيض كالعصمان يتساج الى التغير بكثر
تتحقق على التخافة فاحدا اجوا الى جعل رقة القمص ورؤس يديه وصدره مقصودا
القميص وتسلق به بواسطة زر حتى لا يلزم تنبيه رجيع القمص ليجرد وسخ ما يظهر
منه عدة مرات في اليوم وهذه اوان كن موجودا في سائر ارباب السواء عند اواسط
الناس لكن الذي خصت به انكلا تبه هو جعل تلك القطع من ورق مخين ابيض
حيث وجدوا ثمنه وان كل لا يصلح لازيد من البسة واحدة ارفق من ثمن السكان مع
دوامها يحتاج اليه من كثرة غسل الصابون والانشاء والتمليس بالمحيد الهجي
* بمطلب في الاكل في انكلا تبه في الانكليزا كثيرا كلات من غيرهم حتى ان القاتل
منهم لم يعد لها بل كل اربع مرات في اليوم صبا واما قبل الظهور في الساعة السادسة بعد
الظهور وقبل النوم والاخيرة هي الخصاله من الطبخ ومنهم من يأكل ثمان مرات
في اليوم وكلهم على الهوم بسيط اذ هو شربة ومحم خالص مقل أو مشوي أو مسلق
و بطاطس مسلوقة في المساء ليس الا ولا يضعون في الطعام شيئا من التوابل بل يأتون
به في اواني امام الاكل يأخذون غصنة بدون طعم بل حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن
هناك التوابل المحرقة كثيرا كالقفل وغيره مما يستعمله الهندو يأتون الى مواضعهم
بقطع كبيرة من اللبن وهو الذي رأيت في الهوم كما ان الهوم أيضا يأتون به قطعاً كبيرة جدا
بحيث يأتون بخبز بقرة صغيرة كله قطعة واحدة كما أنهم يأكلون كثيرا كالا تفر من غيرهم
من رأيت والمترقون منهم والطعام الشهيرة العامة يأتون بطباخين فرانسوايين وقد
* رأيت باحدى المطاعم بلندن (تسمي) لا كل الانكليز (وتسمي) لا كل المشرقيين
(وتسمي) لا كل الفرانسوايين فبحثنا لاكل الجهة التي يريدونها وكان الداعي ببساطة
أكلهم ولو عند الاغنياء كثيرا الغش في الماء كولات بحيث لا تكاد تجد خبزا من دقيق
المحطة حقيقة بل هو قسيه انواع شتى تركب باتقان حتى لا يفرق بينا وبين الاصل الا
بجلبان كيميائية وكذلك الزبدة فاهي الانسجيم حيوانات تركب مع ابيها باعمال
كيميائية حتى تصير مثل الزبدة (وهكذا) سائر الاشياء الا الهوم وقد كفي كشف الخبا
ما يتعجب منه من غلط الماء كولات وغش وحوول العموم بانواع الطبخ وهم كثير من الشرب
للذكوات الروحية وكذلك السكر كذا في البيرة استدة البرد وقله الخمر وقله حيث
لا يثبت بأرضهم العنب ويخطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التآمر ويكثرون

منها حتى يغمى عليهم بل ان أيام الاحد ترى النساء والرجال سكرى على الطرق ملقون
و يتغوهون بالفحش وبعضهم أحباثا يموتون من كثرة السكر وأهل البصار يمشون
الشاي بكثرة سيميا في السحر ليللا يدعوا لأحبة بعضهم اليه ويختلفون اشربه ويحجلون
في أقذاح الشراب طعاما من اللبون الحامض أو يخلطونه بشئ من اللبن ويأكلون معه
شيثا من الخبز والزبد وغير ذلك من المأكول الخفيفة لئلا يضرهم لا يضعون فيه العنبر وغيره
عما تصنعه المغاربة والمشاركة أكثر ما يضرهم في الأواني من الحديد لا النحاس لانه اذا لم
يبيض دائما ينشأ منه الصدأ القاتل ولذا صار أغلب أروبا يفضون في أواني الحديد
أد النحاس التي يجعل داخلها مطبا ينزع عن الخنزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن
عادتهم في الأكل كل اللحم النتن سيميا في بعض الطيور حتى يصير الطير يكد يقرئ
من الدود الذي نشأ به واذا أدخل الى بيت الأكل زكت أنوف حتى السكاب من قبح
نثر رثته وهم يستلذونه على ذلك مثل سودان أفريقية ومن القواعد الحاربه في عوم
أروبا ان طعم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه في الأقل ومثله الطيور وأهري ان هذا
ممن من جهة تلبين اللحم وقابليته للطبخ واللذذ سيميا في البلاد الباردة لئلا يضر
الحديد الى حدوث أدفي راثمة به فان هذا مضر بالصحة فضلا عن استنزافه (أما لحم الغنم)
وما شاكله فيؤكل في يومه وهو لا يذبل لكنهم ممنوعون من لذة أكل الخروف الصغير
اذ لم يكن يمنع ذبح الشاة ومن سن العام من لا جمل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر
جوهها كفت أضعاف أضعافها وهي صغيرة نعم من أراد ذلك فله ذبح خروف مخصوصه
ويؤدى عليه أدها زاندا للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاعتناء

مطلب في المواكب في انكلا تين المواكب عند الانكليز هي رأس السنة
والاعساد الدينية واجساد المساكين ما تقدم في غيرهم غير انهم عند ذبحهم للذكاة يلبس
الكبراء ذلك الشعر الأبيض العارية ويقبلون يدها على طهر الكف ومنهم من يقعد
عند ذلك على ركبة ورجل وتقبل يد المملكان جارية عند ذبحهم أيضا وزوجة الملك
تعامل معاملة المملكة في ذلك بل وبعض الممالك مثل ألمانيا النمسا كرمها يقبلون يد
الملك أيضا ومن المواكب الشهيرة في لندن يوم دخول صاحب الملك المدينة رسميا
متوجهة المدينة ماربولس وتشكر اعل على ظفر أولا فتتاح بناء مهم عام فحينئذ
يأتي راجا الى البلاط ولا يدخل الا من باب تنبل بارو هو في أول طريق السبت الشهير
فيطلق الباب في وجهه شيخ المدينة فيقدم الملك الى أن يصل للباب فينفخ أحد كبراء

أنبأه في بوق ويدق آخر الباب وتقع خطاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم يفتح الشيخ الباب ويقدم للأنبياء سيف البلاد فيما أخذته منه ثم يرجعه عليه ثم يسير الشيخ في ركابه إلى أن يصل إلى مقصده مع الاحتفال التمام وكال الأزد حامو من المراكب المشهورة يوم تولية شيخ المدينة في كل سنة في شهر تشرين ثاني فإنه يجعل في الطرق حواجز تمنع مرور الجهلات وتغص الطرق بالمخاق فيخرج الشيخ من قصر كادها في موكب حافل ويركب عجلة مؤنقة ذات قيمة بلبغة تجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والكل باللباس الرسمي وتوضع أمامه آلات الحرب على عجلة مزينة بما تملكه الأرض وعلى عجلة أخرى سفينة ذات شراع تجرها دابة أفراس أيضا وتقتصر في الطرق الثمرط وتسمى أمامه وتقف حول طريقه فرق عديدة منهم بعضها يعرف بالآلات الطرب وبعضها ينفخ في ابواق وبعضها يحمل رايات مختلفة الألوان وبعضهم متدبرع بالدروع العتيقة وفي موكبه جميع أصحاب الرتب العالية وشيوخ المدينة المعزول ويلاقيه في الطريق وزراء الدولة وأعضاء المجالس والندوة وسفراء الدول وعند استقراره بالقصر الخاص بيده وجميع الأعيان لولاية فائزته تشتمل على ٢٦٣٧ من معززة المائدة بأواني الذهب والفضة ويحصل أمامه من بهيمة صغيرة من سمك نهر النيل ويكون ذلك اليوم يوماً مشهوداً وذلك الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن أن يكون سوقياً أو فراعساً كبرياً على حسب ما ينطبقه المجلس المأدب وبقاؤه سنة فقط ومرتبه نحو عشرة آلاف ليرة ولا يستغنى عنها لذلته انتهى إذ كل ما تصرف في أهبة المنصب وولائه

في مطالب في اللغة في أن كل تارة في اللغة الانكليزية مستخدمة متولدة من اللسان النودسكي القديم وهي لغة ضيقة مهمة التعلم يؤدون المعاني كلها بالتركيب وقد اشتهرت جداً في أمريكا والهند حتى صار عدد من يتكلمها نحو مليوناً عدداً من يعرفها وليس يستعمل لها لغة له وكانها لغة خلقية لأن أغلب أحرفها حلقية ولا تساعد على انشاد الشعر والغناء إلا بكلفة كبيرة

(٧٠)

﴿ مطالب في القوة الحربية والبحرية والمالية والتجارية ﴾

فـ... رنك

دخل الدولة الانكليزية عدا حكومة الهند والمخرج منه سنة ١٨٨١ نحو	٥ ٧٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠
دخل حكومة الهند والمخرج منه	١ ٦٣٠ ٠٠٠ ٠٠
عسا كبرية تحت السلاح	٠ ١٦٠ ٠٠٠
عسا كرا الهند تحت السلاح	٠ ٣٥٠ ٠٠٠
عسا كبرية وليس لها منتهى شيء	٠ ٠٦ ٠٦٥ ٠٠٠
في وقت الحرب في الخارج تمضى بالاجرة ككائن يدوعند الجمهور عليها فادلهما كلهم بحاربون	
قوة التجارة المائية نحو	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
عدد السفن التجارية الحاملة للراية الانكليزية	٠٢٠ ٥٣٨
عدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية	٠٠٥ ٠٢٧
عدد المعامل ذات الآلات لاسائر المصنوعات في بريطانيا	٠٠٧ ٣٩٤
امتداد صكك الحديد ايام الاجل من الركاب في سنة واحدة ستة ملايين	٠١٨ ٠٠٠
عدد البواخر المدروعة العامة والاحتياطية	٠٠٠ ٠٦١
جولاتها طوفولته وكل طوفولته عشرون قنطارا ومداقها	٣٦٠ ٠٠٠
على حساب المعدل الواحد طوفولته ٣٧	

ال باب ال س ا ب ع ﴿ في جزى رقة م ال طه

﴿ الفصل الاول في سفرى اليها ﴾

لما رجعت من فرانس الى تونس في اواسط رمضان سنة ١٢٩٦ ووجدت انقلاب الاحوال فيها باستيلاء فرانس عليها فقد نشم ولم تقصد نصا فحى الى وزير تونس مصطفى بن امه اسعيل بل رأيت اخبرنى الشر حتى اوصرت الى بعض الصادقين بعزمه على البطش بى ولو افضى الى القتل معنض دابرستان فقبل فرانس اذ كانت خشية من فشو وما طلعت عليه من عزمهم وحول التعطيل لهم جميعا سبقت الاشارة الى طرف منه في ذيل تساهل فرانس على تونس وفي اسباب سفرى ولم نجد عظم الا التخصص برأى وطلبت من ذلك

الوزير

الوزير كتابة اعطاني من الوثائق معلما لبلد في قاجا بنى كتابه بالمتع فطلبت الاذن
 بالتوجه الى الحج فنفعتني اولافا سيجرت اليه بن لم يسعه الا قبول جاهه فانذني قانعا
 بالاستراحة في وشافوني الوالي عنه ودعا عبا يشف عن غيظه الذي ملاه وزيره
 صدره فانفذني الله من شهرهم واتخذت ورقة التجاوز وسافرت اواسط شوال من تلك
 السنة الى الحج على طريق مالطة بحرافة وصات اليها بعد سير الباخرة البردية نحو ايام يوم
 فاذا هي جبال فعدة تترى فيها حيطان من الحجر مرصوفة منتشرة على تلك الجبال وعمرساها
 من اعظم مرامي البحر الابيض اتقانها وصناعة وتحصينا واقعة على الجهة الشرقية من
 شاماني بلاد قالمبا التي هي قاعدة الجزيرة فصعدت الى الباخرة لبعاسرة لمتنازل المسافرين
 وافقت مع سمار المنزل المسمى اوتيل دي باريس على أن يكون سمر اليوم والليله فيه
 عشرة فرنكات سكانا وكلاي ولتأبني والسكني في حجرتين والاكل مرتين لانهم يسألون عن
 كمية الاكلات لما تأنسابه من كثرة الاكلات الانكليزية فدخلنا الى الابلاد ولم يطلب الكرك
 الا لاداعلي الماء كولات وذلك لان السفر الى الحرمين يلزم فيه قطع براري ليس فيها مرافق
 فاحضرت معي من الماء كولات التي تدعى ملائحة في البلدان التي غر عليها ومع ذلك
 كنت خفت ما استطعت ولم تفعل بشاره بعض الاحياء من جل كثير من الوازم فاذمني
 اني اجدتها في البلدان التريية هناك وكان الامر على ما قالوا كلسيا في عمله ان شاء الله
 ولما كانت مالطة ممر حرة لم ابا في سياستها الى يكن فيها اداء على شيء سوى الماء كولات
 التي تؤدى الى الجباس البادي الى الحج البلاد وحيث كنت لا احتاج الى تلك الاشياء في مالطة
 اقبلتها مؤمنة في الكرك واتخذت فيها حجة لكي لا تؤدى عليها اشياء وبعد الاستراحة
 بالمنزل نظرت فاذا بالطبقة السفلى ملائحة مصنادي مكسوة بالجلد الجميل ومساير الفخام
 ومعهما بعض خدم وحشم والطبقة العليا فيها طائفة من المسلمين ومعهم رجل عن اتخذ
 الضربة هناك له فقدم الى وحادتي بكلمات بعضها عربي وبعضها تركي ولم اكن
 اذ ذلك افيهم التركي فاعلمته بانني لم افهمه فمد لي اللعري واعلمني انه من حاشية أحد
 الكتبة بطراباس الغرب من متون في الترك وانه ارسل الى الايمان بعائنه من الاستانة
 فمعهما ربيع بقية الخدم وكذا في حديثه مقدم مرتب متبوعه فظننت انه هازل فحقني في
 المقعد فاذا هو لا يبلغ مائتي فونك في الشهر فتجهيت من الامر كيف يكون صاحب تلك
 البذعة ككتف بذلك المرتب ويتعبل لاجله من الاستانة الى طراباس الغرب مع شدة
 التباين في الهواء والبحر والبردمع علوا لوظيفة عن مقام عال حتى يفعله لصاحبها رغبة في

المبيت فدل على وجود ربح آخر على غير الوجه الرسمي عما يضر بالمدكة والله لطيف
 حفيظ (وهاته) البلاد أعني فالتيقاعدة مالطة متصاعدة في جبل حتى ان أغلب طرقها
 يصعد فيها بدرج وبها طرق رحيبة للجهلات أحسنها واحد يمر من الشمال الى الجنوب
 خارج البلد الى طرفها وبعضه مباط بالخشب لجردة قعيد بلاد لندره والافلاياث عليه
 لامن جهة الموضع المتدب عن عدم انقطاع الأمطار ولا من جهة قورة الجهلات
 المتسكفرة ولا من جهة ترخص الأخشاب اذا مالطة على خلاف ذلك كله وهي على نوع
 البلاد الاروباوية المتوسطة في الكبر والحسن فمرانها متقنة نظافة الطرقات وان كان
 أهواها يولون لبلاتى الطرقات لكنهم يغفلون مكلات الدول كل يوم وبها قصر المحاكم
 وقيمة تارعية فعلى تدرجالة البلاد وليس منها ما يذكرا الامدافع من أول نوع اختراع
 وهي ورقات من نحاس معصبة بمجال ثم ما قوف عليها جلد غليظ مطلى بالقطران طول
 كل مدفع ثمانية أشبار وثار داخله سبيع عقود بقية ما في البلاد ليس منه ما يزد بالذكور
 غير انها حاوية لا مخدج ما في المدن المحسنة مما يرجع الى القديسين على نحو ما في اربوا
 فلا تميز بل باحداته (أما في القديسين) فهي من أول أقسام المرامى والبلدان المحسنة
 بما حولها من الحصون المعصرة بالمدافع الضخام جدا مع الكثرة وجدها طامة فوق
 أخرى ما ساعد على ذلك من الجبل فهي حصون مخوفة فيه لا تخشى القنابر ولومون
 أعظم المدافع بحيث يصح أن يقال انها لا يمكن لها اجم اقتحامها أو اخذها بالحصار
 لاحتمالها الى القوت من خارج فم يلزم طول مدة الحصار لانها مركز متوسط في البحر
 الابيض فبقيت اليها القنابر من البحر الاسود وغيره ويخزن فيها من الحبوب وغيرها ما يكفي
 أهلها عدة سنين كما انها تغفل مرصاتها على معمل مهم للسفن واصلاحها مخوية خزائنه
 على كل المواد اللازمة لها وبها مرسى أخرى تدعى مرسى موشيطوكتها مرفقة عن مرسى
 الشط وهي مرسى الكرنيتنة أى مكان إقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض
 المستعصية وهي دون الاولى وحولها ما كان مقصودة على أقسام على وجهه يمكن به
 الاحتراس من مخالطة السكان بعضهم به عن وهي مساكن لا ناس بها كايو جند خارج
 البادية مقبرة اسلامية موهلة بسور ولها باب مغلق مقناحه عند امام الجامع وهو جامع
 ظريف والامام يقيم هناك والقائم بالجميع الدولة العثمانية له كثره ورود المسلمين الى
 هناك حجاجا وتجارا من الشرق والغرب فاقم ذلك الامام للهلالة بالجامع وعلى من يموت
 ليكنه عوضا عن سلوكه ملك الديانة كان مقبلا على الخنا والجناح معطل والله هادية

الامور وعند مروري على حوائطها وجدت بها أسرة من حديد صغاراً خفيفة نفقا حتى يصير الواحد في طول ذراع وغذاً مبعقة - دو يلق في المكان الثمين الذي يفرش على ظهره لانه مريح فاحذت منها اثنين للرحلة في الحجاز وفقشت على معمل صغير يمكن حمله بسهولة للرجل فلم أجده هناك ولا وجدته شيئاً يحتمل اني لا اجده في غيرهما فكتبت بذلك وسافرت منها بعد الاقامة فيها ثلاثة ايام راكبا باخرة تجارية انكليزية متوجها الى اسكندرية

الفصل الثاني

في التمر يف بالمطلة

- معنى هذا الاسم ثلاث جزواقعة في البحر الابيض على دققة ٤٥ درجة ٢٥ من العرض الشمالية دققة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقي الجزيرة الاولى تسمى فالينا وبها خمسة عشر قرية اكبرها فالينا التي هي القاء - دة والجزيرة الثانية تسمى (أدوج) بها ستة عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى كونيقة وبقرى اخرى تسمى فالقة وصفة برتان ليس بها سكان وانما يقدم اليها اهل الجزيرتين الاخرين للفلاحة بهما واختلف الجغرافيون في المواقف المأطنة منهم من جعلها من افرقيسية ومنهم من جعلها من ارد بالقرى بالكل منهما (وكل هاتين) الجزائري جبال صفرية غيران جبرها لئن سهل النعت فاذا جف بالشمس تصاب نوطا ما فارضها غير جيدة لكن اشدة العمل والمعالجة صارت صالحة لزراعة كل النباتات التي بالبلاد الحارة (واما جبالها) فليست بمرتفعة وليس بها بالكافي وليس بها غير الا ما يحدث عند المطر من السيول وليس بها بحيرة (واما ماؤها) فتوجد بها عينان ضعيفتان (احدهما) بالجزيرة الاولى (والثانية) بالثانية ما زعمه اعذب شوب بشي يسير من الملوحة واكثر شرب اهلها من ماء المطر المخزون في دها البروجار (واما هواؤها) فهو اميل للبراقرةا من المنطقة الحارة وتحدث فيها الالام بقاءا بمطار كافوا القرب مع عود وبروق هائلة رنة تكشف بسرعة ويحدث ذلك ما لو صيفنا الا انه بقله فيه واما في الخريف والشتاء فهو كثير الهواء عريف مضرب بالصدر كثير المندى حتى يفسد الماء كولات وغيرها الخزونة في أماكن قليلة تتغير الهواء (واما نباتاتها) فينبغي بها اثر البقول وهي جيدة والقمح والشعير وغمرهما من الجبوب ويحمل فيها خصب متوسط كما يندب بها القطن والعنب والمان والاعيون وغير

ذلك من الاشجار التي تجعل المحرول محتاج الى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما
 ينبت فيمن اشجار لا يرتفع على وجه الارض الا سيرا فترى الخنوب الذي يكون في
 تونس الواحدة منه مثل قبضة شاة هوفى ماطة لاصق بالارض لا يكاد يبين
 (وهكذا) سائر الاشجار وبهظمها الصبار جدا (واما جواناتها) ففيها الممر المحسن كثير
 الحلب وبقية النعم يجلب لها من خارج ويعلق علفا لابلان الرعي امدم المرحى وبها
 المحر بكثرة البقال والخليلة (اما الحيوانات) الوحشية فليس بها الا الارانب ومنها
 نوع انسى بعظم وبربي والسماع منقطة والطير الانسية كلها امر بارة عندهم ويوجد
 بكثرة العصفور الاصفر المحسن الصوت المسمى بالكناقور البرية قليلة الا بعض الرحالة
 كالهسان (واما المعادن) فليس بها الا الحجر ويصنعون الملح عند شاماني البحر بحملة
 صناعية (واما مدنها) فهي قاعدتها المسماة بقالتا والبقية قرى مجوعة أحادي
 وثلاثون قرية أهم ما فيها الكنائس (واما مراسيها) فقد تقدم ان بها مرستين عظيمتين
 جندا ومعداهما قناتاهو مراسي طبيعية حول القرى للقوارب وماشا قانها (واما اهلها)
 فعدددهم مائة وخمسون الفا كلهم مالطيون وبينهم قليل من اهل ابلان قبارا
 ومن الانكازين عسكريا وبعض منوة فبين ومن العرب افراد تجارا او محترفين واصول
 الالهائي على غالب الظن من بربر تونس وديانهم نصرانية على مذهب السكاكوليك ولهم
 غلو شديد وانهم لا في اعتقاد نوافات

الفصل * الثالث

في تاريخ مالطة

يطلب في التاريخ القديم أول من سكنها الجزيرة الفينيقيون وسموها جاجية
 ثم عهرها البانيقيون وسموها ماليتة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي سنة ٨٢٢
 ولم تزل دولات المند تولى على ايطاليا تتوالى عليها ثم سلطوها القوط جاجيين ثم رجعت
 للرومان ثم ألحقت بالدولة الشرقية وراسا ظلموا الالهائي واشتد وطأهم استعانوا
 بالمسلمين فاقبضوها المسلمون به وهرم البحر من تونس اليها والى صقلية في المائة الثالثة
 هجرية ولاقوا من اهلها احبسا ناثورات شديدة الى ان تم الاستيلاء عليها ونقلوا اسمها
 الى مالطة المعروف الآن وكانه مصف من الامم اليومي السابق وبقيت بأيدى
 المسلمين نيفا ومائتي سنة ثم لحقت بصقلية تحت تلك عائلة النورمان ثم التحقت بمملكة

النمسا

النهـ الملقبة اذ ذلك امر اعمور به زمانيا ثم المحقق بفرائضهم شأبلى ثم اسـنولى عليها
نابليون الاول واخفى بفرائضهم عند حرب الدولة العثمانـ سـلفـر اسانى مصر وقـرب
انـكـلا تيره لادولة العثمانـ فاستولت انـكـلا تيره على مالطة

● ثم طلب في تاريخ مالطة الجديد لما ساء الفرسان يون الى اهل الجزيرة بانتهاك
عوائدهم وكذا اسـمـهم نار واعلمـهم ثورة شـديـدة واستـمـجدوا الانـكـلـيزـيا عاقـوهـم ورسـلوا
الحكم اليهم وكان ذلك في سنة ١٨٠٠ ولم تزل حكومة الانـكـلـيزـيا مستقرة هناك واغاب
الاهالى ما تلون اليهم عن طيب نفس

● ثم طلب في سياسة مالطة الداخلية في الحكومة انـكـلـيزـية يعنى ان المحصون والقـشل
يـدعـسا كـر انـكـلـيزـية وانما كـم العام انـكـلـيزـى مراعى للاهالى وعوائدهم حتى انه يـتـمـرى
لهم اـحـانا ويرسل لهم ما كـم على مذهب الكاتوليـكـ من اهالى ارلانـد وقد وقع ذلك مرة
عندما تعرض احد الحكام البريطانـت لـمـم في احد اعيادهم فاشـتـكـوا منه
وعزته دولة انـكـلا تيره حالـه وعوضته بكاتوليـكـى ولا تزال تراعى لـمـم ذلك وهو عـفـهـا
احدى الكبر لسا مـر بـلـك من قانـوـمـهم وعوائدهم حتى في التـمـصـب لـمـم البريطانـت
وذلك لما كـم بـقـى في وظيفته خمس سـبـين ثم يـبـدـل بغيره الا ان تـطـلـب الـاهـالى بـقـائه ثم ان
تـصـرفه مـقـبـد بـمـشـورـة عـشـرـة من اعيان المـالـطـين في كل ما يعود على مصالحهم وحالة بلادهم
وكل المتوظفين في السياسة والاحكام هم من اهل مالطة الا الكاتـب الاـزـل لـمـم العام
وجميع دخل الحكومة لا تأخذ منه دولة الانـكـلـيزـيا ولا دانتا واحدا بل كله يصرف في
مـصـالـح الـاهـالى وعـسا كـر الدولة تصرف عليهم من خزـيـنتها لا من دخل مالطة والاحكام
الجـار يـدهـى اصول القانـوـن الانـكـلـيزـى عـتـز جـا بـا بـصـلـح الـاهـالى ووعـطـا بـقـا الـمـادـاتـهم حتى
ان احترام يوم الاحد الذى يلزم في انـكـلا تيره غاقـبـجـيـع الـدـكا كـيـن قـبـه لا تـرى منه
في مالطة شيئا فتأمن ان الحكومة مشورية قانونية والاحكام الشخصية منفردة عن
الادارة العرفية واسـمـ الحكومة الانـكـلـيزـية وحقيقتها اهلـية غير ان اكثر الوارد من
الانـكـلـيزـيا واهـا كـلـو متوظفين او غيرهم يـتـكـبـرون كبر اعظم على الـاهـالى لا سـتـقـار
عاداتهم بلدهم فأورث لك كـر رطاع الـاهـالى لهم وان لم يـقـدر واحد من الانـكـلـيزـيا على
ظلم احقر الـاهـالى

● ثم طلب في السياسة الخارجية مالطة في ليس في مالطة من سياسة خارجية تـتـمـر
اذى لاحقة بانـكـلا تيره وانما في قاعدتها فاسـل لكل الدول الكبيرة مراعاة لـكـونـها

ماوى متوسط بين المشرق والمغرب فتأوى اليها السفن المارة لكلا الطرفين وليس
لاؤلئك القناصل من شئ سوى قضاء ما يحتاج اليه اتماع ولهم اذا حكم في البلاد جاز على
المجمع سواء من دون دخل لقنصل فالقناصل أشبه بوكلاء تجارية نعم لهم فائدة في الاعلام
بالحوادث السياسية ان حصلت هنالك ولذلك كانت أغلب القناصل هناك أصحاب
وظائف شرف لا وظائف عمل فكثير منهم لا مرتب له وانما لا يكون من ذوى الثروة يقيم
برسم اشارة الحكومة المنسوب اليها على باب داره لمجرد الفخر اذا لا فر نفع مطلقا سواء كانوا
من أهل مالطة أم من غيرهم لهم ولوع زائد بسبب الغفر فتراهم يتهاقرون على نباشين
الافتخار وعلامات الامتياز ولون دولة صان مارنيو التي هي عبارة عن أربعة آلاف
نسمة لينبوا باسم دولهم في المواكب أو يتفاوت في ستراتهم غرات على شكل الوردة
ذات ألوان مشيرة الى ماعندهم من علامات الامتياز فاذا دخل الزائر مقلدا تلك الوردة
قال من المزور زيادة المراساة ولون جارية لندره وطعارة باريس ومن متخافة عقول
بعضهم أن يتخذ تلك الاشارات وسيلة للتدجيل على النساء حتى تعشفه للزواج أو غيره
بناء على انه من عليه الناس وقد نشأ عن هاته الرغبة في النباشين ان بعض الدول صار
لا يعطيم الا بشمن لذات النبشان الذي هو أزيد من قيمته وزيادة على ذلك صار بعض
الدول يعين لافرائه في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النبشان ليلبيعه
ويستعرض بشفعة عن أخذ مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل
له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة يسوغ فيها تدخل السفراء والقناصل في الاحكام
المعطلة في بقية عادات المسالطين وأحوالهم لما تقدم لنا السكالم في الممالك
السابقة على بيان أطوار الاروبا وبين عاداتهم فلا داعي الى الاطالة بالاعادة على غير
فائدة لان مالطة قطعة من مملكات أروبا واجمال أطوار أهلها على الهرم مثل أطوار
سفلة الطليان والاعيان منهم مثل اعيان أروبا سوى انهم يزدون عليها بحكمة لاس
الخواتيم في الاصابع ونسأؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يجهلن على رؤسهن
رداء أسود مدلى جهة اليسار وبسكن طرفه الأيمن بايديهن
وكذلك لفتهم عن الافة لغيرها لانهم احريرة محقرة
جذام دخول فيها كثير من الافاق
والاصطلاحات
المانية

الباب الثالث من في الاقطار ال مصرية

✽

في الفصل الاول في سفرى المالح

بعد ان اقامت بالطه ثلاثة ايام فنتظر سفو باخرة قوا الى الاسكندرية حيث لم يكن بينهم ما
 بواخر بريدية قوا وانما البريدي سافر الى ايطاليا وغيرها من جهات المشرق ثم يذهب
 الى الاسكندرية ويلتزم طول مدة السفر فلذلك اشدت باخرة تجارية من بواخر الانكليز
 التي تتوجه الى هنالك بكثرة فوجدنا واحدة شهوة بالفتح المحمري انزات منه ما انزات
 في ماله وجات المساقى الى الاسكندرية والكراهة في أمثالها أربعة من بواخر
 البريد لانه راجع الى السفن حيث ان اصحابها ليس لهم الامحولات التجارية التي هي
 موضوع تشغل السفينة فلم يكن بها الا الطبقة العليا والاخيرة للركاب وليس بها
 المتوسطة وهم امثل طبقات البريد فركبنا الى لان الباخة عند تمام افراغ شحنتها سافر
 من غير تأخير ولكن لم تسافر الا صباحا بعد النروق واسفت من ركوبها المسارأت بها
 من الوسخ سوى داخل البيت الكبير فانه نظيف ومثله حجرات النعم ومن المعلوم ان
 الجلوس به دائما مقلق لكنهما مضى من وقت السفر أربع ساعات الا وقد غسل ظاهرا
 الباخة غسلها كواشف فصارت من أنظف البواخر والمحى أن يقال ان بواخر الانكليز
 مطلقا أشد نظافة مما يسمونها من غيرها اعنى كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك انى كنت
 رأيت بواخرهم الحربية مجتمعة مع غيرها من البواخر الحربية للدرل السكير عند قدومها
 الى تونس سنة ١٢٨٠ في الثورة العامة فاذا بواخر الانكليزية انظافة وكذلك
 البريدية والتجارية ويلهم في ذلك الفرنسيون ثم اسحق السير والبهر في غاية السكون
 وكان معنهم الركاب في الطبقة الاولى انسان انكليزيان لهما امر فذالتصوير فكذلك
 أن لا نرى بشي الاوصوراء من طير أو صباب أو سفينة بل وكل من في الباخة حتى كان فيها
 في الطبقة الاخيرة على ظهر السفينة اناس من المغرب وآخرون من صفاقس فكاهم
 متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهرا الباخة يؤمرون بالانتقال من مكان
 الى آخر مع حمل رحالهم فيكبون في أشد التعب مع الدوران لحاصل لبعضهم بعض
 البحر فصورهم على تلك المشقة والجهد الجهد والناظر الى حاله عزلاء المجاج
 شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلحون وصلاة
 واحدة مثل فريضة الحج وتركهم لاصلة ثلاثة يأتي من نجاسة ابدانهم من تقوطهم بلا

اسمهم ومن المياه الملقاة عليهم بغسل السفينة ومن عدم وجود مكان للصلاة لانهم يمنعون
من تعبوا وزم مكان جلوسهم ومع ذلك وما يلون معاملة الحيوانات البهيم من الخربتين
بالاهانة والسب الى غير ذلك وايضا يعزى بعضهم الدور البحرية فيبقا ما في مكانه بل
منهم من ينقو ويول فيه وتصل نجاسته لمن يجتبه فلما رأيتهم في سائر تلك المحال
ذهبت اليهم وأعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب الحج وشروط الاستطاعة فيه وسألتهم
لماذا يدعون عن ركوب الطبقة الوسطى في بواخر البريد وفي العايات المسمع أنهم ليست
بغالية وبعضهم تظهر عليه آثار الثروة فأجابوا بأن ذلك المذاب لا صبر فيه لانه مدخول
عليه في السفر الى بيت الله بل مهما زاد كان ثوابه أكثر وأصرر على ذلك منكرين
على قولي فعدلت عن ذلك ولا طقتهم في المرافقة على الصلاة فلو كيف نصلي ونحن على
هاتئ الحالة وأين نصلي فقلت لهم انكم مالكيه ومذهبكم يرى صحة الصلاة ولو على ما أنتم
عليه لان ازالة النجاسة تجب وقيل تستحب فقط مع القدرة والتذكير فقال لي واحد منهم
اني أصلي كما رأيتني فقلت نعم رأيتني نصلي والآخر قال لو لم يكن بيتك كونهنا تطهر
فانما نصلي فطالعت لرئيس الباشا الى أن أذن لهم في التمسح واستعمال المياه في
المرحاض فقط لكن أغلبهم مع ذلك لم يصل وقد سألتهم ايضا عن موجب كثرة رحلهم
حتى ان بعضهم رافع جرة كبرى ملفوفة بشريطان الخلفاء لاسوق قرية عن البلاد والقديد
الى غير ذلك فقالوا ذلك لقوتنا فقلت انكم متوجهون الى مدن ان لم تكن أكبر من
مدنكم فهي فهو ولا بد ان يكون لها ما يكفيهم فهل اوسعكم ما وسعهم وزاد الطريق
في البراري يؤخذ من أقرب مدينة اليه فقالوا بلى لذلك الثمن وهذا الذي عندنا انما هو
من ييوتنا فقلت لو بعتهم هذا وأضفتهم اليه كرامه لجه بخر او برال كان أرضهم عليهم من
شراء الزاد من الاماكن اللازمة فقالوا ذلك بلاد لا نعرف أحوالها والاولى التزود من
أماكننا وهكذا اجبت العادة فقلت ان تأمير العوائد أمر صعب جدا وفي غروب اليوم اراهم
وصلنا الى الاسكندرية ولم يظهر لنا منها شيء لان أرضها منخفضة ولا مجال بها حتى يمكن
وقوفهم بها بعد حيث كان وصولنا بعد هذا الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن اليها
الا بعد عيدها الطريق حيث كان قرب مرصها فحضرات لا تبين من البحر وتضر بالسفن
اذا صادها تهازم حضروا ولما الهداة لبدلوا السفن على الطريق ولهم على ذلك أداء
معين فلزم الباتون ان تكون طول الليل غادية في القمحة في ضوء ميلان ولم يظهر لنا من البلد
سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الهادي في قارب قدام الباشا فامر من

عنه المحدث محققه وان بدأت مشاهدتي لتعاظم الافرنج على المصريين وتبين ان السفن
كان عالميا بالاطلاق وبقى لكنه انما توقعه من الدخول لمجرد الرسم فدخلنا المرسى فاذا هي
ذات مأمن ودات مرسى صناعية فيها من بواخر الحكومة المصرية الى جهة خاصة ثابتة
بواخر كبار كلها خشب وفيها من البواخر التجارية الاجنبية ازيد من عشرين وفيها
بواخر حربية اجنبية فبعد تمام الارصاد واخذ الاجازة للباخرة من مأموري المصلحة في
انزال سلعها وركابها اذن للركاب بالنزول وذلك لان من القوانين العامة ان كل سفينة
تسافر من مكان يلزمها ان تأخذ من مأموري المصلحة به الذين لهم ديوان خاص صكا
من موصا به حاله البلاد التي سافرت منها من جهة الامراض العامة ومقدار ما في السفينة
من الركب وأنواع البضاعة التي بها فاذا وصلت الى مرسى مقصودة لها اول ما تلاهاها
مأمورو المصلحة فمطالعون ذلك الصك ويبحثون عن صحة الركب وعدد دهم فان لم يوجد
بها شيء مضر اذنت بافراغ ما تريد في تلك المرسى فاحاطت بالباخرة القوارب الغفيرة ونار
بجهاج الصياد من اصحاب المختارين من اهالي وافر فتح في النزاع على كل الاعمال
والركاب ولم يارب الامر متفقا فاضم الى خوريتوا بالباخرة عند فترات رحلي وبعلت
حارسا لها في زاوية لان اصحاب القوارب كلوا محتطفون ارحال شامسا صاعدا الى
من غير مسامرة لاجل ذلك خافهم في اى بلد كانوا ثم بعد الوصول يطلبون الاجراء ما
مضاعة ولما نزل جميع الركب مع رحالهم ولم يبق حول الباخرة الا قوارب السلم التي
عهدت بها على القمري دعوت قاريه او اتفقت معه على اجرة معين واعانني على ذلك ابن
وكيل حكومة تونس الحاج علي الفيزاني رحمه الله حيث تلقاني في الباخرة بعد ان ورد
تأبوه سائلا عني وطلبته احدى اولئك القاريين فاقط خبري لان حركته لا تقدر عليهم ثم
لما وصلنا الى القمري بالبورقة الجواز وكادت ان تحصل لنا اعاب بمنع الدخول الى
الاسكندرية حيث كانوا ينعون دخول من يريد الحج وانما جعلوا لهم خارج البلاد مكانا
مجاها بالبحر كبحيت لايسوغ للوارد الا الى كورب في البحر او طريق المدينة اذ الى
السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار الغربية للعبع بالمال ولا زاد
قيمة كانوا يبيعون حكرهم او اهلها اعباءه فبطلت الادعاء اليه لاشترعا
ولا علة لان اصل فرض الحج معاني على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا يسوغ
الاقدام على المسعى بدون شروطه نعم اذا وقع لعارض فقد سافر الى ارضه يومه في
الرجوع لو ياتيه اول محل ماله او اقامته في بيت مال المسلمين قسم معين بغض السكك لاتباء

الحبيب ل فيعطون حاجتهم الى بلوغ مكانهم ولو كان ابن السبيل غنيا سكنه في ذلك الطريق لا مال له فتداركنا الله باطفاء واذا كنا المكاف بالدخول للبلد فظنوا الى رحلتنا وأرادوا التشديد في تفتيشها وقلب عاليها على سافلها فمطلبنا الاحسان اليهم فلم يسمعنا الا التخاص من الظلم يدفع شئ من اسأل ارضك بالاخف الضمير من الخوف من تشييت رحلنا والسفر فقهنا مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الا فرجني المهي أو تيلدي روبر في أكبر بلعاء البلاد بعد مدة فقه في التخلص من النزول عند وكيل تونس الذي لا داعي اليه سوى تجهيله الكلفة بالضيف والمصرف عليه مع تكليف بلزوم مراعاة احواله وعاداته بماء اه لا يوافق حالتي وعاداني اذ لم تكن لي معرفة به فقط مع ما انا عليه من المرض الملازم الذي اشتد منذ جوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية فلم يزلني المصاعذ تلزاجي في الاكل والنوم وغير ذلك مما يحمل مضيقا مشقات أو يضرب في تركه فاكترت في ذلك المنزل بيتا واسترحت به على مساعدتي واغذيت في حمامه واكثت وغث ثم أكثرت بحيلة وقصدت أخني في الله الصغوة الخيرية على الاخلاق والاعراق

سيدى ابراهيم السنوسى الحسيني وهو المحدث البليغ المتفنن في علوم المنقول والمقول والسياسة صاحب الادب الاق المطابقة لانتسابه العالي لشأن بيته الاصيل بعديفة فاس البيضاء قاعدة مملكة المغرب وحصل من العلوم ما استكمل به سفره ثم رحل الى تونس واقام بها بضع سنين وامتزجت به أفاضلها واعيانها سامتا من بين بلغاء وادبه وكاد ان يتخذها قرا لوالهنة التي وقفت مائة سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعت اليه مقتضيات الاحوال من فساد الحكومة واستقرارها لا سكونا به مشغلا على كماله وفضلته وعفافه واتسعت نعم الله عليه لازال اهلا ليل كل فضيلة فلا يقته في الطريق

والزمني بالاستقرار في مقرو حيث كانت الاسباب المشار اليها آذنا في التخلص من الضيافة مفقودة مع أخني الفاضل الموهى الله لامن جهتي ولا جهة ساعدت مراده وأقمت عنده

سبعة أيام ولايت أفضاخي في الله التي انقضى السكامل رسمه باشا التوسى وهو الفاضل العفيف النصب ورح الموقن نشأ في بلاد الجواركة من جبال القوقاس وفد على تونس دون سن العشر فادخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم وذهب كاف من العقائد والعبادات والتجويد والنحو والحساب والمنطق وغيرها من الفنون الزاينة والحريفة مع تفصيل اللغة الفرنسية ومعرفة اللغة التركية وناقل علم النصوص ثم تقلد الرتبة السابعة في حكومة تونس فولى أمير لواحسة الأمير ثم

ثم وزير فيها وعضوا في المجلس الخاص والمجلس الأكبر وكان من أشد المهام من عن العدل والشورى ولما وقعت النكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ وما نشأ عليها من المظالم سافر المشاريح إلى أوروبا ثم رحل إلى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وقلد وزارة الحرب مع توطئه في كل من المدينين بولايته عاملا على أعمال نيابة بحرية والأعراض وغيرهما وسافر مرارا أميرا على المعسكرات لأقرار الراحة والأمن في الولاية وفي كل مائة بلد به كان مستقيم السيرة والسيرة مثنى عليه بالن الخاص والعام ولما ابتدأت النكبة الكبرى الأخيرة لتونس ورأى مباديها ترخص من الوالي السفر للتداوى فأقام في أوروبا مدة ثم أقام بالاسكندرية فلا يقته بهم في إحدى المنازة الكائنة بالملية ولهم مات من البكل الدموع لما توقعناه لوان العزيز ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد أعنى اسكندرية هي ثاني مدينة في القطر المصري وهي مناخ تجارته مع سائر الممالك التي على البحر الأبيض والمحيط الغربي وبها حصون حصينة وقنلات للمعسكر ومكاتب عديدة لسائر الفنون وقصر للخدمى بقرب المرسى أنيق فاعر ومتنزه عام خارجها بالاسكان المسمى بالحمودية وهو متنزه به جنة اندفائه الموسيقى الرسمية في الشربة ولكن أكثر من برد اليه اغناهم الا جانب وفي الحمودية طريق وسبع صناعات حولها الاشجار العظيمة يعمها في المتفرقون بها لاتهم وبقر به فرع من النيل وعليه آلات بخارية لرفع المياه وتصفيتها وتقسيمه صافيا على البلاد في قنوات وأغلب طرق البلاد مغطاة بالمخارطة حسنة المنظر سيما حارات الأفرغ التي يوسها البطحاء الكبرى ذات المنجنية والفوارات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الخوانيت المزخرفة ويوسها صورة محمد على باشا بحسنة ضخمه كانه راكب جواده وأغلب طرق البلاد في حارات المسلمين ضيق وماعداها فهو مقسع وهم امن الجوامع الشهيرة جامع الامام البصري رحمه الله وهاته المدينة بناها الله كندر المقدوني وهو الرومي اليوناني الذي نشأ في مقدونية المروفة الآن بالرومية في بلد فيلبس وهو تلميذ أرسطو الذي أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عند انتفاخه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة وقال له الحكمة الماثورة الى الآن وهي اقمهم تحكم قال في الاقياسوس وليس اسكندر هذا باي سدأ جوج فان ذلك من الملوك المرويين بالاذوا من قبائل جيري بلاد اليمن واسمه الصعب ولقبه زوالقرين وافي ابراهيم الخليل وعانقه كافي الحبيصين واطال في ذلك فليرجع اليه من اراده وهذا ما يزيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة وثله

المحمود وقد سماها الاسكندرية بالاسكندرية باسمه وكانت هي قاعدة الاقطار
 المصرية الى الفخ الاسلامي وكان تحصنها جزيرة يقال لها جزيرة فالوس فاصالت بالبر
 برصيف يدعى بطليموس وهي الآن جهة رأس النين وفي الشمال الشرقي منها بنى المذكور
 منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها اكثر من ١٥٠ قامة وأحد جوانبها يزيد
 عن ٥٠ ذراعاً وكان أنشأ عليها أحد ابن طولون قبعة من خشب فأخذتها الرياح ثم
 أصحلت المنارة لتنداع بها الملك الظاهر يبرس وبني عليها مسجد انهدم بزلزلة ثم جدد ثم
 انهدم المجمع وبني بجمعه الفخاير الموجودة الآن من آثاره على باشا وقد كان أسس
 به بطليموس الاول خزافه كتب بعد اذ ذلك من بحساب الزمان تحتوى على ٧٠٠ ٠٠٠
 مجلد وزعم بعض المفتين من المؤرخين ان أمير المؤمنين سيدنا عمر أمر بحرقها مع انها
 احترقت قبل الاسلام مدة مديدة لان الذي أحرقها هو بولس قنصل الرومان عندما كان
 محاصراً بالاسكندرية ورامت أعداؤه الاستيلاء على سفنه فأضرم فيها النار وكانت
 بقرب من النهر إلى المكي الخنوى على الخزنة المذكورة فاحترق المجمع كذلك في جغرافية
 مصر لكري قال ومن المحقق انه بعد مدة من الزمن كان انطاوان الروماني أهـدى
 الى الملكة كلبوطرة من كتب خاتمة براجام ٣٠٠ ألف او ٤٠٠ ألف كتاب فحجذ
 بذلك خزنة كتب عظيمة وان كانت دون الاولى فأصابها الحريق مرتين ثم دمرت
 بالناس بواسطة المتعصبين للدانة النصرانية لازالة أوكارهم مدة الاثنان في هذه حكم
 قبودوس قبل الاسلام اه باختصار يسكن هاته المدينة الآن نحو من ٣٠٠ ألف نسمة
 وهم ازدي من ٣٠ ألف محل مابين كبير وصغير وثقل على محل فانظر لصفن واصلاحها
 ومن غرائب البائسة الملهة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للرملة وهاته
 الملهة على نحو الملهة التي ذكرناها في باريس ولندره اذا المجمع نقل من هناك بمصر ولم
 يبق بها الا هاته فقط وطولها ٦٤ قدماً في قطعة واحدة من حجر عظيم كتاية قديمة
 عمات مدة الملك موريس المثلثة سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد ومثلها اغرابة عمود السوارى
 الشهير بالواقع جهة مينة البصل وهو عمود على قاعدة عظيمة فوق تل عال ارتفاعه مع
 ناه ٣٠ أكثر من مائة وعشرون قدماً يقال انه عمل مدة قاصرة الروم وبعد
 اقامته بماته البلدة سبعة أيام وتروى عنها ما يلزم لطريق الحجاز غير الخيام والقرب فاني
 أخذت من مصر لانها هاتك أرخص ثمناً وارسل الى جميع ذلك الى السويس وقامع الطباخ
 والخدام الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة راكبا حافلة

طريق الحديد ولم نجد لهم مخرجا حاصدا فرش ومراقق مثـلى ما يوجد في أوروبا وكان
ركوبي بهـذا العصر فسار الزلـى سيرا وطولـى بقـايا بعض بلدان كبيرة كان منظر
الارض قرب اسكندرية ليس بهـيـجا وانما توجد مراحات وسبعة بها الماء راكدا مزرورع
بها الارز لا يكن تغير المنظر بحسن النبات والزراعة بهـد حصة ولم يطل بنا ذلك المنظر
الحجل لارخاء الظلام سـدوله فوصلنا الى القاهرة بعد سيرا أربع ساعات ونصف فنلقا في
في الموقف العجيب الوجه الحاج على الشماعى وكيل تونس واعتذرت اليه عن الإقامة
بـ منزله بـ عام ونزات في مـنزل المسافر بن المسمى الخمارة الكبيرة مواجها لوضـعة
الازبكية واسعارهاته المنازل فهو من اسعار أوروبا

الفصل * الثانى

في صفة مدينة مصر القاهرة

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامى غير انها اختلفت اسمائها
و بقاعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركز جميعها واحدا فبعضها
بعضا لى قائل ما خـطه الهـاية رضوان الله عليهم مدينة القسطة حيث ضرب
سيدنا عمرو بن العاص قسطة في الفخ وعند ارادته لتقدم جهة الاسكندرية التي
هي القاعدة اذ ذلك وجد ساما قد فرخ عـلى عمود قسطة فاجاره وأبقى القسطة
الى أن رجـع المجيش وهذا الفخ واخـط المدينة حول القسطة فسميت به ثم لما تغلب
الامـر الفاعلى عـلى مصر عـلى يد قائد جـوهـوا خـط القاهرة وصارت هي دار الامارة
وهي مدينة رجيـة بـمـر النيل بمحاذاة ما عليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفيته وارسله
في قنوات تفرق على جميع المدينة وعـليه حـمد ديد طولـه مـترو ٥٠٠ وعرضه بـمـر
عليه ستة محلات وعلى حافته طريقان للشاة وقد صنع سنة ١٢٧١ وهـلى حدودها جبل
شاهق عليه قلعة حصنها وكانت مستقرا لـامراء وهـى ذات حصون مقيمة صناعية مشهورة
بالمدافع من الطرز الجـديد الضخم زبادة على تحصينها الطيبى وتـنـظر من اسوار المدينة
وأرأفها فترى عظم اتساعها وبها القلعة جامع ضخم ذو قبة شاهقة جـدا ومناظر جميلة
مرتفعة وبه اسطوانات من المرمر الملون ذات بـهجة وارتفاع عظيم وبهـذه الرجب متوسـلا
أنيق جبل وبني هذا الجامع محمد على باشا كما انه تـنـ قصر الحكم بها وهو ذو بيوت وسبعة
وأوارين رجيـة مشـمـل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمى للواكب المهمة

وان لم يكن فان حرمات القصور المحدثه التي يقيم بها الخديوى بالقاهرة ايضا مع كرو ودوان
 * نظارة الحرب وبها يرحب جنود يدعى الجهال انه جيب يوسف عليه السلام وكن الحسام
 لهم على ذلك غرابية وجود بنى في ذلك الارض فعدوه معجزة وبالقاهرة أسوان
 كثيرة جداول ان لم أر بلدا أكثر من احوالنا في سائر الجهات وأهم طرقها القديمة
 هو الطريق الموصلى من الازبكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكى فهو متسع في
 بعض جهاته نحو غمسانية أو دشيرة أو منار وفي بعضها نحو واجحة أو منار أو ما بقية الطرق
 القديمة فأكثرها لا تمر به العجلات وبعضها يمر به هجلة واحدة نعم ان الطرق الجديدة
 التي افتتحتها اسماعيل باشا في عشرة الثمانين والمائتين وألف في الحارة المنسوبة اليه
 المسماة بالامام علية هي على نحو الطرق الأوروبية واتساعا واستقامة وهائلة الحارة
 * كما بالمحدثه ملحقة بمصر ومن محاسن القاهرة حديقة الازبكية الجميلة الانيقة المحاطة
 بسياج من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من كل الجهات على الطرقات المحاطة
 بها وهي ذات عماش ورياض وأشجار وفوارق مسعد وقهاوى تنقلها الموسيقى
 الرحيم كل يوم عشية لكنها لا يحضرها غالب الا الافرنج وقصور الخديوى واقارب
 وحواشيها مائة الحارات الجديدة مبجعة لها مرزقها وأهمها قصر عابدين أما القصور
 التي له حول القاهرة فهي كثيرة مضاهية أو فائقة على قصوره ملوك أوروبا وجعت بين
 ما للاروبا ويرى من التحسين والملائمة من التزيين والاسراف ليكل منها حدائق
 وعيون وحيوانات غريبة ومن هاته بستان شوبرة وقصر ذوالسبكة الرحيم الذي
 أنشده محمد على بعد اذن القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو متسدى أهل
 التجمي والتزيين بجلاتهم وخيلهم مساهل من البهجة بالاشجار العظيمة ومن ورائها
 النساء والقصور المؤنقة لاهل الترف والمذخعة من الاروبا وبين الامراء والوزراء على
 جانبها مرقعة من النيل وهكذا حارات الافرنج والحارات الجديدة في تانيق البناء والقصور
 وبجربتها من الظاهر فضلا عن الداخل لكن ديار الاهالى ليس منتظرا من الخارج
 * مما يستر النظرا مما اشرفت عليه القاهرة من المقامات والا ما كن العظمة فالوله مقام سيدنا
 الحسين رضي الله عنه وارضاه وذلك انه بعد الشيعة الشنعا بكر بلاه أيام يزيد سنة ٦١
 حمل الرأس الشريف المكرم وقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح الملائع بن
 رزك وزير القاهرة سنة ٥٤٨ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم
 حملت عليه المقصورة من الفخاس الم وجودة الا كن سنة ١١٧٥ وبني حوله المجدد

الرحيب وقد تفرقت بزارة هذا المقام الشريف وصليت الجمعة وغيره في مسجد هذه ولله الحمد وقدصل الخديوي محمد توفيق ثلاث الجمعة هذه التي لم يكن له من الامم والخصامات الكبرياء ما يذكروا فغماحه بعض خدم وأعران ومن المشاهد ايضا مشهدنا *
 زيب شقيقة السبطين رضى الله تعالى عنهم ومشهد سيد تارقية ابنه سيدنا على بن أبي طالب ومشهد سيدنا سكرته بنت الحسين السبط ومشهدنا فنية الطاهر ومن ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بالزهد والصلاح المناقب الماثورة ومشهد الامام الشافعي خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضى الله تعالى عنهم اجمعين وذلك لان مصر محط رجال الصحابة والتابعين والعلماء والمصنفين وجههم لله اجمعين وكذلك الجوامع التي بها تكاد تفوق العدا واول مسجد بني ماهر *
 الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمر وأسس سنة ٢١١ عند الفتح الاسلامي ثم زاد فيه مسلمة بن محمد الانصاري سنة ٥٢ وروقه وقيل انه بنى به اربع منائر باركاه الاربع بأمر سيدنا معاوية وهو اول اختراع في ذلك وفيها بقول عابدين هشام الازدي
 وكم لك من مناقب صالحات * واجد در بالاصوامع للاذان
 كان تجارب الاصوات فيها * اذا ما لال ال التي بالجيران
 كموت الرعد خالطه دوى * وأرعب كل محط الجنان
 ثم الجامع الازهر وهو اول جامع أسس بالقاهرة بعد الفسطاط أسسه جوهر الفاضل سنة *
 ٣٦١ وجدد اتساعه مراراً وهو ينقسم الى بيت وسبع ذى تقاسيم مرفوعة سقفه على أعمدة والى محن وسبع محاط به اروقة بقم بها اجاعات من الطلبة الجاورين لاخذ العلم وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الاطراف المشرقية وفي القاهرة جوامع أخرى عديدة ذات بناآت ضخمة أشهرها بناية البناء وضخامته وارتفاعه واثقانه جامع السلطان *
 حسن بن تولاون ابتداء عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه بسكة الوقت نحو ثلاثة عشر مليوناً فنهى أشهر الاماكن بقاهرة مصر ومثلها مدارس العلوم الرياضية وقد جمع بها خزائن الكتب التي كانت منفردة وثقل على نحو مائة الف مجلد منها ثلاثون الف مخطوط اليدوية من نفائس الكتب تأليفها وخطها مالا يوجب غيرها ومنها مصحف كريم يقال انه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ومصاحف أخرى عديدة عظيمة الحجم مرفوعة بالذهب الى غير ذلك من الكتب القيمة والنفيسة وذلك بقية ما فات الفرانيس من الكتب التي نقلها الى باريس عند اسبلاطه

على مصر مدة نابلون يوناني وكذلك المارسانات أى المستشفيات الجامعة للتداوى
وتعليم نون الطب وقد شاهدت أحدها فإذها جامع الأثر أدوات الكيمياء والطبىعيات
والاجسام المصيرة والمشرقة من بنى آدم وغيره غبارى كانت مشاهدتى لها انه افاروسى
على شفا جرف من الاضمحلال المساحى أى خبره عما اقترى مصر أو اخر مدة خد بيوها
اسماعيل باشا ومن مهمات ما يذكر فى القاهرة الاهرام اننى بقربها فى المكان المسمى
بالخيزة وقد ذهب اليها راكباً جارا لان الجهلات لا تصل اليها الا بكفة حيث ان الارض
حولها مربعة ولم تصل الطرق الصناعات بها اراهم بارض مصر كثيرة جدا منها ما هو باقى
الى الآن وعددها بعضهم فقال انها ٢٧ هروا ومنها ما اندثر بالهدم وصروف الايام
واكبرها موجود منها اهرام الخيزة المذكورة وهى ثلاثة اهرام اكبرها اوسطها يعرف
بأبي هرهريس وأشهر الاقوال فى بانيه هو فرعون كبروس أحد فرعاة العائلة الرابعة
من فرعاة مصر وعلى ما حرره المؤرخون ان تلك العائلة لها الآن نحو ستة آلاف سنة
وكانت مدة ذلك الملك فى الملك ٥٠ سنة رقم به اهرمه فى ٢٠ سنة وكان المشغولون
فى بانيه ٣٦٦ ألف نفس كل تلك المدة كانه جعل بحساب كل يوم من السنة ألف نسمة
للتفعل وذلك فى بانيه طريقا عجيبا حتى صير على تعلقات الزمن فقد وضع على شكل
مخروط قاعدة مربعة وينتهى بقطعة ومن خواصه انه يتساوى على نفسه اذ مر كرتة فى
وسطه ويقام على نفسه وليس له ما يفسد عليه وقدرات زواياها باب الرياح
لا تؤثر فيه لانها تنكسر سورتها بمصادمة الزاوية بخلاف ما لوقت السطح وفى داخل هذا
الهرم عدة محلات يدخل اليها المنقرجون وان كنت فى نفسى لم أستطع الدخول اليه
لان المدخل ضيق مظلم يدخله الانسان حبوا ويدخل امامه أحد البساكن هناك
بشور شجعة وأنا قائم فى ذلك الموضع الذى يصعب ضيق الصدر فلم أدخله ووقت الكلام
فيه من جغرافية مصر لافاضل محمداً من فكرى وكذلك نفقات متباعدة مهمات تتعلق
بالأقطار المصرية فلهى انه كتاب جامع أقواله فلهما قو جد بغيره بمجموعة مع حسن
السبك والافادة والاختصار ومما قال فى هذا الهرم ان يوسه بحجرة تسمى بحجرة الملك فيها
حوض بديع الصنعة من قطعة واحدة وأخرى تعرف بحجرة الملكة ويرى الناظر فى
داخله ما يبرر العقل من كمال الاحكام تركيب تلك الانحجار المسالمة حتى قيل ان مقدار
الواحدة منها ثمانون مكعب وجميعها يرى كانه قطعة واحدة وينتهى على اعلاه داخل
بسطح نحو عشرة أمتار يقال انه سقطت منه بحجرة وارتفع أعلى الهرم على سطح أرضه

١٤٦ أمانول مطمح أحد جهاته فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ مترو
والأهرام الأخر أصغر من هـ. وقد اختلفت الأقوال في الفرض من بناء الأهرام
حتى قال بعض العجائز

تتوزع طرق في يدع بنائها * ولم تنزه في المرام فاسكري

أما بناءه وأما قول أنها قبور لأصحابها وقرب هاته الأهرام صورة أسد جائم
فخفا في الحجاز رأسه رأس آدمي مدول الشعر وهي أضخم ما يكون من الصور وأصله
من أعمال الفراعنة الأقدمين يسمى أمانول وبقرها أطلال بنايات هائلة
سطعها علم الرمل ثم كشفت منها بيوت حائط كل بيت منها في قطعة واحدة من الحجر
وسقفها كذلك حجرة واحدة بندهل الزاقي منها وكيف أمكن قفها ووضعها
بجملها وحول هاته الجهات أناس سكان كأنهم كانوا لصناعة لهم سوي التفتيش على الأشياء
العتيقة من تحت الأرض وبيعها للأرواح والتطوف بهم لآرامتهم غرائب تلك الآثار
القدسية مع أن الحكومة المصرية اعتذرت كثيرا بجمع الآثار العتيقة التي يمكن نقلها وحفظها
في محل خاص بها ومن أهم أمثاله في الدنيا ما كان لكل قاصد سديس أزيك خانة
وفي سائر الجهات المصرية عجائب من صنائع الأقدمين مما يدل على تقدمهم
التام في المعارف والصنائع ومنها ما اندثر هذه الآن مثل الاقتدار على جر
الانقال وحفظ أجسام الاموات على حالها المسماة بالموميّة المصرية التي نقل منها
لسائر أقطار القسطنطينية منسوجات من مواد حجرية لمعانة

وقبيرة ذلك وأغلب ما يوجد من أمثال هاته الأشياء في أقاليم الصعيد حيث كانت مقبر
تحت عمالة الفراعنة وتوابع اليونان والحاصل أنه يوجد عصر من غرائب الآثاء
القدسية ما لا يوجد غيرها وكل ما يمكن أن ينقل ولم تقدر عليه أيدي الدول الأجنبية
فقد جمع في القاهرة في ديوان الآثار والغرائب حتى ذكر أن بعض دول أوروبا رخصت
بشرائها جميع ما في ذلك الديوان بعا على الحكومة المصرية من الديون وعلى تقدير عدم
صحة ذلك القول فإنه ينبغي عمالة الآثار من الغريبة والعناية حتى يصح أن يقال قيمها
مثل ما ذكر وقد اجتمعت في القاهرة باجلاء من فضلائها وأعيانها فقدرت العلامة
الضري برشيخ المشايخ الشيخ إبراهيم السقا وهو طريح الفرائش بمرض الفالج الذي لم
يبق له من حرك سوى الكلام والنظر وثبات النقلة وهو على جلالة علمه وفضله
والذكور من أئمة على جانب عظيم من التواضع واللين الجانب وحسن الاخلاق فانه يرى

انه من تلامذة الشيخ سيدي ابراهيم الرايحي التونسي وأنه أخذ عليه واجازة عند
اجتياز عصر العجم وسألتني عن ذريته ودعاهم بغير وعجبه الذنوق من التبغ التونسي
ودعاني وللاسمين بجانر جومن الله قبوله وأظن ان سنة نحو الثمانين سنة وكذلك
حضرت تهر كابدس الاملامة النحوي الشيخ محمد عايش صاحب القاموس الشريف
ووجدته يقرأ في شرحه على مختصر خيال في الفقه المالكي اثناء كتاب العناق بمسجد
قرب جامع سيدنا الحسين رضي الله عنه لانه لم يستطع الاقراء بالجامع حيث ذكر فيه
الاصوات من المدرسين وهو اكبر سنة البالغ نحو الثمانين وضعف بدنه كان يخفض
الصوت حتى اني لم أتمكن من سماع تقريره كما يفي لانخفاض صوته مع حيز
السكون في المسجد ومع ذلك قد أطلال المدرس حسب معقادات اميرين في كنت فيه
ساعة ونصف وانصرفت وهو لا زال يصدد الاقراء وعليه من مهابة العلم والصلاح
ما يوجب صيته الشهير وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفوة الخيرة سيدي عمر السنوسي
أخي صديق في سيدي ابراهيم السنوسي المتقدم ذكره في الاسكندرية وهو
ذو اخلاق مطابقة لماله من مجد الاعراق وغيره ولاه من بعض الاعيان من الاهالي
والمستوطنين من اهالي الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحبيب محمد الاحبابي من اعيان
تجار اهل المغرب ذوي الثروة وكشهم الهام الزبير باشا الذي كان ماسكاً في قسم من مملكة
دارفور من السودان ودخل طوعاً تحت الخديوية المصرية رغبة في اتحاد كافة الاسلام
ثم عزله اسماعيل باشا ربي مقيماً بالقاهرة وهو رجل ذو فضائل جمة يتعجب بحالته من
كالاته مع انه من اهالي السودان وان كان أصله من نسل العرب الكرام فهو مهذب
الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبحفراية دواخل افريقية وشطوطها النهمالية
غبوري على الله أكثر الله من أمثاله وقد دعيت المقصبات الى الاجتماع بمضرة الخديوي
محمد توفيق باشا فوجهت اليه وأحضرت أسيافاً فذهبت تاريخي ولابته اذ كان اذالك قد
ولي منة بضعة أشهر وتلقاهم في بسرور فبيت التاريخ الهجري هو قولي

في معاه الملك ارجح * لاح توفيق الخديوي

١٢٩٦

وبيت التاريخ الميلادي هو قولي

فانشد التاريخ صاح * قرة ويح الخديوي

١٨٧٩

والصايد بعد تسمين لان ذلك هو حساب المشاركة فيها وأما المغاربة فهي عندهم بسنين
وذلك

وذلك لان حروف ابيجد بحساب الجمل وقع في اعداد بعضها خلافاً من المشاركة والمشاركة
وهاته المحرورف نذكرها ههنا تيممها للفائدة حيث رأيت كثير من أهالي
القطر من يجهلون ما عند اخوانهم حتى انهم ربحوا جملتهم على الخطأ في العدد مع ان ذلك
مبنى على الاصطلاح الذي لا مشاحة فيه ودونك حساب الاحرف والذي فيه الخلاف انضع
حساب الشرق عن يمينه والغرب عن شماله وباقيها انضع له عدداً واحداً ١ ا ب ج ٢ ٣
د ٤ هـ و ز ح ٨ ط ي ١٠ ك ٢٠ ل ٣٠ م ٤٠ ن ٩٠ ٥٠ ص ٦٠ ع ٧٠
ف ٨٠ ٨٠٠ ض ٩٠٠ ق ١٠٠ ٦٠ ٢٠٠٠ من ٣٠٠ ت ٤٠٠ ث ٥٠٠ خ ٦٠٠
ذ ٧٠٠ ٩٠٠ ظ ٨٠٠ ١٠٠٠ غ ٣٠٠ ٩٠٠ ش ١٠٠٠ وحيث كنت فاثلاً للابيات في
الشرق رايت فاعدهم فاجتمعت بالخذوي في قصر صايد بن ولم يكن معاً احد وهو مواضع
دين متفنن متبصر وبمدافعتي بالقاهرة بضع ايام واشتراني منها القرب محل المياه في
الطريق واشترى انا الخيام اللازمة لذلك سافرت الى بلدة السويس في طريق المحديد
وكان العمران قرب القاهرة جيلال كئنا ما تقيضنا عن خط النيل الا وكانت الارض صحراء
خاوية لا نبات بها ولا ندى سوى بعض شعير القصب على حافى التربة الذاهبة الى
السويس وبها افراد من القوارب الصغيرة المحملة كل منها الانسان او اثنين مع بعض
بضائع فوصلنا الى السويس بعد الغروب وكان السير من القاهرة اليها نحو ثمان ساعات
فتناقنا الخبير العفيف وكييل المغاربة بتلك البلد وتزلنا بأحد منازل المسافرين
على فحوم امر في غيرها فاذا هي قرية بها بعض الاجانب وبها حاكم يلقب بالهناظف
وضابطية وساكروا هم ما فيها امرساها الصناعية وتوفر بها من الشرق فوهة الخليلج
الجماع مع بن البهون الابيض والاحمر وحول المرسى محمل للتحفظ المسمى بالكرنقينة
وعليه مساكنهم فظنون وفي البلد شجيرات وشبه جنينات حول ديار بعض الافرنج وما
وراء ذلك فهو صحراء خالية وان كانت الارض قابلة للاصلاح لكن تعدد الحكومة
في اعلامها اباقها خراباً وجميع المنازل التي لخدمة خليج السويس لها بعض تخمين
ومياه النيل واصلة اليها

الفصل الثالث

(في التعمير بمصر)*

هاهنا الماكنة نصارت مبنية من عدة عمال عظمية في افرقية فيجدها تسمى بالبحر

الايض ويبتدئ الحد الشرقي منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على شاطئ البحر الاحمر الغربي شاملا بلاد النوبة الى أن يصل لحد ملكة الحبش التي يفصل بينهما جبال هناك فينطفئ الحد معها شرقا محيطا ما مارا لجنوب ما راع البحر الاحمر فيرايضامع ما الى أن يحاو زباب المندب وملكة الحبش حيث قد دخلت في الحد لملكها لانصل البحر لملكته مصر من شطوطه ثم يمر الحد مع البحر وبشمل ملكة عادل المدحمة يزدلع فيمر على شاطئ افريقية الشرقية على المحيط الشرقي الى أن يصل الى حدود ملكة نجيبار ثم يبتدئ الحد الجنوبي فيمر من الشاطئ مغربا الى دواخل افريقية السودانية و ينطفئ الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا و يراه خط الاستواء ويشمل ملكة دارفور و يصل الى حدود ملكة وداي ويمتد الحد الغربي مع ملكة وداي الى أن يصل الى الصحراء الكبيرة فينطفئ معها ذاهبا الى الشمال من غير تعيين لخط معين حيث ان الامر هو على فلاح مصر فيه وهو ذاتي الجهات السودانية الى أن يصل الى ماراباس ويمر معها الى أن يصل الى البحر الايض حيث ابتداء الحد جديد وحيث كانت على ما علمت من الاتساع والكبر لا جرم ان كانت صفة أرضها مختلفة جدا (فأما مصر) الاصلية فالمعروف عنها هو عبارة عن وادي بين سلسلتين من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق فارة الى ثلاثة أميال وينقسم أخرى الى نيف وعشرين ميلا كلها بقية انهر النيل وذلك كله في غاية الخصب والخصارة تتخذ أرضه سنويا فيضان النيل ويخرج الله منها بركتها ما جعل به مصر غنية عامرة وما عدا هذا الوادي فهو عبارة عن جبال معلقة لانباتها أو أراضي يابسة مرملة لا ترى فيها الا الحما (وأما بلاد النوبة الداخلة في ملكة مصر وهي المسماة لهما من الجنوب فهي ذات مصاري وحيال خصبة وأراضي خصبة وقيمة الممالك وهي وداي ودارفور وزيلع وغيره أفكلها ذات جبال وأحاجم ونصب (وأما جبال) عمالك مصر فهي كثيرة ليس منها جبل بركاني ولا منها الزائد في الارتفاع وأعلىها هو الفاسل بينهما وبين الحبشة (وأما أنهرها) فأولها نهر النيل وما أدراك ما النيل وهو نهر يحمل السفن الصغيرة الى أول شلالته عند الخرطوم وهو عند هم ينقسم الى ثلاثة أقسام (أحدها) يسمى نيل السودان والآخر من منبعه الى الخرطوم (الثاني) منها الى قبلة وهي جزيرة في وسطه قرب مدينة أسوان (الثالث) منها الى البحر الايض فالقسم الاول يتكون من نهرين يسمى أحدهما البحر الايض والآخر البحر الأحمر عبارة عن غطفها ما حثي الحقا بالبحر والبحر الايض كأنه هو الاصل للنيل وهو مجتمع من عدة أنهر في أواسط افريقية

وهو أعظمها وأمد هامها، لأنه منبعث من بحيرة أو كبر في المعرفة بغيره، كمنزله
على ظن آخر الجغرافيين الآن، وإن كان التحقيق أنه مجهول حيث تبين أن تلك البحيرة
تستمد من بحيرة أخرى، ولا يمكن الوصول إلى اكتشافها صواب ولعلها تحدثت أسباب
لذلك وطوله إلى حيث يجتمع بأخيه قرب الخرطوم ٤٣٠٠ كيلومتر أي نحو
ألف ميل (وأما) الأزرق فجعله نحو الثلاث من السابق ومنه من بحيرة دميعة في بلاد
الحبشة ويعبر على عدة شلالات ثم يجتمع بأخيه ويصير حينئذ القسم الأوسط فصب
فيه عدة أنهار غير معتبرة وذلك في بلاد النوبة فإذا وصل إلى أهدوان حدث منه الشلالة
الآخيرة التي تنجم زيادة صعود السفن عن الانهامة تكونه من ارتفاع الأرض في الجبى
الأعلى وانخفاضها في الجبى الأسفل مع صعود ررقعة فيكون له نهر كارع القاصف
يسمى من بعد بعدة فإذا وصل النيل إلى أسفل القاهرة انقسم إلى فرعين شرقي وغربي
فالشرقي يصب في البحر الأبيض عند دمياط والغربي يصب في البحر المتوسط عند
رشيد وأحدث من النيل ترع عديدة حتى صار يصب في البحر الأحمر وخلق
السويس والاسكندرية وغير ذلك وصنعة الترع في مصر كانت معرفة في مصر باحسن
مما هي عليه الآن حتى كانت تروى سائر رباهابل وجبالها أيضا ويرى ذلك
قوله تعالى في حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فكانت أرض مصر كلها
طاردة بالانهار وهاته الترع تفصل القوارب وتقع بها المواصلات وتبين عامر أن في مصر
أنهارا عديدة عظيمة سميها في السودان ويجتمع الجميع في النيل ولولا عظيمة المياه
لنالت في الصحارى التي ترع عليها ومن غرائب النيل أنه يفيض في وقت معين من كل
سنة وهو وقت الانقلاب الصيفي ويسمى على ذلك الاعتدال الخريفي فيأخذ في
النقصان إلى الانقلاب الشتوي فيصعد في مجراه إلى الصحنة القابلة ويختل ففيضانه
بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو أن يرتفع على المجرى الاعتدالي سبعة
أمتار فإن زاد أهلك بالغرق وان نقص أجهت الناس بالجمط ولهذا الفيضان كانت
مصر الأصلية لها من سائر بحيرة في الربيع الذي هو شهاب الزمان في سائر البقاع
تكون مصر عموما أقل بسعة من نفسها في وقت آخر وفي الصيف الذي تصف فيه المياه
في المعروف تكون مصر بحر من الماء العذب راسية فيه قرى ومدن وأما في ذلك
من بعضها البعض في القوارب وفي الخريف الذي يتبدل فيه في غير هذا قول النبات
تكون هي قد شب نباتها وازدخرت وربت وفي الشتاء تنتشر أزهارها وتفرط أطيارها

ويصعد زرعها وتذخر أقواتها وتفيض على العالم محصولاتها فانفردت بذلك من غيرها وليس هناك ما يشبهها الا نهر السند المار على بلوچستان فإنه يقرب من ذلك من حيث فيضانه في الصيف وأما أحداث السلاطن البخارية لرفع الماس من النيل زمن نزوله قل ضرره من القمح اذ لم يعهد أنه جف ماؤه الا سنة ١٢٧٨ وكان كرهها شديدا (أما ضرر) تغاقم فيضانه فقد اعان على تخفيفه الاخدما بالسلاطن الكهريائية حيث رأى انهم يتغاقمه سرعيامن السودان ومصر المملوك فنفخ له أفواه الخيلان وترفع الناس عن الاراضي المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الأقوال في أسباب فيضانه وأظهرها أنه مترصكب من شيتين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال الحبشة الشاهقة وعلى جبال أواسط أفريقيا بحرا أو انحرال يبع فقسيل مياهها ويطهرها بها النهر الأزرق وغيره وأطول امتداد الانهر ما يصل ماؤها الى مصر الا في الانقلاب الصيفي (وإنهم ما) ان جنوب خط الاستواء فصوله على عكس فصول شماله فالربيع عندنا هو الخريف عندهم والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر لا يبض متبعث من جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار في الاقاليم المحيطة تتراكم دفعية سيما وقت الخريف والخريف في الجنوب هور يبع في الشمال فها يصل ماؤه الى الصيف في الشمال فيحدث من ذلك طمو النهر الأبيض أيضا ويلقى بأخيه وهما طاميان فيحدث فيضان النيل زمن الصيف في مصر (أما) بقية الأنهر في عمالك مصر في النوبة والسودان كنهر النيل والجدول منها ما يصب في النيل ومنها ما يصب في الصحاري وليس منها ما يصب في البحر سوى النهر الأبيض والأزرق المتقدم المذكور وفي أرض مصر من مبيداتها الى بحرها لا يوجد نهر أصلي سوى النيل لكن أحداثت منه أنهار عديدة عظيمة تسمى بالترع حتى صارت أغلب الاراضي المهيمنة بمخترقة بتلك الأنهار الصاعدة ومنها التكبير الذي يحمل السفن التهرية ومنها الصغير ومنها الدائم الامتلاء مياهها ومنها ما يصب عند انتهاء انخفاض النيل والموجود الا أن من هاته الترع يزيد عن السقائة واحد عشر نهر أطولها الابراهيمية فأنها تقرب من مائتي ميل ولا زال الاعتناء به كثيرا لترع المستلزم لتكثير أراضي الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدانا بحقية مزرروعة والغدان هارعة عن مساحة ٥٩٢٩ مبر ومربع وهذه الماقدار وان كان كثيرا فإنه لم يكنه لم يبلغ الى ما كانت عليه الترع في مصر قديما حيث كانت زمن الفراعنة تصعد مياه النيل الى أطوارها وجبالها وتسقي جميع أراضيها حسب ما ينص عليه

عابه في التاريخ وشهد له قوله تعالى حكايته عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فجعل الأنهار والافتحار جارا بل والتعظيم الى حد دعوى الألوهية فافض بانها كثر مرة جدا وبالغة الى حد خارج عن المعتاد في الكيفية كصعودها الى الاعالي * والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة آلات تعمل الماء من أسفل الى أعلى بكثرة حتى يجري في الأنهار ثم هاته تحمل كذلك الى ما فوقها الى أن تجري ومن ههنا أيضا الى ما فوقها وهكذا الى نهاية الارتفاع والالآت اما ان يدبرها الماء نفسه أو قوة أخرى جهات الاكن فيما اندثر من علوم الأقدمين أو تكون الواسطة هي تفرع الترع من أعالي النيل قبل الوصول الى الشلالات بأن يوقى لأول شلالة قبل ان يحدار الماء منها فتفتح له فوروع ذاهبة مع ارتفاع الاراضي بكيفية هندسية وبناء قناطر وحنايا لمرور الماء من الاعالي الى الاعالي ثم من شلالة أخرى بفعل هكذا ويجري تجري الانهار في الارتفاعات كما تجري في الانخفاضات ويحصل منها النباتات الجميلة ومناظرها البهيمة (واما) بحيرات مصر فهي من أربعة كبرى ذرا كبرها بحيرة المنزلة وبحيرتها نحو من مائتين وخمسين ميلا وتسير بها السفن الصغيرة وبها السمك دائما وموقعها شرقي مدينة دمياط ويحفرها الخليل السويس والبقية أعظمها ايضا مع الخليل وليس لها فائدة معتبرة سوى استخراج الملح من بعضها عند جفاف حافته صيفا وبعضها يصف تسماما اما تلك السودان ففيها بحيرات مهمة مثل بحيرات منبع النيل وغيرها ولكنها اقلية الجدوى بالنسبة لأنها تقع مثل بقية ذخائر السودان (واما) هوام مصر وما يتبعها فهو على العموم حار وغاية الفرق ان الجهات الشمالية على شاطئ البحر الأبيض ياطف حرها صيفا سيما عند زاراد النيل (واما) الجنوب وسائر السودان فهو حار جدا حتى اني كنت في مدينة مصر في شهر رجب بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بالعساف السكان ولكنني لست أستطيع أيضا فتح الطيقان لكثرة الندى المضر ورات مثل ذلك في اسكندرية أيضا التي هي مهرب السكان من الحر مع اني كنت بها في ذلك الشهر أيضا (اما) السوس والصعيد فلا تله عن شدة حرها ثم هي بعد الانقلاب الشتوي يحصل بها البرد الى درجة طلب التدثر والتدف فيكون الهواء حار ومما يحتاج اليه لاحتياج الارض * بالنبات (واما) نباتاتها مع سودانها وجمالها فيصح أن يقال ان فيها كل ما يوجد من نبات الدنيا الا ما اندثر حتى الاشجار التي تكون في الاراضي الباردة فانها توجد في الجبال الشاهقة في دواخل السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة *

أخشام البناء لمغن والديار ولا أعمال المجردة أيضا مثل الابنوس وغيره لكن أرض مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعة وغاية ماله بهامة نظرات الغابات هو الخليل فالأصل ان أعمال الكهنة شقيلة على كل ما يحتاج اليه من المزروعات الحبوبية والاشجار ذات الثمار وغيرها (وأما حيواناتها) ففيها الخيل بقلة بالقسبة لذاتها السكن يوجدي في السودان نوع منها جليل يعرف بالكصيل والبقال قليلة والحجر كثيرة ويركبها حتى الاعيان ولها اعتبار ومحققون شعرا وتصبر بالتربية تفهمهم قد صدحوا حتى اذا حال المحار لمح بره صغيرة ظلمت وصارت تمشي على ثلاث اقدام الشرطى بنظر اليه اخوفا من تحديقها للكمومة بلاجر والابل كثيرة جدا ومنها نوع الهجين وهو نوعان في السيرة أحدهما متعب لراكبه وهو الذى اذا سار رفع رأسه وعنفقه والثاني لين لراكبه وهو الذى اذا سار دلى رأسه الى الارض ومد عنقه الى امامه وكلاهما من الابل المعتادة غير ان أحدهما يعتادون الحجة والاطراف الخفيفي الحركة ثم يمر نونه من الصغر على مداومة سرعة السير فيترقب عليها ويبقى ناعلا فلا يكون عذرا لاهمائه لاوصول الى الامم البعيدة في الزمن القريب وكان عند القدماء من عودها من طريق الحديد الا ان فيرانته لا يعمل الاتقال الكثيرة ولقد رأيت من مجازات تيننا صلى الله عليه وسلم ما يزيد القلب ايمانا وذلك في الحديث الذى رواه الامام مسلم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام وانه ترك القلاص أى الابل بمعنى انه لا يستعملها واخاضت الشراخ في تطبيق ذلك والحق ما بينته المشاهدة من الاستغناء عنها بالكلية وطريق الحديد والله أعلم انه سيم جزييرة العرب ويصل الى مكة والمدنية حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله أعلم والبقرة قليل وهو نوع ضخم والجواموس كثير والفلاح من العامة الذى له بقرة منه تشبه عن كثير من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها ما يقدم ويبيع من سمها ويحسرت عليها ويوقد بختائها ويستفج أولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز شيء عليه في الدنيا (وأما الغنم فهى كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الأنواع التي تألف البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيل والزرافة وغيرها (وأما الطيور فيوجد سائر الطيور والالبقة (وأما) الوحشية فانما يوجد منها بعض الرحالة كالهمان والخطاف والمجدأة كثيرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه نوعا غريبا لان لونه ابيض وعليه فتكون الصفة في قوله تعالى وغرا يبيب سود هي صفة كاشفة لا مؤكدة حيث يوجد في الغراب الاسود والاباق بعضه اسود وبعضه ابيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من

الطير والقريبة كالبيعاذات الالوان البهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من انواع الطيور
 (وأما) معادن مصر ففيها أكثر انواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة في عدة أماكن
 من السودان فقه ما هو في مده ومنه ومنه التبر الذي يوجد في الرمال من سول المياه وأشهر
 معادنه في سنار حتى يعرف بالذهب السناري وكذلك يوجد الفهم الحجري الفتي في بلاد
 النوبة ويوجد انواع المرمر والرغام الأبيض والأزرق في جهات من الصعيد وكذلك
 الملح في عدة سبخا والنخس والسيحان والرماس في موضعين حوالي شط البحر الأحمر
 والنحاس في عدة أماكن والمحديد بكثرة في عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جبل
 يسمى به (وأما) الفضة فهي قليلة وتوجد أحجار قيمة وأهمها الزمرد لكنه قليل ويوجد
 الفيروز والعميق والذي يحق به الاعتناء هو حجر البلور وهو كثير ونقى بضاهي ما في
 بوهيمية النمساوية كثرة وصفاته وأصنافها المعادن متروكة اما لعدم العناية به
 أو لصعوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالحجارة لبلاط الطرق في الاسكندرية من بلديست
 في ملكة النمسا ما في البلاد من التجارة التي صنعت منها التقدمة تلك الأهرام والحياكل
 والعواميد التي تنقل ذخائر في قواعد الدنيا ولا شك ان العناية لتوجهت الى استخراج
 منافع السودان لسهولة نقل تلك الحجارة وسائر المعادن بأخذ الفهم الحجري لطرق
 المحديدية التي تسهل اتصال الاتصال ومواصله الاقطار في السودان كنوز لا يحصى
 الاخالة أو أظلم بكثير غاباتها وأنحسا بها المروية كالعثور والانس وغيره حتى
 لا يحتاجون لحطب أخشاب البناء وغيره من خارج المملكة فانهم يأتون حتى يحطب الوقد
 وفهمه من الخارج وذلك ضعف البلاد (وأما) مدن مصر ففي مصر من القرى والمدن
 ما يتجاوز الثلاثة آلاف بلدة وأشهرها قاعدتها وقد تدهمت صفتها الاسكندرية
 ونزدكرها ثم طناور شيد ودسوق وأشمون والأبيض على وزن محمد قاعدة كردفان
 وأبو حراز وتلدتي قاعدة دارفور سابقا وتسمى فاشر وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة
 في الصلابة تتحوى على بناآت عجيبة وصناعات غريبة وقد دثرت تلك المدن ولم يبق لها
 من اعتبار سوى ان بعضها صار يجعله قريبات لثبات ذات أهمية وتلك الحياكل القديمة
 قدما كشف عنها وتسمى بالبراني ونقصدها السواح الألاما على ما احتوت
 عليه من الاعاجيب والصنائع المندثرة ومن هاته البراني واحدة في بلاد افريقية التابعة
 لمصرية اسنى أعبر في الرحلة محمد بدراة أنه رأى به ابونا كبريا متقوسا في الضرع
 حيطانه من جميع المصنوعات الملوحة اذ ذلك وأنه رأى فيه بعين راسه صورة طريق

الحديد بقضبان ممتدة وعليها حوافل ذات عجلات ليكن يابدون مزجية أعنى الآلة المجارة
 كما رأى فيه صورة الملك الكهر باني يعنى صورة أعمدة عليها سلك ممتد منتهى الى
 آلة ورأى صورة سفينة ذات عجلات وصاعد من مدخنتها صورة الدخان وسعدت
 من ذبذبه أنه يوجد في جلة البرابي بيتان عظيمان أحدهما يحتوي على صور جميع
 المحبوبات والآخرة على صور جميع المصنوعات وان منها ما تم دم وكاه نقش في الحجر
 ورأيت في حفرافمة فكري ذكر تلك البرابي واحتواها على النقوش والصور
 ليكنه لم يذكره خصوص ما تم ذكره (وأما) حوامى مصر فالها الاسكنه لدرية ثم
 برت سجد ودعياط ورشيد في البحر الابيض والاعمال علية والسويص في الخليلج
 ومصرع والقصور وسواكن في البحر الاحمر وزيلع وغيرها في المحيط الشرقى وأما أهاليها
 فهم على قسمين الاول أهالي مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية القبط أبناء
 المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط نسل من أسلم من القدماء
 بالثاني وصاروا جميعا مصريين ونسكائهم عدهم في هذا القرن أعنى حيث كانوا في
 أول دولة محمد على باشا لا يبلغون الا ربعه ملايين ولما امتد قسم التمييز والتفريق
 على الهمة بتقسيم الأهواء والملاج عاقبهم الله من مصيبة الوباء والجدرى الذين
 كانوا ثمة فيهم فبلغ عددهم الآن الى ما ذكرنا وانقسم الثمان منهم هم السودان وهم
 أبيضاء على قسمين الاول أهالي النوبة وكانت قاعدتهم سنار وهم من النسخ وذرية
 الكوش من العرب ثم تسلمت عليهم قبيلة الفنج ودخلت في الاسلام وبقيت هي
 المحاكم الى أن افتتحها محمد علي سنة ١٢٢٦ وكان في أقصاها هرقم دارفور وعدد
 سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سوداني يسمى فوروسميت البلادهم وديانتهم الاسلام
 ومعهم نوع يسمى المبعات والكثرته اختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم فيهم
 حتى كانت عائلة الملك عربية صار الجميع يتكلمون بالعربية وللنص مامرأان الالهائي
 على العموم أكثرهم عرب واللغة الغالبة والعربية قوية وجدلغات أخرى سودانية
 وعدد الجميع بالمضافات ستة عشر مليوناً والديانة الغالبة هي الاسلام وقوم النصرانية
 على مذهب شتى ومنها القبطية ثمة من شعائر اليهود وثمة من شعائر الوثنيين كما يوجد كل
 من ذلك الديانتين (وأما) صفتهم على العموم فأهل المدن الكبيرة يكثر فيهم النعماء
 والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والساقط على الاطلاق هم على السذاجة والجهل
 بالمنافع الخاصة فضلا عن المشتركة واللون الغالب أغمراً وأسودوا أهل السودان والعرب

من أصل المصير بن شعبان (وأما) فلا حوم مصر فلما مال عليهم الاستيلاء الاستبدادى
ضعفت فيهم الشجاعة بالمرّة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاه المقرئ

الفصل * الرابع

﴿ في اجمال تاريخ مصر وملحقاتها ﴾

﴿ مطلب في تاريخها القديم ﴾ اعلم أن مصر أشهر بقاع العالم بمعرفة أصول تاريخها
القديم لكونه في الواقع غير محرر ولا موقوف به وقد أظن العلماء الاسلاميون وغيرهم
في تواريخ مصر ولومها وتدنيتها فانية ما تستطيع هئنا انشاها والاسام بالشار الى
أنموذج ذلك معرضين عما لبعضهم من المبالات والتخريفات ويدعى بعض المتأخرين
ان الحقق عندهم في علم مبدأ التاريخ فيها الحقق هو قبل الميلاد بالي ومائتي سنة والحق
أنه غير محرر لان استنادهم في ذلك انما هو للائراة التي بين أيديهم وهي كما علمت سابقا
غير صحيحة سيما في محل التاريخ وقد أقر بعض مندبهم بالباطل الفاحش في ذلك الحل
سيما فيما يرجع الى التاريخ العام وانه يخالف لوجود من المكبات المتخوفة على
الاجار العتيقة جدا وغيره من القرائن الواضحة وتعال في نهج الزور ابان موسى
عليه السلام ليقصه تاريخا عمويا للخالفة وانما قصه ذكر عود نسبه ولا يخفى
ان هذا غفير يقول اذ كيف يدكر عود نسبه في تواريخ مخالفة لنفس الامر لانه يلزم
ان يكون قائما لابان فلانامه لادع الطوفان بكذا ثم فلان بعده بكذا وفي زمن
الملك الفلاني الما طن في تاريخ كذا مع ان ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ
شا هو الاعين الكذب او اللفظ المنزه عنه كلام البارئ تعالى والمعصوم منه الرسول
فلا يحصى عن القول بالتخريف في التوراة التي بين أيديهم واذا أضفت الى ذلك
الميزان العقول في حساب العمران وكمية التناسل من البشر بعد الطوفان ولوعلى
القول بعدم هو مية في سائر الكورة ونظرت الى المدة التي ذكر ان ابراهيم عليه السلام
أرسل فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا تراعى ان الطوفان عمه هو محمل اقامة
ابراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الامم الذين طغوا في البلاد وتخبروا
بما لهم من القوة والعدد والعدد والعلوم لاشك انه يستحيل عندك انهم كلهم نشؤوا
في مدة مائتي سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وايضا يستحيل ان تسمى
وتندثر بمهزة الطوفان المسائلة من عقول امعة في قرنين اذ يمكن ان يكون بعضهم

أدرك من أدركهم المزل يقيد الحياة فكيف مع ذلك ينسى توحيد الله وبعده الله
غيره ولا يتأني ذلك الإبطول الزمان ونسبان المبهزات وانقراض العلماء ومن عاصمهم
في مدة مديدة ولذلك لا تحقد حيلة على تعيين أوقات مانت عرض له من الدول القديمة
والتحاطل أن مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات
شأن وقوة وجران وملوكها يسمون بالفراعنة - جمع فرعون وهى عبارة مصرية
معناها اقوال الشمس وأول من يعرف الآن من فراعنتها هو منتر (أو) مصر ايم الذى
حول بحرى النيل وبنى مدينة من قديس ثم زادها عطاؤه بهجة واتقان حتى كانت أعظم
مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختا لهم ولم يلبث انقراض عائلة فرعون المذكور
وفى مدة أحقاد المشار إليه نشأت دول أخرى صغيرة فى أراضي مصر وانقسمت على ثلاثة
أقسام بقى أحدها تحت العائلة المذكورة والاخر بان تحت عائلتين آخرين الى
أن تقابلت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون الباني للهزم الكبير
الذى بالجيزة ومركزه ثم انقسمت الى عدة أقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى
منها عدة ملوك أحدهم باني الهن النساى بالجيزة أيضا وكذلك العائلة السادسة
وغيرها الى الثانية عشر كلهم متفرقون على جهات من مصر الى ان قهر الجميع تحت
حكم فرعون أوس- برطاس (أو) سينوسريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشر
وضم الى ممالكه بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقضت عائلته بعده بقليل وغاية
ما يعلم انه ند اول مصر بعد ذلك عائلتان وهما الثالثة عشر والرابعة عشر وكان حواشيها
ليست مهمة فلم يوجد لهما وقائع شهيرة (وأما) الخامسة عشر والسادسة عشر فلمهما
انحيار من جهة قوة الملك والترقى فى الصنائع والمعارف وفى آخر الاخير ابتداء أساط الملوك
الرعاة الى مصر وتم استيلاؤهم على قسم عظيم منها أو عليها كلها لكن بقى للاهليين
جهة من أعلى الصعيد مملكة واعلمها العائلة السابعة عشر من الفراعنة ولم يكن لها
اهمية فى جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققى المؤرخين أنهم من
العرب اجتازوا الى مصر وبقوا فيها مدة طويلة ذوى شأن وساطان مهيب قوى وقال
بعض الانحسارين ان دخول يوسف الى مصر كان فى دولة هؤلاء الرعاة وانقضى على
تلك الدولة بالانقراض كان الذى باشر قهرها فرعون أموسيس وانتشأت العائلة
الثامنة عشر ولها عدة آثار باقية الى الآن من المباني والصور والدلة على قوة الملك
والتمدن كالمستقلين الموجودتين بالأسكندرية والقضاة نطينة وكذلك الموجود بروج

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هامة الدولة ويستدل
 من الاسفار ان عبادة الاصنام قفاحت في مدة تلك العائلة ثم استولت العائلة
 التاسعة عشر من الفراعنة وكل مناهرون سزوستريس المشهور عند اليونان
 بذلك الاسم وامتدت ملكته من نهر الطونة في اوروبا الى نهر الكنت في الهند
 وانشأ في كل ملكة اقمارا قتل عليه وارتقت مصر في مديته الى غابة
 كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه اول من رسم خريطة لصورة المملكة المولسة
 وزادت ارتقاء ونفرا وانتهت في معارف الطب والهندسة والحرف في مدة حكمه
 فرعون زمن موسى عليه السلام حتى ادعى باسمه ومعارفه الالهية وكان من قصته
 ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القدماء
 لم يذكر واحد من فرعون ونجاة موسى عليه السلام بيدى اسرائيل بانفلاق البحر
 مع انها حادثة كبرى وبناء على اهمالها انكرها من لادين له من معتقد في هذا العصر
 وأضافوا الى ذلك في الاستدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منقطا الثاني موجود
 بين تمورا الفراعنة في العصر عيدا بالمكان المعروف بباب الملوك فلو كان فرق لما كان له
 قبر واوجب من هذا بعض النصاري بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبر وكان وجوده
 يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة اسلافه من احضار قبرهم مضخمة مزخرفة
 وهو قد هيا ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تصعبا من المصريين وعنادا
 في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا لعارضهم في الاجيال المستقبلة واستدلال المحجب
 المذكور على ان فرعون موسى هو منقطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنته
 وتصرف بالنيابة عنها زوجها لانه لم يكن له ولد سواها وابن صغير قاصر فدل ذلك على
 حدوث امر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى سلوه الى امرأة وزوجها مع ان جدهم
 القريب سيزوستريس المار ذكره قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذا الحادث
 الذي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الغرق لفرعون وملأه اه ولا يفي ان كلا
 من الجواب والاستدلال غير مسلم (اما) الجواب فان وجود القبر الاصل فيه ان يكون فيه
 مقبرة سيما اذا كانت عليه كتابة اسمه التي بها عرف انه قبره وناربع موتة فانها لا ترسم
 الا بعد وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصري ين اقاموا ذلك القبر على تلك الكيفية
 قصد الاخفاء الواقعة في الاجيال القادمة لاحتمال بعيد كسابقة لا يؤمنع الباحث سيما
 وواقعة غرق فرعون مع ملأه ونجاة موسى بيدى اسرائيل بانفلاق البحر من المعجزات

الباهرة التي لا يبق معها المصري عناد بعده شاهدتها وهلاك ما سلكهم الذي كانوا
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يفكرون بها عن الاجيال المستقبلة وأنهم من هذا مع
اقتضاهم لانفسهم ولجميع معاصريهم ومن هو تحت علميتهم من الامم المسالين لمساكين
الطونة والكنة فهم أشغل بانفسهم ولا انقياد الى الحق أو الى تدارك أمرهم الذي يباوى فقط
في الاقل بين أعين الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعى الألوهية مع امرائه ووزرائه
وجيوشه فكيف يخطر لهم في تلك الحالة التوجه على أجيال مستقبله مع ان سائر
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (وأما) الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من قوليه البتة
انقراض عائلته الملك كيف ذلك ونحن نرى في التاريخ بل وفي خصوص تاريخ
المصريين عدة نسوة صهرن ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جاريا في جهات من
الارض الى الآن فلم لا تكون ولاية البتة لان قاعدتهم كانت وراثة الملك لا كبريولاد
الملك الاناث والذي كورسوا وتصرف زوجهما حينئذ نيابة عنهما باختيارها لا لا تقراض
العائلة وكأني أرى هاتيك التجهلات في الجواب مبنية على اهمال علم السند والرواية أما
لو كانوا يعرفون ذلك وجرت عليه اعمال ديانتهم لما استحقوا لعل ذلك ولتخلصوا من
مهاوهم لملكهم مع علم السند والرواية أمر ضروري بل طبيعي لاخذ الاخبار الغائبة
عن المشاهدة واذا ثبت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والكذب
وبناء على اعتبار ذلك فمن المسلمون تقول ان الذي تقطع وجوده هو عرق فرعون
مصر مع ملأه ونجاة موسى عليه السلام يعني اسرائيل بانغلاق البحر مجزة له أما كون
فرعون المذكور راسه منقطا أو غيره وكون مدته الى الآن كم هي فلا علم لنا به ولا دليل
لنا عليها وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر في القرآن من نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام الذي ثبت نبوته وصدقته بالمجربات المتكاثرة فاختاره لاشك في صدقه
وفواضا على ذلك النقل المتواتر من أمته بنى اسرائيل منذ حصول الحادثة عن شاهدتها
منهم وهم أمة عديدية يستحيل تواطؤهم على الكذب الى من بعدهم منهم ومن غيرهم نقلا
عنهم جيلا بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة في تواريخ علماء ذلك
العصر لا ينفى وقوعه لان السكوت عن الشيء ليس بنفي له وهناك حامل على عدم الذكر
لان المؤرخ انما يكون من علماءهم الذين هم أشد مضادة للديانة واذا شاهدوا شيئا مثل
ذلك ولم يجدوا وجه القدر فيه وتخرج به على ما يلائم منهم بهم يكتفون عنه على انه
مدمج في زمر ما نسبوه الى اعمال القادحين فيه التي ينفون عنها الى فرعون الباطل عنادا

أوجهه لا العباد بالله وإلى لا أعجب من أنكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر
ولمّا أعجب من أنكار النصارى واليهود إلا أن مهزلة تليدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهى انشقاق القمر مستند إلى على أنكارهم عمل ما استدل عليهم فى أنكار
واقعة الفرق من عدم ذكرها فى التواريخ مع أنهم يحبون بمثل ما تقدم ونحن نقول أو
مهزلة انشقاق القمر بثبوتها بين وأمرها أوضح وذلك أنها وقعت ليلة مدعى حصه منه
لأن القمر كان ليلة البدر أى الرابعة عشر وهو فى كبد السماء كما تشهد به روايات
البحارى من أن نصفه بقى ظاهراً فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وإن اختلفت
لفظها فهذا مدارعها هم أن الحصة فى انشقاقه لم تطل وصادفها كان عليه ولا ريب أن
حوادث السماء لا يستعمل بها العموم دائماً إلا إذا حدث العلم من قبلها فتلقت بها
الانظار أو تقع بحسب الصدفة سيما الأمر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة
للضوء القوي أو غيرها مما لا يطلع عليه إلا أفراد صدفة ولا يعلم بحجبه فى جميع الجهات
والأفاق وإن ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علمائهم المؤرخين لعدم ثبوتهم عدمهم
لعدم ثبوتهم بأخبار الأفراد القليلين فلا يكون سكوتهم دليل على عدم الوجود على أن
وراء ذلك ما هو أوضح وهو أن المسالك المقدسة إذ ذاك المحاربة للعلماء المؤرخين الذين
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته فى كبد السماء فى مكة المكرمة انما هم سكان ما بين
شطوط المغرب إلى مبادى جمالهم إلى أما إلى أوروبا فلم يكونوا إذ ذاك من أهل المعارف
والتدوين سوى جهاتها الجنوبية من بقايا الرومان (وأما الصين وشمال آسيا الشرقية
فلا يرون القمر إذ ذاك لغروبه عنهم أو قرب غروبه فى ضوء النهار فهم وإن كانوا
إذ ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم إن المسالك المذكورة التى يمكن لهم
رؤية القمر إذ ذاك هم فى أنفسهم مختلفون فى الوقت فيكون الوقت إذ ذاك عند
المنوع بعد نصف الليل وعند المغرب بين عند غروب الشمس أو ما قرب ذلك فى كل
من المكانين وهاتيك الاقطار مدعى عليها من وقت انشقاق القمر نصف وعشرون سنة
الوقد أدخل خالد بن سنان قائد جيش المسلمين فى المغرب قواتهم فرسه فى المحيط الغربى
وقال ليس لي وراه هذا ما أفتحه وقد بلغت فتوح الجيوش الإسلامية فى الشرق إلى
بختارى وسمرقند وأفغانستان وسائر تلك الجهات فعلماء هاته الاقطار عند الفتح الذى
كان يقرب انشقاق القمر لأن الانشقاق كان فى السنة الخامسة قبل الهجرة والفتح ثم
فى مبادى خلافة سيدنا عثمان كانوا على قسمين منهم من آمن وهو الاقل ومنهم من

بشيء على دينه (فأما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المسلمين الانشقاق اما رويته
أولوية أحد من يثق به من أهل وطنه مع التأيد بالرواية المستفيضه والتواتر
القطعي من الصحابة الذين شاهدوا ذلك وعلوه ونقلوه بالكلام الذي يتعمد دون
بلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار
ولهذا تواتر النقل بغرض كرسه ودواقتصر ذكره على كيفية الوقوع وهو ايضا بالغ مبلغ
التواتر مع ان الاصل ثابت بغیر احتياج للسند كما في سائر التواترات لانه اذا قال قائل
ان السكينة في مكة المشرفة فلا يقال له عن ترويه هذا لانه قطعي مع اجماع الضرورة
وكذلك نقل الانشقاق لانه موثر بالقول في قوله تعالى اخترت الساعة وانشق
القمر (وأما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم لما تحقق عندهم
ما تقدم عند المسلمين ثبت ذلك عندهم منهم من قبل لاشك انه يضرب عن ذكره في
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بما يشبهه الآية الكريمة فهو
حريص على عدم ايمانه بالمرء لكنه لمساعاضه النقل القطعي سكبت عنه ولم يتمرض له
بنفي ولا ثبات والافعال لهم لم يذكروا احدهم ان ذلك الزمان قد كان في فلان وفلان
برصدون القمر أو السماء ولم يروا ذلك الحادث مع انهم حريصون على ذكر كل قاذح
في الدين فكان سكوتهم في الحقيقة هو نفس الاقرار بالوقوع ولا يتحجب مع ما ذكرناه
ان مجرد السكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحال ما ذكرناه وتأيد هذا بما لا ملك
التي بقيت لم تنفخ وكان فيها بغيعة من التمدن وهي يمكن منساروة الانشقاق مثل بقية
عامة الرومان الشرقية والغربية فانهم لما تقلص ظلمهم في تلك المدة القربية بدولة
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من مميزات انشقاق القمر وهم على دين
النصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيا عن فتحو اقطارهم وعلوا ان ذلك الانشقاق
حجة تخصصائهم فعلى تقدير ان يكو فوا رآه وانذوه في بعض قوار يخفهم عند وقوعه
فلا يبعد ان اضربوا عنه بعد بلوغ قصته اليهم لئلا يكون حجة عليهم ولا يباد ايمانه
عندهم من يأتي من قومه سبها والملوك اذ ذلك تحت الاقياد للقسوس وكبراء الديانة
فربما انهم ممنوعون ذكره كما يمنعون سائر ما يضرب دياناتهم فها هنا يأتي مثل هذا
التبليس الذي مر ذكره عن بعض النصاري في شأن فرق فرعون وهو هنا على نحو
ما اوضحناه ابن وأمكن فلذلك قلنا باشتداد عجبنا من انكارهم له ولا يقال لهم
أنكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواريخ من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

عن هذا المفسرين لان رواية أحاديثه لا تخرج عن الأفراد والآية المارة قد قال بعض
المفسرين فيها ان الفعل الماضي وضع موضع المسبق قبل تحقيقه السابق فلا يكون هناك
النقل بالتواتر لوقوع الفعل والوجه في سقوط ذلك يدعى عند من تصالح القنون
الشعرية وبنائه اتفاقه ما ان الاحاديث المروية في الصحاح انما هي في بيان الكيفية
والاسماء ابانها اصل ثبوت الواقعة فانه منقول وتواتر محقق لان مدار جميع الروايات
البالغة حد التواتر على اثبات الوقوع فليس هي من الاتحاد وكذلك صرح القرآن
قطعي فيه هو ما ذكره بعض المفسرين انهم هو من كلام أحد من الامة اذ لا خلاف عندنا
في ذلك وانما هو من كلام بعض المحدثين والمرويين لا دخال الشبهة كيفما كان الحال
على المفسرين وان نسب القول بذلك لاحد الامة فانه هو من التزوير والمهتان حيث
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقة نسبة قول ذلك لاحد علماء الامة ولذلك لا ترى
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال انه ورواه قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا امهم مستمرون وكذبوا واتبعوا اهملهم وكل امرئ مستقر الآية فانه اذا كان المعنى
سينشق القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لان ذلك الزمن الآتي ليس فيه
من مدع مجتهز حتى يذهبوها الى السهر وايضا قوله تعالى وكذبوا نصوص صريح في
تكذيبهم بان انشقاق القمر مجتهز وانما نسبوه الى السهر وقد جاءت قراءة وقد انشق
القمر بن زيادة التاكيد لاسيما ولهذا نقل الاجماع غير واحد على ان الانشقاق قد وقع
وانه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع قد قالوا قد ادى انها
متواترة بالقطع وبه صرح القاضى عياض وغيره من مباحثى الرواية والمحدثين وقال
القاضى عياض ايضا ما عناه ان من يدعى عدم التواتر في ذلك انما هو الجاهل كمن
يغمض بصره ويقول ما لي لا ارى الضوء وكذلك هذا فان المعرضين عن الاطلاع على
الحديث والسيرة هم الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة مما قد نمان صراحة
القرآن فيه واجماع الامة على تفسيره بما لا يستعمل تأويل ولا تشبيه ولم يقل أحد خلافه
سوى دسيسة المحدثين كونه لا يروى على حاله وكان نقل كثير من المفسرين لها
لارد عليهم انها الذي صير لها ذكر والحق ان كثير من المتأخرين الذين فسرهم لم يراعوا حق
القرآن في تنزيه تفسيره عن سفاسف الأقوال عما هو مردود بالبداهة وأصول العقائد
والاجماع كما وقع في هاتك الآية مما جعل للقول ذكر وان لم يكن له من أساس ولا سند
ولا يجب لحساد المفسرين ودسائسهم في المعاني بما اشتهوا عاين انهم طامعوا حتى في

* الألفاظ وأرادوا أن يدخلوا عليهم الشك والتعريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من القرآن في محله ومروا ألف وثلاثمائة سنة وعشر سنين عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج التشكيك على أحد من الأئمة من عامة الفضلاء عن علمائها ومن هذا القبيل ما رآته عند كتي هذا المحل في تأليف جديد للغوى أحمد فارس عباس الجاسوس على القاموس فهو وإن كان في بابه من جهة اللغة حسن الموضوع ولكن لما كان صاحبه غير متضلّع بالعلوم الشرعية اختار راج عليه ما يذكّر في بعض كتب أدبية لذوى بحوث متعقّرين بذكر ما يروونه من الطرف والطرائف لتفضية الوقت والتزلف لدى جهال الأمراء حتى قالوا إن بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيه التعريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم وجود الشك والشكل والنقط في الأحرف العربية في الزمن القديم وعدوا من ذلك جملة الألفاظ حتى قال إن معناها أنا فقرأوا أنا وقضى فقرأ وصى ويثس قرى بقبين وعباد الرحمن فقرأ عند الخ ولولا التحامل المقصود لهؤلاء لم يصح لهم ذكر ذلك والأفأى ذى عقل يقول إن أحرف الكلمات المذكورة يشبه بعضها بعض حتى يقرأ على ما ذكره من أين أتت الواو أنا حتى صارت أنا وأنا فكيف يشبهه القاف بالواو في وصى ومن أين أتت الألف في عند حتى صارت عباد وهذا كفى في بيان التصادق والافتقار حقيقة أن القراءات السبع كلها متواترة بأصوات أهل اللغة والدين كأنص على ذلك علماء أصول الفقه وأصول الدين وسائر القراء وإذا قال أحد مدعى العلم في عصرنا إن التواتر يحصل به العلم العام فعلى لم يحصل لي حتى الظن بذلك ففسد لعلم فنقول إن ذلك من الجهل المركب وذلك لأن المراد بكون التواتر يحصل بالعلم انما هو عند من علم التواتر وعند أهله أى أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله سهل جدا فأنك إذا سألت أحد أهل السياسة وعلماء الجغرافيا عن وجود بلد تسمى اسمك هل هو أم لا أجابك حالاً بانها موجودة قطعاً وانما تحت ملكة السويدي وأنه لا تراب في ذلك مثل ما لا تراب في وجود نفسه فإذا أتيت بمجهور علماء الجماجم الأزهر وعلماء جامع الزيتونة وعلماء جامع القرويين وغيرهم من علماء الدين وسألهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد منهم شعوراً بها ولا يجب عليك إلا بالى لأعلم لهذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة المجهور العظيم من علماء الشريعة قادحاً في وجود تلك البلاد أو في نوجها عن كونها تحت ملكة الملكة بنبوت التواتر إن لم يشاهدوا من أهل العلم بذلك كلافك ذلك لا يكون جهل جميع الجاهلين فادحاً في وجود التواتر بالقراءات السبع بل قال جمع من الأصوليين

ان القراآت العشرة من اربعة فضلاء من السبع واذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى التخصيف والتحرير في تلك الكتابات والله ما بهما ثابت به القراءه وانما ساجه ذلك من التشديد في الذي لا اعتبار له سوى القسويد في الكتب لينقل عنه من يرى ان العلم كاف فيه وجوده في كتاب مسود وسيأتي لهذا الموضوع مزيد بيان في الخاتمة ان شاء الله تعالى ولنرجع الى تاريخ مصر فنقول انه من عهد منمنمناوا بنه لم يوجد في التاريخ شيء معتبر من احوال مصر سوى استيلاء عائلات اخرى الملك الى ان بلغت الى العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شينق الاول الذي حارب ملك الشام وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وقضى ملكه وبقيت تحت حكمه وصور فتوحه على هيكل الكرونك وكتب عليه بال نقش مصري فمما كتبه به وذاتي قبضتي ثم خرجت عليه الشام وحاربها ابنه وانكسر ثم لم يكن ثقاتع مصر من اهمية الى ان استولت عليها العائلة الخامسة والعشرون وهي من ملوك الحبشة وأولها فرعون سبالقون وصارت من هاته العائلة عدة ملوك وحاربوا ملوك آشور التي كانت ملكتهم بين الفرس والشام وعظمت ملكة مصر في أيام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وغالب أفريقيا وصار فيها تمدن عظيم حسبما رت عليه الآثار ثم انقرضت الدولة واتفقت المملكة المصرية الى اثني عشرة سمانم اتحدت تحت العائلة السادسة والعشرين وأولها فرعون ابساميس وترقت المملكة في أيامه وكان فيها ابتداء استعمال الحروف الابجدية في الكتابة عوضا عن الكتابة بالصور التي كانت مستعملة سابقا كل صورة علامة على كلمة ومن مده ابتداء التثبت في التاريخ المصري وانجلى حاله نوعا ما عما كان من قبله في اثبات الزمن فكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان نحات معارفهم اليونان وكثرت بينهم الخطا ثم استولى ابنه وفتح به من أسبوسها بابل وأراد وصوله الى النبل بالبحر الاحمر ولم يفته وخرج عنه ايضا بعض ما فتحه في آسيا كذاك الشام ثم استولى عدة من ذريته الى ان فزع مصر بقتل فرعونها اداولي عليها احد اعبانها ثمان الف عليه فخار به ملكة فارس وتغلبت على جميع البلاد وصارت مصر ولاية فارسية حدثت فيها عدة ثورات من الالهة الى لا تقاذ أنفسهم من الفرس ولم تنقش اونهاية خروج مصر من يد اهلها كان في حدود سنة ٣٥٨ قـ قبل الميلاد ولم يتولاها احد منهم الى الآن بل كانت سائر دولها من المظلمين من خارج ثم بقي بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس الى ان ظهر اسكندر المقدوني اليوناني

وشرع في الفتح فافتتح مصر وجعل قاعدتها الاسكندرية كالمصر وكان فتوحه
 سنة ٣٣٣ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قراد
 الاسكندر عند اقتسام ممالكه بعد موته وانتشأت الدولة البطلمية وسيرة التي تحفظت
 على ما أمكن لها معرفة من علوم قدماء المصريين وزادت بمعارف اليونان وقد فتح
 بطليموس المذكور الشام وجعله ولاية مصرية وأهلك من اليهود ما لا يحصى نصر
 حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الزمان ثم لما تولى ابنه أعتق من وجده منهم ووردهم
 الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود
 المبارزين باللغة اليونانية فترجمها كل من بم يافتراده وقوبلت الترجمة مع بعضها
 واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة
 الاصل للعبرانية والسامرية وكان السبعينية أقل تحريفا للاتفاق عليها اذ ذلك وكان
 تحت مهاد ذلك تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر
 اليونان ثم تولى بطليموس الثالث وزاد في الفتح الى ان دخل اواسط اسيا ثم تولى
 الرابع وقتل اليهود في سائر ممالكه شرقتا وكان بطشاً وقوى بعده ذرته ولكنهم لم يكن
 لهم من تقدم احدا هم سوى اسم الملك اما الاجمال فهي قهرية اسبغ بداعية شوية سنة
 الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق وأجها كايوا ترفعات
 في البلاد والعباد وضعف ممالكها ففقدوها امبراطور الرومان بالحرب وارسل لها جديدا
 ولكنهم لما اجتمع برئيس جيوشه شقيقه حبا حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت
 اخوها واحدا بعد آخر ثم اقام معها رندس المجيوش الى ان ارسل اليه جيش آخر
 وقتل في المعركة ولما است الملكة من النجاسة مكنت حبة قتالة من ثديها فتمتتها
 وماتت وقد رايت صورتها في عدة اما كن من اوربا والحية في ثديها وكان بذلك
 انقراض دولة اليونان من مهاد ابتداء اسبغ بلاد الرومان عليها فلم تزل ولاية رومانية
 ياغب واليه بالقوس له الا في النصر في ان جاءت البعثة وخاطب النبي صلى الله
 عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام
 المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه باسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله
 الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (اما بعد) فاني ادعوك بداعية
 الاسلام اسلمت بوقل الله اسرك مرتين فان قولت فعليك انتم القبط يا اهل الكتاب
 تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا

بعضاً رباباً من دون الله فان قولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون **هـ** فاجابه بالعزبية
 عباسه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من القوقس عظيم القبط سلام عليك أما
 بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا اليه وقد علمت ان نبأ ما تدعي
 وكنت أظن ان يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثته اليك يجاري بين لهما مكان
 من القبط عظيم وكسوة وأهديت اليك بقله لتركها والسلام فلم يكن فيه اجابة ولا انكار
 وانما هو يرمي الى قرب الاجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠
 على يد عامله سيدنا عمرو بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وأمه الخليفة بأربعة من
 أسود الصحابة قال ان الواحد منهم في مقام ألف فتلك اثنا عشر ألفاً ونسب اثنا عشر
 ألفاً من قلة وتماضى الفتح منها بقية أفر ببقية وسحب كانت أخبارها الى العائلة الحميدية
 العلوية بمسواة في التواريج لا يمكن استيعابها فتعبر هنا على ذكر الدول وسنذكرها
 ومن الاحداث في صفحتها في جدول خاص هذا وأما بقية الخلفاء السودانية وهي القسم
 الجنوبي من النوبة وما يليه جنوباً من بقية السودان وقاعدة ملكهم تسمى سنار باسم
 المملكة فسأيت ما يعلم من أحوالها انها قبل الهجرة بنحو ٣٧٣٥ سنة كان يسكنها
 قوم من الزنوج لا تعرف أحوالهم ثم روت عليهم طائفة السكوش من العرب وحضرات
 بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين الى إقامة قتال في الحدود وتنافس ظاهراً
 بما كان لهم في النوبة من النفوذ ثم تسلط **هـ** على سنار العرب على مصر وهم الرعاة
 خرجت عنهم كما سبق ذكره ثم دخلت في أيها إلى سنار وغيرهم الدانية النصرانية في القرن
 الرابع من الميلاديم في القرن الاول الهجري ففتح العرب هاتيك الجهات وبقيت على
 الاستقلال بإدارتها سوى التسمية الدينية للخلافة الى سنة ٨٨٩ فاقبلت قبيلة تسمى
 الفنج (أو) الفون ولا يعرف من أين أتت فتغلبت على تلك الجهات وتملكتها وكانت
 على الدانية الوثنية ثم أسلمت وصار منها علماء أجلة في عدة مدن وأرتحل منها طوائف
 الى قواعد الاسلام لاختلاف العلوم فبرعت منهم في قول وكان ملكهم من أقوم ملوك الاسلام
 الى أن حدث فيهم التنافر الداخلي والانتقام وتعاروا فيما بينهم فعملوا بذلك وسبب
 لجبارهم في التسلط عليهم فاحتلها بمحمد علي باشا فرصة واستولى على جميع سنار
 بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما سطوط النوبة الشرقية أعني ما كان منها
 على البحر الأحمر فانه كان في أغلب الاوقات تابعاً لمصر حتى بعد الفتح الاسلامي وعند
 ما فتحت الدولة العثمانية مصر بقيت هاتيك الجهة تحت ادارة خاصة بها تابعة للدولة

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارته الى محمد علي وجعلت جزأ من الممالك المصرية والمحقت
 بها أيضاً بلدة أنصبا ومخاقم التي كانت تابعة للخدمة فاسـتولت عليها مصر شياً
 قشياً (وأما) دارفور فغاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الإسلامية القديمة
 وأهلها من اخلاط السودان والعرب وأنوعاً من ملوكها عربية سودانية يسمى أولهم
 السلطان عبد الرحمن توفي سنة ١٢١٨ وانتقل الملك في آبائه الى أن تغلب على المملكة
 اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيلع وغيرهما من بقية جهات السودان على شطوط
 أفريقيا الشرقية فحصل ما بلغت اليه أنهم قوم من العرب اجتازوا الى هناك من قبل
 الاسلام ثم أسلموا في مصر ودار الاسلام واستولت الدولة العثمانية على اليمن وغيره من
 جزيرة العرب وأفر ببقية دعات تلك الممالك أيضاً طوعاً في طاعة الدولة ولم تزل مصرية لهم
 هوأندهم ولها الحكم السياسي الى أن ألحقت ذلك بمصر بمقتضى فرمان مصرية الى اسماعيل
 باشا ورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قديماً مشعولة بمجاد كرفاه
 في سنار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه في زمن
 المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من حال أسوان وأهلها ما بهم ما كوا
 أراضى في بلاده بالشره من أناس والمحال أنهم أي الباشا عين عبيده فأحال فصلهم على
 قاضي أسوان ولم يقر الباشا عن بارق فضفن عليهم ملك النوبة ويطش بهم ثم صار التعدي
 متوالي من النوبيين على أهالي مصر وكلما أغاروا وجه لهم حاكم مصر راداً لندعنون
 ثم يعودون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالجأ اليه ابن أخ ملك النوبة بمصر فاستصره على
 همه فاعانه وأولاه ملك النوبة وضر به عليه نراجا والمحق بمصر فحوال ربع من النوبة ثم
 لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت حدودها عند مصر مأوى للامراء
 أصحاب الفتن فيلبثون بها الى أن استولى محمد علي فاستولى على جميع النوبة وغـيرها
 وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول بحكومات مصر منذ الفتح الإسلامي

﴿ جدول حكومات مصر ﴾

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	سيدنا عمرو بن العاص وخلفاؤه	عمال للخليفة من الخلفاء الراشدين ثم الأمويين ثم العباسيين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسي قدينا
٢٩٤	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٢٩٣	الدولة لاشييدية ومنها كافور الاشبيدي	سلطان مستقل يدين بالبيعة للخليفة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية أو لها المعز بن المهدي	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية وأولهم استقلا لصلاح الدين وأخوهم شجرة الدر	مستقلين وتماكروا الشام وغيره وصلاح الدين هو فاتح بيت المقدس من أيدي الأفرنج وصاحب الوقائع الشهيرة في حرب الصليب وفي مدتهم انتقل الخليفة العباسي الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صوري فقط
٧٨٤	دولة المماليك أو لهم المعز ايبك تزوج شجرة الدر المذكورة	مستقلين خاضعين للخليفة العباسي بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المماليك	عمال لاسل عثمان لهم ادارة مختارة فوضي
١٢١٣	الفرنساويون	تغلب نابليون الاول وبقي الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واعانة الإنجليز

* مطلب في تاريخ مصر الجديده كما استولى الفرنسيين على مصر وكان قاصد التوصل
 من هناك الى انشكاك الهندن الانكليز لما كان يدعونهم من الحروب والمداوئ بل وكانت
 اثرا اوروبا اذ ذلك ضد الفرنسيين او دين حجة ما تقدم ذلك في عمله فحفظه عاصدت انكلا تيره
 الدولة العثمانية على حرب فرنسا وأوجها من مصر ١٢١٦ وبهـ واستقرار أمرها
 * للدولة استولى امارتها محمد علي باشا الذي احده له من الارناؤط وقدمه كروابع
 عساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيين وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم اليها
 بنفسه على بني جنسه واتقاده الجميع وقررت ولايته الدولة على دفع نواح معلوم سنويا
 وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل بل حتى ان
 الامراض الوبائية من الطاعون قد تمكنت فيها وصارت عادة تقضى من الناس سنويا
 خلقا كثيرا حتى قل الهران ولم يبق من ما آثره تقدم المصريين سوى الامم في النواحي
 نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء ذلك كله لمصر عليها
 من تقلبات الدهر والظلم والجور والاضطداد والخراب في الايام الخالية فشمع من
 ساعد الجدد واقفه البعث ورفع مصر عصر احديديا فظنم فيها جيشا نظاميا من أهلها
 ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير مجحف وألزمهم بتعمير الارض ورفع الترع وانشأ
 المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية وأحضر المعلمين من أروبا واحيى الممارسات
 وألزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والبنات وأرسل للتلاوة مدة الى أروبا لتهـ لم
 الغزون واحيى العالموم الشرعية وسهل أبواب التجارة وأشاء معامل السلاح والسفن
 وترجمت حـ الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية فغلت في مصر جبل
 جديد ومصر حديد بسطت فيه طرق الهران والحدن والقوة في مدة يسيرة فافتتح النوبة
 * وسنار واستولى على الشام والحجاز وانضمه من الوهابي بل امتد بالاسـ قبلا الى قرب
 الاسـ فانه في الاناطولي وحديث شـ وكهـ من عصيانته على الدولة العثمانية فتعصب
 الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها وفي الباطن خشيته من انتشار دولة
 اسلامية تشابه ذات قوة مثل تلك وحركها مصر فتعنى ان تعتمد من هناك الى الهند الذي
 هو روح قوة الانكليز سيما اذا عاضده احدى الدول اوروبية مثل فرنسا فظن ذلك
 حاربه مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذلك على ضعف شديد من حرب اروسيا
 والثورات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر واحده على ولكن لاتمسك مقصد
 انكليز تيره لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر لمراعاة المقاصد المشار اليها ايضا

فكان الاوفى لحما ابقاه مصر على شبه استقلال ليضعف كل من المجهتين وبقى محمد على واليا على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكرالى أكبر ويؤدى خراجا سنويا للدولة ويعينها عند وقوع حرب معها بالعساكر الذين يبالغ عددهم الأربعين الفا وكذلك يعينها بالسفن وان الرتب العالية في مصر يعينها أصحابها وتولى م الدولة والسكة والخطبة فيكون باسم السلطان العثماني والعلم عثمانى أيضا وتخرج الخراج عنه الى الدولة وكذلك الشام وبقى على ذلك الى أن ضعف بالنسبة فنزل عن الولاية لابنه الأكبر وهو رئيس جوشه و هو ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ . وكان على قدم آية

* وتوفي ثلاث السنة فتولى بعده ابن أخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد على سنة ١٢٦٥ فآخذة فوان القدن في شئ من الاقطاط لصرف المداخيل في الشهوات لكنه أحدث شيئا من المنافع كبعض طارق الحديد والسلالك الكهربي وأحكم الصلح مع الدولة العثمانية ثم توفي سنة ١٢٧١ وتولى بعده سعيد بن محمد على فزاد اقطاط القدن

* واتسع خرق الاسرار ومنع بحجة لبس الفرائد ففتح خليج السويس وكثر الدين على الحكومة ثم توفي سنة ١٢٨٠ وتولى اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد مصر القدن والمعارف واتسع القوات البرية والبحرية وشدد الانعام بفراسا وانكلا تيره بمباحه له أخذ طاريق الاستقلال بالمره من الدولة العثمانية وصادف ان كان في أيام ولايته حصلت حرب أمريكا المتقدمة في هذه مائة قطع منها جلب القطن الى انكلا تيره واشتد طلبه من مصر فحاصت فيها ثورة لم تهدم مع امتداد بارق الخدي الى جهات شتى والى السودان ثم فتح خليج السويس في مدهودى له ملوك أوروبا فحضر له كثير منهم كأمير أوروبا وستريا وأمبراطور الفرانسيس وزوجة الامبراطور نابليون الثالث من غير قوسط الدولة العثمانية مما زاد الشبهة في دعوى الاستقلال لكنه كانه تحقيق من زائره ان المقصود لا يتم له فقبرت سمته من وقتئذ وعاد لمصافة الدولة العثمانية وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز بنفسه الى مصر والى مقره في الاستانة وحصل منه على فرمان امتياز باحصار الورثة في مصر بغيره من أكبرهم الى ابنه الأكبر وهكذا زاد في الخراج للدولة وأخذ منها ملكة زبلغ وفتح دارفور وكردان وغيرها

* من السودان وزادت المعارف كلها شعبة في أيامه وأنشأها كم المختلطة بمصر لمنع حكم القضاة لوانشأ مجلس النواب عن الامة كذلك مجلس الوزراء الا ان الكل تحت أمره وحده لكن ازداد الدين على الحكومة بكم مرة المعارف

الداخلية في إنشاء القصور وغيرها كالترع والطرق وبكثرة المصاريف للدول لتعصيل
 مطلوبه منهم مما ذكرناه وانتقرا الاهالي من الظلم وأخذوا هم بالضرب وغير
 محمد خير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بقاوض الديون الأوروبية
 * وجمعت مزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنها فند اخذت الدول في حفظ
 أموال رعاياهم وأنشأوا وزارة فيها وزيراً مكلفاً بالوزير فرانسوا
 لا شغال السامة وتعرض الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الاذعان لمجرد
 ارادة اسماعيل باشا وتقلب مراد في تغيير الوزراء فلم يقدروا على أن يثابروا بالقدرة
 متفقاً مع مجلس النواب وأهانوا الوزارة المختلفة كلها بدعوى انها قسمت من مصاريف
 الجيش وعدده لكن المعاملة مع الوزير الفرنسي كانت ليئة وهو مفض عنهم حتى كان
 لسان الحال يدل على ان الفرنسيين باطناً في اتفاق مع الخديوي يوافق قصده في التماهد
 * من انكلا تيره حتى قطعت لذلك وأرسلت له رسولا خاصة اليبلغه نصيحة شديدة مما لها
 ان النافق لذهاته هو الرقي بالربة والسكن عن الاسراف وان يكونه الى غيره الا يفيد
 عند تحميص الحق فأجاب بالقاص مما رعى به واشتد حنقه من التدخل الاجنبي الى أن
 حصلت تلك الامور من العساكر فزال الخديوي الوزارة فثار غيظ فرانسوا واكله تديره
 وطلبوا من الخديوي أن ينزل عن الخديوية فأبى والحوالي أن كادوا أن يباشروا
 بالحرب وكانت الدولة العثمانية اذ ذاك أثرت وجهها من حرب روسيا التي قسمت بها
 كثير من عمال الدولة فاردت الدولة أولاً أن تسمى الخديوي اسمها المسمات أن
 لا مناص من عزله جماعتها كما قيل بيدي لا يدعرو حفظ الامور واسماها تها فبعثت برسالة
 * أمر بذلك المذكور بالي اسماعيل باشا تعمله بعزله وأمر آخر الى ابنه الخديوي الحالي محمد
 توفيق تأمره بالولاية وتسلم زمام الامر وذلك سنة ١٢٩٦ ثم سافر اسماعيل الى ايطاليا بمرجه
 وأبشانه وبقي ساكناً في نابلي بقصر الحكومة ايطاليا وتصرف الخديوي توفيق في مصر
 بواسطة الوزراء وجعل رئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل لسكن من انكلا تيره
 وفرانسوا قسماً ايطاليا بضمير مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يضيئ شي الاما وافق
 عليه المواقبون وسعت مدان اسم الحكومة على تعيين أحدهما القاضي الديون وقدر
 تلك الديون نحو ألفي مليون فرنك ومقدار ما عين لفائضهم واستهلاك أصلها نحو مائة
 وستين مليوناً فرنكاً ونحوها وبالباقي من مدان اسم الحكومة يدفع منه مناج الدولة
 العثمانية وبقية مصاريف الحكومة وجرى التصرف للوزارة بدون مجلس النواب

مع وعد الخديوى عند ولايته بتقضى اجراء مقتضاه الى أن ظهر للوزارة ان محمد قانونا في رتب العسكر كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكفاية والقراءة لا يتجاوزون رتبة رئيس الالف أى بين باشى والذي لا يعرف ذلك لا يستولى الا رتبة رئيس عشرة و رتبة انترتب يتولاها الدخيلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القانون في وزارة الحرب بعدة من أمراء الالايات معللين بان ذلك خلاف الانصاف فمجنهم -م وزير الحرب فثار العساكروا نوجوهم من المجهن وأحاطوا بقصر الخديوى طالبين عزل وزير الحرب فمزل وحصلت (حينئذ) طفنة لانهاد العساكروا نصافهم وحياة المصريين ونشأ في الامة حزب يسمى الحزب الوطنى زعمه في التكلام رجل يسمى عبد الله نديم * فصحح الله ان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب في المجالس والواكب ومن غيره أيضا في المحدث على الاتحاد وأخذ الاشتغال لبناء الوطن وكذلك الوظائف والخروج من ولاية الاجانب الذين اشتد احتقارهم للإلهالى واستبدادهم عليهم بالمرتبات المباهظة حتى انى لما مررت بمصر كنت اسمع دوى غليان الالهالى من التشكى من كثرة قوطيف الاجانب الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتى متوظف يأخذون سنويا نحو أحد عشر مليوناً فرنك كإعانة دار الالهالى على الوفاء بتلك الوظائف وتقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ثم بدا للوزارة لزوم التقصص من عدد العساكروا نالحمدوا أحد قوا بقصر الخديوى متسولين حتى بالمدافع به -مدان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم -م وعلى رعاياهم -م والاعلام بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر في رتبة أمير الأى فصيح اللسان ثبوت الجنان اسمه أحمد عرابى فطالب هو ورؤساء الجيش الاجتباع بالخديوى فلما تبين الخديوى جد ظلمهم بواسطة خطاب فنزل الانكياز منهم تلقاهم فأعلموه بأن مظلهم -م هو عزل الوزارة وولاية رئاستها لشرى بعباشا وجع مجلس النواب واجراء قراره حقيقة وان تكون له الحرية اللازمة لئله واندلايمس حقوق الاجانب وتمهيدات الحكومة منهم -م فلم يسع المجال لقبول جميع المطالب واجرائهم -فملاوا زناد عرابى نفوذا وانطلقت الاسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذى يتفق عليه أعماله وكان من جلته انه له الحق في الاطلاع على حساب الحكومة في الحساب وله الرأى فيه مع ان ذلك من خواص مأمورية المراقبة الفرانساوية الانكيازية فامتنعت وزارة شريف باشا من قول ذلك لما تسلم من تداخل الدولتين في الامتناع حتى يفضى الى التداخل في السياسة فأصر المجلس على طلبه وأظهرت العساكرا التعصب الى المجلس فاستعفى شريف ووزارته

ومن هنا توجهت الأعمال عن القصد الجليل لما يوقعها في الزوال لان العاقل ينظر لمجموع مقتضيات الحال ونسبة قوة الدول فيقارن من موجبات الفساد ولا تطالب الثبات في البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طلب الشيء قبل اوانه عوقب بجرمائه وما بالعهـ من قدم قدر او اتعدا على الدولتين في عزل الخديوي السابق حتى تم مرادهم فكيف يفتح لهم باب التدخل وهم بالمرصاد منهم لكن سبق القدر فلم يتدبروا واستبجلوا فاهموا على طلبهم ففوض الخديوي اقتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من حقوه تطليد بالخاطر الا اهالي فاستولى رئاسة الوزارة محمود سامي واستولى وزارة الحرب على رايه ايضا فمن هنا الاعتراض عاينه من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من الامر المعروف والنهي عن المنكر يحجب تلك الولاية ويحجب به غرض خاص به من الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقي من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء وقبل هوم الخديوي تلك الرتبة بعد الانحاح عليه فوافقت هاته الوزارة راي المجلس وكانت اذ ذلك السن الاهالي وصفهم بذيقة مطاعة بالقدح في الارباب وعين والتبجح بما هم عليه مما أسف منه عقلاء المسلمين فهاجت ضدهم صحف اربابا عاواشـ هدم القرائسايون والانسكايون حتى ابرقت وارعدت دولتهم متهددين بالحرب طالبين نفي عرابي وبعضهم رؤساء العساكر الذين رفقوا الى رتبة اللواء وارجاع وزارة شريف ودحش مطلب مجلس النواب في التدخل في امر المراقبة فوقع اضطراب وجهان ظهرت فيه دعوى على بعض من العساكر الجرا كسة بانهم قصدهوا قتل عرابي باغرات سرية منها المنسوب الى طلعت باشا احدى لائق اسماعيل باشا فني اولئك الجرا كسة الى الاستئناف بقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في احد المينات السلطانية الى أن رجعوا بعد الحرب الا سقى ذكرها فلما اصررت الدولتان على ذلك أعلن الخديوي بعزل الوزارة فنارت الاهالي والعساكر والزموا الخديوي بارجاع عرابي الى وزارته وقدم اذ ذلك مرخص عما في وهو المشير دوش باشا ومعه عدة رجال لاراحة في مصر بالوجه الحامي لان الاهالي ايضا اكثر وامن التنويه بانتهائهم للدولة العشائية ووردت منها افراد على الوجه المنصوص من قبل لاراحة الاهالي وكان الخلاف بين عرابي والخديوي عنده قد قدم دوش باشا مشددا حتى ظهر الخبر بان الاهالي قدموا مضبطة بالطلب ف عزل الخديوي بل جرى الطمع حتى الى انزاع الخديويته عن عايلة عجمـ دعلى بارقة وطلب أن تكون مصر مثل البلغار في امتيازاتها التي منها اختيار الوالي وأن لا تدخل فيهم الدولة

العثمانية بشئ في ادارتهم بل ربما تحررت صحفهم بانها لو ترسل عساكر ضددهم - هم فانهم
 يقاومونهم كما يقاومون سائر الدول وحينئذ أعلنت كل من فرنسا وانكلترا تبرعاً بلزوم ابقاء
 الخديوي ونفوذه وقطع مضادته بالقوة البحرية غير ان فرنسا تطلب ان تكون قوتها
 وقوة انكلترا تبره هي الفعلية ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك واذا كلاً تبره على ضدها
 فطلب من ادارة عساكر الدولة العثمانية لذلك فرأت الدولة العثمانية ان فصل النزاعة
 يتم بدون احتياج الى قوة وأرسات دزويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدومه
 ما أغاظ كثيراً من الاروبا وبين لانتقياد العساكر المصرية والاهالي للسلطان
 وامتنال امره وابتدأ السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئاً شديداً يمكنه حدث في
 الاسكندرية التي كانت اذذاك مراسها خاصة بأساطيل الدول الاروپاوية حادثة شديدة
 وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فقط - ل الاروبا وكون
 بذلك وزموا حتى توجه الخديوي ودزويش باشا وعراقي الى الاسكندرية لاقرار
 الراحة وأقر الدول ان الواقعة عادية لا تدخل لها في السياسة غير ان أصل المسئلة من
 اصرار الدولتين على مطلبهم وامتناع اهالي مصر لازل على ما كان وفرنسا أشد اعداءها
 وتهديدا باعلان الحرب وبإمات انكلترا تبره مقدمه وتعرفي الاستانة المنسحب من العمل
 فامتنعت الدولة العثمانية من التدخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر
 فرأت ان ذلك من باب تدخل الدول في داخلية الكنتهم وقدوة دخلت فيه الدولة
 العثمانية أخيراً وبينما هو في التفارض كانت العساكر المصرية تصلح في حصون
 الاسكندرية حيث انها خربة ولا استعداد في الان الدولة العثمانية كانت حشرت على
 اسماعيل باشا تحصينها عندما حكم حصن أبو قير جوار الاسكندرية وحصون دمياط
 وغيرها لما سبققت الإشارة اليه في أنجبها واسما عيل باشا وإمارات أساطيل الدولتين
 ذلك التحصين ادعوا انه تهديد لهم وطلبوا الاقلاع عنه فاهرت الدولة العثمانية بالكف
 من التحصين وادعى المصريون الامتنال وادعى رئيس أسطول الانكلتية عدمه وطلب
 دخول عساكره الى الحصون فتفاق الخلاف وأطلقت النيران من الاسطول الانكلتية
 على الاسكندرية فخربت في ثلث ساعات وتضررت بعض مدراعاتها وانحسرت
 العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وجيشوا ههنا واستولت العساكر الانكلتية
 على الاسكندرية وبقي الخديوي فيها وانكشف الغطاء على محالفة العساكر للخديوي
 وكان معه دزويش باشا المذکور فرجع الى الاستانة وبقي مع الخديوي السكان الثافي

السلطان واشتد المحاسن انكلا تيره على الدولة في ارسال العسكر ولم ترسل الدولة الى ان
 وقت عدة محاربات بحرية كان النصر فيها للمصريين واستولت انكلا تيره على برت
 سه. دوسا ترخايع السويس وكان كبرا المعسكرات المصرية في النيل الكبير بين
 القاهرة والاسماعيلية وتضايق الانكليزية لزوم قوة كبيرة لهم لانقاذهم لان
 فرانسالم افتح بحاس فوام الاستشنان في حرب مصر انكر ذلك اشد الانكار فمجمبت
 اسطولها وقيمت على الجادة بالدولة العثمانية وان وافقت اخيرا على ارسال عسكرها
 لكن تشدد الانكليزية في جهه له تحت امرهم وان لا يتصرف الاعلى نحو اشارتهم وان يخرج
 متى ما امره بالخروج الزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بنفاية الاحد تزامن
 الافعال البربرية سوى ما صدر من افراد من العربان والفلادين في جهات قليلة ويديها
 الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية تشرعت اهلا ناحب طلب انكلا تيره بان عرابي
 وكل من انما زالى حبه عصاة فلم يرض على ذلك بضع ايام الا وقد اخلت عرى النهصب
 المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في ازبل بدون ادنى حرب
 ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المسافة
 ألفا والمجدين ألف محارب باجم قوات الاستعداد فتفرقوا جميعا ايدى سباقى بضع ساعات
 وسلم عرابي نفسه اسيرا الى الانكليزية فرجع الخديوى الى مصر واقيم وكيل مدافع
 انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية وآل الامر حسب ارادة انكلا تيره وان حكم
 بعتاب عرابي لكن الخديوى عفا عنه لانه لم يفعل شيئا الا عن وفاق من يبيع واذنى له مرتبا
 لقيام بنفسه ونفى هو وكبراءه رؤساء الى جزيرة سيلان في الهند وذلك هو التعليق
 الباطنى مع ان خز باعظما من الانكليزيون ان جنابة اولئك العساكر السياسية
 لا توجب القتل فلذلك حكم عليهم المجلس المحرقى بالقتل لكن الخديوى عفا عنهم
 وابدل القتل بالنفى ولم تزل العساكر الانكليزية بمقيمة بمصر ورحلهم السياسيون هم
 مرجع الامور والنهى والوزارة تحت راسه فشرى باشا ناظر الدخيلة الذى له كمال
 النفوذ ياض باشا وانكلا تيره بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخلية
 وخارجية لمصر مع انما بان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة
 بالقرامانات السلطانية وان الترتيب التى هى بصدها الاتمس شيئا من حقوق الدولة
 ولا معاهدات الدول الاجنبية وتقلص نفوذ قرانافى مصر ولم تزل غير مسخرة
 لانكلا تيره جرادها والروسية قبل الى معاهدة فرانساهذاما وقع الى الاسن وهو المحرم

سنة ١٣٠٠ وبه يعلم صحة ما كنا ذكرناه في استيلاء فرانس على تونس وكتبتناه سنة ١٢٩٨ وأنه يفضل ما يشاء ويختار وله عاقبة الامور

ويطلب في السياسة الداخلية المصرية ^ب اعلم ان مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة ببناء الفرمان الصادر في ولاية الخديوى محمد توفيق باشا وهذا نصه

المدن والاكبر المسمى الخديوى الانظم المهتم بنظام العالم ونظم مناظم الامم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الانام بالارأى الصائب محمد بنى ان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكل ناموس السلطنة العظمى المحفوظ بصوف عواطف الملك الاعلى خديوى مصر المحاضر ترقية الصدارة الجليلية فعلا والاحمال لنبشاته الهماوى فى المصع العثمانى ولنبشاته المصع الجيديدى وزيرى سيمر المالى توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأيد اقداره وابقاه الله انه لى وصول توفيقنا الهماوى فى الرفيع يكون معلوما لكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوى مصر فى اليوم العاشر من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمتكم وصداقتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولناضع دولتنا العلمية ولناهموم دولتنا بان لكم وقوفنا مع احوالكم فى خصوص الاحوال المصرية وانكم كفولة لى بعض الاحوال الغير المرضية التى ظهرت بمصر منذ مدة ولاصلا حواجهمنا الى عهدكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضى المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقنا القواعد المتقدمة بالفرمان العالى الصادر فى ١٣ محرم سنة ١٢٨٣ المنضم توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحب انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهلها يوسكانهم اورفا هيتم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان الفالى الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبني فيسه الامتيازات الحاضرة لى الخديوية المصرية قد عانت منه الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة صارت تبيت المواد التى لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتا كيد هلا صارت تعديل المواد المقتضى تبديلاها وتعديلها واصلاحها لتقرر اجراء الاسن هو المواد لا تقيده وهى ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون قصصيلها واستيقاها بنسبنا الشاهانى وحيث ان اهلنا مصر ايضا من تبعه دولتنا العلمية والخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة الملكية

والمالية والعسكرية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعد في وقت من الاوقات تخديوى مصر يكون مأذونا بوضع الضمانات اللازمة للدخالية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة وأيضاً يكون مأذونا بعقد وتحدد بالمشارطات مع مأمورى الدول الأجنبية في خصوص السكر والتجارة وكافة أمور الملكية الداخلية لاجل ترقى المحرف والصناعات والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو الاهالى والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعة مصر اليها وانما قبل اعـ لان التحدية بوبه المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تفديها الى بابنا العالى وأيضاً يكون حائزاً للصرفات السكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذونا بعقد استقراض من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذونا بعقد استقراض بالاتفاق مع المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسمياً وهذا الاستقراض يكون منحصر في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً ما وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى مهربى جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها التحدية أو ودعت لديها لا يجوز لاسبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جمعها أو بعضها أو ترك قطعة أرض من الاراضى المصرية الى الغير مطلقاً يلزم تأدية مبلغ ٥٠ ألف ليرة عثمانية الذى هو المبرك والمقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهانى ولا يجوز جمع عساكر زيادته عن ١٨ ألف لان هذا القدر كاف للحفاظاً آمناً بالله مصر الداخلية في وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز ان يزداد مقدار عساكر بالصورة التي تستدب حالة كون دولتنا العلية بحاراً وتكون رايات العساكر البحرية والبرية والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونباشيتهم ويباح تخديوى مصر أن يعطى الضباط البرية والبحرية ترقية الى غاية رتبة أمير الألاى والملكية الى الرتبة الثانية ولا يخصص تخديوى مصر أن ينشئ سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة مصر بحصة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن القروم وطاية كافة الشروط السالفة الذكروا الاجتناب من وقوع حركة تتخالفها وحيث صددت اودت تفا السفة باسماء المواد السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر للوضع أعلاه يحفظنا اللهما وفي وهو مرسل بحسبة افتخار الاعلى والاعاظم ومختار الاكابر والافاقم على فؤاديك باشكاتب المابين اللهما وفي من أعاظم رجال دولتنا العلية المحائز والمخلص للثياشين العثمانية والمجيدية

والجديدة ذات الشأن والشرف حررقى تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من

هجرة صاحب العز والشرف

وهذا تعلم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمناه في
التاريخ لا يتبين لنا التصريح بالحقيقة التي يرى عليها الحال لانما غيره متفرقة كعاجات
وانما نقول انها الآن لما نحدثوى بتصريف بواسطة الوزراء على فعوال القاعدة الاربابية
وباعدها هذا فهو موقوف الى الآن وهو سنة ١٣٠٠ ومن الهيب ان بقى الحال
هكذا على غير استقرار وكل حين يسمعونهم يريدون ان ينشروا اساسات للادارة ولم
تظهر للوجود مع شدة التشكي من الاهالى من الحسالة الى اهنة التى ما لها عدم العلم
بمراجعة الامر وعدم تعيين المتصرف رسميا وعل فان القوة الحربية بيد الانكلاز وهم
أصحاب النفوذ الكثر هم مخرجون بانهم لا يتصرفون فى الادارة وانما راجعة الى
الحديثوى وحكومته وهؤلاء ايديهم قصيرة اذ كل شئ من روجه صاحب القوة لا سيما بعد
ان استعفت وزارة شريف باشا ووزارة نوبار باشا الذى علم ان لا يماص من مجازاة
انتهوى مع تقاوم الثورة فى السودان التى كانت ابندأت او انتم مدة اسمعيل باشا بسبب
تعدى الما ورن على رجل مندوب للصلاح يسمى محمد احمد كن شج طارية وله
اتباع فغارث منهم اتباع طارية اخرى فاغر واهم حامل تلك الجهة وهى دارفور فارسل
اليهم بعض اتباعه لحمل قوههم وقهرهم وتكرز ذلك وكما ارسل اليهم قوة كسر وهما
فصل محمد احمد مشهورة الى ان ادعى الله دويته وكانت الاعيان والامراء من السودان
فى حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم واموالهم الى ان استنوا على اغلب
السودان المصري وكسر والمصريه دة جبوش عظام احدها يشعل اذ يدمن عشرة
آلاف قتلوه من آخرهم وادعوا لى مهماتهم وفى اثناء ذلك دخل عدو بكر
الانكلاز الى مصر فاعلمت انكلاز تيره بغض ل السودان عن مصر واستعلاهم باعهم
منه ما بانهم لا تنفع فيهم للحكومة مع ضيق الما عن الوفاء بمصر بهم وكان ذلك سبب استعفاء
وزارة شريف باشا فمستكبان ذلك لا يصح بدون امر الدولة العثمانية الما لها
السيادة واضرهم مصر ايضا لكان انكلاز تيره اصرت على رأيسا وأول نوبار باشا
وقائدتهم من ذلك هى تضعيف مصر واحماله السودان بوافقتهم اليهم انكلازهم كانوا اشد
عليها كما كانوا من المصريين فارتد اليهم انكلاز يا كان مع امراهم يسمى فردون
كان متوليا كما علمنا علمهم مدة اسمعيل باشا فاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفا

ولا بد لا فتحة يبذل الخروط وطلب القوة من دولته وكانت الوزارة اذ ذاك في يد حزب
الحرية فاطهروا من التناقص في القول والعمل ما يتجهب منه في ارسال القوة وأمرها
بالقدم تارة بالآخر أخرى الى أن فتح الود اتبون الخروط وتم لهم جميع أمر الودان
وحصل من مجموع الامور والمخالة الى امانة في تخضرم الامور وكثرة التشكي من الادارة
التي هي على غير اساس فعدت انكلا تيرة التي زمامها حثت في يد حزب المحافظين
اتصافا مع الدولة العثمانية هـ ذا نص تعريبه (أولا) ترسل ككل من الدولة
العثمانية واثكارتهم دو باع السال الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالي العثماني
مستفاد مع حثاب الخديوي أرفع من عينه هو له ذا الغرض المدين في الوساطة النافعة
للمسكين السودان ويتفاوض المأموران والخديوي في جميع التدبيرات التي يمكن بها
تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراءها برضاء الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان
العاليان ومعهما الخديوي اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان
العاليان مع الخديوي في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن له من ان يدخلوا
التمديدات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الافرامين السلطانية (خامسا)
يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي
عقدت مع المحضرة الخديوية وذلك اذ المتكّن مخالفة للامتيازات الممنوعة في الافرامين
السلطانية (سادسا) عند ما يرى المندوبان العاليان ان هناك حاجة مستعجلة
وصارفة سيرة الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها را حفاية عدم كل منعهما تقريرها الى
دولته ليعقد الاتفاق بانحلاء العساكر الانكليزية البلاد المصرية في وقت مرضي
(سابعا) يقع امضاء هاته المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوما تكون مبادلتها مضمونة
في السلطنة عينية اه وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص
العثماني وهـ ويختار باشا احتفات به الحكومة ازيد من اخفاتها بالمرخص
الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الا اله الى فاحتفلوا بالثاني فقط وعند ملاقاتي
معه للاسلام مع جمع من الاعيان أشدته هذين التاريخين أولهما

الى الخليفة انتهى دام منتصرا * قد احتفلنا ههنا أرخ بمختار كم
وثانهما بشرى الهنا الموم أهل المصراذ * اصلا حها أرخ بمختار فجز
وبق المرخصان بمصر وهما مباشران الا سن لانظر في الاصلا ح وتأسيس الادارة على
أصول راضية فهذا ما وقع الى فارخ بطبع هذا الحل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

المطالبة في السياسة الخارجية * الاسباب التي بينها في انهم الدخالة هي بعينها جارية في الخارجية والاوور بيد الانكليز جميع الدول مسلمة بذلك الافرانسا فصرحة بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا في ساطعة فرانسا على تونس يظهر ان رجحان الانكليز يتم في مصر سيما واهم مقتضون طريقته في جلب الاهالي اليهم قبالا وقالوا بما راعاهم بحرهم وسائر عواندهم واصولهم كما هو يدبرهم في الممالك التي لهم فيها النفوذ ولكن الاهالي في مصر على النفور لان النصر في الانكليز كان في مصر على صورة لم تعد من احدهم في انهم في الرسم معانين بانهم لا يأخذون مصر ولا يعملون تحت جابتهم وفي نفس الامر القويديدهم ولا يصدر شيء الا عن ارادتهم الى ان حصلوا على الاتفاق المار ذكره في المطالب السابق مع الدولة العلية فحينئذ صار لهم حق المداخله برضا صاحب الحق اتفاقا للدول لان بعضهم وهي المسانبا اشارت بالتعريض سرا على انكابتيرة بتصرفها بالاستيلاء على مصر والنظام موافقة لها واطالها كذلك مع مزيد التماس بانكابتيرة في المساعدة حتى ادخلت عما كرها الى مرمى مصوع واعانت بالاستيلاء عليها لكنها لاتمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح بالاستيلاء في اقرب من ذلك ان الدول اجابو الدولة العثمانية لمطالبتهم بالتدخل مع ايطاليا في حقوقها في الدول بانهم لا يتدخلون حيث صرحت ايطاليا بمراعاة حقوق الدولة (رأما) الروسية فلم تدع انهم موافقة (وأما) فرانسا فكانت معانعة للانكليز لكنها منذرت الدول الكبيرة موافقة على تصوماريت وقد تكفلوا بان تكون عليهم جميعا كفاية قرض الى مصر مدة تسعة ملايين ليرة ومع ذلك كله فان الانكليز اذنتهم وامن الاستيلاء الرسمي او وضع الحماية كذلك بل حتى من كفاية القرض المذكور وحدهم بخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحو انا بالدول في اضرار بالدولة العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفتنا ان هذه كل دولة ويرجع به ميزان افراس بحرنا على انكابتيرة ولذلك مات الى ذلك الوجه من التراضي مع صاحب البلاد وكان لها وحدها حق برضا لها ان تخلص من اضرار الدول بالدولة العثمانية الا ان عليها بالضرر ايضا لكن الاسانة الى الطلبان في الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التي اقرت الدول بانها كافيّة في اقتناع الدولة العثمانية على يبق مع الدول الذي ارادته انكابتيرة وهو ان تدخلها اليك ان الارضى الظاهرى فان كل دولة يسوغ لها ان تستولى على بلاد الاخرى وتقول لها انها لاتمس حقوقها والكلام وحده سهل فالحاصل ان السياسة التي

وقعت من الدول في مصر وبالخصوص من الانكليز امرها عجيب واخذوا عها غريب
ولله فمهم علم غيب هم صاثرون اليه

ومطاب في بعض صفات وعوائد المصريين أما أهل مصر الاصلية فهم محتاطون من
العرب الفاتحين وأبناء القداماء المعروفين بالقبط وأبناء الروم الذين امتلأوا مصر فحو
التمائة سنة ولون الجميع اسمرا الا قليلا من أبناء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين
الى هناك ولهم حسن اخلاق وظرافة وبشاشة في الخطاب واذا احتدت نفوس الرعاع
للخصام تراهم يذلي اللسان لهم مهارة في اصفاف السب حتى اذا بلغوا الى حد التضارب
قال أحدهما لصاحبه (ما علم شي) فتساجحوا عادا الى المصافاة ومن اخلاقهم حب
السمع لكنهم اختصوا بكثرة اظهار استعصامه بالنأ وهو رفع الصوت ولا يفتاعه من
ذلك حتى بعض اعيانهم بل انهم يستأجرون اناسا مدين لذلك لكي يصرخوا بالنأ وهو حتى
تجعب أصواتهم صوت الموبقى والمنعيب وتغضى الحصة كلها هكذا ومن عاداتهم
احضار قراء القرآن في بيوتهم ليلا للتلاوة بالانعام ويعطونهم أجورا على ذلك بل من
القريب ان بعض القبط أيضا يفعلون ذلك ومن عاداتهم في السلام انه اذا دخل الداخل
يقف ليجتمع الحاضرين فيشرب بيده للسلام هاويهم فاحو الارض ويرفعها الى رأسه
فيصيرونه بخود لئلا يقع منهم التقيل الا يمد العالم على ظهرها أو القاد من سفره يقبل
في كفيه وسلامهم مع الاحراء والكبراء هو بالاشارة ايضا لكنه فيه تعظيم كبير يان بدخل
الدخل قابضا يديه الى صدره ويقرب خطاه من كسارأسه مهابلا بالخطا حتى اذا لصق
بالرئيس هوى الى الارض كأنه يريد تقبل رجليه أو ذيل سترته وبذلك الذيل يتم بجل
يده على فيه ثم يجيده والمتواضع من الكبراء المسلم عليهم يضم ذيله اليه كأنه يمنع من
ذلك ويقول أستغفر الله أستغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكاهم
يقفون للدخل كبيرا كان اوصه شي الا التحقير بالرمة العظيم جدا وبكثرة الوقوف
الى الداخل مهما تكرر دخوله الا اذا كان خادما اوصه صاحب شل واستكر كوب
المصريين على التحير الا العرب فالتحير وتوجد في المدن الجهلات لا ركوب على انواع شتى
وساكنوها أسوة اخلاقا من أمثالهم في سائر البلاد وان كانوا في الجميع غير متقين وإذا
ركب أحد الاعيان عجلته جعل أمامه رجلا يركض وهو لانس لباس امرز كشاوي يده
عصا طوبى وهو حافي الرجل ويصيح بالمسارين ليستبقوا الهجلة وما أصبرهم على الجري
وما أجراهم حتى اذا خرجوا من البلاد وقفوا وذهبت الهجلة فاذا رجعت الى البلاد رجع

جاءوا امامها والعمرىون اهل حد وكفى شغلهم لا يعيرون الى المطالبة بل يقولون على
 أشغالهم من غير قنور ويوجد عندهم السؤال المحزون المحزون حتى انهم اذا راوا من
 أعطى سائلا ينادون أن يساموه يساموه يساموه يساموه من الانساح بل ربما أضروه في بدنه
 فالاصح بالانسان ان لا يعطى الاسر ان يعلم حقيقة محتاجا اذا السؤال صار صناعا لتلك
 الفرقة ولهم رؤساء وعلمهم أداؤهم قدر ولهم وفائع عجبة في الغنى وكتمانهم فقد ذكر في
 ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشيخا من ماراقي الطريق
 فسقط منه كيس وكان جريا من أحد الضابطه فاقطعه لذلك فلما علم به أنه ضابطى انكر
 ان يكون الكيس له فالح عليه الضابطى وآل الامر الى المشاجنة حتى بانغ الى رئيس
 الضابطه فامر الشهاب باخذ كيسه الذى وجد به عدد كثير من الابرار الذى ذهب فامتنع
 وانكر ان يكون له حتى جلدته رئيس الضابطه جالدا وجيعا وهو مصرى انكاره فاطاق
 سبيله وجعله شيخ الشهابين ودأوا من ضربه وشكر صفة كل بنى جنسه وأدوا له جميع
 ما خسرته فى الكيس وزبادة لانه لم يظهر عليهم ثم ان الغنى لم يكن لا يحصل عليهم ضرر
 والى لا تسمى عليهم القلوب ولهم وفائع كثيرة من هذا القبيل مع أيا وصنف فى الانساح
 والنضج فقتت القلوب ولم أرى البلاد مقامهم قط ويطلب على الجميع الوضغ فى الثياب وفى
 البيوت والدار الابعض الاعيان ومن تحا النعوالا فرضى واكثر ذلك فى الفلاحين وأصحاب
 القورى بل ان هؤلاء لا يعصبون من كشف العوزة نساء ورجالا (وأما) أهل النبوة وبقية
 السودان والعرب فقد تقدم فى التاريخ أصلهم وأما عاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي
 الطبع من العجم لكنهم أحذق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب
 فسكانوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التى ذكرناها فى عرب تونس ومن عادات
 الجميع ان مباداة توقيت الساعات عند الغروب فيقولون اذ ذلك عقارب الساعات فى
 الساعة الثانية عشرة وهى مبدأ الحساب عندهم وما يقابلها من الاثني عشر ليس لها
 وقت معين بل هى على حسب ما يصادف وهذا أول رؤيتي لذلك وعليه جعل جميع الجهات
 الشرقية (أما) جميع الاقطار التى مر ذكرها كلها فانها تعدل على الزوال أى الزوال هو
 الساعة الثانية عشرة وتنتهى الى نصف الليل فتبتدى الساعات الاثني عشرة التى هى تمام
 الاربعة والعشرين ساعة المقسم علم الليل والنهار ولا شأن ان اعتبار الزوال اصح فى
 الناقية لانه لا يختلف عن زمانه سواء طال النهار أو قصر بخلاف الغروب وذلك لان
 الزوال عبارة عن قوس الشمس فى قوس النهار ونقط نصف النهار يجمع جميع اقواس

النهار بالسواء أعنى أقوام طول وقصره فلا يختلف الزوال عن وقتيه بخلاف الشروق والغروب لأن الشمس تنتقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر فبعد الغروب انقضاء المامنة ما عن زمنه بالامس أو متأخر عنه حسب سير الشمس في طول النهار وقصره بحيث نلت إذا حوت الحساب تجد من زوال يومه إلى زوال غده أربعة وعشرين ساعة تامة وإذا حرت من الغروب إلى الغروب القادم تجدها أربعة وعشرين ساعة إلا دقائق في أوقات زيادة النهار في القصر وأربعة وعشرين ساعة ودقائق زائدة في وقت زيادة طولها. لكن كان عدول المشرقين عن الناقية الذي لا يختلف هو محاذة المشرق في اعتبار مبدأ اليوم من الغروب وإن لم يكن بينهما التزام في مطالب في الأحكام يصير في الأحكامها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الأول الشرعي الاسلامي وهو في كل ما يرجع إلى الزواج والطلاق والوقف وغيره مما يرجع إلى أحوال الديانة في المعاملات وهذا له قضاء ومفتون على المنهاج الشرعي وإن أحدث فيه مصاديق يأخذها القاضي على الدعاوى مع بعض عوائد تتجفع بالخصوص مما أوجب التشكي من ذلك والنوع الثاني بقية المعاملات بين سائر الالهة واليهما محاسن سياسية (ومنها) الضابطة تحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالباً وتارة تحكم الحاكم باجتهاده كما في سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التي بين الالهة والاجانب فلها محاسن محتاطة من سائر الاجانب يحكمون بقانون عقلي ملائم لمعادات القطر وعلى الاجمال فاهل مصر لهم الحرية الشخصية فيما يرجع إلى الديانة وشعائرها حتى صارت المنكرات جهرًا ولا يقدر الاب على منع ابنته من مثل ذلك بالتحكم إذا بلغت سنامة. لو أمّا بقية الحرية الشخصية وهي أمن الانسان على نفسه وماله وعرضه الا بحق فهذا كله موجود في الهرم لكن إذا أراد الحاكم مخالفة فالحيل يمكنه وأما الحرية السياسية وهي مشاركة العامة للحكومة في الرأي فالتحقيق انه غير موجود وان كانت الصحف تتكلم في السياسة لكنها مخصوصة بالسياسة الاحتمية أما النقد في تصريفات الحكومة فهو ممنوع نعم لبعض الصحف المستند أهمها على خصوصيات مدينة القديح في سيرة بعض افراد المنفعة خاصة والامر موقوف على ما يستقر عليه الحال من التعريب السابق ذكره في أحوال السياسة

والمطلب في تمجيد مصر في الحضارة بما تمتع بها في العلم الوطنية والمنهدة والسودانية والاربابية وأغلب الاربابية في يد الاجانب (فاما) غيرهما قبيد الالهة

ولهم براءة في الاكتساب وليكنهم قليلوا الاسفار فلا تكاد تجد منهم - م خارج مالىكم
 الا النادر وكل من أقام بمصر من الغربا ربح الربح الحسن من التجارة لان محمولات
 الاقطار كثيرة فيخرج منها أنواع كالقمح والشعير والفول والتمر والعنبر والذرة والادز
 والعسكرو هوجيد كثيرا وقصبة والصمغ وفيه أنواع شتى والقطرون والصوف والافيون
 والعصفر والجلود والمحصر والعطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وزره وكذلك
 سن القبل ورش النعام والمذسوحات المكنانة وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل
 اليها فاهمها الجوخ أى الملف والنحرير والشاشية والزراعى على أنواع والاخشاب للبناء
 والوقود والعنبر والنقل كالغزق والمجوز والاشربة والبن والمصابون والدخان والورق
 والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوعة وغير مصنوعة والفرش الصوفية
 وغيرها بحيث ان مصر مسابقة لاروبا في الغنى بالتجارة وأنواعها مختلفة ثمانية منها ما هو على
 النحو الاروباوى كالتيجارة في الرقاق الدولية والتجارة ولها مرسع عظيم في الاسكندرية
 وكذلك البريد فيمساء على غاية الانتظام برا وبحرا خاص بالمكومة وتأتى
 اليها ايضا براد اجنبية بحيث لا يخلو يوم من ورود بريد اليها من الاقطار مع السفن التجارية
 الكبيرة ومنها ما هو على النحو البربرى من التجارة في القوافل الى دواخل السودان
 والصحراء وهمها القوافل السودرية وهى قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة قران
 ولكل منها عند دور ود يوم حافل وكل منها تاتى بتجارة ما والاها من دواخل اقربية
 ولوزاد تمهيل الطرق والاعتماد بما فى السودان لاستغنى عن الخسارج وزادت ثروتها
 للنهاية فان فى السودان كنوزا مكثومة ودونك قيمة قوة التجارة مع الممالك الخارجية
 لتعلم منه ما يفضل سنويا من المال فى المملكة

٠٠٠ ر ٣٦٠ قيمة السلع الخارجة فيها

٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة السلع الداخلة سنة ١٢٨٩ مخوفونك

٠٠٠ ر ٢٠٠ الفاضل

فلولا قايض الدين الاجنبى الذى يخرج سنويا الى اربابا حيث كان أغلبه بيد الاجانب
 لمكان يبق شئ منو ياتى بمصر ما ثما لمليون فرنكا ولكن مع ذلك أيضا فلا أقل أن يبقى
 فيها ما يحسون ملونا كل سنة هذا فضلا عن حركة التجارة فى داخل المملكة وبين اقسامها
 بمطبخ فى الصناع عصرها هنصر الصناع معط بها قيمة لتقدمها وان كان بها بعض
 المذسوحات البحرية والقطنية وغيرها كالنحوار والتجارة حتى فى السودان ليكنها متأخرة

مما يجب لها نعم ان الفلاحة من الصعبد الى غاية بحرار روم هي في غاية التقدم
 وللقاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالآلات الخيابة الرافعة للسا من
 النيل والتمرع وبكيفية اثاره الارض وتعميرها فلهم اليد الطولى في ذلك وترى الفلاح
 بنسائه وبناته يشتغل آثاء الليل وأطراف النهار وأصحاب الفلاحة من الاعيان لهم
 منازل في أراضهم لمباشرتهم الاعمال ولهم نروة عظيمة من ذلك أما أنواع الفلاحة
 فهي زراعة القمح والشعير والبول والعدس والحبس والترمس الذى يتخذ منه الاشنان
 والسكران وخس الزيت والسلم لماسهم مامن الزيت والبرسيم والمجحلان والبلة
 والمجبة والقرطم وهو حب الصفرة والخشاش والخردل وغير ذلك من الخضروات
 والمحبوب والقطن على أنواع لذاته ولبزره يخرج منه الزيت للصابون والشمع
 وكذلك قصب السكر الرقيق ويزرع أيضا التبن المستعمل للتدخين والبول السمارى
 في كل من السودان ومصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد لذى لا رائحة
 له ولا طعم واذا شغل لبس له دخان مثل غيره (وأما) الاشجار فلا يكثر عندهم الا الخفل
 في جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردى في الزيت لكنهم لهم حبوب أخرى
 زينة كالسهم والخروع غنية جدا (وأما) البردقان والايون فهو قبل المو ز كثير
 خير لذى وعندهم شجر الدوم الشبيه بالخفل وكذلك الاهليج ويزرعون الزهور الطبية
 مثل الورد والياسمين وغيرها واشجار الفبر المعروفة قبله كما تقدم تفصيله في التعريف
 بمصر وايضا قد وجدوا غناء بأنواع من الصنائع سيما التى تمس اليها حاجة الحكومة
 فتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبوانور توجد معامل للحكومة منها نحو عشرين
 للسكر متقنة ومعمل آخر لصنع الخمر في الطبع وتجهيزها للكتيب ومعمل للسلاح وآخر
 للسفن وحوض لها وآخر للبروخ وآخر للديبغ وآخر للورق وكلها على النوازل وباروى
 المتقن ويمكن أن تقوم بنفسهم من الاهالى حتى في صنع المدافع والبنادق من الطارز
 الجديد ولا الهالى أيضا عدة معامل في صنوف شتى (وأما) الجهات السودانية فكثير من
 أراضها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم باهلون بها فلا يوجد منها الا القليل حول
 المدن واشتغلهم انما هو برعى الغنم والخيل والابل وصيد الوحوش النافعة للتجارة
 كس الفيل وريش النعام وجلد الاسود والنمر وتحصيل الذهب من معدنه الذى
 بالطبع كالتبر من سنار والعصراء وغيرها

* مطلب في المعارف عصر العلوم الشرعية كان نافعة في القاهرة وكفى بالجامع الازهر

مدرسة للعلوم عامة فقد دخلت اليه ووجدته يزار ويحج بالدروس والتلامذة ولم
 طريقة حسنة في سرعة ختم الكتب اقراء بحيث ان كل كتاب لهم فيه مدة معينة
 لا يسوغ مجاوزتها ولا يضر جون في التقرير عن الشارح والمناشبة المعينة للقراءة ووجدت
 عندهم اعتناء في الاقراء بالمحاضرات بحيث لا يقرأ كتاب بلا حاشية معينة يتفق
 عليها الشيخ والطلبة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلا الصبح كله الى
 الزوال للعلوم النقلية كاللغة والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالنحو والبيان الخ
 و يقرأ فيه المذاهب الاربعة ولا زهر شيخ ومثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء
 وتوظيفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالازهر في روافق خاصة وتجدد من المسجد
 ولا تن بالتلامذة المطالعين والمحاضرين للتمون وغيرها في كل من الاسكندرية ودماط
 وطنطا جوامع حافلة بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان ايضا مثل سنار وهرر
 كذلك ومن عادتهم جميعا في الدروس التطويل حتى يبلغ الدرس الى ثلاث ساعات ولا أقل
 من ساعة ولذلك كان للتلامذة الاطلاق في هيئة الجلوس بل حتى يتكئون على جنبهم
 ووجوههم وبأكون وبنامون وهم في الدرس (رأيا) العلوم الرياضية فلهامدارس
 عديدة منها الابتدائية ومنها الاكاديمية جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية
 والانكليزية والفرنسية وعلوم الطبيعيات والفلاحة والهندسة والحساب والخبر
 والهيئة والفلك والطب والشرع العلمي والعلمي والكيمياء وتركيب الادوية
 وسائر العلوم ومعلومهم من الاجانب والاهالي وفي المدارس سائر اللغات والكتب
 المحتاج اليها ومنهم اماما هو محاسنا ومنهم اماما هو بالاجون التلميذ ومنهم المقسم ومنهم المتعلم
 فقط وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وتعلم الاسكندرية (اما) بقية
 البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن البقية انما يوجد بها
 مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع لكن لا توجد
 اداة لوقرة صغرى بدون مكتبة وقد اخذت هاته المكاتب الابتدائية في القسرين حتى
 شملت تعلم مبادئ الحساب والعبادات والعقائد ورأيت في جغرافية فكرى احصاه في
 سنة ١٢٩٢ لحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠٩٧٧	٤٨١٧	٦٠٤٦

ولاشك ان العلم يدتزايد من ذلك التاريخ فلا شك انهما في غنى عظيم بالمعارف والعلوم

النافذة الرابضة يكون تصبها في الممالك الاروباوية ورأت من تلامذته - م في باريس ولندره وجنيف وغيرها ورأت في مصر وبواخرها سائر العالمين والرؤساء من الالهائي والاجنبيون متوطنون لا للضرورة بل لدواع أخر ولهذا وقع التشكى المشار اليه في بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب بجعل سائر المسلمين ممنونين لهم وكذلك كثرت الصحف الخيرية يومية واسبوعية لكنها في المحرقة على حسب حالة الحكومة

● مطلب في هيئة المساكن البناء المجدد كماهلى النحور الاروباوى ظاهره وباطنه
سبع محلات الحكومة وبجملها (وأما) الابنية القديمة والمعتادة لالهائى فليست بمجيدة
الظاهر بل انه لما كان المابن الذى يتون به مسودا من أصل لون التراب ولا ينعون
فيه الجبر الاقلام حيث كان ذا الما ولا حاجة اليه اقله المطر أو انعدامها عند هدم ثم انهم
لا يطولون ظاهر البناء على الطرق ولا يبدون فيه فصا من نظره ما وان كانوا يتأثرون في
الرواشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصغونه فيكون لونه مكدرا وصورة
عموم الدباران يكون فيه ادهليز ووسطا غير معروف يتخوى على بعض بيوت بالولس الجال
والضيوف ووضع بعض المرافق ومحل لتسلسل الثياب والطبخ محجوزا لاهاء كل ذلك في
الطبيعة السفلية ثم باب ودرج في الغالب غير حصة يتوصل منها للطبقة العليا فتجد فيها
عدة بيوت أغلبها مائل الى التريبع وبكل منها طواقى للضوء والنظرة ثم على أيضا
كنعنا بالوعته مكشوفة وغالب تحصل منه راحة كريمة وغالب تكون البيوت والدرج
غير معلقة وبسبب موضوعه عن ذلك بقرش المهر والزراى في البيوت ويجعلون عليها
للعلوس اما ما ساطب من خشب أو تبن وعليها قاعد محشوة قطناً وعلى الأبواب ستارات
ليست بانيقة وانما هي من منسوجات القطن وحول المقاعد من كثات يأسسها بحشوة
تفادها عليها أو خضر بقة من القطن ولا تزيد المناهلى طاعة من غالبها أو الاعيان فتكون
ديارهم على ذلك النحور لكنها أكبر وأنظم وأنظف وربما زادت طبقة فائقة الى السابعة في
القديم والفروشات تكون حريرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمرايات والساعات
والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون في الطبقة السفلى التى
للرجال دواوين كبرى وفى أطرافها دكة من البناء غير معلقة للعلوس عليها والجميع ملط بنحو
الرخام والكذال وعند الجميع فرش النوم عدة فرش محشوة قطناً أو صوفاً خفيفة بوضع
بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة بوضع ليلاعة النوم وتسوى بالوسادات والصف

ونارة يوضع عليهم اناموسية ثم يرفع جميع ذلك صبا حاو يوضع في خراش في البيت معدة لذلك ويبقى البيت للجائوس فليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وخدمتهم من ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشرقيين في معاريت من البلدان لكن من المخذلة تقابلها الروباويين صارت بيوتهم وديارهم ومفروشاتهم ونومهم كعادتي فهو ما ذكرنا في بلاد الروباويين صارت بيوتهم هذه في مصر روي للزراعي مفروشة وغير ذلك مما يذكرناه مما يري في المحرمع ان قطرهم حار وكان الاولى به الرخام والازير وغير ذلك مما يري في البلدان ويروق هواها كني الساكنة في قاعه الناس على مذهب امرائهم زال عنى التجهب وذلك ان امراء مصر منذ مدة طويلة وهم من الترك وهو لاء بلادهم باردة بقرى وا في مفر وشاهتهم على ما عتادوه في بلادهم وقادتهم الاهالي وحتى العائلة الخديوية الا ان لم تزل ناهية منهج شارة الترك واصطلاحهم بحيث لا يشك الا في انها قسم من الدولة التركية لما يري من اسلوب جميع حركاتهم وهبنتهم هذا (وأما) الطرق فالحجج ديدنها * منسج عرقية الجبال والقديم في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكلها غير مبطاة الا اسكندرية لان المطر قبل النزول عندهم أو موقوف الا في اسكنندرية وفي كل بلد نظارة لنظافة الطارق والتنوير بالانوار والخسب الملا على حسب التيسير بما يزل اهل متاعا ديا في توسيع الطرق ومصلحة ضيق الطارق عام في سائر بلدان المشرق التي رايتها وكان ذلك في الاقاليم الحارة لمدة الحرفاذا ضيق الطريق لا تنزل الشمس الى الارض لارتفاع الابنية فيقل المحر فوعاما لكن ذلك مضر بالصحة لصعوبة تحلل الهواء وكثرة الندى ومخالف للشمع ايضا لان المشرق في الطارق ان يكون عرض المعتاد منها سبعة اذرع والطريق العام اثني عشر ذراعا والبطيخاكت التي من المشرق ايضا ان تكون امام المهد تكون ستين في ستين كما نص على ذلك في الفقه والسير وصرح به مكتوب الخليفة الثاني سيدنا محمد بن محمد رضي الله عنه الاسمر بسم الكوفة وما ذكره ان لا تقيد * طمقات دورها عن طمقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتمات على اكثر من طمقتين سكن بها زيد من يسكن في طمقتين فصغر الملامع انها بلاد اسلامية منشأة في وجه الهدو فالاصح تكبيرها وايضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد حتى المساحة اذا كان ذات طمقات كثيرة وايضا تعب الساكن بكثرة الصعود وايضا كثرة التجهب والاسراف في مصروف البقاء اذا علت الطمقات لان المصروف في الطمقات العليا ازيد بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العلية وايضا فيه نوع من الكبرياء

والخبير المنهي عنه شرطا وعلى هذا اقصى الطريق قبح شرطا وعقلا وحر الشمس يدفع بها
يصل من الغلات والسقوف كاهو واقع في عدة جهات من مصر في الاسواق بل وفي
الطرق أيضا من سقوف خشبية بعضها محسن وبعضها ليس فيه الا دفع اذابة
الشمس والطرق في القاهرة تترش بالماء عدة مرار في اليوم حتى يحصل فيها نوع طين
والطرق الجديدة العامة كلها محسنة الارض وحوايلها الاشجار المظلة والقابل من
الديار بها خيانات وهما ماء النيل جار في القنوات والقالب ان يأتي السقاؤون بقرب أو
يراميل من ماء النيل غير المصفى ويخزن في الديار في جرار كبيرة وكل دار لها عدد معلوم يأتي
لحسابه السقاء يتجن معين

مطابق في اللبس بصر (أما) لبس رجال الحكومة العادي والرسمي فهو على النحو
الافرنجي غير ان الشارات والعلامات هي تركبة صرفة حتى الشاشية والسترة والنيماشين
هي ذات الثمانية باسمائها (وأما) لبس الرجال فاهل المدن الاعيان يلبسون قميصا
وسراويل واسعة يرتطونهم تحت القميص ويسدلون القميص على ما هو وما ويل الى نحو
نصف الساق ويلبسون عليه صدرية مقفولة الوسط بعقد وفوقها قفطان طويل الى
الكعبين ويبدأ تصل الى اصابع اليد ويطبقونه على صدورهم ثم يقصرون عليه بحزام
ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة أيضا الى حد القفطان ومقدمة مفتح الى الاسفل
ويدها ضيقتان الى اسفل المرفق والجميع من الحرير من مئزر جات رقيقة وعلى رؤوسهم
شاشية تونسية وعشاء قليلة الطول ملفوفة على نحو الهامة التونسية وهو لباس العامة
وكبرائهم يرتدون فوق الشكل جبة واسعة جدا واسعة الاكمام أيضا وبعضهم
يلبس العباءة عوضا عن الخوخة والقفطان (وأما) الاواسط وبعض التجار
فيلبسون القميص من اسفل وفوقه صدرية مثل السابقة وفردية أي صدرية غير مقفولة
ومتان يصل الى الخزام ووسر والا واسعا جدا طويلا الى الالية الى الارض اسود اللون
ويقصر من به فوق القميص وعليه حزام والجميع من المنسوجات الرقيقة المخططة والزينة
بغير مط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفي الشتاء يلبسون فوق ذلك كبروطا من الجوخ
يصل الى الركبة وعلى رؤوسهم شواشي تركية وحدها أو معها عمامة هندية مطرزة
بالحريم (وأما) الاسافل والمخدمة فيلبسون من الشكل الاول الى القفطان وفي الاكثر
يكون من طين أبيض وعليه ينطون افرنجي وشاشية تركية أو تونسية والقلاحون
وأهل القرى يلبسون قمصا زرقا وعراقية لبس الاول يلبسون في أرجلهم شيشا
(وأما) بقية الاصناف فيلبسون الاحذية على أنواع شتى من الأنواع الافرنجية أو نوع

- من الخداه أجبر بالقدم عال ومن جهة الاصابع يكون مخروطاً مخضباً مغرطاً الى أعلى
 (وأما) الذئب فالمنصف الاسفل يقتصر على القميص ولا يستمر في الطريق بل رأيتهم
 يتخذون في آلات البناء مودناً ولن الحجر والطين وغير ذلك مثل الراجال وهن مشوهات الوجوه
 (وأما) الاواسط والاغالي فبعضهن صرهن يابس من نساء الافرنج نساءوا غير انهن اذا
 خرجن في الطريق يلبسن رداء من حرير وثنية بن بصفيق من الحرير أو القطن على
 أنوفهن خادونتها وفي الحقيقة وجههن كله مكشوف واذا ركن في الأهلات تكون
 طواقها مفتوحة غير انهن يلبسن سائراتها نحو النصف من الطاقة والبعض الآخر
 الذي لم يزل على العادة القديمة فيلبسن على القميص فرملة مزر كشة بالفضة وعليها
 عباءة رفيعة وعلى رؤوسهن نحو طاسة من ذهب أو فضة أو نسيج رفيع وكل ثيابهن يصل
 الى السكب واذا خرجن التحقن في رداء ثخين وعلى وجوههن نقاب ثخين ويجعلن على
 الانف شيئاً مثل الاصبع ممسوكاً في النقاب ليعبدا النقاب عن الاعين والانف للفتن
 والتنافس والنساء لمن صولة على الرجال في البيوت
 * في طلب في الاكل يصعب (أما) الخبز فالعام عند الجميع هو نوع مستدير في ارتفاعه
 أصبح قليل النضج قطره أزهد من شعير ويوجد بقية أنواع الخبز الافرنجي (وأما) الاطعمة
 فلها أنواع عديدة والغالب في الاسواق نوع من الفول مطبوخ في الماء وعليه شيء من
 السمن وكذلك نوع من السمك مقدد عفن الرائحة وسائر طعامهم فيه الادام بكثرة
 وادامهم السمن (وأما) الزيت فلا استعمال له الا في السلطنة ويزيتهم ردى لانه محبوب من
 اكريد والشام وكل لا يحبسون عصراً يتون والحسن عندهم هو المجلوب من ايطاليا
 ولا يستعمل الان بعد كونه كما انهم لا يأكلون من النعم الا الفهم ولحم البقر لا يأكله الا
 الفقراء وهو معيب كما انه في نفسه ردى والافرنج يأكلونه والفقراء يأكلون الجساموس
 والابل وفي القرى والعرب والسودان يكثر أكل الابل وكذلك المذرة والدخن أي الدرع
 أما مية الاكل فهي على نحو الانواع التي ذكرناها في تونس (وأما) قوتهم فهم يأكلون
 مرتين قالوا احدها اصبا جابعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم
 قرب الغروب فيمتشون

- * في مطالب في المواكب (أما) كبر الرعية فهي في العبدن أي الغطرو والاضى
 فيجاس الخديوي في ايوان كبير يقصره بعد الاعلان من قبل بوقت العايدة ويكون
 لا نساء بالنساء الزر ككش الرعي متعلداً بنفاشيدته فيدخل عليه رجال دولته
 والعملاء الاعيان واحداً اثر الاكثر مسلمين عليه بتقبيل ذيله ويقف هؤلاء كبراء

* ثم ينمرون ويكثر تزاور الناس فيما بينهم (وأما) الاعراس والمختسان فيجتفلون
 لها بنيتس الدار ويدعون طباخين معدين لذلك فيأتي الطباخ بسائر أدوات الطعام
 والموائد والمناديل والمخدمة ويطبخ كفاية كل المدعوين الذين يهين لهم
 الوقت للخدمة من بعد الظهري إلى قرب الغروب وهم محضرون ثمان أو أزيد أدخلوا
 إلى البيت كبير يتقدم لهم مائدة على قدرهم في أنواع شتى من الطعام المطبوخ والمخلو
 ويكثرون من الاصناف إلى نحو العشرين لونا والمترفون يزيدون إلى نحو الأربعين لونا
 وهكذا الكل جماعة بحيث يأكلون أكل شبع ولا يوضع أناة يظهر عليه أنه يأكل
 سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للصيوف بل حتى في الأكل العادي يوميا
 بحيث إن أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطور وعشاء ولهم
 عادة التطوف بالخدمتون على نحو ما ذكرنا في تونس بل ويزيدون بالتطوف به لابل
 والشوارع والمناسبات موقودة والمغنون راقصون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك
 الأعراس يطوفون بالعروسة ومعها الموكب والطبول والمزامير ترقف ولهم أيام لبعض
 المناسبات للصالحين يخرجون فيها تلامذتهم بالالسة الرفيعة والأعلام والمباخر وغيرها
 * وينطح بعض الناس على الأرض في الطريق ويأتي شيخهم راكبا فرسه ويرفوق أولئك
 الملقون ولا يضرهم يوطئ أرجل فرسه يدعون ذلك كرامة وأعظم المواقب يوم خروج
 ركب الحاج وكسوة الكعبة فيحضره الخديوي والعساكر وخلائق لا تحصى وقصص
 الكسوة في يحمل على جمل مزين وبخاضيم الخديوي وكبار الدولة بل قد فعل ذلك أمراء
 الإنكسار مع الخديوي بغاية التوقير والمدافع تطلق إلى أن يخرج الركب عن البلاد
 وينزل هناك حتى يجتمع المسافرون ويوجهوا إلى الحجاز ويحمل ذلك الركب أيضا
 أهوالا عديدة لمرتبات وعوائد لاهل البحر من صدقات ومحصل وقتب المحرمين ومن
 الموكب مولد السيد البدوي في بادطنطاو يعقد فيها سوق عظيم تأوي إليه التجار من
 سائر أطراف القطر المصري ولهم حكايات في كراماته رضى الله عنه في نفاق السبع لكل
 قادم غير أن ذلك السوق يشمل من ممتلكات الزنى ما يستعجز ذكره وشهرته (وأما) الحناظر
 * عندهم فبعضها من عادات الجاهلية أمر فطبع جدا وذلك أنه إذا مات الميت تأتي النائمات
 الصابحات وتبقى نوح أصابع ليلاتها وإعيايزهم أهل الحارة بحيث أتى سميت المكش
 بدار صديق في الإسكندرية لموت جاره ولم تستطع النوم ليل ولا ناسارا وأصبح من ذلك
 أن النائمات والنحو يخرج من مع الجفازة في الطريق إلى أن تدفن ويرجع من هكذا

ناجحات والغريب ان ذلك يقع ولو في محلات العلماء مع انه منكر شرط وقبة وغيره شديد
وكذلك انكاره عقلا وعادة ولهم اتباع السنة عند دفن الميت في طلب قائل الذم اذ فيه
من الحاضرين فيهم مدون فيه بالخبر عملا بحديث من أنتميت عليه شرا وجبت له النار ومن
أنتميت عليه خيرا وجبت له الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطلب في اللغة مصر﴾ اللغة هي العربية ولو في السردان غير ان بعض جهات علم لغات
أخرى بريرة لكن اللغة العربية حرفة هناك كثير اسواء في تغيير الحروف أو في ذات
الكلمات فان الجم لا يكادون ينطقون به وكذلك المزال يمدونهم ازا بالي غير ذلك وإذا
سألك أحد عما تريد قال (تعو زايه) وأشهداء ذلك بل ان ذلك جرى حتى عند بعض
أصحاب الصحف فيكتبون كلمة مختاطة بين أصل العربية والاعتقادية مع ان الأصل
في الكتابة هو الرجوع الى حقيقة العربية وهو الجارية عند العلماء والسكان نعم ان
الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفساط اصطلاحية أو فرائسها ووكذلك
نفس اصطلاح الكتابة كاد بعضهم أن يخرجهم عن الاصطلاح والاسلوب العرب في غير ان
هذا ليس بعام بل المنة تضر الالباب لافهم في الصحف وغيرها من المكتبات ومع
ما ذكرناه من صعوبة النطق عند فهم بعض الحروف تجددهم أن خلق الله أداء لقراءة
القرآن وتجويده ولم تخلق له لتخضع له القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿مطلب في الاحصائيات مصر﴾

٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي مصر

٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي دارفور

٠٠٠ ر ٠٦ عدد أهالي النوبة وزيلام وغيرها

٠٠٠ ر ١٦

٠١٠٠ طول سكان المحدث أميال

١١٤٧٢ طول اسلاك التلغراف أميال

٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة التجارة الداخلة فرتك

٠٠٠ ر ٣٦٠ المخرجة

٠٠٠ ر ٤٤٣ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها في ولاية سبيلنا غروب

العاص من خصوص الدخل الشرعي مائة وثمانين مليوناً فرنكا خصص منها الثلث
لتسكين الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تسير فيها السفن من القسطا الى مرامى الحجاز

٠٠٠ و ٢١٦ ر ٠٠٠ نوجها
 ٠٠٠ و ٢٠٠٠ ر ٠٠٠ الدين الذي عليها الغامليون فرنكا
 ٠٠٠ و ١٦٢ ر ٠٠٠ فائضه
 ٠٠٠ و ٦٠٠ ر ٠٠١٧ نواج الدولة العثمانية
 ٠٠٠ و ١٨ ر ٠٠٠ عدد العساكر وقت السلم
 ٠١٣ و ٠٠٠ ر ٠٠٠ عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عدد بانو البريد والنهر

الباب السادس أب ع في ال ح ج از

الفصل الاول في سفري اليه

بعد ان اقمنا في السويس بعض ايام منظر السفر بانوة الى جدة وجدت عدة بانو اجنية
 ومصرية فاشترت المهرية وكان رثيدها مسطوا سائر متوظفين ايضا سلطون ولايركب
 احد الا بعد ان اخذ اذن مرسوم على ورقة جواز من محافظ البلدة وبودي على ذلك اراه
 نيت قدره واخطه فحوسبعة فرنكات وعند ركوبي في البانوة وجدت الازدحام
 من الركاب والمشيعين فوق المحمد فالتمت ان اضم الى اقباعى ورحلى الى المستقر
 المحال في السفر وجلسنا في حجرتي بالطبقة الاولى لان يديها مسخرة ليس
 بها الا هرتان احدها مسكنها احد المصريين بعباله والاخرى سكنتها انا ورايت من
 ازديان الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوسخ وسوء المحالة وعدم احترامهم للطبقة الاولى
 وكثرة السكان على سطحها من النمام والرجال بحيث لا يصعب الانسان محلا فيصاير ناحيه
 ما اسف منه على الركوب هناك واسكني تسليتا عمارايت من انشراح جميع الركاب
 وعدم اكترائهم عاهم فيه من المشقة والكدر كما تسليت برفقة المحال منى محل المشقة
 اجد ظافرا الخصب النسب وبهمن اخلاق رئيس البانوة والركاب على السطح من الطبقة
 الاولى وهم من اعيان قري المصريين وعربانها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان
 ايضا راسا كما معنا ناظر بانو اليه وسطة الخديوية في الحجاز وهو محمد موسى لعلى رتبته
 العسكرية بيننا وبينه وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة في العقائد والفقه
 والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال
 فن البعراية كان رئيسا البانوة التي نحن بها المسمى بالافانين ورايته يشير على رئيسها بعدة
 امور وهو يتقاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الاسن مع

تفطن الاحوال السياسية فانستفي رفقتهم مع بقية الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت في
مداهماتهم بعض العربان الموردين بالشع وكنت اجد اليانعة كانوا بالاسلحى باقامة
الاذان في الارقات كلها والصلوة جماعة في عدة جهات لكن الكثير لم يصل ولا يستطيع
الصلوة جماعة اضطراب البحر وان كان لم يقع منه شيء شديد لكن حصل في البانعة نغص
الرياحه سيجاني اليوم الاخير لان أكثر الركاب لا ينسل بيديه من الطعام مع كثرة اداءه فضلا
عن غير ذلك حتى كانت بيت الطبقه الاولى عفتة لازدحام عدمه مسكنها وكثرت أكلهم
المؤدم وعدم توفيقهم الوسخ لكنهم يقضون أغلب الاوقات بالنسالة الحسنة أو انشاد
الشعر وقد وجدوا عند تفقدتهم الركاب وراقى ركوبهم ان أحدهم ركب في الازدحام
بدون أداء الكرامة وهو فقير واجتأأ أصحابه عن الاداء عليه فصبغ في صحن البانعة
وبعد عدة ساعات انتدب أحد أصحاب الخير الى ان دها رقيقا لذلك المسجون خبرا وأذنه
بالنطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص واعلامهم بمصالة ترفيقه وطلب
اعانتهم له في اجر الركوب فحصل له مقدار ذلك وزيادة وعند حضوره اسأل احضرم
المسجون وأطلقه نائب البوسطة محمد لطفي المشار اليه بجانا ودفعته الدرهم والدنانير
الجمعة له ليستعين بها في حجه وورأت من بعض الأغنياء الشيخ المطاع في هاته الواقعة
ومن بعضهم الاقتصاد ومن بعضهم الكرم ولما بلغنا صحت رابع اعلم الرئيس المحتاج
بذلك ليهرموا فاعطوا اجرهم وبنزع ثيابهم والله اعلم بكيفية فسادهم وأدانهم فرض
الاحرام لان حاله الضيق والوسخ فوق ما أقدر ان اعبر عنه ولا يعلم مقدار ذلك النعب الا
من شاهده وأصف الى ذلك ان البانعة لاتعطي الاكل ولولا محسب الطبقه الاولى فلزم
كل أن يطبخ لنفسه وأغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبر من الطعام من لحم وغريبه
وكنت أعذت زادهم السويس محسودا جابا وشبرا وغيره فكان ما يخفى بطبخني ولان
معي في طبخ البانعة وفي ذلك من المشقة ان لم يمتد البحر ما لا يخفى فكان ذلك من تعجب
أمر البانعة مع انها برية وذلك الخلاف معهوده عنها ولما سألت نائب البوسطة عن
سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات البحر الاجرا لا يوجد منهم من يأكل من الماخرة
فرايت ان تريب ذلك عينا ولهذا تجد دواخر البري في البحر الابيض على نحو غيرها وأما هنا
فلانهم عند غروب اليوم الثالث من ركوبنا قل سير البانعة وأهملت الرئيس بذلك لانها
ان دامت في سيرها نصل الى جدة قبل ولا يتيسر الدخول اليها لانها في مكان تقليل السير
أولى من الوقوف قربها وبعد شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتلقانا قافلتي ليل الترسى *

وهو اعراقى لابس قبة صا زرق وعلى رأسه عمامة جرماء ركب قارباً فصد إلى الباهرة
وصار يأمر بالسير بيننا وشمالاً لكثرة شعاب البحر المطاة بالماء حتى
دخلنا حوض المرمى فإذا هو حوض وسيع أمين طينى يساحوله من الأحجار الخالقة
وفيه عدة بواخر أجنبية وباهرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة سفن شرعية صغيرة
وبعد الأرساء وأخذ الأذن في القول من مأمورى الهمة ونزول أغلب الركب نزلت
مع رفقاءى ودفت على كل واحد منا نحو أربعة فرسكات لاخذ ورقته على أن المدفوع
لنظافة أما كن الحجة فكان غرة ورقى ٧٦ ألف ونيف من المئات والآخر ونسبت الاسن
تصير بكل الاعداد ولقيت أحدهم طوفى التونسين وهو جيل الاخلاق على خلاف
غيره فادى ساردنا للغرق ونهض المأمورون إلى أن أخذوا عشرة فرسكات وأقبل
مكرهم بمن لا يعطهم ثم تركهم لحوائجهم أياما بعدوى كثيرة شغلهم فهم من أنحس
المأمورين وأكثرهم معرفة تكلمت ذلك من التجار وغيرهم ثم هداني المظوف على دار
اكثرت احدهم طينتها وأقيمت هناك ثلاثة أيام وجدة بلدة على ساحل البحر
مرسى الحجاز العظيمة للحجاج والتجارة من سائر الجهات وسكانها أغلبهم من العرب
والهندو ثم المغاربة والافاقيون حتى الافرنج ولها أسواق رحبية مسقفة وتكثر البلاد
وترش يومياً وتوريللا يترى النفط ومسا جوامع حسنة وما شربها يوفى به من بعد
في قرب من مصانع وفصاى وهو أها حار جداً ردى لان أرضها ممتلئة وبها بعض ديار
جيلة المنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغلب المغانى الكبيرة للكرامه فملاك لا شراف
وبعد ان اتعنت فم الوازم السفر من الفرس والبسط وأحوت منها حيث كنت قاصدا لها
المسار بلى فيها غير انى لم أنزع ثيابى وفديت عن لبس ابدى اكثرىت جالالى ولا صفاى
فركبت الهودج الذى اشترته من هناك وهو مثل مهدين من عبيدان مسخرة ومشدود فى
بعضها على نصفين كل نصف طوله نحو ذراعين وعرضه ذراع اسفله الذى هو محل الجلوس
حصير من علف النخل مشدود فى تلك العبدان وفى زواياه الاربع عبيدان صاعدة نحو
ذراعين ونصف ثم تقوس الى أن تتصل ببعضها فيحصل منها شكل أربعة أقواس متعاقبة
وبشيلته على نحو الاربعة اشياء من حبال جيدة من الخلفاء التحمى الزاكن
من السقوط وذلك فى جهة واحدة وهى جهة الجانب المقابل لظهور الجمل ثم يوصل كل من
النصفين بصاحبه فيتألف من ذلك مهدان متلاصقان معسوكان مع بعضهم بحبال متينة
ولكل منهما أربعة أرجل تمتد بها على الأرض اذا برلك الجمل ثم يوضع على الجميع من فوق

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدل ذلك مع المجنبيين المخارجين
ويخطأ على تلك الاعواد ثم يجعل من فوق جلد بقر أو جل ويخطأ أيضا لينع نزول
المطران وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومعه الخاف محشوقطنا
ثم توضع عليه مسنة أو قسائية وسادات محشوة قطنا ايضا من جهاته الاربع ويشق
بالقطع في الغطاء الشامل من الجهة الخارجية فتحوطاة لها ستارة من ذاتها ترفع وتنزل
وتمسك بخيوط ويربط في قوائم الاقواس عدة جيوب من سعف النخل لوضع انا الماء
وغیره مما خفف من ضروريات المسافر وزاده بحيث يصير لكل من القسامين فراشا
مريحا ايضا طيع به الركاب ويكون امامه وخلفه مقع وحاجبه الذي من جهته رقيقه
مفتوحا ايضا وجنبه الاخر به طاعة ان اراد فتحها والاغلاقه ان لم يوضع الجيوع على الجمل
ويربط به ربطا محكما ويوضع سلم من خشب رقيق في مقدم المودج المسمى بالشدق في يصعد
منه الركاب الى شقه ويمسك بالجمال الشق الاخر الى ان يصعد اليه صاحبه ايضا ويعدلان
في القفل ويسير بهما الجمل ويلزم ان يكون جمل لا مؤنس بذلك وكان ركوبه ابد
صلاة العصر خارج البلد ومع كون ذلك المركب متوسط الراحة وحديث في نفسه
ثم من سير الجمل المين حتى حصل في نوع من الدوار لم يكن اذا تانس به الانسان يومين
ينزل عنه ذلك ويصير برنا حاسوي الفرق بين قسوة الجمل وسيره فان الضعيف والخبر
المؤنس يتعب وشبه التعب الزائد وكان عديلي احسدا اباي ويقيمهم ركبه واعلى جمال
الرجال وبهذه سرنا عشتقنا ولينا واصلنا واصباحنا ولم نزل لسوى الصلاة في اوقاتها واصلنا
عند الضحاة قرية قسوى حدة في صحراء مفرقة بها بعض حيون هذبة عليها شيء من النخل
وعلى الطريق قهاري من اعداد الخطب والحصير كثيرة العدد اكثرها غارغان يريد
الغزول فنزلنا بها واكثر بيت اثنين منها ففرش لنا بها حصر رأى لنا بها فاكلنا
من زادنا واطعمنا الجمالين والقهو وحى واسه نرحنا الى بعد الظهر فركبنا ووصلنا مكة
المشرقة بعد نصف الليل ولم ترق الطريق الا افرادا يكثر المني لا سيما على الحمبر
لان كثير منهم من مركب من حدة الى مكة على الحمبر هي سياره قد ملوثة في ضوء سبع
ساعات الى احدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان فيه قلة الحصة لسكنه متعب فلهذا
آثرت الجمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرقة سألت هل يوجد حمام هناك فاب
بافه لا يوجد الا الماء البارد ولم نستطع الاغتسال به فلذلك اكنفيت بالوضوء ثم تلقانا
المطرف وما لبثت منه ان يكتفي بالاعلاحي بالامكان والاعلاحي بالمشاهير كان يقول في هذا

باب السلام والكعبة - فمقابلته اليك أو من يمشي إليك في ذلك حيث كنت هل أنت - ثم يزيدون وينفصون ويأتون بما لم يرد به الذم عن وكنت استعصبت عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك وأخذت منها ما يسهل الله الفهم غيبرني وجهدت في بعضها رسالة في المناسك للأعلى قارى فلم أنظر إليها لأن صاحبها له محقرة في حق أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون له على أدنى منة وأغنا الله عنه - بتأليف علماء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم المحبين في آله الكرام والمعظمين لجنايته العظم عليه وعلى آله أكل الصلاة والسلام فأقبلت إلى باب السلام وأدبت هناك ما ينبغي ونظرت إلى الكعبة المشرفة ولله الحمد ثم دخلت المسجد الحرام واطقت البيت الكريم وحيات المحرر الأسعد وسعيت بين الصفا والمروة وأدبت ما استطعت مما ينبغي في ذلك القدوم المبارك ثم توجهت في الطوف إلى دار وكيل قونس حيث كان ساكن فيه كل من الاختيار الثقات السيد أحمد والسيد اسماعيل والسيد محمد أسباز زروق القادمون من قونس قبلي ههنا جاؤا أمت بقية تلك الليلة فندمهم وصالينا الصبح في المسجد الحرام ثم أخذت منزلا أقمته فيه ولم يرد صاحبها أخذ كراهية عليه وابتدأ ثروتي بسوء أخلاق بعض الأهالي مما كان ينبغي لهم التحاشي عنه عفا الله عنه وعشهم وبعد أن أقمنا بضعة أيام تشرفت فم بالدخول إلى داخل البيت العظيم بمحاسن أخلاق الفاضل الشهي وذلك لئلا ولم يكن معنا إلا أفراد قليلون بحيث قد يسهل لنا التمتع بتلك البقعة العظيمة والتميز بها احتوت عليه من المشاعر وكذلك تشرفت بالثول بين يدي المولى الشريف العظيم صاحب الأخلاق الحسان والتواضع مع ما هو عليه من رفعة الشأن المقدس الشهيد سيدنا حسين أمير مكة قدس ثراه وهو رجه الله حسنه - أن الأخلاق متواضع عفيف جدير بمنصبه السامي ولا يمتنا به من أعيان البلاد كالغمر بر السارح أجد المشايخ وغيره ولما آن وقت التوجه إلى منى ابتدأ الطوف ووكيل قونس في شمويل أمر الذهاب إليها وإلى عرفات وأكبر في ذلك ما شاء حتى ظننت أنها مضافة سفره وإن الحوب فائرة في الطريق فوجهت رحلي إلى الجمال واكتريت أحمر لركوبي وركوب من معي مدة أيام الحج وبينما نحن سائرون والطريق في غاية الراحة والامن والتعمران وإذا نحن بقرية سألت عننا فقبل لي هي منى فبقيت متجها من قول أولئك المرشدين أذ لم تكن تبعد عن مكة إلا أربعة أميال ولكنني عرفت السبب في عملهم - ثم تجاوز الله عن الجميع وأقمته ليلة بنى ثم توجهت - أصبحت اليوم الثامن إلى عرفات لوقوع الشك في ميموت الشهر وأقنا

وأعظم أفعاله إلى أيلة العاشرون المشهور بهـ الوقوف وأخذ حصته من الليل أفضنا من
من عرفات بهـ دان أدينا ما نسأل الله قوله وكان وقفا تشهرونه الجلود من خشية الله
لا لتجاء عباده إليه حسب ما أمرهم وكانت الأرض تخرج بالخلاق ضارعين لبارئهم جل
وعلا تملل الله من الجميع وعنه الأفاضلة اتفقت مع الجبار ومع الرفقاء على التأخر
عن الزحام وأخذ الطريق الأقل ازدحاما وكان دليلنا مضرا بخلاف ذلك لأنهم انما
يرون من شدة اثر الحج الظواهر وهم عن حقائق المشروعات غافلون فيعرفون في الأحكام
والزحام والغصام لتبقي لهم وقائع يتحدثون بها ستهتم فلما أفضنا كانوا يسرعون السير
ومن عادة جبرهم أن لا ينفذوا إلى ركبته بل إلى سائقه فقط ولو انقطع الجهم من فيه
فأدخلونا كراهي في وسط الزحام ولم يبق منا واحد يسمع صوت صاحبه لثوران عجز
الصياح والزعاج والنهيق فمن حاد يحدو ومن داع يدعو ومن مصرخ ينادي برفقة زمن
صاحبه مستجيرة بالمارة من سقوطها ومن أن يثني من كمره بسقوطه ومن بالك متذكر
هول المطاع ومن يهيم برغوة سقوط حمله وجار يرقق رؤية أتان وأناس ملقاة وآخرون
يجرون وآخرون يزدحجون وآخرون واقفون والظلام مريح سدوله والناس لا يذكر بعضهم
بعضا بل طالب التجاء لنفسه فرأيت أغورا جال حول يوم الفزع الأكبر وما يقنت بالتجاء
لنفسه حتى دهني بعض شقاذا في الجبال فاسقطني عن جاري ونزجت من بين أرجل
الحجيرات فطلعت إلى الحياة ذات العين حتى يسر الله لي الخروج عن الطريق بالصعود
إلى الحجر مرتفع فجلست هناك حامدا لله على التجاء بعد هزيمة تحق بي بعض أصحابي
وجاهني الدليل حائفا على الذهاب والانتكس في خطر من البدو فقلت له يا أيها الرجل
إن الله حرم في هذا الموطن الجسد ذال ولكن ما عليك من الانذار فقد أدبته وأنا في نفسي
أفعل أخف الضررين لأن البدو لا يفعلون أكثر من القتل وهو الذي تدعو في إليه لأن
أفعله ينفي على أثم بقتنه وبأخذ السلب ودونه لافاع ما استعطت ورواه هذا كله
أنه لا وجود لشيء مما تمول به وهؤلاء الخلاق في الطريق وعند آخرهم أوجه فدهني
ونفسي فذهب معاضدا بقيت أنظر في عجائب الخلق من الحسنة التي دينا بعضنا إلى
أن نحف المسامحة فرافقت آخرهم حتى وصلنا إلى المزدلفة ولم أجدر حل بجفاس في قهوة
حتى مرني أحد أصحاب رجلي فانتقلت إليه وجهنا بين المغرب والمساء ثم بعد أداء
مناسك المزدلفة توجهنا إلى منى وخيمت في مرتفع من الأرض في أطراف نزل المساج
مع أهالي جاوة ورجعت إلى مكة وأديت بقية المناسك وفككت الإحرام ثم رجعت

الى معنى الى تمام ايامها وكان في اليوم الاول عند رمي الجمار من الزحام ما وصفنا بعضه
حتى مات عدة أناس وانكسر عدة وانما ذكرت هذا تنبيه الأخواني حتى يحتذروا من ذلك
ولا يغتروا بأقوال الأدلاء لان لهم مقاصدا وأورا غير محمودة ثم اتهمنا مناسك منى ورجعنا
الى مكة واكثر بيت بيتا في المحصب خارج مكة تطلب الصحة الهواء وبرودته لان المرض
اشد على من أحمى بهمه واديت مناسكهم انهم خيمت قرب الركب الشامي الى أن تميت
القافلة التي أكثر بيتهم الجمال للتوجه للمدينة المنورة فصاروا اليوم التاسع عشر من
الشهر واشترت جمارا للذبيح عليه فأفادني جدي الذي كنت أركبه بعد الظهر فذهب
ومعني أحد رفقاؤنا الذين صار منهم بعض النواصبين الى أن وصل الى أول القافلة المحامية
هذه مشات من الابل والمسافرين فنأتى الى جهة مستظلة قرب الطريق ونجس على
زريبةتين ونسحق ونوضأ ونصلى في نحو ساعة أو ساعة الأربعة فأتى آخر القافلة فتركب
الجمار ونفعل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن صلى المغرب وبشدة الظلام فتركب الجمال وكان
سفرنا على الطريق الفري بعد ضمانة مشايخ أصحاب الابل لا يمر بمكة في أمن من معهم
وكان كراه الجمال الذي عليه الهودج ثلاثة وعشرين رايلا دورواى مائة وخمسة شرفوا
من مكة الى المدينة ونهش الى ينبع وبقية جمال الرحل والاتباع ليكمل جمل خمسة
وسبعون فرسكا واكثر من رجل واحد يامن مواالى الجمال شجاعا قوي القودا والجمال الذي
نركبه والاعانة على بقية المواالزم رأيت منه خيرا لكنه لم يوف بوعده فانه تخلف عنى
في المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فخرجنا من مكة اليوم الاول بعد الظهر وسرنا يومنا في
طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلنا قبل الشروق وصعدنا في جبل وعرجا وبعد ان
سرنا فيه نحو خمس ساعات سرنا في طريق بسطة الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجمل لكانت
الجهلات تستطيع السيرة بسهولة في الطريق وكان سيرنا الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال في
الساعة حسب ما سرتنا اذ ذلك وهو سير مهين متعب وتقدم المرحلة من اثنتي عشرة ساعة
الى ستة عشرة ساعة وواحدة من ايامنا ثلثين وعشرين ساعة بحيث جعلوا رحلتين في
واحدة لكي يستريحوا ويوماهون رحيل في بلادهم وهي الجديدة لا ينزلون الا قرب ما وفى
الليلة الثانية عشر وصلا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فردنا لها
هنا العجوة وثقنا المعروف التوسى الخ برحلة والمعرف هناك يسمى حروا ونزلنا
عند الفاضل الفخر برصاحب الانعلاق الجميدة والصفات السديدة البليغ الحكام
عبد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله في الامم وبعد اداء الاشباب والعتق

أسعدني الله بالوقوف بين يدي نور العالم وسيد الخلق ومجا الأمام وفضل الله على خلقه ورجته لله المين سيدنا وولا ناعجده رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا له من حفظ نفسه عليه بالهـ وبالله من فضل تبارك من كرم الله وبعج وحظيت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه الصلاة والسلام وعلى آله المكرام وأصحابه الأعلام وفي اليوم الثالث انشدت بين يديه عليه الصلاة والسلام قصيدتي التي مطلعها

الى السدة العظمى شددت عزائي * الى سدة الاجلال شمس المكرام
وبعثت اليه عليه الصلاة والسلام شكرى في دنياى واخرى ونلت قضاء أغلب مطالبى ولله المنه والمجد منها ما قضى في حيمته ومنها ما تم قضاءه بعد مدة قليلة وانا ارجو كرم الله في قضاء باقى اوسله رسوله عليه الصلاة والسلام ووزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا من الاحباب والائمة الأعلام والمشاهد المباركة ثم فلتت مع القافلة وتوجهنا الى ينبع ورفقنا ما أبقيناه من رحلتنا في بلاد الجديدة ووصلنا نداء في الليلة الرابعة قرب الفجر فاردت التزول في غيابة منعت لاجل ان اكثري دار الاخ حاكم البلدة واكثرها الى بجمسة وثلاثين فرس كما في الليلة وهي اربع بيوت نربة اثنتان فوق اثنتين والدرج نربة وليس بها ولا حصير فاقمت بها ثلاثة ايام وصكنا في المرسى ثلاث أو اربع وانو نة فنظرنا في حام الحاج فقامت باخرة غسارية قافلة من الهند ومرت على جادة ثم ينبع فاكثرت بها قاصدا للاستراحة

الفصل * الثاني

✱

في صفة البلدان المذكورة من مكة والمدينة

مطابق صفة مكة المكرمة في أمامة مكة المشرفة فهي واقعة في عرض ٢١ درجة و ٣٠ دقيقة تقريبا وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقي واسمها مكة وبكة وأم القرى وأول من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام بوالدة ولد سيدنا اسماعيل عليه السلام فكان سيدنا اسماعيل أبنا العرب وورثهم هو وأبوه وقاعد البيت العتيق فكان مقصد الأمم الخليفة وهذه البيت المكرم هو في وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات الاربع أعني الجنوب والشمال والغرب والشرق وآخر بناء له الى الآن هو بناء السلطان سليم الثاني على نحو الأصل الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لان سيدنا عبد الله بن الزبير بناءه على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيه الحجر ثم هدمه

عبد الملك وأعادته على هيئته زمن الرسالة فلما استخفاف أبو جعفر المنصور أراد أن
يبدله على ما شاء ابن الزبير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها الولد
قوله حديثه عهد بكفر لبنت السكينة على قواعد إبراهيم فلما زال المانع وحذوثة
الايمن ترجع عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقال
له ما به مناه يا أمير المؤمنين لا تجعل بيت الله معبدا بأيدي الملوك فان الذي رأيته وان
كان صوابا لا يمكن اتقاؤه على حالته احتراماً لأنه أولى فبقى على ما هو عليه الآن وأساس
جدران السكينة مرتفع عن الارض ما بين عشرين صاعتي الى ثلاثين وزائد العرض عن
المحيطان ما بين عشرين الى أربعين فهو كالدرجة محيط بالمحدران وهو المسمى بالثأذروان
والنجر الذي هو من قواعد إبراهيم عليه السلام في جهة البيت الواقعة بين المغرب والشمال
ومحيط به المحيط الذي هو بناء مستدير فهو نصف دائرة ارتفاعه مئيترو ومكعبه مئيترو
ونصف مئيترو وبالخام وبقي قوس النصف دائرة قيل أن يصل الى جدران السكينة فهو
مئيترون وخمسة وثلاثين صاعتي والبيت مبنى بصخر كبير وأرضه مرتفعة عن مساواة
المصعد نحو مئيترون وبابه قرب الركن الشرقي مسنداً لهما بين المشرق والمغرب والشمال
وبعد اليه بخرج مثل المنبر في المواكب العامة وعند فمحه المخصوص يثقب له بعم صغير
وهذه البواب من فضة وعرضه من حمر والبواب بدهة واحدة قفله من ذهب وهو
من خشب الساج ودخل البيت ثلاث أسطوانات من القمارى قطر الواحدة أزيد من
شعيرين وارتفاعها أزيد من ستة أذرع وعلمها مكابس من ذهب والبيت مبطوط بطع
كبيرة من المارمر وكذلك محيطه وسقفه من الساج وفي ركنه المشرق من خارج ما بين
المشرق والمغرب في ارتفاعه ثمانية أذرع وهو حجر محفور الجوانب بصفايح من
فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي الملوك حتى صار في بهن جهاته انخفاض وصار
ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب وأصله قطعة واحدة ثم تشقق من ضرب المتجنيق عند
ما حوهر ابن الزبير رضي الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها
الحجر قطر هاسبعة وعشرون صاعتي مئيترو أى نحو شبر وثلاث وفي سطح البيت ما بين
الشمال والمغرب ميزاب الرحمة من ذهب يسبق في الحجر البيت طوله مما بين المشرق
والشمال أزيد مما بين المغرب والمجنوب فطوله اثنا عشر مئيترو وعرضه عشرة أمتار
وعشرة صاعتي وهذا الثأذروان وارتفاعه خمسة عشر مئيترو ويكسى كل عام بكسوة من
الديساج الأسود يثقب بها من مصر وعليها خزام مزر كش بالفضة مكتوب به آيات

كرية وكذلك نفس الكسوة فيها كتابات جديدة بالقلم الثلثي من نفس النسيج وقبالة باب الكعبة على نحو اثني عشر ميتر وقسم إبراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله آيات بيئات من تأخير القدمين في الصخرة ووراءه بخاراف الى الجنوب الشرقي ببرز من وعليه قبعة وحوله أحواض وعليه بكرات من النحاس ثم حنن المسجد متسع جدا طوله مشرقا ومغربا مائة واثنان وتسعون ميتر وعرضه مائة واثنان وثلاثون ميتر والرواقات مرفوعة أقواسها على اسطوانات من حجر وسقفها قباب من بناء رقي وسط العن على بعد نحو اثني عشر ميتر ومن المحطم اسطوانات من حديد وأحسان ذاهبة في الهواء وصولة ببعض الأسلاك من نحاس يعلق بها منائر ومصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود المطاف وعلى سمت الركن الشمالي على بعد كذا مجلس المؤذنين والمسمعين وخلف المطاف وقبالة جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول مصلى في الأوقات كلها ما عدا التعرفاذا أقيمت الصلاة تقدم الامام الحنفي رآيت المسجد المحرام كله على غاية من الهدو ولم أر شيئا لم تدخله البدعة أبدا الا الصلاة في ذلك الوقت ما عدا تسميع المسجع فهو زيادة على بدعة تغذية يزيد أن يضع المؤذن أصبعه في أذنيه وهو في الصلاة وما عدا هذا فانك ترى أبواب الاسلام حقة وقبة وامتثال الخاق أمرنا لهم فيضع من الشمس ولا يعلمه الا الله سيما في صلاة الجمعة ولله الحكمة البالغة في توسع المسجد كل من يدخله وترى الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامتثال أمر الشرع بحيث لا تسمع الا همسا من تسبيحهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي حادت الحركة الساكنة عليه ولو عند صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى لا يكاد المؤتمرون يعلم بحركات الامام أصلا الفجر فنتقم قدم فيها الشافعي عن غيره لان مذهبه يرى استحباب التكبير بين كل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصلي اليها وقد علمت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فمخبره خلف مقام إبراهيم عليه السلام وأما المالكي فمخبره تحية الضلع الغربي الجنوبي من الكعبة خلف المطاف يجتمعون وأما الحنبلي فمخبره واجه للضلع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك البعد أيضا وباب السلام من المسجد المحرام تحية باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ورواق الرواقات عدة مدارس اسكنى الجساورين ويسكن بيوتهم الحجاج أيضا وحول المسجد من أغاب الجهات طريق وباب السلام يفتح في الطريق الواقعة بين الصفا والمروة وهو طريق متسع حوله ديار ذات عدة طبقات ومتمدار الشبي وأسفل الديار حوانيت عليها مظلات يباع

بها الماء كولات وغيرها وكل من الصفا والمروحة في نهاية زاوية من الطريق متسع ذو
درج عرضة تنتهي الى الحائط وينتهي ما طريق متسع عرضه ما بين عشرة واثني عشر
ميترو وطوله نحواربعمائة وخمسة أمتار وفي وسطه محمل المروحة في السبي تبندى من
المداين اى العاين الاخضرين على بعد خمسة وسبعين ميتر ومن الصفاة دباب البغلة من
الحرم وتنتهى الى العاين الاسخريين بعد مسافة نحو سبعين ميتر وعند باب على وكل من
العاين بقايا له مثله في الحائط المقابل وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها السلع سائر
الافطاروا كثرها سلع الهند كما ان التجارا كثرهم من أهالى الهند والاسواق مسقوفة
بالواح وفيها قهاوى كما ان اطراف البلاد عند مدخلها فيها قهاوى على نحو الخصوص
ويجاس فيها على كراسى كبيرة وصغيرة من اخشاب الحطب وعزف الغزل وخارج البلد
على طريق عرفات مقبرة الماعلى ثم بعض بيوت لافراد من الاشراف رضى الله عنهم
وبيوت لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل ابي قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد
صغير وبعض ديار زاوية للشيخ السنوسى وشرب جميع الالهالى من عين زبيدة التى
اوصلتها امرأة الخليفة هارون الرشيدى من قرب عرفات الى مكة فسميت بها على مجراها
في الطريق والماء لعدة مائة ذراع منها السقاؤون وغيرهم ويحصل من كثير من الناس
تقديمها بما يلقون فيها من الاوساخ كما توجد آبار اخرى بعيدة جهة الزاهر وغيرها وفى
الماء منها وقرقه السقاؤون على الدبار فيوضع في جرات ثم تملأ منه دوارق وتوضع في
طواق أو غيرها مما يعلو عليه الهواء البارد فيبرد الماء لكن من عادتهم فيه أنهم يجفرون
الدوارق بعدو يسقى عود القفل وهو الكبروتارة بالمصطكى فيحصل ماء في الماء غير
شهى والقفل أسودهم برونه حسنا وتنقسم مكة الى سبع عشرة حارة وقيل ان عدد
سكانها مائة وسبعون ألفا

● في مطلب في صفة المدينة المنورة فيج واسمها المدينة طيبة وطابة ويثرب واقعة في فسج
من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٢٠ دقيقة شمالي وطول ٣٧ شرق
وفر بها على في نحواربعمائة أمتال جبل أحد وعليماسور حصين وحصون ذات مدافع
وزرائل للذخائر الحربية والحرم الشريف النبوى على صاحبه افضل الصلاة والسلام في
جهة الشمال الغربية وقد جد الحرم الشريف والمسجد السلطان عبد المجيد فكان
المسجد وحده مائة وخمسة وخمسين ذراعاً طولاً أى من الجنوب الى الشمال وعرضه
مشرقا مغربا من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعاً ومن جهة الشمال ثمانية وخمسون

ذراعاً

ذراعا وهو تلك المسافة أيضا نحن المسجد الذي هو جهة الشمال ومحيط به روافد
وكله من بناء ضخيم مرفوعة قبانه على أقواس قائمة على أسطوانات من المرمر الأحمر
المأخوذ من مقاطع حجاز به قرب المدينة وكذلك مواضع الأبواب ونحن المسجد محيط
به روافد وماء عذام مكشوف وليس بين المسجد والعين أبواب وباب السلام من غربي
المسجد قرب حائط القبلة والمحراب في نحو ثلثي عرض المسجد أعني أنه أقرب إلى الشرق
حتى تكون قبلة المحراب النبوي الأصلي لأن المسجد النبوي على صاحبه أفضل الصلاة
والسلام قد زيد فيه مرارا أولها في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه حين ازدادت كثرة
المسلمين وأتوا إلى الآن ما زاده السلطان عبد المجيد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى
مواقف النبي عليه الصلاة والسلام لتبقى محفوظة فالذلك وإن زيد في جهة القبلة حتى صار
حائطها يعد من حرم الخجرة الشريفة نحو الثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساويا
لحائط الخجرة لكن بقيت بقعة المحراب الأصلي معلما عليها والمحراب الجديدي قبائله
أما المنبر فهو وإن تغيرت ذاته لكن محله لم يتغير وهو الآن من المرمر المتقن والأصلي من
خشب وأما المحجرة الشريفة فالأصلية عليها بناء ضخيم مستطيل من الغرب إلى الشرق
وعليه قبة عالية أرفع من سائر قباب المسجد ودخلها القبر الشريف المكرم لصق الحائط
القبلي من جهة الغرب ويبلغه قبر الصديق رضي الله عنه لجهة الشمال متنازلا إلى
الشرق بحيث إن رأس الصديق رضي الله عنه وشامته لأسفل من رأس رسول الله صلى
الله عليه وسلم بضو ذراع وذلك ناديا من العجالة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه
شمالا أيضا بقبر آخر القربى رضي الله تعالى عنه وهما في الخجرة ولا يدخلها
أحد دورا محيطاتهما من خارج شباك من حديدتين متصلة قواعده برصاص مذهب
خليط الحجم مائل للأساس إلى عمق عميق حتى اتصل بطبقة المساء في الأرض والسبب
في وضعه هو أنه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد بمصر حدث عظيم بالمدينة
وكان أمرا عجبا إذ ذاك تابعا لسلطان مصر فرأى السلطان نور الدين رؤياهاته وهي أنه
رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنشدني أنشدني من
هذين الزجلين وأشار إليهما فرأى أحسن أشقرين وتحقق وصفها وعلم التأكيده من
النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والامرأع به فأسقط السلطان رحمه الله ههجهابا
فأصل القبر الآن وقد أحضر وزيره وعشرين نفرا من صناديد فرسانه وأحضروا
جسيمة وركب جدوده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد وقل إلى المدينة المنورة بمجد

السيرة ولم يعلم عاراه أحد أفوصلهما في ستة عشر يوما فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
 بالحضار أهل المدينة بعد كتابتهم وصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في
 النوم إلى أن انقضت الناس فقال هل بقي أحد قال لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين
 مفرين بكثران الصدقة فلما رآهما أذاهما الرجلان للذان رآهما من قبل فأسال عن
 منزلهما فأخبراهما في رباط خارج المسجد بقربه جهة الحجرة الشريفة فامساكهما ومضى
 إلى المنزل فلم يجد به سوى عجمتين وكتب في التصوف ومالا كثيرا وأثنى عليه ما لا اله الا هو
 كثيرا ورفع السلطان حصيرا في البيت فوجد تحتها سر داباذاهما صرير الحجرة الشريفة
 فأرتاعا النار لذلك وقال السلطان اصدقاني وضربهما حتى أقرباتهما منصرمان
 بعدهما لك من النصارى في زى الحجاج وأعطاهما بأموال كثيرة للتوصل للذات الشريفة
 ونفاهما فغزلا باقرب رباطا وصارا يحفران ليلا وكل منهما حفقة جلد يمسها ترابا صبيحا
 ويذهبان إلى القبرة فيفرغانها هناك على عدة كرات وهكذا أدأهم ما مندة ففعلوها
 هكذا وعلى ذلك الحاجر اصاص رجه الله والصلوة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
 وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى ان الواقعة كانت مدة حرب الصليب فرأى أحد ملوك
 النصارى الممار بن المسلمين ولم يعينه أصحاب النصارى لعدم اعتنائهم اذ ذلك يمثل ذلك
 حتى انك تراهم يذكرن الوقائع الخيرية في الشام مع النصارى ولا يذكرن من هم حيث
 تعصبت اذ ذلك ملوكهم مع الباطل واصراروا يدا واحدة على المسلمين ولذلك لم يعين الملك
 المرسل لذلك الرجلين لاجل مكيدة المسلمين بنقل نبيهم اليهم والتشفي منهم ولاجل
 ابطال هجرة نعين محله عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء عليهم جميعا الصلاة
 والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصناعات لكل ضرورى ومدراس لمدنى
 المهاجرين وكتب موقوفة في عدة خزانة بكتبات أهمها مكتبة عارف باى ورايت بها
 كتابا لم يكن أعرفه وهو الجامع الصغير في النحول ابن هشام مع اشتراكه وطرق المدينة
 غالبها صديق لا يمر به الا رجل واحد الا طريق الباب المصرى الموصل لباب السلام وقرب
 الباب المصرى المناسخة وهاته المناسخة بطعام وسيرة وحولها مخازن للذخائر ومن
 عادات أهل المدينة انهم لا يركبون دوابها ناديا مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا
 الا لمعذور واذا لاقى أحدهم غيره غارحها وهو راكب ترحل له محلا بالامر المروى
 وبغية عوائدهم على ما ساقى في العادات العامة غير ان اخلاقهم رضى الله عنهم أحسن
 أخلاق أهل الأرض فيما علمت من لبن الجانب وصفاء القلب ومواساة القريب

والعبد والكرم ولو كان بهم خصاصة وحرية النفس والشهامة والمجاعة فهم أهل
لذلك المحوار كما وصف مدحهم في القرآن العظيم ومن وفد عليهم ثم تخاف مجاعتهم
لان أصل الانصار لم يبق منهم هنالك الا عائلة واحدة وبقية السكان كلهم من الوافدين
فيما بعد الامة الاشراف حقاً فهم من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا علي رضي
الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هنالك أحد معروف سوى واحد تغيب
في ضرب سببنا جزه هومن بن العباس رضي الله عنهم أجمعين

- مطلب في صفة موكب الحج ﴿ لما كن الحج فرضا على كل مستطيع له من المسلمين ﴾
فهم يعرفون اليه من كل فج عميق فيجتمع المسلمون من جميع قبائل الارض من مشارفها
ومقارها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم براً أما بعد حدوث البواخر فصار
الاكثر يأتي بحراً بالركوب في البواخر الا ان كان من أهالي جزيرة العرب فانهم يأتيون براً
وكذلك الركب المصري وان بطل سفره براءه مدطيع هذا الحمل وأما عند حمى فانه كان
يأتي براً ومثله في الاتيان براً الركب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي
الى دمشق الشام ويجتمع هنالك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع الى مكة
وصورة هاته الاركاب هو ان يمين السلطان حاكمين رجال دولته على الركب ويصعبه
أمين الصرة أي الحامل للاموال المعينة لمصاريف الحرمين واسائر الموظفين وللأعراب
الذين لهم عوائد من الدولة وتلك الاموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرمين ومن خزانة
الدولة كل ما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان
وأهالي دولته وسكان قصره بحيث يجمع عنده اموال جسيمة وقد سمعت ان الذي ترسله
الدولة للقيام بسايعود اليها من جميع ما يلزم الحرمين سواء كان من الخزانة أو من الأوقاف
هو الآن نحو مائتين ونصف فرنكا عدا الهدايا الخاصة ثم يعين مع هؤلاء قسم من
أنواع الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام للرحلة بها ثم ينضم اليهم
كل من أراد الحج بخيامة وسائر لوازمه كل حسب استطاعه ويحصل يوم خروج الحمل من
دار الخلافة موكب مشهود ثم يسافر الركب شاماً وقيم ليلا على مراحل معلومة الى أن
يصل الى مكة وكلما مر على بلاد انضم اليه حجاجها وتبقى الحال الا ان على ذلك سوى
كون السفر من الاسنانة الى مرسى بيروت صار يهرأهم من بيروت الى دمشق الشام يسافر
من ضميراه ولا انتظام ومن دمشق ترتب له العساكر وغير ذلك ويسافر على نحو ما ذكر
وعلى نحو منه الركب المصري وأما القوافل من الجهات البرية فانها تأتي كل قافلة

هاهنا نحو شيخ لارفاقه و يسافرون حسب مقتطاعهم فاذا اجتمع الجميع في مكة وليس كل
 منهم مكان يخصه للاقامة فيه نخرجوا اليوم الثامن من ذي الحجة الى منى ومنها الى عرفات
 وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعد الغروب يفيضون الى الزدلفة ثم يسئل النحر وق
 يأتون الى منى وذلك يوم العيد ويقسمون ثلاثة ايام لاداء المناسك ويحصل ليلة ثاني
 العيد افراح عظيمة من معسكرى الاركاب بالالعاب النارية واعمال صور وربة
 بالمشاهدة لكي يحصل ارهاب الاعراب من الحركات العسكرية وسرعة سلاحهم وعظم
 مدافعهم ثم في صبيحة يوم ثاني العيد يحصل موكب عظيم في منى لدى فسطاط الشريف
 أمير مكة فيحضره والى وأمرأه الاركاب ورئيس العساكر بالحجاز وسائر الاعيان من
 أهل مكة والتجبايح كلهم باللباس الرسمية ولما يجتنبك الموكب يخرج السيد الامير
 الشريف ويقف في الصدر وتقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المنشور
 السلطاني المؤذن بالثناء على الامير وتقلده الامارة أو ابقائه فيمنعوا تحريمه على اعادة
 الامن والقيام الواجب بحق المحرمين والاهالي وهو باللغة التركية ثم يتلى تعريته ثم
 يخاطبهم به أمير الركب الشامي الخليفة التي برسالة أمير المؤمنين الى أمير مكة السيد
 الشريف وهي جبة من المخوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يقبل الجميع بالتهنئة
 للسيد الامير ثم يفرق الناس اتمنة بعضهم بعضا ثم يسافر كل ركب بهدوءه الى مكة
 في يوم معين بعد اداء جميع المناسك وتسليم الاموال لاصحابها والمقيضين بها من الامراء
 والرؤساء وكل منهم اى الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذي قدم منه ويكون كل
 ركب كانه بادرا حل يحصل فيه من الزهرة والانشراح لذوى اليسار ما ترغب فيه النفوس
 وهذا ولا يخفى ان مناسك الحج مقررة في كتب الفقه بل وقد خصت بتأليف منفردة
 لعلها كثيرين فلا يمكن لسا الايمان بذكرها لانها خارجة عن الموضوع وانما الذي
 يناسب ذكره هنا هو ان الحج من أحد أركان الاسلام الخمس وهي كلمة الشهادة أى أشهد
 أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج
 البيت على من استطاع اليه سبيلا وهو فرض مرة في العمر وبندب تكراره كلما
 استطاع الانسان وقد ذكر العلماء حكمة مشروعية كما ذكروا الحكمة في مشروعية
 جميع الأركان وحاصل ما أشاروا اليه هو كونه شكر الله على ما نعمت به من نعمة السلطة
 على الانعام أى الحيوانات وهو عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية ويمكن ان
 يكون مشتملا أيضا على حكمة أخرى مرغوبة في نظار الشارع وهي أحكام الوصلة بين قبائل

المسلمين وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده ليعين كل منهم -
 أخاه في الحضرة والغيبة بما يستطيع حسب إمرة الشارع بذلك ونتج منه - مفيد
 المواصلات بين الأمم والشعوب والقبائل من مشارق الأرض ومغاربها كما هو الأمر
 الواجب شرعاً في جعل المؤمنين عصاية واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنين يشد بعضهم
 بعضاً ومثلهم بالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم أخوة
 لرحم الدين الواحد - إلى غير ذلك من النصوص الدالة على القسامة ووحدتهم مما
 لا يمكن الإجماع بدون تعرف فعل لهم في كل سنة موعداً يجتمعون فيه ليحصل ذلك القصد
 وفيما تضمنته مناسك الحج إساءة إلى ذلك حتى يحصل على أكمل وجه فإنه عين لهم المحل *
 الذي يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها ترك من بعضهم على بعض في التفضل كما لو
 كان الاجتماع في بلدة قبيلة أو جهة دينية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخاص الرفاهة
 للخالق جل وعلا وحده ثم عند زيارة نبيه الذي هو واسطتهم إلى خالقهم فلا يحصل من
 قصد ذلك المحل أدنى امتياز بغير القلوب ثم أنه أوجب عند أول القدوم إلى ذلك المحل
 الاحرام الذي هو من جهة ما تضمنته ترك لبس الخيط وفين من سمات الرفاهة التي يحصل
 فيها التماسد بحيث يكون الناس كلهم سواء لأفضل الناس إلى راع ولا العالم على جاهل
 وأوجب على من اضطر إلى ترك ذلك أن يزيد في الاحسان والمسددة الجارية لقلوب
 الفقراء الذين هم مظنة انكسار القلوب مما يرونه من الرفاهة فيعوض ذلك بزيادة
 عملهم والاحسان إليهم والاحسان بحب القلوب فنظمه دل المحال وكذلك شرع عن يد
 المنفقات والاحسان على حسب رتبها واستطاعة المتفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك
 الاحرام على مدة مخصوصة هي مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد إذا
 حصل التوادد وتما كد بالصلوات يعبدن والله بمرور رؤية أثر النعمة على المنعم عليه ولذلك
 أباح اللبس حينئذ وكذلك شد الذنهي والتكبر على الجسد إلى الحج المرجب
 للتماعد الذي هو نقيض المقصود كما شد مثل ذلك في الفسوق الذي هو موجب
 لاسقاط القسامة بجمعية خالقه فيقول أخوه إذا كان هذا المبراع حق الخالق في بلده
 الامين فكيف يراعى حق أخوتي بالغيبة وكذلك منع التمتع بالنساء لكي لا ينصرف *
 الفكر هنالك إلى اطاعة الخالق وحده وبن طاعته ما أمرنا إليه من احكام الوصلة
 مع اخوان المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشقلاً على حكمة الوصلة بين الأمم
 قد أشار إليه بعض المتأخرين تبعاً لبعض المتقدمين في التحريض على مزيد المواصلات

بين الامة وقالوا ان اهل الهلة الواحدة اكد عليهم الشارع زادة عما يلزم في حق الجوار امر انضمت عبادته الخالق وهو اجتماعهم خمس مرات في اليوم بمجدد مهماتهم للصالحات الخمس فيجتمع الاعلى والادنى في صعد واحد بيد الله على سواء فيروا احوال بعضهم ويتأنس البعض ببعض اى تنأ كد الوصلة الروحية بالوصلة البدنية ويحل كل ما يجب عليه في حق أخيه ثم اوجب على اهل المهر الواحد الاجتماع العام في يوم من الايام وهو يوم الجمعة ليحصل ما أشير اليه مع جميع اهل المصر ثم زاد لهؤلاء يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الترفه لكل واحد بحسب حاله حتى يستدل غيره بميثقه على حالته ليعلم مقتضى الحال في الوصلة وذلك يومى العيد وكان وجه تكرر ذلك مرتين احدهما ما بهما الصيام ثمرا المؤثر في الخلق وفي الخلق والثانية في وسط العام على معتاد الناس ليزيد التدين فيما يقتضيه الحال للتعرف بالفراسة واكد الشارع في جميع هاته الاجتماعات باجتناب المنفريات واجتناب المقربات كالتباعد من كل الذنوب وكالتطيب والتطافة ثم اوجب على كل فرد الحج مرة في العمر ورفقه فيما زاد على ذلك ليحصل ما أشرنا اليه في الحج ولا شك أن التديب للعلاج ليحصل لجميع اهل القطر كاهم في عام واحد فيحصل على الاستقرار اجتماع الامم من كل قطر في عام فاذا حصل منهم ما أشرنا اليه دامت المواصلة بينهم ولا أفر انما تحصل في ذلك الوقت وحده اما اذا عمل مقتضى التعرف فانما تشدد الوصلة بالمراسلات والاسفار والتجارة فضلا عما يجب أحيانا من الفرع من امة الى اعانة امة أخرى وانقاذها اذا هجم عليها العدو كما هو معلوم في وجوب القتال وجوب ما عني على كل فرد فيما اذا هجم العدو على قسم من الامة ويحجز أو تقاسم عن دفاعه فانه يجب على من جاوره أو بلغ اليه الخبر انقاذه ومنه يسرى الى من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولوعلى النفس او الاطفال ممن يقدر على الدفاع وما ذالك كله الا لتوحيد المؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية لكيلا الاسن ترى أن الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون تلك المحكة ولا يلتفتون اليها ولا ترى الا اهل كل اقليم مقتصرين على مجرد الخطا مع بعضهم فقط بل ربما لا يتخالطون ولا يعرفون الابن عرفوه في بلدهم سابقا فضلا عن التخالط مع أهالي الاقاليم الا ان تركا منهم ليسوا منهم ولا هم مكافون بالوفاء لهم بها جاتهم حتى انه ترجع الناس الى اقطارهم من غير شعورهم بشئ من حالة اخوانهم في الاقمار الا ان تركا منهم لا مطالب لهم بشئ وقد كانت رجال الامة على غير هذا وكانوا ملاحظين لما ذكرناه فترى مع منهم يتعرف بأهالى

الارض وحده. ل ذلك اشتتار رجال الامة في الاقطار لاجتماع العلماء والمصالحين فانهم
يتشترذ كرم ويطيرس. يطعمهم عسا. جمع عنهم من الحجاج وان لم يروه في حجهم. ومن طالع
النوار يصح والسبر والحلات. علم من ذلك كثير فاسبهان محول الاحوال وهو الباقي
لارب سواه

الفصل * الثالث

﴿ في التعريف بالمجاز ﴾

اعلم ان المجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحده. حدوده الآن التي
تحت تصرف الدولة العثمانية هي انقبضت هذه شمالا لعمير وغربا لبحر الاحمر وجنوبا
اليمن من قرب صنعاء وشرقا للحفا كبة وهي تبعد شرفا عن المدينة عر حاتين في حدود
تجد وهذا المجاز اقسام جزيرة العرب الخمس وهي اليمن وهو القسم الجنوبي منها
المتد على شاطئها على المحيط الهندي الى ان يصل الى خليج فارس والمجاز هو القسم الثاني
وهو القسم الغربي منها المتد على شاطئ البحر الاحمر ويبلغ شرقا القسم الثالث وهو نجد
يتصل شمالا بالشام ويمتد غربا بالمجاز وشرقا للعراق وجنوبا باليمامة والقسم الرابع
تهامة وكان مقره بين الخجاز واليمن ويمتد من البحر الاحمر الى ان يتصل باليمامة على
خليج فارس فيعده جنوبا اليمن وشمالا المجاز ثم نجد وشرقا باليمامة وغربا لبحر الاحمر
وقد اخذ جعل هذا القسم في اعتباره السيادة وصار مقعها بين جيرانه والقسم الخامس
هو اليمامة وهي بعد اجنوب اليمن وشمالا للعراق وشرقا لخليج فارس وغربا نجد
وكذلك هذا القسم صار في اليمامة تابعا لقلية نجد فذلك الاقسام هي الاقسام الاصلية
بيلا للعرب التي كانت معتبرة اقسام اصلية للقارة وان كانت لا فرق بينهما من جهة
طبيعة الارض غير ان القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات
فهو قسم نجد وما لذكره في اشعار العرب وامتداحه بينهم وأما بقية الاقسام كلها ما كان
منها رقة غافق وجيد الهواء ونخصب النبات وما كان ممتعة صافق وجارح بسبب وعلى ذلك
النوم ما نحن بصدد وهو المجاز وقد علمت حدوده الآن واما جماله فهي كثيرة وان شئت
قلت انه كله حاصل تلة صخرية متشعبة سوداء من شدة الجحور وانس جاعه. بل يكفي
غير انه في مسقط في مسقط في الثانية سنة ١٥٤٠ هـ في المدينة لمدته واما حوله
زلزال شديد دام ازيد من ثلاثة ايام بلياليها ثم أعقبه خروج نارها فلهذا وجه جنوب

المدينة على مرحلة منها من جهة الموضع المعروف (بحسب وسيل) وسالت النار في وادي
 آحيان كالنهر العظيم فحطم جميع ما مرت به وتجعل الصخور ذائبة ما نسة تجرى كالنهر
 العريض العقيم وامتد سائلا إلى قرب المدينة أي إلى أن بلغ حرمها فصرى عنها ذات
 الشمال ووقف وانما أن النار بعد أن كانت ظهرت أول يوم ثم انجمعة كالنظام الأسود
 الذي هم الافق حتى انما الجووظنوا أن الشمس والقمر قد كسفاهم بالظلم الليل ظهر ضوءها
 وعلا في الجوى إلى أن ريثت من حول بصرى ومن مكة والعائف وكان لها دوى كالرعد
 ونهرها غلى بأواج كالبحر من النار المتلاطمة وتقذف في الهواء المعصور كالجبال والمدن
 ونهرها ذوالوان زرق وجرور عبت منها قلوب الناس والتجوا إلى ملاذ الخلق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فلما بلغ سلمها إلى حرم المدينة صرقت وانطفاقت ومع عظيم لمهبها سطوح
 صرخوا على الأماكن البعيدة ليصل من حرمها إلى المدينة المنورة ثم وكان القسم يأتيها
 بارد أو كان خروج تلك النار إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التي لا تخصي فقد روى
 البخاري ومسلم في صحيحهما وفي أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى
 تظهر ناراً ناراً تجازو البخاري تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل بصرى وزواياها
 كثيرة حتى كان في أحداهما عين محل خروجها وانذار الساكنين به منها فكان الأمر كما
 قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الحجاز كثيرة منها المشهور كاحد وأبي قديس وعرفات
 وهو ليس برفع ومن أحسن جبالها هوا الطائف فانه في شدة الصيف يكون معتدل
 الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما أنهر الحجاز فليس به نهر مستديم وإنما تسيل
 الأنهر به عند نزول المطر حتى إن أحدها يأتي من جبال الطائف ويمر على المدينة المنورة
 على صاحبها أكمل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا إلى البحر وأما البحيرات فليس بالحجاز
 بحيرة وأما العينون فهما عينون عظيمة عذبة أحدها العين الزرقاء التي تسمى المدينة
 وهي تابعة من قبلة تحت الأرض في عمق عدة أذرع وتذهب إلى المدينة تحت الأرض
 وعليها عدة منافذ إلى الماء وفيها الكفاية لجميع البلاد وما حولها وانما سميت الزرقاء
 نسبة لمجازيها مروان بن الحكم أزرقي العينين أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه ومنها
 عين زبيدة التي تقيها مكة وهي آتية من قرب عرفات تحت الأرض مثل السابقة وقد
 أجزأت زبيدة زوج الرشيد العباسي وقد عورت الآن بحجارة حسنة صارت بها في غاية
 الانتظام ومنها عين بلاد الصفر وهي أيضا تحت الأرض لكنها ليست بمخفظة بل إنها
 تبعد عن سطح الأرض فتعوز عيون وبها ما غرير صاف عذب حار يشرب فاذا حمل في
 الأواني

الواقي برد وهي تغور بعد البلد في الارض ولا يتفع منها الا بشئ يسير لا شرب وسقي
 بعض بساتين ومنها عين باند الجديدة مع ان كلا منهما يصح لبقى غايه عظيمة مع حسن
 المساء وجوده فقد شاهدت عين الصفراء وقد اناخت حولها قافلتنا المحتوية على ازيد
 من سبعة نسمجة وهرع الى العين جميعهم لغسل ابدانهم وثيابهم بل وغسل اكراش الفقم
 التي ذبحت يومها في القافلة ومع تراكم تلك الاوساخ كنت ارى الحصباء كالفضة في بحري
 العين والماء ينز يدعقه عن ذراعين وأما هواه العجائز فهو على الجملة حار فكان عرضه
 من خط الاستواء ولا شك ان الاودية بين الجبال تزيد باختلاف المرتفع ولذلك يمتداف
 الحال مع كون مكة المشرفة مسددة الحر حتى اني كنت بها في دجنه رواسا اردت صلاة
 العشاء في الحرم لم استطع الجلوس على الارض بدون بساط في وقت العشاء لما اثرت
 الشمس في الارض فان الطائف لا يمكن فيه في الصيف الا التدرج في الليل بالغطاء الثمين
 وقد شاهدت من أمر السرايا شيئا عجيبا فاني لما كنت مسافرا من مكة الى المدينة
 سمعت من اصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء هنا ليس بوجود ولا بدن المبيت على الماء
 وكان الوقت بعد العصر فرأيت على قرب من الطريق غدرانا كثيرة فأسألت الجبال هل
 هنا نخبة أم ان المطر صبت قبل مرورنا فقال كل ذلك لم يقع فقلت من اين هذا الغدران
 حينئذ فقال ليس هنا غدران وانما ذلك سراب فلم نطعم من لقوله وأرسلت أحد أتباعي
 باناء الماء الذي أرتبه له فشا هذه وذهب اليه فلما باه صاح لي قائلا
 ليس هنا شئ فضحك مني الجبال وما ذاك الا لتعود فاني لم أعهد السرايا على ذلك النحو
 وذلك محراب القطر وتأثر الهواء بذلك وأما تبساتنا فذبت بانحياز جميع الثبات الذي يكون
 بالاقليم الحارة ووراء جبل أحد من الشق المقابل للمدينة غايه كبرى بها عيون ضئيلة
 وأشجار كثيرة فصاححة للنبات بأخشابها واكثر الشجر الاسقنث النخيل على انواع شتى
 وبقية الشجر ذوالغلال يغرس منه الآيرون بكثرة والبردقان والعنب والرمان وهو جيد
 للغاية لاسيما رمان الطائف والنين كما يستنبت بعض البقول مثل الباميا والطماطم وقليل
 من بقية المستنبات ومن تأمل الحكمة في جاية أشجار الحرم المحكي والمدفن من القطع
 علم قصد المزارع الى استكثر الشجر هناك لما يعود من مصلحته على الامة فانه يجلب
 السحب ويكثر المطر ويحسن الهواء بشرح النفوس ويبقى الناس من الشمس
 ولباطل الحر ووقد بغواضل ما يقطع منه للتحسين ومن شاهد تلك البقاع علم شدة
 الاحتياج الى الاستغلال من الشمس وعل حكمة تحريم الشجر حول البلد من المكرمين

الذين يلزم عارثهما وتبرع الناس اليهما من كل فم حقيق وقد أشار الى حكمة توحيد
الحرم بالشجرة وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم السجودى فى خلاصة الوفا باخبار دار
المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال قال الطحاوى يحتفل أن يكون سبب النهى عن صيد
المدينة وقطع شجرها كون الحجرة كانت اليها وكان بقا ذلك عساير يذوق رؤيتها ويدعو
اليها كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبی صلى الله عليه وسلم لم ينهى عن هدم
آطام المدينة فانها من زينتها فلما انقطعت الحجرة زال ذلك الخ وقوله انقطعت الحجرة
أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا حجرة بعد الفتح وكلامه تعليل لمذهب الحنفية فى عدم
تحرير المدينة وأما الأئمة الثلاثة فهم على تحريمها مثل مكة وأدلتهم قوية والحاصل
أن مرادنا هو أن تكثير الشجر فى البلاد لاسيما البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح
الفقهاء فى كتاب السير بالنهى عن قطع شجر دار الحرب بالاجابة اليه فكيف بمنزلة افضل
عن دارين لتلقى عليه الصلاة والسلام القنابل بغيرها وتحريرها ما حولها أكثر الأئمة
رضى الله عنهم مع الفائدة الظاهرة من ذلك (وأما) حيوانات الجوار في جديدها الحيوانات
الانسية المعروفة كلها لاسيما الخيل العربية التى يضربها المثل فى الدية وترغب فيها
جنيح الامم واعلاها الخيل الجندية وكذلك الابل الجيدة لاسيما النخيبات المربعة مثل
ما ذكرنا عصر واحد منها كما توجد البغال بقله والحمير بكثرة والحيوانات البرية كلها
موجودة الا القليل كالذب والفيل (وأما) الاسد والنمر وجوده بكثرة وكفى بما ذكره بشعر
فى قصيدته التى شطرها الشيخ قباد والتونسي بعد ان زاد عليها ملاحيا ناعما لاسود
أرض العرب وتلك القصيدة لما كانت بديعة أثبتتها مع تشطيرها المتنظير براعة المشرط
الذى صار كأنه بدوى فمع كونه حضرى يا صحت وهى

(أفطام لو شهدت بطن نعبت) * لسانت عندك الاخبار خيرا
ولو أشرفت فى جفح عليه * (وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا)
(إذا رأيت ليثا أم ليثا) * وكل منهما بأخيه مغرى
برى كل على ثقة أخاه * (هزبرا ألقا لاقى هزبرا)
(تمسك اذ تقاس منه مهري) * وأقبل فحوه أذنيه ذمرا
فيكاد يريسه فيضال منى * (محاذرة فقلت عقرت مهرا)
(أزل قد مى ظهر الأرض انى) * أرى قد مى للأقدام أرى
واست من زحى شيئا ولكن * (رأيت الأرض أثبت منك ظهرا)

(وقات)

(وقلت له وقد أبدى نصالا) * باهرة فاغر بهرون صرا
 وسوسا ذات الحياض تالطى * (محددة ووجهاء كفهرا)
 (يكف كغضبه احدى يديه) * بكلى القوس ينزع مسبطرا
 ولا يثنى براثن منه الا * (وييسط للونوب على انرى)
 (نعتك فالنفس باليت فبرى) * فلى بقى عليك وانت ادرى
 ومهرى قائل لك لا تخافى * (طعما ان محى كان مرا)
 (الم يملك ما فعلته كفى) * الست ترى بها الاظفار حمرا
 ألم تلك طامع اسلاه فتكى * (بكاظمه ففداة ذوات عمرا)
 (فلما خال ان انصح غش) * وغرته الجسرة فاستغرا
 ورجع الى التهور فى نزال * (وخالفنى كافى ذات همرا)
 (مشى ومشدت من أسدين راما) * مساورة فلاقى البصر بهرا
 ورجا الارض اذ بغيا علمها * (حراما كان اذ طلبناه وعرا)
 (سللت له الحسام نفلت ابنى) * اسابت من الهجرة فيه نهرا
 ولم أمش الضراء له لاني * (شققت به لى الظلماء فقرا)
 (وأطلقت المهند من عيني) * فاوثقه لغير المن أسرا
 بايريق هفا هفا وان يرق * (فقد له من الاضلاع عشرا)
 (نغرم ضرجا بدم ككافى) * بهجته أفضت عليه سترا
 وكسدت لول وجعته أواني * (هدمت به بناء مشهورا)
 (بضربة ففصل تركته شغعا) * وشقاه لى بطنا وظهرا
 وشبه كما اتنى منها مشى * (لدى وقبلها قد كان وترا)
 (وقلت له يعز على ابنى) * أراك معفرا شطرا فططرا
 واستحى المروءة أن ترانى * (فنت مناسبى جلد او قهرا)
 (واكن رمت أمر المبرمه) * أبى لا يبيع النفس خسرا
 ولم يك سامنى بالنصح خسفا * (سواك فلم أطق باليت صبرا)
 (تصاول أن تعلمنى فرارا) * فهل علمت نفسك أن تفرا
 وتنفض مذرويك لفعل عزى * (لهرايك قد حاولت ذكورا)
 (أنت تروم للاشمال قونا) * طالت به الدماء ورعت سفرا

ولكني أقيد بها وأحى * (وأطلب لابنة اليكريمي مورا)
 (فلا تعدم قد لا قيت حرا) * يرى وبقرة أن أبانت عذرا
 وعن كرم برزت الى كريم * (يصادف أن يعابفت حرا)
 ولا أسف على عمر تقضى * أفادك منه حسن الذي كرمها

وأما معادن الحجاز فإنه يوجد به الممر الرقيق ويوجد قريبا من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر الملوأ المشابه للاماس ويوجد أيضا الذهب وكان مستخرجا ثم دثر ولا يبعد وجود الفهم الحجري وكذلك غيره من المعادن المحتسجة للبحث عنها وأما مدن الحجاز فاصل قاعدته وقاعدته هي المدينة المنورة وكانت مدة إقامة الخلافة بها تسعت وكبرت وكذلك بعد ذلك في العصور الاولى من الاسلام وان حدث فيها الخراب الكلي والجلاء العام مدة يزيد ثم دون ذلك مدة القرامطة ثم تراجع همومها الى التو ثم عادت الى ما هي عليه الآن مما ذكرناه في صفتها وقاعدة الحكومة الحجازية الآن هي مكة المشرفة وقد مر ذكر صفتها ومن اعتبر ما جرى عليه الحال في ظهور الاسلام يرى ان عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مقهرا للدين القويم وانصار الرسول الامين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة وقد خالف الانصار عند الفتح انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى بلده الاصل فاهلهم بانه لا يفرقهم واستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة سعيد ناعلى فكان صدرها بالمدينة وانحرها بالكوفة ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز هي المدينة وذلك هو الموفق لمحالة السياسة لتوغل المدينة من القسارة واذا كان الحاكم في مكان فهدت سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض العوائق في الطريق يزال من محل وتنفذ الاحكام في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط واستمكة المنفعة على ذلك الخط وقد تغير الحال مرارا مدة الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما ذكرناه من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بمحكمها وبقية المدينة مستقلة ثم صارت الاحوال تتقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة مستقلة وتارة يستقل كل منهما بمحكم ولو بعد استقرار الدولة العثمانية والذي عليه العمل الآن هو ان مكة هي القاعدة والمدينة حاكم كبري جمع في امره الى حكومة مكة وأما بقية المدن بالحجاز فليست بموجودة وانما الوجود عبارة عن قرى مثل الطائف وهي اكبرها والصفر والجديدة وحده وراينغ وخيبر وقد غلط كتبه من الجغرافيين حتى من المسلمين في ذكرهم لسكان هذه البلدة

وكونهم هم وداغترار بما كن في اصلهم وقلة عما وقع في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه من سبلاه جميع الاديان الا الاسلام عن جزيرة العرب مستند بالنص من الشارح في كونه لا يجمع بهاد بنان ومن ذلك التاريخ لم يبق بها الا المسلمون وسكانها الا من صفاه القبائل مسلمون وهم تبسج لحكم المدينة صورة وفي الحقيقة تحت حكم محمد بن رشيد النجدي اكبر حكام قبائل نجد بل هو الحاكم على جميع اواسط قارة جزيرة العرب وهو على مذهب الروهابي وله نفوذ تام وحكم عادل ذهنية وسطوة بحيث أن رفعة منه يد حاملاها تؤمنه في جميع الانحاء من اواسط القارة ويجلس في مجلس حكمه ويحضر القاضي ومعه أحد العلماء بصفة المفتي ويقف حوله اصحاب النبل من اعيانه لبرسائهم في المحضومات فاذا دخل المشتكى التي دعواه على القاضي ويجيب عنه بما يظهر له ويحكم القاضي بما يراه فيستشير الامير ذلك العالم الحاضر هل ان حكم القاضي موافق للشرع أم لا فان وافقه فهم والا تباحثا وما يرمى عليه ينقذه الامير حالا واما النوازل المتعلقة بالادارة وحفظ الامن فيحكم فيها بالاجتهاد مما يراه فيها الانصاف والعادل بما لا يخبره ان السياسة الشرعية مع الصرامة التامة في التنفيذ حتى انه قيل انه اذا نوبت امره وهو في مجلسه المحكي واخبره بأنه وجد عددا ليعبره في الطريق وهو مملو بالمل ولا يعلم صاحبه فأخبره به المحكي بانه محله فقال له الامير من اين علمت انه رمل فقال له اني مسسته فقال له كيف مسسته وبأى يد فقال له مسسته يدي هاته وأشار بأحدى يديه فما كان من الامر الا أن جرد سيفه وقطعه او قال له ما كان ينبغي لك ان تسسه حتى تعلم ما فيه وأى فائدة لك في ذلك لو لايتن الحجابة اذ لو وجدته شيئا مما كذبت أخبرته عنه ومن علم حالات القوم وطباعهم في هاته الازمان يرى أن ذلك المحكم الصارم مطابق لما يقتضيه الحال اذ لم تأمن ولاينه ولم تستقر بها الراحة والهناء الا بمثل ذلك المحكم واذا امر أحدا بأمر ولم ينفعه ولم تحمله قيمته على تنفيذه فانه يصدر في الحال أو امره الى القبائل التي يمر عليها الى جهة المأمور بحضور فوسائهم في وقت معين ثم يركب هو وفوسان جيشه وما مر بتبليغ من المأمورين المشار اليهم الا انضموا اليه الى أن يعظم جيشه فيمضون الى المأمور وقيمتهم بأخذهم اخذة رابية وبجلاك أرزاقهم ان كان منهم من المعسكر وبمثل ذلك فذا أمره وعلاصيته ونقصت القبائل اليه مع كونه جوادا وفيها بالهدى الى المهمة على شجاعة كرام العرب وهاته البلدان المشار ذكرها أغلبها به حصن أو بقرية حصن لا قامة العساكر للحماطة على الامن غير ان أغلب الحصون صارت نرايا

* للإهمال وليس به حامية. وأما مراسي الحجاز فأعظمها مراسي جدة ثم ينبع البحر
 وهاته هي أقرب المراسي إلى المدينة المنورة بحيث يصلها البريدي في يومين وأما القوافل
 في ثلاثين ثم بقية المراسي على قلتها ليس لها أهمية غير أن الموجود منها كله هي مراسي
 أمينة للمسلمين لما خلقها الله عليهم من إحاطة الصخور العظيمة حول المحوض الذي
 ترسي به السفن بحيث يصح أن يقال إن الذين انتخبوا تلك البقاع بها ما بلاد المراسي
 هم من حذاق أهل التدبير واتساع المعارف بالصناعة البحرية فقد شاهدت كلا من
 مرسي جدة وينبع وحوض كتهم ما يسع مئين من السفن الضخمة في أمن تام ولو عند
 تلاطم الأمواج التي كالجبال وأغلب الخوارج لا يدخلونها إلا بدليل من بصرية أهالي
 تلك المراسي وقد شاهدت الخريطة البحرية التي في البصرة التي سأفترق بها
 إلى جدة معلما على جميع البحارة المستورة بالبحر حوالى شاطئ البحر الأحمر مع بيان
 حجمها وأمر كذا وهي من صنع الإنجليزيين فساكنهم هل لهم خريطة مصرية أو عثمانية
 فأجابوا بأن تلك الخريطة هي المول عليها عند جميع الأمم ولوا عثمانيين الذين يعد البحر
 الأحمر بحيرة في ملكيتهم من جميع جهاته فحسبت وأنذرت من خوفهم وأعمال آخرين
 وهي إحدى علامات آخرنا إذ صرنا لأهل بلادنا وشواطئها لا ابتصراف الأجانب لنا بها
 * وسبحان الفعال ما يريد. وأما سكان الحجاز فهم كلهم عرب من ذل العرب الأقدمين
 الأسكان المولدين المكرمين فأغلبهم من الوافدين من جميع الأقطار وأكثرهم مكية من
 الهنود وأما في المدينة فأكثرهم من المغاربة وعدد جميع السكان في الحجاز يقرب
 من مئوي مليونين فالذين يهرون الأرض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة خزيمية وتعرف
 بالأحامدة ومنها الخديعة قبيلة حرب وهم القبار ومنهم البغاة الذين يكثرون قطع الطرق
 بين البلدتين المكرمين وهاته القبيلة وهي خزيمية المعروفة بالأحامدة تنقسم إلى تسعين
 كبيرين أولها ما يسمى السرووح وهم سكان البراري من مكة إلى الصفراء وثانيها يعرف
 بنبي سالم ومنهم نخدحرب وهم سكان بقية الجهات وديانة الجميع هي الإسلام على مذاهب
 شتى أغلبهم أهل سنة على المذهب الحنفي والشافعي وأبنة شريعة من التنايم الدينية بكثرة
 زوايا الشيخ السنوسي المنتشرة في جميع جهاتهم وقد مر الكلام على مذهبهم عند الكلام
 على جزيرة العرب في المقدمة وعلى حوادث تونس في فصل سقري إلى فرنسا كما يوجد
 المذهب الوهابي بقلة وإن كثرت في جهات نجد الخارجة عن حكم الحجاز وأما تقاسيم الأهلالي
 بالنظر للعلم فإن كل قبيلة لها مشايخ منها ويرجع الجميع إلى أمير مكة السيد الشريف

﴿ تم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحج الحجاز ﴾

بمحمد بن أسبغ فنه على العباد والصلوة والسلام على بدر الهدى وعلى آله نجوم
الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفوة الاعتبار على يد مذهب مصطفى
محمد وشيخة المفتقر إلى رحمة الكريم الغفار مذهب كابرهم حاربا
من الفوائد ما يتم به المرام وذلك بالمطبعة الاعلامية التي
هي عن التعريف غنيمة ووافق طبعه يوم الاثنين
المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الآخرة
الذي هو من شهر سنة ثلاث ثلاث
مائة وألف من هجرة من خلق
على أكل وصف وصلى
الله على سيدنا محمد
وعلى آله
ومذهب
وسلم

مقدمة

- ٢ الباب الخامس في قطر الجزائر
- ٢ الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
- ٣ نزوله الى البرودخوله بلده عقبه
- ٣ كيفية جامعاته وما اشقت عليه
- ٤ الجامع الذي صلى به المؤلف وذكره مئة المصح على الحفنين
- ٤ أحسن ما في البلاد وهو سوق الخضضر
- ٥ قصده الى تونس في سنة ١٢٩٥ من سفره الى قرانسا
- ٥ مروره في الاياب على مدينة الجزائر
- ٥ هيئة الجوامع والحصون بها في البلدة
- ٥ سفره الى عنابة ومروره ببلد داس وغيرها
- ٦ الفصل الثاني في التعرف بالجزائر وأهلها وجملة جغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها وغير ذلك
- ٧ الفصل الثالث في احوال تاريخ الجزائر ومطالب تاريخها القديم
- ٨ مطلب في تاريخ الجزائر الجديد
- ٨ سبب اسقلاء الفرائسيين عليها
- ٨ انصار حرسين بالاربعية في الاحساخ على قذل قرانسا
- ٩ رضاهم قرانسانا بكاف الباشا أي انسان كان في باريس يطلب الترضية
- ١٠ مبدأ اسقلاء قرانسا على الجزائر
- ١٠ اجماع الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة سيدي الحاج عبد القادر بن محيي الدين الحسيني
- ١٠ اتحاد سلطان المغرب مع الفرائسيين على محاربة الامبراطور ارايه
- ١١ مطلب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر
- ١١ كيفية انتخاب الدولة لعلها كم العمام من أهل المناصب العالية من الفرائسيين
- ١٣ معاملة الحكام لالاهالي وسبب قوغل الامبراطور في دواخل الجزائر منفردا

عن المحامية

- ١٣ وفاة الالهالى بالعهد عند انكسار الفرنسيس وتحريرك الدسائس فى اهلالى الجزائر
- ١٤ مطلب فى السياسة الخارجية للجزائر
- ١٤ الفصل الرابع فى بعض صفات الالهالى وهولاندهم
- ١٥ حكاية بحجية وقعت للوآلف فى القايور وهولاندهم سافرا الى عناية
- ١٥ تقرير اخلاق بعض الالهالى
- ١٦ ذكر المشايخ الاخاء الذين رآهم المؤلف بالجزائر
- ١٧ مطلب فى التجارة بالجزائر
- ١٧ مطلب فى الاحكام بالجزائر
- ١٨ حكماء القبايل وهم القواد والاعوان والقضاة
- ١٩ مطلب فى المعارف بالجزائر
- ٢٠ مطلب فى الصنائع وغيرها بالجزائر
- ٢١ السباب السادس فى انكلا تيرة
- ٢١ الفصل الاول فى سفر المؤلف اليها
- ٢١ وصوله الى بلاد كلى التى هى مرسى على اضيق خليج بحر المنش
- ٢١ ذكر بانة بحجية الشكل نزل بها المؤلف
- ٢٢ ذكر الزل وسرعة سيره
- ٢٣ وصوله الى المحطة ومقابله مع أحد أبناء الشام وما أقامه فى لندره وسمره منها
- بعض بلدانها
- ٢٣ ذكر أبنية بلد امبريق
- ٢٣ ذكر القصر الذى بناه الملك ويلم التناات
- ٢٣ محل معرض أنواع السمك فى أحواض من الزجاج
- ٢٣ ذكر كفة على البحر طولها نحو نصف ميل
- ٢٤ الفصل الثانى فى صفة لندره
- ٢٥ ذكر بناتها
- ٢٦ ذكر قصر الزحاج وهو اول معرض عام أحدث فى أوروبا به عجائب جديدة ترصد لعيبة

- ٢٦ ذكر الاماكن الشهيرة في لندون وأقيمتها الضخمة وغرايبها التي انفردت بها
- ٢٩ الفصل الثالث في وصف انكلا تيره وجغرافيتها
- ٣٩ بيان أنهرها
- ٣٠ ذكر بحيراتها
- ٣٠ ذكر هوائها
- ٣٠ ذكر نباتاتها
- ٣٠ ذكر معادنها
- ٣٠ ذكر حيواناتها
- ٣١ ذكر مدنها
- ٣١ ذكر مرامي هذه المملكة
- ٣١ ذكر تقاسيم هذه المملكة
- ٣١ بيان عدد أهل هذه المملكة وديانتهم وحنفيتهم وصفاتهم
- ٣٢ ذكر مستعمراتها وتقسيماتها
- ٣٢ الفصل الرابع في احوال تاريخ انكلا تيره ومطالب تاريخها القديم
- ٣٣ الكهان والرومان وما وقع بينهم
- ٣٤ تساميم الرومانيين انكلا تيره لاهلها ورفع حيويتهم عنها
- ٣٤ تقسيم انكلا تيره الى سبع ولايات باسماء أعماينهم
- ٣٥ زوال استقلال الولايات وتلك اغبرت ملك واسكديس لانكلا تيره
- ٣٥ تلك اشلاستان حفيد اغبرت وما وقع بينه وبين اللدغرن
- ٣٥ ارغر قودرانه البحرية التي باقت الى درجة لم تهده لهم
- ٣٦ مطالب في تاريخ انكلا تيره المجدي ومبدأ أول حريته في اوروبا
- ٣٦ الملك يوحنا ماجرى بينه وبين أعصاب أهل المملكة
- ٣٧ قولبة يوحنا ادوارد الاول الملقب بذي الساقين
- ٣٧ قولبة ابنه ادوارد الثالث
- ٣٧ قولبة ادوارد الثالث وظهور مذهب البروتستانت الذي نشأ في مدته
- ٣٨ ذكر بقية الملوك التي استولت على انكلا تيره

- ٣٩ تشكيل لجنة لمعدن قوايتهم الملك اسكوتسيا
٤٠ توليه ابنه جيس الملقب بكارلوس الثاني
٤١ توليه اخيه جيس وزيادة لارتيالك من ايتاره للذهب الكاتوليكي
٤٢ استدعاء الالهالي أحد امراء هولانده وتلقيهم له بويلم الثالث
٤٣ توليه الملكة يوحنا بعده
٤٤ استدعاء الاله الى لاحد قرابة العاثة واثيرة جورج الاول
٤٥ توليه جورج الثاني وما جرى في مدته من الحروب
٤٦ توليه جورج الثالث واستقلال الدول المتحدة في مدته
٤٧ توليه جورج الرابع الذي حصل الغد في مدته على اسطول الدولة العمانية من
اسطول انكلا تير
٤٨ توليه ويلم الرابع بطريق الوراثة وزيادة ثنائون في ايامه تحدينا
٤٩ مطلب في السياسة الداخلة بانكلا تير وبيان تركب الساطة فيهما من الملك
والاعيان وحقلاء الامة
٥٠ مبحث ادارة لولايات
٥١ كيفية ادارة مدينة لندره
٥٢ الاحكام الشخصية وادارتها المخصوصة
٥٣ مبحث ادارة مستعمرات الانكلايز
٥٤ مطلب في السياسة الخارجية للانكلايز
٥٥ مطلب في بعض عوائد الانكلايز وصف ايتهم وانقسامهم الى طبقات
٥٦ انقياد الالهالي لاحكام
٥٧ اختلاف عوائد الالهالي على اختلاف طبقاتهم وغرائب ما انفردوا به في العوائد
٥٨ بيان الطبقة السفلى من الالهالي وانما اشبهه جرا
٥٩ بيان اخلاق الانكلايز على اليوم
٦٠ مطلب في التجارة بانكلا تير
٦١ مطلب في الاحكام بانكلا تير
٦٢ مطلب في المعارف بانكلا تير

- ٦٣ بيان ما اختصت به امكلا تيره من وجود جمعية ديانية لنشر مذهبهم البريتواني
 ٦٣ ذكر المطابع والمعامل للكتابس بامكلا تيره
 ٦٤ ذكر عدد المكتبات وان اعطاءها مكتبة لندرة الكبرى
 ٦٥ مطلب في الصنائع في امكلا تيره
 ٦٥ مطلب في هيئة المساكن بها
 ٦٦ مطلب في اللبس بها
 ٦٧ مطلب في الاكل بها
 ٦٨ مطلب في المواكب بها
 ٦٩ مطلب في اللغة بها
 ٧٠ مطلب في القوة المحورية والبحرية والسالية والتجارية بها
 ٧٠ الباب السابع في جزيرة مالطة
 ٧٠ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
 ٧٢ الفصل الثاني في التعرف بمالطة وحرفيتها الجامعية وعدد اهلها ووسقاتهم
 ٧٤ الفصل الثالث في تاريخ مالطة ومطلب تاريخها القديم
 ٧٥ مطلب في تاريخ مالطة الجديد وسبب استيلاء الانكليز عليها
 ٧٥ مطلب في سياسة مالطة الداخلية
 ٧٥ مطلب في سياسة التجارة بمالطة
 ٧٦ مطلب في بقية عادات المالطيين واحوالهم
 ٧٧ الباب الثامن في الاقطار المصرية
 ٧٧ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
 ٧٧ محاورة لطيف وقعت للوفد مع ركاب البانرة
 ٧٩ ذكره ارسي الاسكندرية بعد وصوله اليها
 ٨١ بيان هذه المدينة وما احتوت عليه من الجهاب
 ٨٢ ذكر المنارة الشهيرة بها
 ٨٢ خزنة الكتب بطليموس الاول وغيرهما من الكتب وابال دعوى حرق المسلمين
 لكتبها

محمدة

- ٨٢ بيان مدد أهاها وبعلاها
 ٨٢ ذكر الملة الواقعة قرب محطة سكة الحديد ومحو السوارى بمينة البصل
 ٨٣ الفصل الثانى فى صفة مصر القاهرة
 ٨٣ ذكر انعطاف القاهرة
 ٨٣ ذكر القلعة التى على شاطئ النيل
 ٨٣ ذكر الجامع المبنى بها وصفاته الهيبة
 ٨٤ ذكر البر العيق المسمى بالخزون
 ٨٤ ذكر طرق المدينة وحواينها
 ٨٤ ذكر حديقة الازى بكية الانيقة الجميلة
 ٨٤ ذكر المقام الحسينى
 ٨٥ ذكر مشهد سيدتنا زيب وبقية أهل البيت
 ٨٥ ذكر الجامع الأزهر وكيف بنائه وما فيه من الدروس والنامذة وغير ذلك
 ٨٦ ذكر الأهرام التى بمصر القاهرة وما اشقت عليه من البهائم
 ٨٧ ذكر أفاضل مصر الذين زارهم المؤلف
 ٨٨ ذكر تار يخس قدمه ما المؤلف للخدمى محمد توفيق باشا حين زيارته له
 ٨٨ ذكر اختلاف أهل المشرق والمغرب فى حساب التاريخ
 ٨٩ الفصل الثالث فى التعريف بمصر وجه رافيتها
 ٩٠ بيان المعجود من مصر الأصلية
 ٩٠ ذكر بلاد النوبة الداخلة فى ملكة مصر
 ٩٠ جبال عمالة مصر
 ٩٠ الأنهار التى بها وأولها النيل
 ٩١ ذكر الترع التى أحدثت من النيل
 ٩١ ذكر غرائب النيل وأنه يغرق فى وقت معين
 ٩٢ أسباب فيضان النيل
 ٩٢ بقية الأنهر فى عمالة مصر
 ٩٣ مجمرات مصر

- ٩٣ ذكر هواء مصر على العموم
 ٩٣ ذكر نباتاتها مع سودانها وجبالها
 ٩٤ ذكر حيواناتها
 ٩٤ ذكر مارأ المؤلف من بهيزات زينة اصيل الله عليه وسلم مما يزيد القلوب ايماناً
 ٩٤ ذكر الطيور التي بها
 ٩٥ ذكر معادتها وان فيها أكثر انواع المهادن
 ٩٥ عدد مدن مصر وقرىها
 ٩٦ ذكر عماد مصر
 ٩٦ ذكر تعداد أهلها
 ٩٦ ذكر مصفأها على العموم
 ٩٧ الفصل الرابع في اجمال تاريخ مصر وملحقاتها ومطلب تاريخها القديم
 ٩٨ ذكر من ملك مصر من الفراعنة وطبقات حائلاتهم
 ٩٩ ذكر فرعون سبزوسترس
 ٩٩ ذكر الخلاف في فرعون موسى وبيان فوائدها تاريخية وذكر ههنا في غلط المؤلفين في اعتقادهم على ما يدعونيه كتبهم مقدسة واثبات التعريف اللغوي فيها عقلاً ونقلاً وان الديانة الاسلامية سالمة من جميع ذلك
 ١٠١ ذكر انشاق القمر ومبونه بالتواتر والاعتراض على بعض المؤلفين في اثباتهم كلبا يروونه في كتاب من غير نقد
 ١٠٥ ذكر فرعون الذي حارب ملك الشام الذي هو ابن سيدنا سليمان عليه السلام
 ١٠٥ ذكر فرعون سباقون
 ١٠٥ ذكر بابل وانه اراد وصل النيل بالبحر الاحمر
 ١٠٦ ذكر استيلاء بطليموس الاول
 ١٠٦ ذكر بطليموس الثالث وتوليته عليها
 ١٠٦ ذكر القوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه المصطفى عليه الصلاة والسلام
 ١٠٧ ذكر فتح مصر على يد سيدنا محمد بن العاص في خلافة سيدنا محمد
 ١٠٧ ذكر بقية الملحقات السودانية

- ١٠٧ ذكر شطوط النوبة الشرقية
 ١٠٨ ذكر زباج وغيرهما من بقية جهات السودان
 ١٠٩ ذكر جدول حكومات مصر
 ١١٠ مطالب في تاريخ مصر الجديد واستيلاءه الفرنسيين عليها
 ١١١ ذكر ولاية محمد علي باشا والاهل الذي اجره بمصر
 ١١٢ ذكر نزوله عن الولاية لابنه الاكبر ابراهيم باشا
 ١١٣ ذكر قولية عباس باشا ابن طوسون بن محمد علي باشا
 ١١٤ ذكر قولية سعيد باشا ابن محمد علي باشا
 ١١٥ ذكر قولية اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا واعادته بمصر القطن والمعارف
 ١١٦ ذكر مدد المخرج الوطني وزعيمه في الكلام عبد الله فديم
 ١١٧ ذكر استيلاء الوزارة لمحمد سامي واستيلاء وزارة الحرب ابراهيم
 ١١٨ ذكر حادثة عظيمة وقعت في اسكندرية بين المسلمين والنصارى
 ١١٩ ذكر اطلاق النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية
 ١٢٠ ذكر استيلاء الانكليز على بورت سعيد وسائر خليج السويس
 ١٢١ ذكر دخول المساكين الانكليز الى القاهرة
 ١٢٢ مطالب في السياسة الداخلية المصرية
 ١٢٣ ذكر نص فرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا
 ١٢٤ ذكر ثورة السودان التي كانت ابتدأت اواخر مدة اسماعيل باشا
 ١٢٥ ذكر قدوم المروخين الشمالي والانسكليزي
 ١٢٦ مطالب في السياسة الخارجية
 ١٢٧ مطالب في بعض صفات وعوائل المماليك
 ١٢٨ مطالب في الاحكام بمصر
 ١٢٩ مطالب في التجارة بمصر
 ١٣٠ مطالب في المعارف بمصر
 ١٣١ مطالب في هيئة المساكن بها
 ١٣٢ مطالب في المدارس بها

- ١٣١ مطلب في الأكل بها
 ١٣٢ مطلب في المواكب بها
 ١٣٣ مطلب في اللغة بها
 ١٣٣ مطلب في الاحكاميات بها
 ١٣٤ الباب التاسع في الحجاز وكتب السابيع فاعطا
 ١٣٤ الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
 ١٤١ الفصل الثاني في صفة البلدين المذكورين ومواكب الحج
 ١٤١ مطلب في صفة مكة المكرمة
 ١٤١ ذكر البيت الحرام والحجر الاسود وسائر المشاعر المباركة
 ١٤٤ مطلب في صفة المدينة المنورة
 ١٤٤ صفة الحرم النبوي ومهجرة للنبي صلى الله عليه في ايجاد الشباك المحيط بالروضة
 الشريفة
 ١٤٧ مطلب في صفة موكب الحج الى قول الحجاج الى زيارة النبي عليه وعلى آله الصلاة
 والسلام
 ١٥١ الفصل الثاني في التعريف بالحجاز وجغرافيته وسكانه وحيواناته ونباتاته وغير
 ذلك
 ١٥١ ذكر الجبال وذكر مهجرة باهرة من غلوه ونار الحجاز التي ائذ بهم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم
 ١٥٤ ذكر قصيدة بشر التي شطرها الشيخ قباد والتونسي
 ١٥٦ ذكر معادن الحجاز
 ١٥٦ ذكر المدن بالحجاز
 ١٥٨ ذكر مرأى الحجاز
 ١٥٨ بيان سكان الحجاز وجنسهم وعماط البعض في سكان حدير

﴿ تمت القهرست ﴾

﴿ طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

الجزء الخامس

من كتاب

صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

تأليف

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل
السيد محمد يرم الخامس التونسي
رحمه الله ونسبه

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لابناء المؤلف

طبع في مطبعة المنتدب بصر سنة ١٣١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله اللّهُ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

فصل في تاريخ الحجاز

مطلب في تاريخه القديم

اعلم ان سكان الحجاز هم العرب فتاريخه هو تاريخهم نعم قد كان الحجاز معمورًا قبلهم لكن العمران قد جهل تاريخه بالمرّة لتقدم العهد لقادمًا كثيرًا وغاية ما يعلم من حوادث ذلك التاريخ هو بعض جزئيات لما تعلق ببعض الأماكن المشرفة هناك مثل بيت الله الحرام فانها بنيت منذ عهد سيدنا آدم ابي البشر عليه الصلاة والسلام وجُددت ايضا قبل سيدنا ابراهيم ولكن الاخبار عن ذلك كادت ان تكون خلية عن التحقيق ثم انه لما تكوّنت امة العرب واستقرت في جزيرتها حدثت فيها حوادث تاريخية مهمة جدا غير انها في ذاتها ايضا منقسمة الى اربعة اقسام باعتبار اتقسام العرب في انفسهم لان العرب منذ نشأتهم الى الآن منقسمون الى اربع طبقات فالطبقة الاولى هي العرب البائدة والثانية العرب العاربة والثالثة العرب المستعربة والرابعة العرب المولدين او المخضرمين

فاما الطبقة الاولى فهي التي كانت قبل سيدنا ابراهيم وانما سميت بائدة لايادتها اي انقطاعها وانقطاع اخبارها وان كانت ذريتها لم تزل وهم بقية الطبقات وانقطاع اخبارها انما جاء من شدة طول العهد والامد فلم يعلم من احوالهم الا بعض حوادث قصها الله تعالى في القرآن المجيد مثل ما ذكر من احوال رسول الله سيدنا صالح الى قومه ثمود وكذلك قصة عاد مع رسولهم سيدنا هود والاشارة الى ما كان لما تلو الامّة

من القوة والعمران والثروة وشدة البأس الى غير ذلك من احوال اقراضهم والاعتبار بما كان لم يثبت بنص آثارهم في ديارهم واما غير ذلك من تفاصيل تاريخهم فلا يوجد منه الا قصص يذكرها بعض المفسرين او المؤرخين لا سند لهم فيها الا الاعجاب بقصص القصص مما لا ينبغي الاعتماد عليه اللهم الا ما اذا ورد شي من ذلك عن الصادق الامين رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ينبغي ان يتلقى بالقبول ولعله لا يوجد من ذلك عدا ما في القرآن المجيد الا ما ندر مما روي بصحيح السند وهكذا ما يروي عن الصحابة رضي الله عنهم في ذلك الصدد لانهم اذا صحت الرواية عنهم لا يقولون الا ما له ثبوت بأحدى الوجوه الموصلة وحاشاكم ان يدكروا خرافات القصص ولذلك كانت الاخبار عن تلك الطبقة من العرب في غاية الابهام وانما المحقق منها هو انهم كانوا امة عظيمة ذات نفوذ وشهرة وعمرها الارض عمرا عظيما وحادوا عن جادة الصواب في عبادة الخالق جل جلاله ورسول الههم الرسل في ازمان مختلفة بدعوتهم الى الرشاد فعاثوا الى ان احاط بهم العقاب وطول الزمن الواقع ما بين اولئك الرسل الدال عليه سياق القرآن المجيد والدال عليه ايضا نسيان القوم لما كان اصاب ساجدهم يدل على طول الزمن بين سيدنا نوح وبين سيدنا ابراهيم عليهم جميعا الصلاة والسلام زيادة علي ما يزعم انه مذكور في التوراة باضعاف مضاعفة فان تكون الامة وكثرتها بعد الطوفان الى ان تبلغ الى ذلك المقدار من الكثرة والشدة وغير ذلك من الصفات لابد له من زمن طويل كافي لتكوين ذلك العدد الوافر من رجل واحد ثم ان نسيانهم لمعجزة الطوفان وبسبب نجات جدهم يستدعي ايضا ذلك الطول ثم ان تعدد الرسل مع التعاقب اي ان كل واحد منهم في زمن بعد الآخر وكل واحد منهم يحل العقاب بمن خالفوه فبعضهم اهلك بالريح وبعضهم اهلك بالصيحة الى غير ذلك يدل ايضا على شدة طول الزمن فيما بينهم حتى تنوسي خبر السابق وكل ذلك قبل سيدنا ابراهيم عليه السلام فلا بد ان تكون المدة بينه وبين سيدنا نوح طويلة جدا لا يعلم مقدارها الا الله تعالى وجميع ذلك يدل على طول عمر الدنيا وانما غابتها انها حادثة وانها مآلها الى الفناء وهذا كله يبين لنا معنى قوله عليه الصلاة والسلام بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبميو الكركتين الوسطى والسبابة وكذلك ما دل من الآيات والاحاديث على قرب الساعة فرب قائل يقول اين هذا القرب وهذا الاقتراب وقد مضى من زمن البعثة الى الآن ازيد من الف وثلاثمائة سنة ومع ذلك لم تظهر العلامات الكبرى كنزول سيدنا عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها الى غير ذلك فنقول له ان الامور نسبية فمن علم المقدار الكثير

من مدة الدنيا التي مضت وعلم ما بقي منها رأى ان الساعة قربت وانها مقترنة بالبعثة ولا يتأتى ذلك الا اذا كانت المدة الماضية طويلة طويلاً كثيراً كما هو الواقع والمشاهد من حالة الآثار الدالة على ان ما مضى يزيد على العشرات من آلاف السنين فنسبة الفين سنة او ثلاثة آلاف من تلك العشرات من الالف ما هي الا كنسبة المتلصقين والمتعرب واما اذا اعتبر ما يزعمه اهل الكتاب من المدة وانها ستة آلاف مثلاً فلا يمكن الفهم الا على ضرب من التأويل الذي لا حاجة اليه لمخالفة الواقع ولتبين التحريف الثابت فيما يستند اليه اهل الكتاب الذي غرهم فيما ذكر فله الحمد على تنزيه شريعتنا المطهرة عن مثل الخرافات المخالفة للواقع

واما الطبقة الثانية من العرب وهي العرب العاربة فهي التي من زمن سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابنه ابي العرب المعروفين الى عصر البعثة وهاتين الطبقتين اخبارها معروفة اجمالاً لاسياقرونها المتأخرة بما يستنتج من اشعارها وقصائدها واخلاقها وان كانت تفاصيل الحوادث التاريخية غير شقيقة لاسيا القرون الاولى لها والمتوسطة لعدم وجود تواريخ محجرة في اخبار هاتين الامم من العرب دونت قبل الاسلام وانما الذي يوجد في ذلك من التأليف انما هو بعد الاسلام عند ما حدث تدوين الكتب في الامة الاسلامية وذلك من القرن الثالث من الهجرة فيوجد في التواريخ الاسلامية اخبار كثيرة عن هاتين الطبقتين وكثير منها تلوح عليه سمات الصحة لما يؤيده من الاشعار في الوقائع وحوادثها واثباتنا على جميع ذلك في هذه الخلاصة مغاير لمقصودنا لانه لا يكون الا زيادة نسخة من احدي التواريخ المشهورة في ذلك مثل تاريخ المسعودي او تاريخ ابن خلدون او غيرها من التواريخ الكثيرة وانما الذي يليق بنا ذكره هو ان نقول ان هاتين الامة قد انتشأت في هادول عظيمة وممالك واسعة وكانت في أغلب الاوقات مقسمة الى ثلاثة اقسام جنوبي وشمالي ووسط

فاما القسم الجنوبي فهو اليمن وحدت فيه دول عظيمة مستقلة بنفسها في أغلب الاوقات ولكنها لم تسلط على غيرها من الامم الا نادراً نعم قد تسلط عليها غيرها احياناً فتارة تكون تابعة للملك فلرس رهو الاكثر وتارة تتبع دولة الحبش او دولة اليونان او الرومان او المصريين وفي كل الاحوال الاغلب ان يكون حكمها منها وان كانوا تابعين لغيرهم من ذكرنا ونشأ فيهم عندنا حبيلاً كما تدل عليه الآثار التي حول المدن القديمة مثل صنعاء وغيرها وصار في اليمن رجال ذوي فطنة وفكر وقاد وتأهل للكمال كما يرشد اليه الحديث الشريف القائل الايمان بمان والحكمة بماينة او كما قال عليه الصلاة والسلام



واما القسم الشمالي فهو مملكة غسان اي الجهة الموالية للشام والعراق فهاتو كثيرا ما حدثت بها دول مستقلة ذات شأن لكنها لم تبلغ مقام دول اليمين وفي أكثر الاحوال تكون هاتو المملكة تابعة لصاحب ملك الشام كالرومان وغيرهم وفي أكثر الاحوال ايضا تكون رؤساؤهم منهم وان كانوا تابعين لغيرهم

واما القسم الثالث وهو الوسط الشامل للحجاز ونجد وتهامة فالحجاز منه في أغلب الاوقات ان لم نقل في كلها كان منفردا

واما غيره فيكون تارة تابعا للجنوب وتارة للشمال وتارة ينفرد بنفسه مثل الحجاز والحجاز الذي هو بيت القصيد مع كونه كان منفردا عن الخضوع لغيره الا ان يكون خضوعا اسميا بمعنى الادلاء بالبيعة لبعض ملوك اليمين العظمى الملك فائدة في نفسه لم تكن به دولة ملكية قط وانما جميع السكان منقسمون الى قبائل كل قبيلة خاضعة الى رؤسائها فقط ولا سلطة لواحدة على أخرى الا ما يكون على طريق الظلم والعدوان وقد انفردت قبيلة قريش من بين سائر قبائل العرب بالمجد والفضل لما لها من الزينة باختصاصها بالسكنى حول بيت الله الحرام الذي لم يزل معظمها عند الجميع منذ بناء سيدنا ابراهيم وسيدنا اسماعيل ابو العرب وكانت سائر القبائل العربية تحبها من جميع الافاق اليمين والشام وغيرها وتعظم اهلها وتكرمهم واختص يزيد الشوف على قريش بنو هاشم منهم فكانوا هم سدنة البيت وهم حماة * وقد تفرقت في قبائل العرب أكثر شيم المكارم لاسيما قريش فكانوا ابعد الخلق عن تحمل الضيم وكانوا احرص الناس على حفظ المجد وحماية النسب فيحفظون انسابهم ويتفاخرون بها ويكرمون الضيف ويتنافسون في البذل والكرم ويمحون الجوار ويوفون بالعهد ولم اليد البيضاء في الشجاعة والرماية والفرسية والاعناء بتربية اخيل الحياذ والابل ويتفاخرون بالعدل ويستقيون الظلم وان افتخروا به في قهرهم به لاعدائهم والحاصل انهم اقتنوا أكثر سمات الفضائل ومكارم الاخلاق حسب ما يرشد الى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق ويؤكد ذلك حلف الفضول الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما احب أن يهجر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت الخ وذلك ان قريشا تحالفوا على ان لا يمددوا مظلوما الا انتصروا اليه حتى يردوا ظلامته يأخذون حق الضيف من القوي ولتنافسهم في سمات الكمال حدثت بين القبائل المشاحنات على استقصائها وتمكنت العداوة بينهم وصاروا على قلوب شق

وكان اعظم مهمهم وغاية تفاخرهم هو البلاغة في لغتهم التي بها يعبرون عن خصال فضائلهم ومناط تنافسهم حتى صاروا يعتقدون لذلك اسواقا كسوق عكاظ فيفضون اليه من كل فج عميق وتأتي القبائل بما لديها من البضائع والتجارة ويقع بينهم تعارف ورواج في المتجر ولكن موضوع اصل الاجتماع هو عرض كل قبيلة كلام فحول فصاحتها من نثر ونظم فتتصب لاصحاب البلاغة واللسان الطلق المنابر وينشد كل منهم ما لديه من القصائد التي كان تألق في احضارها حتى ربما بلغ الحال بأحدهم ان لا يظهر قصيدته الا بعد التروي والتدبر فيها واصلاحها مدة العام والعامين حتى كانت لم قصائد تسمى بالحولية وقد يكون الانشاد ارتجالا مع الابداع والاغراب من مصاقفهم في اغراض شتى من نصائح وحكم وصفة مكارم الاخلاق او في الشجاعة والبطش والحروب او في الغزل والتسبيح او المخاخرة والمدح والذم الى غير ذلك ما اشتهر امره في الآفاق بين سائر الامم الى الآن ولا زال يضرب به المثل فيما كان للعرب من سعة اللغة وكمال الادراك فيما خاضوا فيه من مناهج الكلام وكانت لم حكام مسلم اليهم الانصاف وعترف لم بكمال الخبرة والاحاطة بأساليب البلاغة وجزالة المعنى ودقة المدرك فيمكنون بتفصيل بعض الكلام على بعض وربما بلغ الحال من العناية بالكلام البليغ ان يكتب في صحائف موقفة ويعلق في داخل الكعبة التي هي مناط تعظيمهم قديما وحديثا ولو في الجاهلية دلالة على ان ذلك الكلام قد بلغ الغاية القصوى في المهيح الذي هو بصدد له اخنوى عليه من الفصاحة ومن ذلك المعلقات السبع الشهيرة غير انهم مع هاتيك الكالات قد تناهسا دين آباؤهم ابراهيم واسماعيل عليهم السلام ولم يبق فيهم من آثاره الا اعتقاد الخلق والاعتراف له بالوجود كما يرشد اليه قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وكذلك تعظيمهم للبيت الحرام ثم تفرقوا في بقية العقائد على اتجاه شتى باطلة من وثنية ومجوسية ودهرية وكتائية اي متنصرين او متهودين مستغرقين في الضلال الذي عم جميع اطراف الارض في ذلك العصر بحيث لم يكن بها من يعبد الله على حق الا عدد من افراد مخصوصين * وبينما كان اهل الارض في ذلك الظلام الحالك واذا بنور الله قد سطع وكشف عن البصائر الحجب يبعثه رسول الله سيدنا ومولانا محمد صفوة بني هاشم سادة العرب فانقلب الكون حيثلر الى طور آخر في سائر الاحوال المتعلقة بالدين والدنيا وظهر في العالم عصر جديد عم عند الله واستقامته اغلب المعمور من الارض في سنين قليلة والكلام على تفاصيل زمن البعثة وما سبقه وما لحقه من مكالات

دعائم الدين الاسلامي قد بسط ووفر في مجلدات عظيمة من كتب السير والتاريخ
لا يمكن الاطاحة بها هنا وشهرتها غنية عن البيان وانما الذي ينبغي التنبيه عليه هنا لمن
لم يكن خبيراً هو ان تاريخ ذلك العصر اعني عصر البعثة وعصر الخلفاء الراشدين يلزم
فيه من القيود ما لا يلزم في غيره من التواريخ وهو صحة السند واتصاله بحيث يصح ان
يكون معتمداً لانباء الاحكام الشرعية عليه لان جميع حركات وسكنات رسول الله
صلى الله عليه وسلم تشير بجملة الامة الا ما قام الدليل على اختصاصه به عليه الصلاة
والسلام وهكذا الحال خلفائه الراشدين من بعده ومن المقرر في كتب الاصول ان
الادلة الشرعية لا تثبت بمجرد النقل بل لا بد ان يكون النقل على الوجه المعتبر وهو
روايته اي الدليل بالتواتر او الشهرة او الافراد على ما هو مبسوط في كل منها وبهذا
يتبين غلط من يزعم ان الامام ابا حنيفة رضي الله عنه كان غير عالم بالسير الذي هو
تاريخ سيرة رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وكذلك سيرة خلفائه
الراشدين من بعدهم وهم سيدنا ابو بكر وسيدنا عمر وسيدنا عثمان وسيدنا علي وسيدنا
الحسن وسيدنا الحسين رضي الله عنهم لان كل ذلك يتوقف عليه كثير من مسائل
الاجتهاد كعرفة النسخ والمنسوخ من الاقوال والافعال وكذلك نفس الادلة التي يستند
اليها المجتهد فنشدد بمحكيات عن ابي يوسف او محمد فيها سلمة امامهم ابو حنيفة رضي
الله عنهم اجمعين ليس هو الاجهول بمقام الاجتهاد وبمافي الكلام وارتباط العلوم ببعضها
ولا غرابة حينئذ في غش غلط وكذب مؤرخي غير المسلمين فيما ينسبونه بهتانا الى
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم في بعض سيره وصفاته لانهم يظنون ان تاريخ ذلك
العصر خصوصاً ما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم هو مثل سائر التواريخ التي تتوقف
على مجرد الرواية مع عدم المانع العقلي وقد عرفت ان الامر عندنا ليس كذلك بل هو
مشروط بما ذكرناه فلا يغتر مسلم بما يذكره الافرنج الآن في تواريخهم في هذا الموضوع
ونبيه على الخصوص ابناء اوطاننا المحبين بأحوال الافرنج على الاطلاق لانكباهم على
تعاليمهم وعدم فتح بصائرهم في حقائق معارف المسلمين حتى جرم ذلك الى استحقاق
طريقة التاريخ عند الافرنج مطلقاً مع انها في نفس الامر ليست مطابقة للواقع في
الموضوع الذي ذكرناه ثم ان هاتمة الطبقة من العرب لما كتب الله لها ان تسود على
الارض ويم حكمها فيها في الطول والعرض وأنجز لها وعدّه في اقرب مدة بحيث انها في
خلافة سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه المتوفى سنة ٢٧ هجرية امتد حكمها من جبال

القوفاز الى المحيط الغربي جهة امبانيا ومراكش وكان ذلك احدى معجزات عليه الصلاة والسلام حيث قال (وزويت لي الارض فأوربت مشارقها ومغاربها وسبلغ ملك أمتي مقدابوا زوي لي منها) فكان الامر كذلك ولم يتوغل ملك الامة في الجنوب وفي الشمال مثل ما توغل في المشرق والمغرب كما قاله حجة الاسلام الفزالي في الاحياء وسبب ذلك والله اعلم أن العمران في الارض كان في ذلك التاريخ غير معتبر في جهتي الجنوب والشمال وانما مناخ الام ومقام اغلب الخلق في جهتي الشرق والغرب وكان الوجه في الاتيان بلفظ المشرق والمغرب بصيغة الجمع هو الاشارة اما الى المشرق بالنسبة للعرض اي تعددها نظراً لاختلاف الفصول او بالنظر الى الطول اي مشارق اهل الارض فان كل جهة من الارض شرقياً مسكون الى نهاية المحيط الشرقي بالنسبة لنصف الكرة الذي هو القسم المعلوم والمعروف اذ ذاك وهكذا الغرب فيكون في الحديث على الوجه الثاني اشارة الى عدم تملك المسلمين في امريكا كما هو واقع بالفعل لانها ليست بمشرق ولا بمغرب لاحتداد سكان هذا القسم اعني القسم المشتمل على آسيا وافريقيا وأوروبا لان بعد قارة امريكا من هاتئ القارة جعل مشرق شطوط قاراتنا ومغربها هو البحر فبسبب امتداد ملك هاتئ الطبقة الى ذلك الحد وانتقال القبائل الى تلك الاصقاع المفتوحة واختلاطهم بأهلها ورجوع تلك الام ايضاً الى مركز الحكم وتحت الديانة ايضاً لانهم دخلوا فيها انواعاً فبسبب ذلك كله حدثت الطبقة الثالثة من العرب وهي العرب المستعربة اي الذين تعربوا وان لم يكونوا في الاصل عرباً وامتدت هاتئ الطبقة الى نهاية دولة العرب في الصورة والمعنى اعني إلى حدود المائة الثالثة التي تقلص فيها ظل دولة جنسية العرب وان بقي فيهم الملك لكن عصيته وانصاره والقائمون به والذين امر الدولة في أيديهم حقيقة هم الاعجماء من الترك والموالي الذين اتخذهم بنو العباس بطانة لم تغلبوا على الاطراف وعلى نفس الخليفة تارة مع شدة في الاستيلاء وتارة مع ضعف الى ان اندثر ملك الخلفاء بالمرّة بواقعة هلاكو خان علي بغداد التي بها انقرضت دولة بني العباس وان عادت اصلاً بلا معنى بعد مدة قليلة من السنين بظهور احد ذرية بني العباس في مصر وأكرمهم له بالبيعة الصورية وتسميته بالخليفة ثم يهجرون عليه في قصره الحبيب بحيث لا يكون له من الامر شيء ويكتب كتاباً يشهد فيه على نفسه انه فوض الامر الى ذلك السلطان الذي ولاه وبقي متمتعاً في لذاته التي يفضل بها عليه حسن ظن من سلاطين ذلك الزمان بمصر حتى اعتقدت العامة ان وجود الخليفة

موقوف على شرط النسب العباسي وحده فأزاحت هاتو البدعة الدولة العثمانية عند استيلائها على مصر سنة ٩٢٢ هجرية بفتوى العلماء
ومن تاريخ انحصار دولة العرب اي بني العباس في مملكة العراق وخروج الحجاز عنها غالباً الى بيعة من هو بمصر حدثت الطبقة الرابعة وهي العرب المخضرمون الذين هم سكان جزيرة العرب الى الآن فانهم وان كان أكثرهم قبائل عربية النسب اصالة لكن لغتهم قد خرجت عن اصلها وكذلك طبائعهم وعاداتهم لتقليد الامم المتغلبين على الدولة التي هي أكثر نفوذاً في مالک الاسلام فبهم وان كانوا عرباً من جهة الانساب لكنهم غير عرب من جهة اللغة والطباع وبعض الاختلاط في الانساب ولذلك اطلق عليهم اسم المخضرمين وقد اداانا الكلام على اجمال اوصاف الطبقات الاربعة من العرب الى التكلم عن شيء من حالة التاريخ الجديد للحجاز لكي ينسجم تعريف تلك الطبقات على وتيرة واحدة ثم نعود الآن الى ديدنا في التكلم على التاريخ فنقول ان انتهاء التاريخ القديم للعرب كان بظهور الاسلام



فصل

في التاريخ الجديد للحجاز

اعلم انه بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة العرب وسيد الامم قد حدث تاريخ جديد في سائر العالم لا في الحجاز فقط الذي هو مطلع نورو عليه الصلاة والسلام وذلك لعموم رسالته صلى الله عليه وسلم فانه ولد عام الفيل الذي كانت تؤرخ به العرب وهو العام الذي قدم فيه ملك الحبشة للاستيلاء على مكة ومعه قبيلة للعرب فولي كبيرها على عساكرهم وانزمت الحبشة بدون حرب وكان ذلك من الارهاصات الدالة على البيعة وذلك العام قبل الهجرة بسنة ٥٣ ويوافق ذلك سنة ٥٦٩ ميلادية وقد كان والد النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي قبيل ولادته فكفله جده عبد المطلب وارضعته اخواله بنو النجار في المدينة ثم نشأ صلى الله عليه وسلم على كمال الاخلاق واشرفها سيرة فطر عليها من غير تعليم ولا تأديب حتى انه كان امياً لا يقرأ ولا يكتب على ما هو الغالب في الامة اذ ذاك وكفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده فلما استكملت شبوبته تعاطى التجارة

على وجه المضاربة وفي ان يكون المال لانسان والعمل على الآخر والمال الذي اتجر به
كان لخديجة بنت خويلد احد اعظم قریش واغنياها فاسافر الى الشام ورجع برمح فاق
على انظاره ثم تزوج السيدة خديجة وقد رغبت فيه لعلو نسبه حيث كان صفوة بني
المطلب وبني هاشم سادات العرب كما تقدم ولكمال حسبه لما رأت من جزيل الارباح
في تجارته مع با هو عليه من استجماع كافة مكارم الاخلاق ووفرة العقل والجلالة
والمهابة حتى كانت قریش يدعونه الامين وينقادون لاشارته وامر حتى انهم لما اختلفوا
عند تجديدهم بناء الكعبة فبين يني الحجر الاسود وهم بالمسجد الحرام وتراضوا على تحكيم
اول داخل فكان هو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا جميعا رضينا هو الامين
ومن كمال تدبيره ارضى جميعهم في ذلك حيث اخذ ثوبا ووضع فيه الحجر الاسود
ثم قال لم ترفع كل طائفة من احدى جهاته فرفعوه جميعا حتى اذا بلغوا به محله وضعه
فيه هو عليه الصلاة والسلام وهكذا عرف بين الجميع بالصدق والوفاء والنزاهة عن كل
نقيصة فلما بلغ الاربعين من عمره بعث الله رسولا بنزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم
مع الملك واقام بعد ذلك بمكة ثلاثة عشر سنة يدعو فيها الناس للايمان بما انزل عليه من
القرآن واقامة الدليل والبرهان واظهار المعجزات الخارقات للعادات من الاخبار بالمغيبات
الماضية كحوادث الام الماضية مما اختلفت فيه اخبار اهل الكتاب فجاءهم فيه بما يوافق
الحق والعقل وان خالف اقوالهم جميعا وكذلك المغيبات الحالية كالانبياء عن بيت
المقدس وتوصيفها بوصف معين لما مع انه لم يرها قط الا في الاسراء الذي هو معجزة
له عليه وآله الصلاة والسلام وكذلك المغيبات المستقبلية كغلب الروم من الفرس وعود
الكرة لم وانتصار المؤمنين وعزتهم وامتلاكهم مشارق الارض ومغارها مما جاء كله على
نحو ما قال وهكذا اجابة دعواته وغير ذلك من المعجزات واعظم بمعجزة انشقاق القمر
التي بينا ثبوتها القطعي في الكلام على مصر وفوق ذلك كله معجزة القرآن الذي هو من
جست كلامهم ومن النوع الذي فيه مجال تفاخرهم واعتنائهم فاذا هو يوميا يقصص عليهم
القصص ويقم البراهين على الايمان ويوعظ ويرغب ويرهب باساليب شتى ويدعوهم الى
المعارضة باتيانهم بثلثه وينادي عليهم بالتعجيز مما يزيد في حماسهم في المعارضة ولم يتفوه واحد
منهم بشيء حتى جلاوا الى انه سحر وغير ذلك من اعداء المعاندین العاجزين كقولهم انه تعالى
نسطور الرومي مما رده عليهم القرآن الكريم حيث قال لسان الذي يلحدون اليه اعجمي
وهذا لسان عربي مبين (الآية) فقد اخطأوا واقتروا ولم يفقهوا ان مناط المعجزة هو اللسان

العربي وهو محل مناداتهم الى المعارضة وذلك لا يتأتى فيه قولهم لان لسان من زعموه عجمي وليس هو موضوع التجهيز وهذا كافي في دحض اصل الدعوى من كون نسطور لم تكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم علاقة ولا مواصلة وغاية الامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه اثنان من الرهبان قبل النبوة وآمنا به حتى عدم البعض من الصحابة على قول من يرى الصحة ثبت بالرؤية مع الايمان ولو قبل البعثة وهذان الرهبان اولها يسى يحميرا او جرجيس رآه صلى الله عليه وسلم عند اول سفرة له صلى الله عليه وسلم مع عمه ابو طالب الى الشام وهو ابن اثني عشر سنة وكان الراهب في صومعة له ينزل حولها الركبان فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ورأى بعض العلامات التي استدلت عليها بها قرب من النبي صلى الله عليه وسلم وتفحص جسمه فرأى الخاتم وتعرف اخباره من رفقائه ثم تلمظ الى عمه حتى رجعه الى بلدو خوفاً عليه من اليهود واخبر عمه ورفقاءه بما يكون له من الشأن والامر (وثاني) الراهبين هو نسطور الراهب رآه أيضاً قبل البعثة وعند سفره للتجارة الى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة زوجته فلما رآه من الصومعة أيضاً تعرف خبره من الرفقاء واخبرهم بما يكون له من الشأن أيضاً ولا يعلم ولا ينقل عن احد لافي الثقاف ولا في الموضوعات انه اجمع بفهرها في غير ذلك المواطنين الا ما روي بضعف من انه صلى الله عليه وسلم سافر وهو ابن عشرين سنة الى تجارة أيضاً بالشام وفي صحبه ابو بكر الصديق رضي الله عنه وان نسطور اجتمع به اذ ذاك أيضاً وحذرته ورغبته في الرجوع عن الشام خوفاً عليه من الروم فارسل معه ابو بكر رضي الله عنه غلامه مصاحباً في الرجوع وهاتين الروايتين على ما فيها من الضعف ليس فيها شيء زائد عما في الروايتين السابقتين بالنسبة لامر الراهبين فيما ليت شعري من اين افترى بعض المتشككين من الانارج المذيعين معرفة التواريخ بان النبي صلى الله عليه وسلم كانت له مودة مع ذلك الراهب وهو يحميرا وينصح بالتصامح وقد علمت بما مر سابقاً ما يشترط في حالة تواريخ ذلك المصر ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم قد امره الله بالهجرة الى المدينة التي قدر ان تكون هي مظهر اصلاح هذا العالم الارضي ونجاة اهل في الآخرة وكان اذ ذاك قد فشا خبر الاسلام والبعثة فتلقاه الانصار اهل المدينة بالبيعة والطاعة واثبات عليه القبائل بالايان واستعد اذ ذاك لاجراء امر الله واحكامه على من عاندوا بعد اقامة الراهب والحجة وتمم ابد وعده لرسوله وللمؤمنين ففتحت مكة وآمنت سيغ اثرها جميع قبائل جزيرة العرب ولم يزل الدين ينتشر الى ان عم البسيطة في نحو نصف قرن ثم ان تاريخ

الحجاز لما كان من ذلك الوقت هو تاريخ الامة الاسلامية الى انتقال الخلافة منه في خلافة سيدنا علي ثم عودها اليه في خلافة سيدنا الحسن رضي الله عنهم جميعاً ثم خروجها منه من ابتداء خلافة سيدنا معاوية والكلام على ذلك كله مبسوط في جميع التواريخ الاسلامية فلا ثمة في ذكرنا لازيد مما ذكرناه هنا طبقاً لقاعدتنا وانما نقول ان الخلافة لما انتقلت عن الحجاز صار على كل من مكة والمدينة والى مخصوص غير ان والى مكة قد تعين من وقت الفتح واول والى بها هو عتاب بن اسيد ولي سنة ثمان عند الفتح وولي ايضاً على اقامة الموسم والحج ثم ان بني امية كانوا لا يولون على المدينة الا اقرب الناس وآمنهم لديهم واستمر الامر على ذلك الى حدود سنة ٢٥١ التي استقلت فيها عائلة ساداتنا الاشراف بني الاحمير وبقيت بأيديهم الى ان غلب عليهم القرامطة سنة ثلاثمائة وسبعة عشر وهولاء القرامطة قوم ظهروا باليمن مظهرين الاسلام والتمسك بالسنة وهم اشد كفرةً ونفاقاً من المناقذين فادخلوا في الدين الدسائس ووضعوا الاحاديث وفعلوا من المناكر ما له خبر مأثور حتى استولوا على مكة والمدينة وخرّبوا الكعبة وقلعوا الحجر الاسود من موضعه الى ان رجعة بعد ذلك عمال بني العباس الذين طهر الله بأيديهم الحرمين من اولئك القرامطة ثم استقل بالحرمين ايضاً السادة الاشراف بنو سلمان بن داود بن الحسن الثاني وبقي الملك بأيديهم الى سنة اربعمائة واثنين وخمسين فاستقل بملك الحجاز الهواشم الذين هم العائلة المستولية الى الآن من ساداتنا الاشراف واولهم سيدنا المولى الشريف ابو هاشم محمد العلوي المستولي في السنة المذكورة والمتوفي سنة ٤٨٧هـ وبقيت في بنيو الى الآن فانهم كانوا من ذلك التاريخ مستقلين بالامر والشعي والنصب والعزل وسائر الادارة الداخلية الا انهم يدلون بالبيعة ظاهراً الى الخلفاء العباسيين والسلطين الذين تغلبوا عليهم يفتادون الى اقراض دولتهم فادلوا بالبيعة الى سلاطين مصر وانما كان الحال يخلف عندهم فتارة تنفرد مكة والمدينة بامير واحد منهم وتارة تستقل كل منهما بامير الى ان فتح السلطان سليم الاول مصر واقامها مدة فاستقبله في الطريق وهو راجع الى الاستانة الشريف المقدس ابو نعي بن الشريف بركات فبايعة نيابة عن ابيو وقلة السلطان حالاً اماره الحجاز كله بمشراكة لايو في حياته واستقلاله بعد مماته ولم تزل والله الحمد هاتمة العائلة الكريمة الشريفة هي الحاكمة على الحجاز الى الآن وذلك اعظم دليل على ثبوت نسبها لانها من عهد استقلالها الذي هو كبد القرن الخامس وتوفر حالة معرفة الانساب من الدولة العباسية التي لم تزل الى ذلك التاريخ لها صولة وشوكة خصوصاً فيما يعود لامر النسب الذي

يغشي منه حتى السلاطين المتقلبين عليهم لانهم يخشون من خروج الخلافة الى غير العباسيين الذين هم من شيعتهم واخضعوا الناس باسمهم ان يتلاشي اموم بتلاشي متبوعهم فلم يقرأ لهم بالنسب ويرضون بالسكوت عن الحجاز الا لما يعلمون من حقيقة نسبهم وثبوته عند الخاص والعام وهكذا بقيت هاتو العائلة بآرك الله لنا وللمسلمين فيها حاكمة على منبع البعثة أقر الله اعيننا والمسلمين بوجودهم والقيام بسنة الحق لا بانهم وجدودهم والامير الحالي هو مولانا الهام الشهم عون الرفيق ابن مولانا المقدس المبرور سيدنا محمد بن عون صلوات الله وسلامه على جدكم رسولهم وعليهم وعلى جميع آلمهم

مطلب في السياسة الداخلية للحجاز

اعلم ان مدار الادارة كلها جليها وحقيها كليتها وجزئياتها قد كان سابقا مناطق هو الامير السيد الشريف وكانت على حسب اصول المراسم الشرعية المتعارفة من قديم مثل تفويض الاحكام الشخصية الى القاضي والمفتي وانفراد الامير بالجوس الى رفع المظالم واجراء بقية الادارة واستمر على ذلك بعد الخضوع للدولة العلية ايضا فتمت مدايداً من الزمن حتى في امر القوة الحربية فقد كان للامير عساكر خاصون بامارتهم ليقم بهم ما تستدعيه القوة وقد بقي الى الآن شيء من ذلك حيث ان للامير نحو الحراس او العساكر الخاصة لا يبلغ عددهم المائتين وعند ما بدى للدولة العلية الاحتراس من امر الولاية مدة السلطان محمود الثاني في اواسط القرن الثالث عشر لكثرة مخالفة ولاية الاطراف على ما سيأتي بيانه في محله حصل ذلك التغيير ايضا في الحجاز لكنه بأمر من هو وجعل القوة العسكرية الكبرى خاصة بالدولة العلية بان ترسل هي من تحتها عساكر يقيمون هناك وتزيد قوتهم ونقلها على قدر الحاجة ورئيسهم من طرف الدولة ايضا ليس بمنزوم لامثال امر الامير فيما يراه من معاقبة بعض القبائل بل هو على حسب ما يظهر له في الواقعة وعند مخالفتي في الرأي للامير يخبران الدولة معاً لتأمر بما تراه وكذلك امر العاشر اي الكرك في المراسي البحرية استبدت به الدولة وحدها بما مورين ترسلهم من طرفها ونشأ عن ذلك في اول الامر قلاقل ومحاربات افضت الى ابدال الامير بنهرو من فروع عائلة الكريمة ولم يزل يزداد تداخل الدولة في التصرفات الداخلية الى ان جعلت والياً على الحجاز من احد كبار رجال دولتها مثل بقية ولاياتها مع بقاء سيادة الامير على منصبه واعتبار نفوذ اموه

على الاطلاق ولا يخفى ما في وجود آمرين على أمور واحد في زمن واحد من الاضطراب ونشأ أيضاً عن ذلك الاحتراس ان الدولة حارت تستدعي من يلي سيادة الامير في السن من عائلته ليقبضت السلطنة ويتخلق بأخلاق الدولة ويتعرف سياستها الداخلية والخارجية لانه هو ولي عهد الامير فاذا آلت له الولاية كان عالمًا بأحوال الدولة التي هو خاضع لها وتقلده الدولة مدة اقامته بتخت السلطنة رتبة الوزارة والمشيرية وتعمله عضواً بمجلس شوري الدولة الذي يرجع اليه غالب التدبير في اغلب مصالح الدولة الداخلية هكذا ظاهراً الحال ونعم المسلك لو يكون هو الامير والوالي بحيث تحدد له الدولة تصرفاته على نحو بقية ولايتها غير انه ينفرد بكونه ممتازاً بعدم خروج الامارة عنه وعن عائلته ويكون الادارة في امارته تجري على طبق الشريعة المطهرة مع غاية الاحتراس عن البدع التي لا داعي لثبوتها منها هناك لكنهم اقتصروا على خصوص الفائدة في ابقاء ولي العهد بالتحقق لأرب الدولة ربما احتاجت اليها مع سيادة الامير نسأل الله التوفيق والجارى الآن هو ان يختص سيادة الامير بالامر والنهي والولاية والعزل في جميع قبائل الاعراب وكذلك الوظائف المتعلقة بالبيت الحرام من امامة وخطابة وغيرها الا انه ينهي الى الدولة ما يراه في كبارها لتصدر الاوامر السلطانية على حسب ما ينهيه وعلى نحو من ذلك الوظائف الدينية بمخصوص مكة كالفتوى في المذاهب ونقابة الاشرف وما شاكلها واما القاضي فانه يرسل الى مكة قاضي والى المدينة المنورة قاضي من تحت السلطنة على نحو بقية ولاياتها وكذلك بقية الولايات العرفية كلها لتصرف فيها الدولة والحاصل ان الذي استقر عليه الحال الآن هو اختصاص الامير بأمر قبائل الاعراب ما لم يستدع الحال محاربتهم وبعض الوظائف في خصوص مكة مما مرجعه الديانة كاتمة الصلاة في البيت الحرام من المذاهب الاربعة وم وان كانوا اربعة الآن لكنهم لم يقع استقرارهم هكذا في زمن واحد بل كان الامر اولاً امام واحد شافعي ثم زيد ثانياً من المذهب الحنفي ثم آخر من الحنبلي ثم آخر من المالكي في ازمان متباعدة بحسب المناسبات في اتباع ذلك المذهب وتقوّم لدى الدولة الحاكمة وهكذا الامر في ائمة المسجد النبوي على صاحبهم اكل الصلاة والسلام وعلى آله قال الامام المالكي لم ينصب الا في عشرة السنين من القرن الثالث عشر

واماً بقية مدن الحجاز التي هي المدينة المنورة وجدة فاما المدينة المنورة ففيها محافظ وهو كبير المسكر وشيخ الحرم النبوي على صاحبهم اكل الصلاة والسلام وقاض

وكلمهم يأتون من تحت السلطنة وفيها مفت وأمانا وخطباء وأمين الخزنة مع وظائف أخر
صغيرة وهؤلاء الموظفون سببا أصحاب الإدارة والحكم نابون لوالي الحجاز مع بعض
امتياز لهم في مخاطبتهم للدولة رأسا

وأما جدّة فتوظفونما مثل متوظفي بقية مدن المملكة العثمانية ما عدا المجالس الحكيمة
القانونية لأن الاحكام سيأتي بيانها وانها على خلاف بقية الممالك العثمانية اذ لا مجالس
عرفية بها فاجمال الحال ان الادارة السياسية مرجعها هو سيادة الامير مع والي اللذان
يرجعان جميعا الى ما تراه الدولة العثمانية

وكليات الادارة الآن هناك ليس فيها مكوس ولا ضرائب ما عدا الكرك على الواردات
الجبرية وبعض اعشار على النخيل في القبائل الخاصة حقيقة وكل هؤلاء القبائل لا يدفعون
شيئا الى الحكومة ولا الى الامير بل انت خضوعهم الذي ذكرناه الى سيادة الامير في
الحقيقة هو ظاهري فقط وانما يختلف الحال فيها بحسب الزمان وشدة الطرفين في الانقياد
وعدمه وبعض الجهلة ينسبون ذلك الى ارادة بعض الامراء من العائلة الشريفة معللين
ذلك لان بقاءهم في الامارة انما هو لاختصاصهم تلك القبائل فهم لا يريدون ان يكسروا
شوكة القبائل بالمرّة حتى تجري فيهم الاحكام مثل غيرهم ويدخلون تحت قياد المذلة اذ
ربما استغنت اذ ذاك الدولة عن الامراء الاشراف والحق ليس كذلك فان بعض هؤلاء
الامراء قد اخضعوا جميع القبائل الى الاحكام حقيقة منذ عهد ليس بعيد زمن السلطان
عبد المجيد وولاية المولى المقدس الامير الشريف عبدالله بن عون عند ما ساعدته الدولة
وعملت برأيهم وامتدته بالسكاكر مثل ما اراد والباعث الحقيقي على اهمالهم هو عدم مساعدة
الدولة للامراء على اخضاعهم متعللا رجلاهما في الظاهر باحترام هاتيك البقاع الكريمة
ومراعاة مجاورها وسلاطين آل عثمان احترامهم وتقديرهم لشعائر الدين وتوقيره شيشنة
معروفة قديما وحديثا ولذلك يوافقون على مثل تلك النصيحة على انها ربما كان باطنها
غير ذلك وهو عدم استفادة اولئك الرجال من انقياد تلك القبائل لانهم وانت خضعوا
حق الخضوع فلا مسأغ لضرب شيء من الضرائب عليهم لا مرّا ولا جهرّا فتكون
فائدة خضوعهم راجعة لسيادة الامير وحده من نفاذ احكامهم واوامرهم فيها فيظهر اولئك
الرجال النصيحة الى السلاطين على نحو ما قدمناه مع ان اخضاعهم واجب شرعا لامن
السل وحفظ الحجاج من التعدي واقبال تلك القبائل على عمران اراضيهم لانهم الآن
زيادة عن عدم دفعهم للدولة ولا للامير حتى اعشار ابلهم فهم يأخذون من الدولة

اموالاً في كل سنة بمجرد محافظتهم على امن السبل ولا يؤخذ منهم شيء من المال
 قل او جل غير انه قد كان في اواسط القرن الثالث عشر رجل من قبيلة حرب يسمى
 الشيخ سعد قد تقوى بدهائه على اتحاد جميع قبيلته وعظمت شوكة باقنياد غيرهم من
 القبائل ايضاً ولم يخضع الى الحكومة قط الا انه اذا اخذ المرتبات التي اشترى اليها امن
 طريق الحاج الى المدينة وعند ما تسافر القوافل اليها يعد جمال كل قافلة ويأخذ على كل
 جمل نصف ريال اي اثنين فرنك ونصف ضريبة منه على اصحاب الابل وبعد موته
 وخضوع ابيه واقبياد القبائل نوعاً ما ابقت تلك الضريبة على اصحاب الابل عند ما
 يكترونها الى الحاج وليس للدولة غير ما مر ذكره من انواع المداخل الا انواع من
 الضرائب الخفية أكثرها يستفيدة افراد من المتوظفين لا تسهم بما يؤخذ على الحاجج
 بأسماء سموها كضريبة على تنظيف مفي في العيد من الضحايا وغيرها مما لا يصرخ منه
 في الحقيقة الا تزر يسير في الجهات التي يذكرون الصرف لاجلها وكل المصاريف اللازمة
 لكل من الحرمين سواء كانت الوظائف الدينية او السياسية او شعائر المسجدين او اقامة
 المواسم كله تصرفه الدولة من خزائنها وهو مقدار يبلغ نحو مليونين ونصف فرنك لان
 الاقامة بخصوص شعائر المسجدين الشريفين مبالغ سيئة اقامتها ولا اقول على حسب
 الاستحقاق لان حقها لا يبلغ اليه ولو يبدل النفس والنفس . ومن المعلوم ان الشريعة
 المطهرة كان منبها تلك الاماكن المكرمة وقد اجريت فيها الشريعة حق الاجراء واستقر
 الامن في سائر جزيرة العرب وكانت القبائل تؤدي الى بيت المال الاسلامي ما اوجبه
 الشرع على كل مسلم فكيف يغير ذلك الآن حتى يتجرأوا على ابدال حرم الله بعد الامن
 باخية والانيان بما يسود منه الوجه يوم القيامة وتثقل يو في الذنوب الصريحة مع ان
 حملها على الاستقامة امر سهل يسير

وما اجدر هاتيك الاماكن الشريفة بالمحافظة فيها على ادارة تحافظ على السنة
 واعمال الخلفاء الراشدين الذي هو الامر الوحيد في جلب قلوب سائر المؤمنين الى الدولة
 التي تجري ذلك فضلاً عن خصوص اهالي الحجاز ولا ريب ان ذلك يرتخ قدم الدولة
 وتستغني عن الاحتراسات الناشئة عن الدسائس في ربي بعض ذوي الامر بمعاودة
 بعض الدول الاجنبية لتطلب الخلافة او الاستقلال نسأل الله اصلاح الحال

مطلب في السياسة الخارجية

اعلم ان الحجاز مرتاح لله الحمد من امر السياسات الخارجية اذ ليس في دواخله ومدنه ما عدى جده ويتبع اجانب ولا يدخله الا المسلمون وليس لواحد الادعاء بحماية احدى الدول الاجنبية وكل من دخل فهو خاضع لاحكام البلاد ولا ريب ان المسلمين يحجون في كل عام من جميع افاق الارض وعلى الكثير منهم استيلاء الدول الاجنبية التي يبلغ عددها في هذا الوقت الى ثلاثة عشرة دولة منها القوي ومنها الضعيف ومنها المنصف ومنها المستغنى ومع ذلك كله ليس لم اذى تداخل او تكلم فيما يتعلق برعاياهم المسلمين هناك والله يدبر ستره الجميل نعم ان جده يوجد بها فواصل كثيرة للدول الاجنبية الذين لم عناية او علة بالمشرق ولم تجار افرنج سيف تلك المرمى وكذلك بعض الدول الاجنبية الذين ليس لهم هناك شيء يذكر تجد لكثير منهم فواصل يستولون تلك الوظيفة برغبة منهم للدولة الموظفة لمجرد الفخر لم من غير داع ولا مرتب وعلى كل حال فسياسة اولئك الفواصل متعلقة بالدولة العثمانية اما بواسطة واليها هناك او بواسطة سفرائهم في تحت السلطنة فالسياسة الخارجية حينئذ في خصوص جده تابعة لسياسة الدولة العثمانية التي سيأتي الكلام عليها في محله ان شاء الله تعالى

مطلب في عوائد وصفات الاهالي

اعلم ان البلدين الاكرمين سكانها الآن اغلبهم من غير العرب الاصليين فان المدينة لا يوجد بها الا العائلة الشريفة حقيقة من العرب وقد كنت رأيت رجلاً واحداً من ذرية العباسيين قميّاً في ضريح عمهم سيدنا حمزة ولم يبق من الانصار هناك الا بقية عائلة واحدة وبقية سكانها كلهم من الافاق واكثرهم مغاربة واما مكة فلا يوجد بها من العرب المحققين الا عائلة السادة الاشراف وعائلة الشيب والبقية كلهم من الافاق واكثرهم هنود ولا يخفى ان العوائد والصفات تنطب على السكان باعتبار اصلهم غير انه لا بد ان تحدث فيهم تغيرات تناسب حالة السكان الاصليين فأخلاق هذين البلدين على الاجمال مناسبة لاختلاق العرب غير ان اهالي مكة تعري اخلاقهم الحدة بخلاف اهالي المدينة فانهم لبني الاخلاق كرام الطباع ويشلب على الجميع الحشمة والحياء وسلامهم بالمصاحفة او الاشارة باليد ويقفون لكل داخل ولو تكرروا دخوله واهالي المدينة اشد حرية في الطباع

وعدم المذلة والتكبر في اخلاق الرجولة والجلد فيكون الخليل ويسافرون الى الحج
 ركوباً على الحيتين من غير تحريم . ثم ان في الحديث مع التمكن في معرفة الرماية والفرسية
 ولكل منهم سلاح مستوفى . واما المثلث فلا يلتفتون اليها ولا وجود لها كما هو الواجب
 سيما في تلك الاماكن ثم قد وجد من بعض الوافدين تساهل وتجري على استعمال الخمر
 وآلات السماع سرراً وكاد ان يكون من بعضهم جهرياً سيما من بعض اجلاف السأكرك
 او الخوطين الذين لا يخافون الله ومن المعلوم ان الفساد ملائم لطباع البشر فيسرع فيه
 التقليد لكثير مع ذلك لا يزال الامر بمحمد الله مستوراً فلا تجد المحارم متجاهراً بها ولا
 ترى حانة خمار او داراً معينة للفسوق وان وجد شيء فانما يكون في بيت صاحبه في
 السر . وعلى قرب من هذا النخى اهالي جدة . واما بقية البلدان فهم على اخلاق بقية
 السكان (قبائل العرب الذين لم يبق فيهم من الاخلاق العربية التي قال فيها صلى الله
 عليه وسلم) بعث لانهم مكارم الاخلاق الا القليل وعاد اليهم التفاخر بالنظام وهجوم القوي
 على الضعيف فلا تجد الامن مستقراً الا قليلاً الا انهم بقي فيهم حفظ الذمار وتوقير
 الصغير الى الكبير فاذا جعل الرجل من بيتوتاتهم يده على ذنبه كناية عن حفظ ذمة
 المستجير به فانه يوفي بهدو ولو سمل ذلك على الحرب وهلك فيها هو وبيته هذا غاية ما
 يمكن ان يذكر لم من الصفات الحميدة مع اكرام الضيف واطعام الطعام . واما بقية
 الاخلاق السابقة العربية فكادت ان لا يوجد منها شيء كجودة الفريجة والدهاء في
 الامور ومعرفة احوال العالم فمن عجيب ما شاهدته من السذاجة في بعضهم وبله ان كان
 احد الجمالين ماشياً يقرب منى في طريق المدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة
 والسلام وعلى آله وهو كل مخاطب شاباً في حساب بينها فقال له الشاب سبعة
 وعشرون مع سبع كم هو فقال له الكهل هيه فأعاد عليه السؤال فأجابته بالجواب الاول
 ثم اعاد ذلك ثالثاً ايضاً فقال حينئذ الشاب هي سبعة وعشرون فقال له صاحبه هيه
 ايضاً وافصلا على ان ذلك هو الحساب وعلى ذلك نفس فلا تكاد تجد من غامتهم من يصلح
 للخطاب في البديهييات وانما خواصهم بعض من الآداب التي يتقنها الضروريات غير
 ان حفظ الحرم والنبات من صغرهم فلم فيه مبالغة كلية بحيث لا يمكن ان ير الرأي
 امرأة ولو معتجرة وما اصبر نساءهم على الجلد في القدر فقد كان رئيس الجمالين في
 قافلتنا استصعب معه عياله من مكة الى بلد الجديدة وكان مردفاً لها على جمل له فكانت
 من ساعة ظهورها الى ساعة دخولها لبيتها التي هي مدة تنيف عن ستة ايام وهي ملتجة

بعباءة شخينة من الصوف سوداء لا يظهر منها مقدار ظفر ولو من اصابع وجلها فضلاً عن يديها او وجهها ليلاً ونهاراً لا تقارب حوية البعير وعلى هذا النمط النسوة في المدن فلم أرَ بالمدينة امرأة قط - واما مكة فكان بعض نساها يخرجن لاداء مناسك الحج لكنهن في غاية التستر بحيث لا يظهر منهن شيء وعادتهن في الجميع ان لا يخرجن الا ليلاً مع شدة التستر بالخمار والحجاب وان اضطررن للخروج نهاراً فلا يخررن بالاسواق ولا بالطرقات الكثيرة المروية وتوجد قبيلة تسكن في عوالي المدينة اي خارجها بقرب من فنائها يسمون المخالوة وهاتو القبيلة اصلها من قوم قد تفرقوا في آفاق الارض وهم في كل قطر مستقلون بأنفسهم لا يداخلون احداً ولا يخالطون الناس الا في ضرورة البيع والشراء ولم في كل قطر لقب بحسب عرف اهله فيقال لم في بلاد الترك شكانة وفي تونس حمزية ويتبعون في كل جهة الصنائع الخسيسة مثل اصلاح اواني النحاس وصنائع الخيل وقد اتخذوا في جهة المدينة صناعة خسيسة ايضاً ويتذهبون بمذهب الشيعة على دعواهم ويستحلون كحاح المتعة فاذا قدم بعض حجاج الفرس عن يرى مذهبهم يأمري الى بيوتهم لقضاء الوطر بنكاح المتعة وامرهم في ذلك شهيد وليس عليه تكبير والامر لله الذي اليه المصير

مطلب في التجارة بالحجاز

اعلم ان بلاد جدة هي مرسى تجارية عظيمة لانها مركز البضائع الهندية وغيرها من البضائع في الاقطار الشرقية ومنها يرسل لبقية الممالك الاسلامية التي تجارها مسلمون وكذلك لكثير من البلاد الاورباوية كما ان البضائع الاورباوية والبضائع الغربية من بلاد المسلمين وكذلك بلاد الترك ومصر والشام يرقى بها الى هناك وترسل الى الهند وغيرها من الاقطار الشرقية فبذلك كانت جدة مرسى تجارية كبرى فضلاً عما يدخل منها الى جزيرة العرب على طريق البر سواء كان للحجاز او لهند من بقية الاقطار ومركز تجارة جزيرة العرب هي مكة المشرقة فتأتيها البضائع من جدة وتوزع منها على القوافل الى سائر جهات جزيرة العرب الا ما قرب من الجزيرة الى جهات اليمن التي بها مراسي تجارية مثل الحديدة وقليل ما هي فكانت مكة حينئذ هي المعتبرة لتجارة العرب والتجار المعتبرون فيها اظهروا هنود واما جدة فتحاربها من اجناس مختلفة وفي اسواق كل من هذين البلدين تقاسم حسنة تجعل لكل

صنف من التجارة مخصصة وتجارتهم غنية جداً واما المدينة المنورة فالتجارة فيها مقصورة على أهلها غالباً فيؤتى إليها بالبضائع المحتاج إليها فيها وتباع لاهلها والقبائل تحمل البضائع على قوافلهم الى مراكز القبائل وإلى جهات جزيرة العرب مع الأمان على البضائع التي يحملونها فالقافلة لما رئيس يكون ذا ثروة وله كفال أغنياء في الجهات التي يذهب إليها ويحصل منها فتسلم إليه البضائع والمكاتب البريدية ويلفها بأمان إلى أصحابها وإن يحصل ضياع لشيء منها ولو بتعدي بعض القبائل بالاغارة فكفلاً يؤدونه لأصحاب البضائع جميع ما يضيع لهم ومن أهم أنواع التجارة التجارة في المأكولات من الحبوب كالقمح والشعير وقد علمت أن البريد موكل إلى هؤلاء القوافل التجارية فامرؤ غير منتظم كما أنه غير محتاج إليه في أغلب تلك الجهات غير أنه يوجد بين مكة وجدة بريداً منتظماً يومياً صباحاً ومساءً يحمل على الحمير السيارة فيصل في نحو تسع ساعات كما أنه يوجد في مكة مركز للتلفراف أي السلك الكهربائي ويصل إلى جدة ومنها يتصل بجميع العالم كما أنه يوجد بريد منتظم في كل شهر مرة بين مكة والمدينة إلا أنه يكون أحياناً مستعجلاً فيرسل مع سيار مخصوص وهذا البريد كله ما عدا أصحاب القوافل مرتب من الحكومة والمباشر له من قبائل الأعراب الساكنون في أماكن مروره وفي كل سنة في موسم الحج تروج التجارة في مكة لأن أغلب الحجاج يشترون منها البضائع التي لا تعلم في بلادهم مما على وجه التجارة فيها وهو القليل أو على وجه الإهداء إلى أقاربهم وأحبائهم وكذلك تروج التجارة بالمدينة المنورة لأن سكانها يأتمنهم في ذلك الوقت وأردم المال إنما من أموالهم في بلدانهم أو من الهدايا التي ترسل من الأفاق أو من الأوقاف والأرصادات المعينة لذلك في بعض الجهات وهاتئ الجهات هي الدولة العثمانية وهي الركن في ذلك لأنها ترسل في كل عام للقيام بشعائر الحرمين الشريفين ولمرتبات المجاورين وأهل الوظائف ما يبلغ مقداره سنوياً نحو المائة ألف ليرة أي مليون ونصف فرنك وكذلك الحكومة المصرية ترسل كل عام إحدى وعشرين ألف أردب من القمح مع أموال عينا يبلغ مقدار جميعها إلى نحو العشرين ألف ليرة أي نحو ثمانية ألف فرنك فضلاً عن قيامها بمدرستين كل منهما في إحدى الحرمين لها أوقاف مخصصة بمصر يرسل منها قدر كفاية الفقائين هناك في كل عام وكذلك القطر التونسي يرسل من أوقافه المعينة على الحرمين الدين ليرة في كل سنة لكل حرم ألف أي خمسة وعشرين ألف فرنك فأهالي المدينة إذا فرقت عليهم تلك الأموال يدفعون منها ما كان عليهم من ديون ترتبت عليهم في ضروريات اشتروها

نسبته ثم يشترون كفايتهم للسنة القابلة أكلاً وليساً وإن فضل شيء بعد ذلك ادخروه
لبقية السنة فلذلك يحصل في ذلك الوقت رواج التجارة وهذا بالنسبة لغير ذوي الثروة
منهم أما هؤلاء فهم على نسق غيرهم من ذوي الثروة وكذلك بعض قبائل الاعراب المقيمين
بين الحرمين لم ينصب تمماً ترسله الدولة والحكومة المصرية فيحصل منهم أيضاً رواج في
التجارة بما يشترونه من ضرورياتهم والحاصل ان التجارة المعتبرة مركزها هو جدة ادامها
الله بلاد اسلام



مطلب في الصنائع

لا يخفى ان الصنائع شعبة من شعب التمدن فلتكثر . نقل على حسب ما في المكان
التي هي به من التمدن وحيث تطاول زمن بعد الخلافة عن الحجاز وتكاثر بعد عهدها
فيه المخرج وقل العمران وتغيرت طباع العرب السكان على حسب ما اشرنا اليه فلم يكن
الآن بالحجاز الا الصنائع الضرورية وبعض الحاجية فاما الفلاحة فكادت ان تنعدم الى
ان صار اهل الحجاز عيال في قوتهم جميعه على ما يرد اليهم من خارج بلادهم الا ما ندر
والمسافر في تلك الاقطار لا يرى من الزراعة الا تزر يسير حول بعض البلدان لا يسد
من عوز مع ان عشر ما حول المدينة وحدها قد كانت في خلافة سيدنا عمر يبلغ الى
اربعمائة الف اردب من الشعير وحده فضلاً عن بقية الجهات ولو جمع الآن حاصل جميع
ما بالحجاز لما بلغ الى عشر المشار من ذلك المقدار وعلى نسبة من ذلك امر زراعة
الاشجار فانه يوجد بالطائف بساتين بها كثير من انواع الشجر الليمون والرمان والنعناب
وغيرها من الفواكه المتعارفة كثيراً وغير هاتئ البلدان لا يوجد بها الا بعض شجيرات من
تلك الانواع لا تستحق الذكر وان كان حول المدينة بعض من البساتين لكنها ليست
على ما ينبغي الا التخيل فيوجد بها كثيراً كما يوجد بجهات اخرى حول المدن والقرى
وفيه انواع كثيرة جداً من انواع التمر منها الحسن للغاية ومنها دون ذلك وفيه بعض
تجارة سيما في موسم الحج لشراء الزائرين للتمر وحمله الى آفاقهم كل على قدر سعة جالسه
تبركاً بذلك واما البقول فكادت ان لا يوجد منها الا النادر كالبلبل وما شاكله من
البقول المتعارفة الشهيرة وكذلك الانهار واما بقية الصنائع فيوجد منها البناية والخطاطة
والتجارة وبعض صنائع اخرى من الحاجيات كالسروج وحوايا الابل وغيرها مما يحتاج

اليه أكيداً من غير تحسين والسبب في هذا الانحطاط في كل من الفلاحة وبقية الصنائع هو اعتماد السكان اعني اغلبهم على المرتبات والجرايات من الدولة والاقواف وتحويل الاعراب على مثل ذلك ايضاً لان الدولة جاعلة للقبائل جرايات سنوية من مال وحبوب للقوت ليقوموا بحفظ امن الطرق ومن الطبيعي ميل الانفس الى ما يرد بلا تعب فصاروا حينئذ عيالاً على تلك الواردات ونشأ عن ذلك اعتساف الاعراب بقطعهم للطرق وتعدهم على قوافل الحجاج اذا تأخر عنهم ذلك المرتب او شيء منه حتى ان بعض المتوظفين الذين لهم يد في توزيع ذلك المال ربما تساهل في تنقيص شيء باولئك الاعراب من مرتباتهم فيثورون ويمشون في الارض بالفساد ونشأ عن ذلك قلة الامن في جميع الجهات حتى ان المدينة المنورة على صاحبها وآله افضل الصلاة والسلام كثيراً ما تبقى محصورة ويدافع عن اسوارها وابوابها من حصونها بالدفاع والطرق منقطعة عنها وتتضايق أهلها لقلة القوت والحبوب ويتطاول الاعراب على ما حولها من البساتين بالتغريب والنسาด فلذا كان هذا حال المدينة لما بالك بغيرها الا القرى التي هي لنفس القبائل ممّا لا يزرع حوله الا النخيل فلذلك ضعف الامن وقل العمران وجذبت الارض مع انها صالحة للزراعة وفيها عيون كثيرة احدها المتقدمون في عصر الخلافة وما قرب منه وقد شاهدت في كل من بلدي الصفراء والجديدة عيناً غزيرة الماء عرضها ازيد من ذراع ونصف وعمهها ازيد من ثلاثة اذرع جارية في غاية العذوبة غير ان ماءها حارٌ فاذا رفع في الاواني برد وصح للشرب وهو صالح جداً للزراعة لكنه الآن ليس عليه الا بعض نخيلات وباقيها يسبح على الارض الى ان يغور فيها وقد ذكر في خلاصة الوفاء في اخبار دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عيوناً وآباراً كثيرة على ذلك النحو لم يبق الآن منها متبقياً به سوى ما ذكرناه وكذلك الغابات والأحجام التي بقرب المدينة وغيرها كلها ذات اشجار مثمرة وغير مثمرة صالحة لاختد الاخشاب للبناء وهي الآن مهملة ولا ينتفع اهالي البلدان الا بقراب شجر النخل ممّا حولهم وبقية الخشب يؤتى به اليهم من الهند وغيره مع انه حولهم مبذول والمانع من الوصول اليه عدم الامن والجهل بكيفية القطع هذا فضلاً عن الاراضي الخصبة الوسيعة الصالحة للزراعة واما بقية النباتات فقد كان سيدنا عمر رضي الله عنه حفي في وادي القرى جهة تكفي اربعين الفا من الخيل المسبلة للرعي فيها ثم زاد بعده سيدنا عثمان ومن بعده الى اضعاف ذلك المقدار فيما اسفا على الخوف في بلاد الامن وتلك العوائد وان كان القصد منها حسنة فقد آلت الى سيئها اذ لو انقطع عنهم ذلك المدد

ومن تجرأ على السبل عوقب وأقيمت الشرارة حتى القيا السكان على العمران
وكفى الله المؤمنين غوائل الطغيان وما الله بغافل عما يعملون

مطلب في المعارف

من البديهي ان الذي ذكرناه في الصنائع من جهة الرواج والكساد هو اساس ايضا في المعارف فالمعارف الآن بالحجاز على غاية من الخمول وما يوجد منها انما هو محصور ومقصور على خصوص البلدين المكرمين فيوجد في كل منها بعض دروس في المجتدين المحترمين في بعض العلوم الدينية وبعض وسائلها فيوجد من الوسائل قليل من دروس النحو والمالني ومن المقاصد بعض دروس في التفسير والحديث والفقه على اختلاف مذاهبه وان يكن يوجد بكل من البلدين الاكرمين علماء اجلة لكنهم لبغوا في اقطار أخرى ثم جاوردوا الآن هناك الا ما ندر من بعض الاهالي الذين تلقوا العلم هناك من العلماء الوافدين من الاقطار على احوال خصوصية غير منتظمة ولا مفيدة للعموم وفي هاتمة المدة الاخيرة أنشأ بعض الهنود ذوي التوفيق بواسطة العالم الجليل الشيخ رحمة الله مؤلف كتاب اظهار الحق مدرسة بمكة المشرفة يقرأ بها الشيخ المذكور ومن معه من العلماء المجاورين بعض دروس في الهيئة والجغرافيا والطب وبعض علوم اخرى رياضية وعلم التصوف ايضا وبما ذكرناه بلغ السكان لاسيا الاعراب الى درجة عالية في الجهل وفساد الاخلاق غير ان لطف الله حلف بما حدث منذ مدة قرية من انتشار طريقة الشيخ السنوسي الذي كسنا ذكرناه عند ذكرنا لرجوعي من فرانس لان هذا الشيخ كان استقر بمكة المشرفة وأنشأ في جبل ابي قبيس زاوية نشر فيها طريقته فأثبتت في قبائل اولئك الاعراب حتى كادت ان لا توجد قبيلة الا ولها زاوية وشيخ يرشد الى الطريق فحصل في القبائل نوع من معرفة اصول الديانة الاسلامية والفروض العينية والمحرمات الذاتية ودب في هؤلاء شي من صلاح الحال وان لم يكسبهم عن التعدي على عباد الله القاصدين لاحد الحرمين فيا اسفا على احوال المعارف وضياها في مكان ينبوع الحكمة وظهورها ولولا وجود افراد من اطباء الدولة الذين ترسلهم لاحد البلدين الاكرمين او البعض من الهنود العارفين بالطب على الطريقة القديمة لكن معرفتهم بذلك عن علم وتذريس للكتب على طريقة اخذ العلم حقيقة ظاهرا باع حسن في علاج الامراض ولولا هؤلاء حرمت السكنى في البلد التي

يفترض على عموم الامة تعميرها فان ابا حنيفة وغيره من الائمة يقولون بحجزة سكنى
البلاد التي لا طيب بها وكل من المدينة المنورة ومكة المشرفة يفترض حمايتها فكيف
يسوغ اهلها بأمر المعارف واهلها حتى تخلو من طيب لولا أولئك وانما قلت في اطباء
الهند انهم عالمون بالطب على الطريقة العلمية احتراسا من المدجلين ممن يدعي هذا العلم
مع جهله المطبق به المتكاثر ظهوره بالبلدان التي لا تثني حكوماتها لمنهم من ذلك
التدجيل لانهم يضرون ببهلهم وقد شاهدت ذلك في نفس مكة عيانا حيث كنت مريضا
بأبهام رجل اليمنى حيث انقلب الظفر تدريجيا وغاص في اللحم واشتد امره حتى كاد يمنعني
عن المشي وكان حصل لي مثل ذلك وانا بباريس فجيء لي بطبيب خاص بذلك النوع من
الامراض وعالجني برفع الظفر بالآلات وكيفية في عملها لم يحصل لي منها شدة ألم وجعل
تحت ظفري ورقة من الرصاص صفيقة لكيلا يفوص ثانيا وقطع الظفر الى محل التصاقه
بالحم وعافاني الله بسبب ذلك فلما كنت بككة وعاد في مثل ما وقع سابقا وذكرت لبعض
الحاضرين عندي ما كان وقع اخبرني بأنه يوجد حكم يفعل مثل ذلك فجيء به الي وكنت
محترا من كني رايت معه آلات للقطع وغيره كثيرة متقنة وابتدأ في العمل من غير
كثرة ألم فظننت انه عن علم فلم يفعل الا قطع الظفر لكن عقي ألم كدت معه ان لا
استطيع المشي لولا لطف الله لانه اراد الزيادة في القطع بعد ذلك فامتنعت لانه ليس له
من العلم شيء سوى كونه حلاقا حجاما تعود على فصد بعض الناس فامثال هذا ينعون
شركا عن مباشرة اعمالهم

ولكن البلاد اذا اقشعت وصوح نبتها دعي المشيم

فاذا خلت البلاد عن حكام عارفين بعلم الطب يضطر الناس الى هؤلاء الدجالين والحق
ان امر المعارف مع كونه واجبا في كل صقع وبلاد فهو في الحرمين اشد تأكيدا وانما الله
وانا اليه راجعون

مطلب في الاحكام

قد علمت نأ مرة في بحث السياسة الداخلية الاصول التي تجري عليها الاحكام
وحاصلها ان سيادة الشريف امير الحجاز هو مرجع الحكم في قضايا الوقائع التي تقع بين
القبائل وهو ايضا مرجع الشكايا من مظالم فيصدر رؤساءهم ومشائخهم بأمرهم بما يراه

وينفذ الحكم في الظالم بحسب اجتهاده هكذا الاصل ولكنهم الآن مستبدون بأمرهم
 صكل قبيلة لا تخضع إلا لمشايعها ورؤسائها بما يذكر في زمن الفترة وكل من يحكم باجتهاده
 واستبداده ولو في القصاص في الاقتص اذا تعدت قبيلة على أخرى كان الامر لمن هو
 اقوى فطاعتهم الآن لسيادة الامير انما هي ظاهرة وهو وان استطاع على اخضاعهم ولو
 بدون عساكر الدولة بل بن ينضم اليه من بقية القبائل لكنه لا يقندر على تنفيذ ذلك
 لما مر في احوال السياسة الداخلية كما يرجع الى سيادة الامير فصل المظالم في اهل مكة
 والوالي هو الذي يجلس الى فصل المظالم فيما يقع بين السكان في مكة ايضا فكانها
 مشتركة بين الامير والوالي لكن الوالي ينفرد بسائر مظالم جدة. والمدينة المنورة يجلس
 فيها المحافظ في مثل ما ذكرناه وفي كل بلد حاكم يلأب فائتمام يجري ما ذكر ايضا في
 المسائل الخفيفة والمسائل الثقيلة ترفع الى الوالي بمكة او الى سيادة الشريف الامير
 والقبائل كلها مشايخها هم مرجع الحكم في سائر القضايا ثم ان كلاً من البلدين الاكرمين
 بها قاض هو مرجع الحكم في كافة النوازل الشخصية يجريها بمقتضى الشريعة وفي كل من
 البلدين مفت حنفي يسترجعه الخصوم في احكام القاضي لكن القاضي ليس ملزوماً باتباع
 فتواه بل لا يجري الا ما يراه وان كان جاهلاً والمفتي عالماً ولا يخضع القاضي الا لامر
 باب مشيخة الاسلام في تحت السلطنة ان اقتدر الغصم الى البلوغ اليه ولا يخفى ما في
 ذلك من المشقة لبعده الشقة كما يوجد في كل من البلدين الاكرمين محاسب له النظر في امر
 المعاشات وقيم البيوعات وغش البائعين وخسران الكيل والميزان ويحكم في ذلك كله
 بما يراه من الاجتهاد ولو بالضرب المبرح كما يوجد بهما مفات أخر على بعض المذاهب
 الاخر يرجع اليهم اهالي ذلك المذهب في الاحوال الشخصية ويقتونهم بحسب مذاهبهم
 وهؤلاء المفتون كلهم يولون بأمر من الدولة العثمانية

واما بقية البلدان فجدد بها قاض يؤلى مثل السابقين وغيرها من البلدان يؤلى لها نائب عن
 القاضي يعينه قاضي مكة لاجراء الاحكام الشرعية في البلد التي هو بها وبقية الادارات
 والاحكام ترجع الى القائمقام او الشيخ وهو الذي يحكم بما يريد. والحاصل ان ادارة الاحكام
 بالحجاز لا زالت الى الآن على شبه من النقط القديم اعني انها ليس بها مجالس للاحكام
 العرفية وغيرها من القوانين الجارية بالمالك العثمانية الآن ويا ليت الامر يجري حقيقة على
 المنهج الذي سلكه الخلفاء الراشدون كيف وهو مكان ظهور الشريعة واقامة العدل
 وتأسيس التمدن الحقيقي الصالح لاستقامة الدنيا والآخرة والامر لله وحده لا رب سواه

مطلب في هيئة المساكن

المساكن بالحجاز تختلف بين حالمًا بالمدن وحالمًا بالقرى فاما المدن فالديار بها هي شبيهة بالنوع الذي ذكرناه في مصر غير انها في مكة تكثر طبقاتها حتى انها ربما بلغت الى الست طبقات كل منها مستكمل اللوازم لا يحتاج الى غيره في السكنى والطبقة الارضية لا يمتنى بها للسكنى وانما هي للمرافق وجلس الرجال بخلاف المدينة المنورة فان دورها كل منها بها طبقة ارضية يسكن فيها في الصيف لانها ابرد من العلوية غير ان المبيت بكل منها يكون غالبًا في الصيف في السطوح التي يجعل لها حرم كاف لوقاية السكان من السقوط والابنية كلها لا تخصص حيطانها الا في بعض الديار الحسنة لاهل الثروة فانها تجصص وتبيض حيطانها وتدهن سقفها التي تجعل من عيدان النخل ويجعل عليها من اسفل ألواح لاصقة منظمة ويعلق فيها ثريات . واما بقية الديار وسائر الابنية فان الخيطان يسد فيها ما بين الاحجار بطين البناء المركب من الجير والطين ثم تبيض بهام الجير والسقوف تكون من عيدان النخل مكشوفة للراني وفوقها حصير من انواع الحلفا وفوقه التراب وليس في الحجرات بلاط ولا غيره بل الارض تكون ترابًا عليها الحصير او الزرابي (الابسة) الا المدينة المنورة فان الطبقة الارضية مبلطة بأنواع من الاحجار الشبيهة بالمرمر والدرج في كل غير محسنه متعبة الا نادرًا وديار مكة لا سيما المعدة للاجرة كل طبقة منها لا يوجد فيها مطبخ وانما يطبخ اهلها باحدى حجراتها بالفحم او الحطب نادرًا لاحضار مياه الاغسال في الشتاء واما في الصيف فلا يستنقون الماء للاستغناء عنه ولهذا لا يوجد في كل من مكة والمدينة الا حمامات بكل منهما لان السكان ينتسبون في ديارهم غالبًا وهكذا بقية البلدان ليس بها حمامات ومفروشات الديار على النحو الذي هو جارٍ بمصر وغيرها من التشبه بالمفروشات التركية والاورباوية ومن غريب صناعتهم المغاليق التي تقفل بها الابواب فان المفاتيح نحو عود مستطيل في آخره اسنان تدخل في ثقب في المغلاق وترفع الى فوق ويجذب المغلاق بعجلة اذ ذلك فيفتح ولا ريب انه سهل السرقة اذ تقليد المفاتيح على ذلك النحو يسير لكن الامر الفطيع هو ان تلك المغاليق على شكل الصليب وقد رأيت على باب الحجرة النبوية مغلاقًا من تلك المغاليق وهو من ذهب نقش من رؤيته الجلود وقد خاطبت من يقتدر على تغييره فتعال بان ذلك لا يخطر على فكر احد من الاهالي لجهلهم الصليب وبقي الحال على ما هو والله الامر

هذا في المدن واما في بقية البلاد الاخرى فكل دار تؤلف من طبقة واحدة الأنادرا من طبتين وهي في الحقيقة بيوت لا ديار والفرق بين الدار والبيت ان الدار هي المسكن الذي يشتمل على جميع المرافق الخناج اليها وابواب حجراته الى فسحة تكون في وسطها غالباً مكشوفة الى السماء واما البيت فهي التي مثل ما ذكر غير انها لا فسحة بها مكشوفة اعني الفسحة التي فيها ابواب الحجرات وهذا هو الفرق اللغوي وان كان الاستعمال يختلف بحسب الاصطلاح في البلد ان فالحجاز ومصر مثلاً يطلقون على الكلل بيوت وتونس والمغرب يطلقون على الكلل ديار وهاتيك البيوت في القرى الحجازية مظهرة غالباً اذ لا يجعل لها شبايك على الطرقات وليس بها فسحة مكشوفة فغاية الامر ان يجعل للحجرات منافذ الضوء بقرب السقوف احتراساً من كشف النساء لانهم يشددون بحجبين كما تقدم سابقاً فتلك البيوت شبيهة بالغيران ولا تبيض بالجير الا نادراً ما عدا سطوحها التي هي على نحو سطوح المدن من الاتقان في تجميلها لكيلا تخترقها الامطار فتكاد هاتو القرى ان لا تبين للناظرين الا اذا بلغوا خصوصاً التي هي في مرتعات الجبال السود فانها لا تكاد تبين والحاصل ان الابنية على العموم نسبتها لتميز كسبة بقية الصنائع التي مر ذكرها في مطلبها غير انه يوجد في صناعة التجارة اتقان للرواشن وبعض الابواب والشبايك على العموم اي الطواقي المطلة على الطرقات او غيرها لا يوجد بها زجاج يمنع دخول الريح الا نادراً في بعض الديار المرتفعة اهلها ومن الغريب ان ترى البيوت مفروشة بالزرايبي في مدة الصيف مع شدة الحر هناك فهم في الحقيقة غير مستعدين للتوقي منه الأهل المدينة فانهم معدون الطبقات السفلى لذلك ليجعلون فيها بيتاً رحباً له جهتان ينفى ويسرى مرتعتا الارض عن الوسط الذي به حوض للماء غالباً وسقفة مكشوفة الى السماء يجذب منه الهواء الى اسفل ويكون الماء جارياً الى ذلك الحوض ويجلس السكان باحدى الجهتين التي يجعل بها مساطب واراتك وكل تلك الطبقة مبلطة بنحو الرخام كما ذكرنا سابقاً وذلك مناسب لشدة الحر على خلاف من اهل مكة وغيرهم الذين ليس لهم مثل ذلك واما الطرقات على العموم بالبلدان وغيرها فهي طبيعية ليس بها تحسين ولا صناعة وغاية الاسراف ان تكتس في المدن فهي نظيفة واغلبها ضيق حتى يكاد ان لا يعيش بها الا الانسان واحد مع ان اصل الشريعة على خلاف ذلك فان سيدنا عمر رضي الله عنه لما استشير في بناء بلد للحجابة والجيش الذي فتح القربس لما استوحوا ارض فارس وامرهم باختيار ارض تشبه ارض العرب فاخاروا الكوفة فامرهم ببناء بلد بها وان تكون دورها لا تتجاوز الطبقتين

وان تكون طرقها العامة كل منها ثلاثة عشر ذراعاً والطرق الخاصة سبعة اذرع عرضاً
والطعاه التي تكون امام المسجد ستون ذراعاً في ستهن وهذا هو الاصل الذي يستند
اليه المذهب الحنفي في ذلك فانظر كيف كانت حالة البلدان في صدر الاسلام ويؤيد
هذا ان يثر حا التي هي بستان كان لابي طلحة الانصاري رضي الله عنه قد كان في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم تجاه المسجد النبوي كما هو مذكور في صحيح البخاري رضي الله
عنه فاین هو الآن من المسجد النبوي اذ بينهما الآن ابنة وديار وطرفات واسوار وغير
ذلك فيا امنا على وقوع مثل هذا التغيير المخالف للشريعة المكدر للتقدم ومصلح الناس حقيقة
فليس توسيع الطرق وتنظيفها من تقليد الافرنج كما يدعيه الجهلاء بل هو من شريعتنا
التي تنومى الالتفات لمثل ذلك فيها وحيث كانت الطرق على نحو ما مر ذكره يكثر فيها
الوحل زمن المطر غير انها تنور ليلاً من قبل الحكومة بنوانيس من القصدير والزجاج
تعلق في الخيطان او سقف الاسواق لان كل صناعة لها سوق يخصها وبعض هاته الاسواق
بل أكثرها مسقوف بالالواح على نحو ما ذكرنا في اسواق تونس والحواريات هيئتها ايضاً
على ذلك النحو وليس للديار جنائين ولا بطحانات خاصة وانما ابوابها في الطريق تفتح
الى سقائفها المختلفة كبراً وصغراً واما الطرقات خارج البلدان فهي على طبيعتها الاصلية
واغلب الطرق بين مكة والمدينة صالحة لمشي العجلات وتمر فيها المدافع الآن وهي مثل
العجلات وكذلك الطريق بين جدة ومكة فيا لبث شعري اي مانع لاستعمال العجلات في
السفر هناك فاني لم أر الا عجلة واحدة لوالي الحجاز بمكة وقالوا انه ليس بها غير هاورأيت
بالمدينة عجلة قيل انها لركوب بعض المرضى هي اشبه شيء بعجلات حمل السلع ملقاة في
الطريق وكان امر الامن هو الاساس

مطلب في اللبس وبقية العادات

اما اللبس الرسمي فهو كاللبس بالدولة العثمانية الذي تقدم مثله في مصر وكذلك
لبس الرجال هو مثل لبس اهل مصر والاعيان يلبسون جبة واسعة الاكام كلها مصر
الا انها لها رقية مرتفعة خصوصاً للسادة الاشراف ويجمعون على رؤوسهم كوفية مطرزة
بالحرير على اشكال حسنة بديعة تكون مكشوفة الوسط وعليها عمامة مكورة عظيمة
يشدونها شداً محكمًا جميلًا وهي بيضاء . واما الاشراف في القبائل فيجمعون على رؤوسهم

منديلاً من الحرير ملوّناً وعليه عوض العامة عقاب من وبر الابل مقصب بخيوط الفضة
 المذهبة ولكل واحد منهم مطلقاً في البلدان او القبائل خنجر بجعله في حزامه في وسطه
 من امام وكنها في علامة الشرف مع لبسهم لعباءة يمانية او عراقية مقصبة بالذهب
 ونحوهم في هذا سائر الاعيان من القبائل وقيتهم يلبسون عباءة على قميص ويتمنطقون
 على التميميص بمنديل او غيره وكثير منهم يعلق على جنبه خنجرًا والكل يلبسون في
 الارجل النعال الحجازية ذات الشيطان التي تدخل بين الاصابع وتختلف جودة وورداة
 على حسب ثروة اللابس وربما تدثر بعض اهل البلدان بالجلباب ذات القراء المعروفة
 بالكرك وليس نسائهم سراويل من نسيج الحرير او المقصب بالذهب بحيث انهم
 يتناسن في صنعه على حسب الثروة والمكان والزمان للايسر ومثل السراويل فيها ذكر
 مثنان يفتح صدره ويعلق ذو اكمام ضيقة لا تبلغ المرفقين و فوق الجميع نحو عباءة من
 المنسوجات الثمينة مشقوقة الى السرة من اعلا بلا اكمام واسعة جداً حتى انها تغطي اصابع
 الكف وان كان لها ثقب في محل الاكمام تخرج منها الايدي وعلى رؤوسهم نحو المناديل
 من منسوجات صفيقة يحيطون اطرافها شريطاً مكبياً بخيوط الفضة او الحرير على حسب
 الاحوال وفي ارجلهم احذية من نوع البشامق التونسية واذا خرجن من البيوت ذدن
 على ذلك خفاً من الجلد الاصفر مع رداة واسعة جداً ذي اكمام سائر للاصابع وخمار
 مسدل الى السرة مشقوب جهة العينين ويلبسن ايضاً المصوغ بانواع كلها . واما الاكل
 فانهم يجلسون له على الارض ويوضع على الخيوان وهو مثل ما تقدم في اكل اهل مصر
 غير انه اكثر اداماً من السن واكثر ابهة والاعراب اكثر اكلهم الارز مع العدس ولا
 يأكل الجميع لحم البقر الا نادراً بحيث يستعير به الاعيان في المدن وياكلون الجمل بكثرة
 ويخرجون الماء بالمصطكي او يعود القرفل ثم يعملونه في اواني ويضعونها في عزّ الریح
 لاكتساب البرودة

واما المواكب فأعظمها موكب الحج وقد تقدّم الكلام عليه ولاهل مكة موكب
 يسمى الرجبية يسافر به ذوو اليسر الى زيارة النبي عليه وعلى آله اكل الصلاة وازكي
 السلام ويحصل من ذلك في المدينة المنورة موكب حافل في رجب ولكثرة اسراف اهل
 مكة في حجهم والتباي بينهم فيما يفعلونه فيه يضطر بعضهم الى تأخير فرضه الى ان يبلغ
 سن الشيخوخة خشية المرة من كونه لم ينعل تلك العادات الاسرافية في الرحل
 والركب والخيام والمأكل واما الاعراس فهي اقرب عندهم الى الطريقة المشروعة

من جهة عدم وجود المغنيات جهرة والملاهي الآ الدفوف وشيء من غيرها مع حفظ
الستر في النساء ولاهل المدينة عادة وهي ان الرجل اذا تزوج يسكر ودخل بها فلا يخرج
من بيت اسبوعاً تاماً الا انه يجتمع باحبائهم في بيته وان خرج يوماً ولو للصلاة استاء اهل
البرأة لان ذلك دليل على انها غير مستحسنة عند زوجها واما الثيب فلا يعتبرون ذلك
فيها . واما المآثم فهي على الوجه المشروع من أكثر وجوها فلا عياط ولا زياط ولا
قراءة بالطرفات ولا ولائم من صاحب المآثم وانما يفعلون في ذلك ما هو المشروع في
السنة اجري الله احوالنا واحوالهم جميعاً على الوجوه المشروعة

مطلب في اللغة

لا يخفى ان الحجاز هو ميدان بلاغة العرب ومجال تسابق فرسان الكلام لكن ذلك
كله قد انعكس على ضدوه فلا تكاد تجد متكلماً باللغة العربية المحرقة حيث دخلت العبارات
العجمية بين القوم منذ تغلب الاعجم على الدولة الاسلامية لان الناس على مذهب امرائهم
فيقلدون الغالب والقوي حتى في نعتيه وكلامه وما كفى ذلك في ادخال المفردات الاعجمية
حتى سرى الامر الى اللحن في الاعراب كما هو مقرر من قديم حيث ذكروا في سبب وضع
علم النحو سماع سيدنا علي عليه السلام للحن في الكلام فاشار بوضع ذلك العلم ومن
البديهي ان الامر يتفاقم بطول المدة وشدة الاسباب ففي ذلك الوقت لم يكن الا اختلاط
الامة باسم اخرى ثم ازداد بعد ذلك بتمكن الاعاجم من الدولة ففسدت اللغة في الحجاز
فساداً كلياً حتى لم يبق من يكتب كتابة مستقيمة في الاعراب والالفاظ الا
النادر من هم اهل علم وربما اضطروا الى كتابة كثير من
المفردات الاعجمية لشهرتها وتعارفها وهجران ما يردونها
من اصل العربية وسبحان مقلب
الاحوال وهو لا يتغير
ولا يزال

البنا العاشر

في المملكة العثمانية

(تنبيه) * لما كانت هاتو المملكة ليست كسائر الممالك التي مرّ الكلام عليها لا من جهة الذات ولا من جهة المعنى اما الذات فانها مركبة من ممالك شتى كانت كل واحدة منها مستقلة بنفسها ولا يزال كل منها له صفات خاصة من جهة جغرافيته وجنسية اهله وعوائدهم واخلاقهم وغير ذلك فيمتنع الكلام عليهم كلهم من هاتيك الجهات بصفة واحدة وان تكلمنا على كل واحدة منها بانفرادها ربما عدل الكلام فيها جميع ما تقدم وما يأتي في الممالك التي شاهدناها ولذلك راينا ان نتكلم عليها من الحيثية التي يدل عليها اسمها وهو كونها مملكة عثمانية اذ ليس هناك قطعة من الارض تسمى في الاصل بهذا الاسم وانما لكل منها باعتبار ذاته اسم خاص والجامع بينهما في هاتو التسمية انما هو كونها تحت سلطة دولة سلطانها من هاتو العائلة وهي العثمانية اي المنسوبة الى عثمان الذي هو اول من تسلط من العائلة وبقيت في ذريته الى الآن هذا من جهة الذات واما الحامل على مخالفة ما سبق في مثلها من جهة المعنى فلصعوبة الامر او تعمسه لان قول الحق صعب والكذب حرام ونحن وان كنا في هذا القطر السعيد بأمن في ظل خديوتنا المعظم التوفيق لا زال قرة لاعين اهل الاسلام ولكل سكانه من الامن والحرية ما يسبغ له ان يقول الحق ولا يخشى لومة لائم غير ان بعض مقتضيات الحال تستدعي الاختصار في المقال فلا مخلص في الكلام على هاتو المملكة العثمانية الا الاختصار على الاجمال على حسب ما تيسر الاحوال الى ان ييسر الله بفضله افراد هاتو المملكة بتأليف خاص يحوي على التفاصيل في الحقيق والجليل ورحمته تعالى قريية لا يعزب عن امره شيء وهو على كل شيء قدير

فصل في سفري اليها

قد تقدم انا ركبنا من مرسى ينبع في رجوعنا من الحج وقد كان ركوبنا في باخرة متساوية من اجل البواخر البريدية السيارة بين الهند واوريا فاجتازت بمجدة وحملت منها ذلك الطود الشهير ذا النسب الخطير والحسب المنير السيد سلمان القادري حفيد قطب الاقطاب الاكبر مولانا سيد سي عبد القادر الجليلي رضي الله عنهم وهو تقيب اشراف

بغداد ايضاً وأكبر عائلته وكان حاجاً في ذلك العام فن الله تعالى عليّ برفقتي عند ما اجنّزت الباخرة بمرسى ينبع وركب في الباخرة ايضاً بعض من الحجاج الترك العثمانيين والروسيين غير انه لم يركب في الطبقة الاولى سوى السيد وبرفتي اخوه السيد احمد وابن عمه السيد عبد القادر وجوار له وبعض من الخدمة القائمين بين يديه لانه ابقاء الله قد اتخذ في الحجرة الكبرى في الباخرة احدى زواياها واختص بها وفرش بها فرشاً عربيّة وكانت خدمته هم القائمون بشؤوني زيادة عما يباشره خدام الباخرة مثل كونه ياكل منفرداً هو ومن معه على مائدتي الخاصة في الارض من خصوص طعامي الذي يطبخه له طبّاخه الخاص غير انه من مكارم اخلاقه كان يجرى للاكل وقت اكل الرفقاء بحيث كنت اجلس مع بقية ركاب الطبقة الاولى أنا وتابي في ذلك الايوان للطور والعشاء وسارت بنا الباخرة ثلاثة ايام فوصلنا جبل الطور ووقفنا هناك مدة الحمية وهي يومان وانزل كل من كان بالباخرة الا اصحاب الطبقة الاولى ومن انزل ابق رحله في الباخرة الا القدر الذي يحتاجون اليه واخبرونا عند صعودهم انه لم تحصل لهم مشقة لقلة الازدحام وكان من هولاء الترك رجل من اهل بوسنة يعرف قليلاً من العربي حصلت بيني وبينه مودة حتى استأذنت عليه رئيس الباخرة وأذن له في الجلوس معي بايوان الطبقة الاولى وهو جميل الاخلاق له بعض مشاركة في النحو والفقه وقد ترجم يوماً بيني وبين احد الترك الروسيين من اهل ولاية قازان وان كان تفهمه منه عسر جداً لان لفظة مخالفة للغة التركية العثمانية وله بعض اطلاع على العربية من جهة كونه قرأ بضاعة مزجاة في الفقه فسألته عن حالة المسلمين اهل بلدو من جهة الاحكام الروسية فكان مآل كلامي ان الروسية لازالت محترمة لهم في احوالهم الشخصية ولا يتدخلون فيما شجر بينهم اذ مرجعهم في ذلك الى احكام منهم وكان هذا خاص باهل تلك الولاية التي صارت مع الروسية على توافق لطول عهد استيلائها عليهم ومخافتهم على الشروط التي خضعوا بها اليها لان الروسية مجرية في الولايات التي استولت عليها في الحرب الاخيرة مع الدولة العثمانية ما هو جارٍ في بقية ولاياتها والزمّت جميع السكان من مسلمين وغيرهم بان يكون التعليم بلغتها فقط لان اللغة هي التي توحد الجنسية فاذا تنوسيت لغتهم صاروا روسيين حتى في الجنسية ثم اتا وصلنا الى خليج السويس الموصل بين البحر الابيض والبحر الاحمر وهو احدى آثار هذا القرن لان السفن صارت تصل من شطوط المغرب في افريقيا الى

شطوط الصين والهند في أيام قليلة لا تتجاوز الشهر الى ابعدها بعد ان كانت ياتهما عدة اشهر لانها كانت ياتهما الخروج من خليج طارق ثم تحيط بجميع قارة افريقية بالبحر المحيط ثم بحر الهند فلمعري انها لأثرة مفيدة للتجارة على العموم وان كانت فيها مضرّات سياسية بالنسبة لكثير من المسلمين وقد روي ان عمرو بن العاص استأذن سيدنا عمر بعد فتحه لمصر ليفتح خليجاً موصلاً ما بين البحرين ولعله بهذا المكان الذي هو عليه الآن لأنه اصالح الاماكن لذلك حيث كانت بالوسط بحيرات عميقة مغنية عن حفر خليج فيها . ثم ان سيدنا عمر سأله عن هذا الخليج الذي يراد فتحه هل يحصل به فصل بين ارض جزيرة العرب ومصر فاجابه بنم فقال لا انفصل بين ارض المسلمين بالبحر . ويقال ان سيدنا علي رضي الله عنه قال للخليفة عند ما استشار كبار الصحابة في ذلك انه اذا تمّ ذلك الخليج تصير سفن الروم تضرب الى جده وغيرها من مراسي بلاد العرب وليس للمسلمين سفن تعارضهم فيسبل عليهم غزو بلاد الاسلام ولذلك كتب سيدنا عمر رضي الله عنهم اجمعين الى عامله عمرو بن العاص بان يضرب عن ذلك صفحاً ويمكن ان يكون الخليج في اصله موجوداً في العهد القديم . ثم ان الرمال تراكت في احدى جهتيه على ما سيأتي ذكره فسدت البحر وامتدّ عرضها الى ان صارت الارض واحدة ما عدا البحيرات التي في الوسط على حمة واحد التي ربما دلت على اتصال البحر سابقاً . ويدل على هذا ان بعض المفسرين روى في تفسير قوله تعالى " حتى اذا بلغنا مجمع البحرين " في قصة موسى واخضر عليها السلام ان بعض المؤرخين يقول ان المراد بالبحرين ها بحر فارس والروم اما بحر الروم فهو معلوم واما بحر فارس المعروف الآن فيستحيل ان يتصل ببحر الروم الذي هو البحر الابيض خصوصاً في هذا الزمن القليل نسبياً من زمن موسى عليه السلام الى ما قبل البعثة المعروف في حالة الارض على ما هي عليه الآن فلا يصح ذلك الكلام الا اذا كان البحر الاحمر يطلق عليه بحر فارس سابقاً لأنه متصل به وقريب منه جداً لانها يلتقيان الآن في جزيرة العرب اي شطوطها الجنوبية فلا بعد ان يكون الاسم يطلق سابقاً على الجميع سواء . واتصال البحر الاحمر ببحر الروم سهل جداً لما مرّ بيانه ولما هو مشاهد بالفعل حيث اتصال في هذا الزمن وسبب هذا الاتصال هو ان رجلاً فرنسائياً يقال له فردنان دي لېسبس له مهارة في الهندسة وهو من مشاهير قوميه بدى له يوماً امكان اتصال البحرين بهذا الخليج واعانته على مرغوبه دولته لأرب سياسية في قرب الاتصال بالهند لعله يمكن لها

يوماً ما اخذ الثار من الانكليز على نحو ما سبق في تاريخ الدولتين فساعفهم على قصدهم والى مصر اذ ذاك سعيد باشا ابن محمد علي باشا وكان الانكليز من اشد المعارضين في ذلك سرراً وكان الاقدار تقول لهم (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) فانهم حصلوا فيه على اكبر فائدة اذ صارت سفنهم هي اكثر السفن المارة به مع تحصيلهم على ما رُب اخرى سياسية كتشاكلهم في القطر المصري وغير ذلك زيادة عن كونهم صاروا هم المالكين للقسط الاوفر منه ومحصلين على ارباحه الباهرة وذلك لان فردنان دي ليسبس ألف جمعة لذلك العمل وجعلت هاته الجمعية التي هو رئيسها رأس مال لمصاريف العمل وجعلته على اوراق ذات اسم تباع وتشترى لكل من اراد وكان للحكومة المصرية من تلك الاوراق ما مقدار قيمته نحو المائة مليون فرنك وآل الامر بعد ذلك الى بيع اسماعيل باشا خديو مصر لاسم حكومته فاشترتها الدولة الانكليزية تماماً زيادة عما اشترته سابقاً ولاحقاً من الاسم افاذاً وصار دخل هاتيك السهام يوازي اصل قيمتها حتى صارت كل رقعة منها اصل سعرها خمسمائة فرنك تباع الآن بالفين وثلاثمائة فرنك او نحو ذلك لان تلك الجمعية شرعت في العمل وتمتعت بمجر خلع من البحر الاحمر بمحاذات مرسي السويس وواصلته بالبحيرة الاولى ثم حفرت خليجاً بين هاتى البهيرة والبعيرة الثانية الى ان وصلت الى البحر الابيض وعند ما تم عملها عقد اسماعيل باشا خديو مصر لفتح هذا العمل الغريب موكباً مشهوداً جعل به القطر المصري كأنه دار عرس واستدعي اليه ملوك اوربياً كلهم لمشاهدة مرور اول باخرة تمر في ذلك الخليج وكذلك اعيان غيرهم من الاوربائين وكل من قدم منهم فصار ينفذ مدة اقامته بالقطر المصري على الحكومة المصرية ولم ان يتفرجوا حيث شاءوا وقد ساح بعضهم حتى الى السودان مع القيام بكل منهم على حسب مقامه اعظم قيام ووفد عليه من ملوك اوربا العظام امبراطور النمسا وامبراطورة النمسا اي زوجة الامبراطور وولي عهد كل من انكلترا والروسيا وبروسيا فضلاً عن بقية الملوك المتوسطين والصغار وصرفت في ذلك كلهم من الحكومة المصرية اموال تكاد ان لا تحصى تماثلت بها ديونتها وذلك كله لما رُب سياسية لم ينتج منها المقصود ونشأ عنها وحشة مع الدولة العثمانية آلت الى الرضاء بعد صرف اموال باهظة ثم استقر عمل جمعية الخليج على اقامة فعلاء ومراقبين على محافظة الخليج ويستخلص على كل سفينة تمر فيه مقدار معلوم من الاموال على حسب حمولتها ونوعها حرية او تجارية وفي رأس كل سنة تقسم الارباح على اصحاب الاسم بعد

اخراج المصاريف المستقرة لان الخليج من جهة السويس لم تزل الرمال تتثايل عليه منذ
فصحى الى الآن لولا شدة العمل في رفع تلك الرمال ليلاً ونهاراً على مسافة طويلة تزيد
عن العشرة اميال ومع ذلك كله قد شاهدت في الباخرة التي اجتازنا فيها ان سيرها
كان بطيئاً جداً هناك وكذلك غيرها احتراساً من الغرز في الرمل مع كثرة العلامات
الجمولة في المياه لحل المرور ومع ذلك كله قد اصطدمت الباخرة في الرمل عدة مرار حتى
انني خلت انه عمل لا يدوم لشدة التعب الذي شاهدته من العملة في جلبهم للسفن والبواخر
المصطدمة في الرمال حتى كانتا تخر بالايدي مع كثرة ومداممة العمل بالآلات الرافعة
لرمال ومع ذلك كله لا تجتاز فيه الا سفينة واحدة وفيه اماكن لوقوف السفن اذا كانت
تعارضها سفينة اخرى اي احداها غادية والاخرى راتحة فتلك الاماكن وسعة قمر بها
السفينتان ولذلك يعملون علامات على اعمدة مرتفعة في البر يبينوا شمالاً ويحددونها رئيس
الباخرة ما يأمره به يحفظون الخليج من الوقوف او المشي السريع او البطيء او غير ذلك
ولذلك رأيت رئيس باخرتنا قد اخرج كتاباً فيه تلك العلامات وشرح المراد منها ليعمل
بمقتضاها عند دخوله الى الخليج وبسبب ذلك كانت السفن لا تتحرك فيه ليلاً في تاريخ مرورنا
وقد وقفنا مرة لمناخضة باخرة انكليزية حربية ذاهبة الى الهدد حاملة للعساكر فلما مرت
بنا خيل البنا انا راكبون في زورق مع انا راكبون في اعظم البواخر البريدية لكن عظم
تلك الباخرة الحرية التي هي من نوع الفرقطين خيل البنا ذلك فانها كانت ذات ثلاث
طبقات من المدافع وحاملة لاربعة آلاف وخمسمائة عسكرياً وكثير منهم معهم عيالهم وكانوا
على جمجمة فانهم لما رأوا صاروا يصرخون ويضحكون ثم وصلنا الى مرسى الاممالية التي
هي بوسط الخليج وبقرها ينصب جسر يصل بين اسيا وافريقيا ولا ينصب الا عند وجود
الاربعين ويدفعون عليه خراجاً للحكومة المصرية وبتنا بالخليج ليلتين وفي صبيحة اليوم
الثالث وصلنا الى بورت سعيد ووقفنا بضع ساعات وكان حال الحكومة المصرية حارمون
لباخرتنا لكيلا ينزل منها احد لانهم سمو في ذلك التاريخ بان لا يدخل الى القطر المصري
حاج الا من هو من اهل لانه كان كثير من المتأخرة يدخلونه وهم فقراء فربما حملوا
الامالي والحكومة مصاريف لرجوعهم الى اوطانهم ولذلك اعلنوا بذلك التحجير ثم قلنا
من هناك الى ان وصلنا الى مرسى بيروت اعظم مراسي ولاية الشام المعروفة بسورية
فطلب مديرو جمعية تلك الباخرة من الركاب ان ينزل منهم الى تلك البلدة كل من كان
قاصداً القسطنطينية وما حولها واما القاصدون بوسنه وهرسك وغيرها ممن تكون لهم

مرسى تريتس طريقاً فانهم يقولون في الباخرة لانها قاصدة هناك توّاً والذين ينزلون وكانت الباخرة تعمدت لم بالوصول الى القسطنطينية وما حولها فانهم ينتظرون هناك الى ان تأتئهم بعد خمسة ايام باخرة اخرى لجمعية الباخرة الاولى وتحملهم الى مقاصدهم وكل من اراد من هؤلاء اخذ مصاريفه مدة انتظاره فله ذلك يدفعها اليه القيمون بأمر شركة تلك البواخر البريدية النمساوية النمساوية بشركة لويده وقد اخذ منهم بالفعل كثير ممن نزل لكن بعد مشقة لعدم التفاهم حيث كان اغلبهم من الترك الروسين الذين قل من يعرف لغتهم ولاستشاطا بعضهم في مقدار المصاريف التي طلبها مع ان اللجنة مقومة لاهل كل طبقة مقداراً عن كل يوم لم اعلم ما هو لاني صرفت النظر عنه حيث كان النزول هناك من اعظم مرغوباتي لمزيد الناس بذلك السيد الجليل القادري وللتعرف بتلك البلاد فنزلت هناك وكانت المرسى صعبة جداً لبعدها ارساء الباخرة عن الشط وركوبنا في زوارق مع هيجان البحر وبعد ان خلاصنا رحلنا من الكرك الذي لم نمن اهله الاّ خيراً دخلنا الى البلاد راجلين لقرىها وعدم وجود ما يركب حول الكرك فدلي رجل من المتشبهين بخدمة المسافرين على منزل للمسافرين قريب من جهة طريقنا كاشف على البحر فاذا هو منزل لاجل الافرنج مثل منازل اوربا المتوسطة الحسن واخذت بويتا واسعة ذات سمجرة للثوم والصناديق وحجرة للجوس واغتسلت في حمامها وبنا تلك الليلة والاكل فيه حسن ومن غد شرعنا في زيارة بعض اعيان البلاد والتفرج على منازلها ومنافها فاذا هي بلد جميلة الوضع في سبع جبل مطلة على البحر وحولها كثيب رمل وجبل لبناني بحيث ان حدوده منها على نحو ربع ساعة بمجول له علامات وله ادارة ممتازة كما سيأتي فيف محله واليه يسكن في الشتاء في بيروت وهو اذ ذاك رسم باشا وقد رايت يوماً راجعاً من الجبل الى دارم متخذاً ابهة فاخرة في عجلة يجرها ثلاثة من الخيل العتاق وامامه فارس ووراءه اربعة من العساكر الخيالة مسلحين وبندقية كل منهم حاملها في وجهه وهذا الباشا هو شيخ مسن اصله طلياني خدم الدولة العلية بنصح وشانخ في خدمتها وصنعت البناء عليه في تلك البلد وغيرها من مسهلين وغيرهم غيور على الدولة محافظ على ناموسها ومصالحها ومن غريب ما سمعته عنه انه كان مرة يتفقد في جهات ولايتيه على ذلك الجبل فصادف انه يتفقد الجهة القريبة من طرابلس الشام ويصل الى تلك الجهة آخر النهار وليس بقرى مكان صالح للسبت الاّ بلد طرابلس فارس من صباح اليوم الى متصرفها اي حاكمها يعلمه بانه بيت ضيفه وكان الوقت رمضان فعرضه آخر النهار ذلك المتصرف وعلماه البلد

ووجهها ثم دخلوا جميعاً الى دار المتصرف وجلسوا سيقاً ايوانها كلهم فدخل الخدمة
باطفاق المشروبات الباردة والجلويات وكان الغروب لم يقع وكان هو ايسر رستم باشا لا
زال على دين نصرانته لكنه لما رأى تلك الاطباق داخلة وعلماة البلد ووجهها جالسون
أكثر وجهه وقال للمتصرف ما هذا فاجابه بأنه مشروبات مبردة فقال الباشا انا ايسر هذا
رمضان فتبسم المتصرف وقال غملاً من غير ان يريد اظهار قصدو مخالفة الدين نعم هو
رمضان ولكن جنابكم مسافر وانا ايضاً مثلكم وها انا ابتدئ بذلك واخذ الكاس وشرب
فاشدت حتى الباشا عليه وخاطبة بشدة بما معناه انك ان كنت لم تراخ ديانتك فانا يجب
علي ان اراعي دولتي ووظيفتي لاني متوظف ووزير خليفة المسلمين وهذا المقام انما جاءني
منه وهاتو البلاد بلاد مسلمين وهؤلاء الجمع مسلمون جاؤني لاجل وظيفتي فبهني نصرانياً
فاني اذهب على الشائعات الاسلامية التي صرت بها انا من انا واقدر بها على احتقارك وطردك
ايضاً من هنا فاخرج حالاً حيث لم تراخ سلطانك وامامك الذي هو خليفة المسلمين ولا
اهل البلاد التي انت عليها ولا انا الذي تعديني ضيقاً نخرج المتصرف من المجلس وشكر
الحاضرون كلهم عمل ذلك الباشا فقال لم ما فعلت هذا لاشكر وانما هي واجباتي اديتها
ولعمري ان مثل هذا الرجل يحق ان يستخدم ويا ليت متوظفي الدولة كلهم على غطو
كثير الله من المخلصين الناصحين امثاله ووفقه لسعادة الدارين . وحاصل وصف هاتو
البلد هي انها بلد جميلة المنظر لان ديارها محسنة المحيطان من خارج وحسن اكبر طوقها غير
ان بجاني الطريق بحاري للمياه على عمق شبر مكشوفة ربما اضرت بالمارين والبناء طينة
مخلط بالجير فهو حسن المنظر ويقرب شكل الديار من ديار تونس غير انهم يجعلون
لبعض الديار ذات الطبقات درجاً مكشوفة في البطحات الخاصة بالديار وجعل في
البلد طريق للجمال وهذا الطريق واصل الى دمشق الشام جعلته جمعية الفرنجية منتظم
السير في اوقات معلومة وكراء معين وتغير الخيل في مراكز معينة ليلاً ونهاراً وكنت
اردت الذهاب فيه الى دمشق لكن قصر الوقت مع تعطل السير في الطريق لكثرة
الثلوج تمنعي من ذلك

واعظم جوامع البلد الجامع المنسوب لسيدنا يحيى عليه السلام وهو جامع واسع
نظيف وكذلك بقية جوامعها نظيفة وسماماتها جميلة نظيفة جداً متقنة التحسين بأنواع
المرمر وفوارات المياه وبها اسواق جميلة وان كانت صغيرة على نسبة البلاد لان البلد
الاصلي صغيرة وكثر حولها البناء المتقن على اشكال شتي منها قصر بديع صالح للملك

وحوله بستان موفى غاية التأنيق فيه من المرمر في البناء والرخام وأنواع المفروشات الدنية والأشجار ونقاسيم الماشي وهو لأحد الأهالي النصارى ذوي الثروة الكبيرة التي حصلت له من بعض خدمات له عند خديو مصر السابق ثم استحصل على أن يكون قنصلاً للروسيا في بلده وتوجد بيوت أخرى حسنة تقرب من ذلك كما توجد مدارس عليّة أسسها القسوس من البورتيسانت الاميريكانيين ومن الجزويت الفرنسيين وقد أثرت هاتر المدارس تأثيراً واسعاً في المعارف هناك فتقدمت النصارى سكان بيزوت على التحصيل على معارف جيدة من اللغة العربية نحواً ولغة وإنشاء وفي معرفة بعض اللغات الأجنبية وأغلب مبادي الفنون الرياضية حتى صاروا متاهلين للتقدم وتقلد الوظائف في بلادهم وغيرها ويحصلون ذلك في مدة قليلة لسهولة التعلم بالكتب التي اخترع بعضها نفس الأهالي وغيرها غير أن إنشاءهم بالعربية يكون غالباً على غير اللهجة الفصيحة والأسلوب العربي الفصح لأن غالب التلامذة يولعون باللغات الأجنبية فينسخون كتاباتهم العربية على متوال تلك اللغات فيصير السبك اعجمياً في قوالب عربية يجهلها من ذاق طعم البلاغة ودونك ما كت رايته من رسالة لأحد برعاء ذلك الوطن وهو البارح المثمن رشيد الدحداح كتب بها في ذلك المعنى نص محل الحاجة منها بعد أن ذكر ما طرأ على اللغة العربية الشريفة وما حصل لها من التغير بالأساليب الاعجمية الى أن قال " وكذلك لأجل تعجيب الفرنسيين للمسلمين يجب ترويح لسان العرب باللغة الفرنسيّة حتى تصير لباساً له" ويصير لباساً لها فيبدأ بتبديل الاسماء فيجعل اسم المعلم ميخائيل ميشال افندي ويبدل مريم بآريا وإذا كتب رسالة قلب رجلاً على قدم. وتناول ريشة عوض القلم. وقال اخذت الحرية لأكتب لكم او عندي الشرف ان اخبركم اني قبلت رسالتكم المكرمة وبالطبع صرت ممنوناً لما تضمنته من الاحساسات الودية. والشعائر الوطنية. ورايتها ملهومة من روح الصداقة. وراغبة في دوام العلاقة. واخذت الاحتياطات اللازمة لادخالها في اعمدة الجرائد ليس فقط لأجل مسرتكم بل بالسبب الأقوى لأجل مصلحتنا ولكن من سوء الخفت مواعاة الظروف توجهنا على نوع ما ان نخذل القهمل بالعمل الى فرصة وفوق كل شيء. لانه الآن حاصل هنا افكار واستعدادات حرية. واما ماو الاقلاب فبالضد ومع الاعتبار يقدم لكم الشكر ويهدي لكم السلام حبكم فلان نفس على ذلك الف داهية. من التعبيرات الواهية. التي هي بالمت حرية والتي في اعجميتها سرف. كهندي الشرف. وما هو احط من السفالة. كقبول الرسالة. وآلم من الصنع. كطبيعياً وبالطبع. وامر من ريب

المنون. كالممنون. واصلح من الخسائر. كهذا الاستعمال للروح والافتكار والتقدم والاستعدادات والاحساسات والشعائر. الى ان قال " اما تشبهتم بمادة اخذ فداها اصفر وموت احمر ولو حرمت عليهم اليوم هذه المادة لكسروا الافلام وعجزوا عن الكلام فترام يمرون بها عن كل الاعمال العربية فيقولون اتخذ الباشا مادية للقناصل واتخذ الملاطمة لهم واتخذوا الدواء للدولة الى ان قال فيا للخسارة والاصف. على مرض اللغة واشرافها على التلف. فوأي الله انه لصدع لا يلتئم. وجرح لا يلتئم " الى آخر ما اطال به في تلك الرسالة المنشورة في جرائد عديدة عربية ومنها العدد ٩٥ من مرآة الشرق وهذا الكاتب وان كان من اهل لبنان البارعين في العربية والفرنساوية لاقامته بفرنسا وصيرورته من اغنيائها لكثرة استفاد من ذلك التعليم لان هذا التعليم شغل اهل لبنان ايضا فوائدهم والحق يقال ان فوائده جليلة لحسن التعليم وان اثر بعض تأثيرات سياسية في جلب طباع سهل الطبيعة الى حب جنسية المعلمين لكثرة من حيث التعليم له مزية معتبرة تقدم بها النصارى هناك على المسلمين حتى تفتن في المدة الاخيرة بعض المسلمين الفيوريين لهذا المدرك ووجدوا واليا يد اليهم يد المساعدة وهو مدحت باشا فعقدت جمعية تسمى جمعية المقاصد الخيرية ومكسها من الاوقاف التي في البلد وكانت استولت عليها ايدي الاغصاب والمنافع الشخصية فاستعانوا بها مع ما يوزعونها على اهل البلد من كل ذي حجة وعلى ابناء التلامذة وانشأوا بذلك مدارس على نحو النوع السابق ذكره وكنت دخلت الى كلا القسمين فرأيت من تلامذتهما ما يسر القلب ولعمري انها لأثرة جليلة تحق ان تذكر * وهذا الرجل وهو مدحت باشا هكذا دأبه في كل ولاية ولها لا بد ان يترك فيها مائة تذكر وان اعثر كثيرًا منها بعده بعض الخلل الا انها لا تزال قائمة لما فيها من المصلحة المشاهدة وهو في الحقيقة من افراد رجال الدولة الذين يشغل عليهم تاريخنا نصحا وتديبرا وعملا وعمله أكثر من قوله بحيث لا يجد الفادح فيه قولاً لولا جملة فيه كأنه حمله عليها مداومة ما يشاهده في وظائفه والتأنيات والتسويات الذي يستعمله الرواساء في وظائف الدولة حتى صار لهم طبيعة والوقت لديهم ليس له اعتبار فاداه ذلك الى انتهازي للفرص التي يجدها لاجراء المصالح فعلا وجراً ذلك لما اوقعه اخيراً فيا اداه الى الوقوع في سخطه رحمة الله عليه رحمة واسعة. وقد حصل من تلك الجمعية فائدة لا تنكر في المعارف لاهل تلك البلاد وهي وان تأسست في جميع البلاد الشامية لكنها كانت في بيروت اشد تقدماً في المعارف حتى صارت هي اول البلاد الشامية في المعارف على العموم وان كان دمشق

مزيد التقدم في الفنون الشرعية ثم ان اهالي بيروت وان كانوا قسامين مسلمين ونصارى
لكم جميعاً في غاية الالفة بعضهم مع بعض وعوائد جميعاً واحدة حتى في محاسن اخلاقهم
وقد شاهدت من فضلاء القسامين ما اشكرهم عليه من محاسن الاخلاق والفرح بالضيف مثل
الشيخ الدراكة البليغ البارع ابراهيم الاحدب وله ديوان شعر شهير ومثل الاعيان الاجلاء
حسين بيوم وغيره بك رئيس الجمعية الخيرية وعبد القادر القباني صاحب جريدة ثمرات
الفنون احلى الجرائد العربية المتكاثرة في هاتو البلد لما في اهله من التقدم الذي اشرفنا
اليه مع بعدها عن مراكز السياسة ومن اصحاب الجرائد الذين اجتمعت بهم هناك ايضا
البارع المجيد المتفاني سليم البستاني صاحب جريدة الجنة وجريدة الجنان وهو من النصارى
اعيان البلاد ومن اجتمعت به منهم ايضا الوجهاء الاعيان ابراهيم اليازجي ابن الحسن
الذكر المتفاني القوي البليغ ناصيف اليازجي صاحب المقامات الشهيرة ومنهم سليم ثابت
وغيرهم ومنهم الكاتب البارع حسن الجابي وهو وان كان من اهالي دمشق الا اني اجتمعت
به في بيروت لانه قدم اليها صحبة والي الشام اذ ذاك مدحت باشا رحمه الله لانه كان
من كتّاب الولاية المجيدين عريّة وتركبة فاستصعبه الوالي لنصحو ونجّاه ثم ترقى بعد
ذلك في خدمات الدولة العلية وكذلك اجتمعت بالوالي المشار اليه هناك لما لي معه من
المعرفة السابقة في باريس ولافت عنده مرة التصوح رائف باشا متصرف بيروت اذ ذاك
ولقد شاهدت من هؤلاء الجمع اكراما يوجب عليّ الثناء عليهم جازام الله عني كل خير
واجل ما حصلت عليه في هاتو البلاد اخذني للاجازة في الطريقة القادرية من مولاي
وسيدي السيد سلمان القادري ومثله ابقاء الله من يميز ويحافظ على شريعة جده الاعلى
عليه وعلى آله الصلاة والسلام فانه عند ما اجازني قال لي ما معناه في امر الازكار
واداب الطريقة ليست هي الا الشريعة فقف على ما ورد به الشرع واعمل به فهكذا يكون
المرشدون وما اجازني بذلك الا بعد مزيد الاحلاح تواضعا منه ابقاء الله الى ان انت
ليلة سفري فساعني بمرغوبي فودعته وصارت صبيحة تلك الليلة الى القسطنطينية في
احدى البواخر السابق ذكرها * فوقفت بنا بضع ساعات على ازمير التي هي قاعدة احدى
ولايات الدولة وتزلت متفرجا على مراسها وما حولها فاذا هي ذات مرسى جميل حصين
صنمه احد الافرنج برخصة من الدولة وفيه بواخرجة وتصل سكة الحديد الى رصيفه
وهي ذات فرعين يمتدان الى داخل الولاية شرقا وغربا وحول المرسى قشلاقات عسكرية
وبعض ديار للافرنج والطريق فيها واسع جميل وبقيّة الطرقات والاسواق ضيقة عليها

آثار الحرم لان غالب الابنية من الاخشاب وقدم عهدا فلم ار ما يذكر الا كونها بلاد تجارية لغنى الولاية بما منحه الله تعالى من كثرة الغلال والقواكه التي تحمل منها الى سائر الاقاليم مثل التين الخفيف وغيره ثم مرنا على جزر كثيرة تابعة للدولة العلية ذات جمال باهر لكثرة اشجارها وجبالها الخضراء المتعممة اذ ذاك بالتلج ومن اجملها جزيرة رودس وجزيرة استاني كوى التي تشرح الغاطر بما كساها الله من حلل النبات والاشجار العظيمة ثم وصلنا الى جنبه قلعة قبيل الغروب من اليوم الثاني وهي باب الخليج القسطنطيني والبلدة ليست بشيء يذكر سوى انها مقام حربي اذ حولها امامها من الحصون والطوابي والاستحكامات ما يدهش الناظر وهي كثيرة ممتدة على طول مضيق ذلك الخليج على فوهته الى البحر الابيض التي هي ضيقة جدا لاتسع ازيد من مرور اربع بواخر جسيمة وتلك الحصون أكثرها لا يكاد يبين لتخلل وسط الجبال المحيطة بالجانبين وما يظهر منها تلوح منه مدافع ضخمة تكاد تحرق الجبال عند انطلاقتها ولذلك يعد هذا المركز اعظم المراكز الحربية تحصنا بحيث لا يمكن ان يجنازه بجناز غيره رضاء صاحبو ولا تدخله سفينة الآن ولو تجارية الا بالاذن من موظفي الدولة هناك ولذلك وقفت الباخرة هناك لاختد الاجازة وهي لا تطول مدتها الا نحو نصف ساعة في اثنتائها طافت بنا القوارب من البياعين لسلع تلك البلاد والمأكولات والقواكه والذي يمكن ان يذكر من سلعا ليس هو الا اباريق من طين معطي بمعدن اخضر يصير به الطين صقيلا ويذهب باشكل وعلى نحو هاتين الاباريق اوان آخر على اشكال مختلفة للياه ثم دخلنا الى بحر مرمره المتوسط بين فوهتي خليج الاستانة التي مر ذكر احداها التي على البحر الابيض والاخرى يجنب الاستانة على البحر الاسود فبقينا سائرين الى طلوع الفجر وما انطلق الصبح الا وقد باتت مآذن جوامع القسطنطينية التي هي مثل غابة من النخيل وبينها قباب الجوامع الضخمة فازست الباخرة في داخل الخليج على مقربة من القنطرة الموصلة بين استانبول وطلعه وطافت بالباخرة القوارب لمن يكتري من الركاب وقوارب السلع ثم بعد هنيهة قدم اليّ البعض من اصدقائي مع زورق مخصوص للوزير خير الدين باشا التونسى اتزلوني فيه وتكفلت اتباعهم مع كتابي بازال صناديقي فنزلت ضيفا عند الوزير المذكور ثم بعد بضع ايام اكثرت دارا جميلة على الخليج وسكنت بها بعد ان اشتريت لها جميع مفروشاتها اللازمة واحضرت من الخدمة اللازمين والطباخ مقدار الحاجة واقت ساكنها من صفر سنة ١٢٩٧ الى شعبان سنة ١٢٩٨ واحضرت اليّ ابني البكر من

تونس وبقيت بالقسطنطينية مستريح الفكر والبدن متنعماً بهوائها الحسن متأسماً
بالاصدقاء ذوي الوفاء الى ان حل بالوطن ما حل في سنة ثمانية من استيلاء الفرنسيين
عليه بما كنت به اندرت ولم تقد النصيحة لغلبة الهواه والله يقضي ما اراد فذهبت الى
ايطاليا لاختار عائلي في نقلهم ويبيع املاكي وفي اثناء ذلك ذهبت الى جنيف من مملكة
سويسرا فوضعت بها ابني في مكتب خصوصي ثم رجعت الى ايطاليا لانتقام ما ذكرناه
ثم رجعت الى القسطنطينية بعد ان اعلمتني عائلي بسفرها اليها فمرت على مملكة المانيا
ثم النمسا ثم الرومانيا ثم الصرب والبلغار وصياً في ذكر هاتيه المالك ان شاء الله كل منها
منفرداً يابياً ثم رجعت الى القسطنطينية مقيماً فيها بمائتي من اول سنة تسعة الى اول
سنة اثنين وثلاثمائة التي توجهت فيها الى مصر حيث لم اجد من الراحة الفكرية والبدنية
ما يستقيم به الحال وكذلك امر المال وان كانت الحضرة السلطانية تفضلت عليّ برتب
وكرامات لم يمكن استطرادها لما في خزنة الدولة من التضاييق المجحف حتى بالقيام
بالضروريات الواجبة في اغلب الجهات نسأل الله تفرج الكربات



مطلب في صفة القسطنطينية

هاتيه البلدة قديمة الانشاء وتأسست فتحاً لمملكة الرومان المعروفين بالروم سابقاً على
ما تقدم في تاريخ ايطاليا وسميت البلدة باسم احد ملوكهم ذوي الصيت المنتشر وهو
قسطنطين المتولي سنة ٣٢٣ ميلادية واتخذ موقعها في اجمل مواقع الكرة الارضية في
نصفها المعروف قديماً وموقعها ايضاً احسن هاتيك المواقع لانها متحكمة بين البحر
الاسود والبحر الابيض ويوصل بينهما الخليج الذي بوسطه بحر مرمر وهذا الخليج
بمكان البلدة يكتنفه جبال يميناً وشمالاً والجبال مكساء بحال النبات الباهر في جميع
القبول وقد وضعت البلاد على سفح ثلاث جبال يفصل بينها الخليج اما قسم منها فيفصل
بينه وبين غيره الخليج الكبير وهذا القسم هو المسمى باسكودار الواقع في قارة آسيا
والقسم الآخران يفصل بينهما فرع من هذا الخليج داخل في قارة اوروبا الى ان يتصل
بجدول يعرف بكاغدخانة فالقسم الشرقي من القسمين يسمى بفلطه والقسم الغربي يسمى
باستانبول وقد كان في القديم محل البلدة مفصلاً عن بقية القارة بخليج واصل الى بحر
مرمر وهو قرب مقام سيدنا ابي ايوب الانصاري الآن فكانت جزيرة منفردة

وهذا القسم هو مقر البلاد الاصلية الذي يشتمل على مركز الادارة والاسواق وغير ذلك وحيث كانت البلد وائمة في عرض سبعة واربعين شمالي كان هواؤها يغلب عليه البرد وتنزل عليها الثلوج في كل سنة وربما جمد الخليج في بعض السنين فهي في جميع اوقاتها لها منظر منفرد في الاضواء لمن يراها داخلها من الخليج حيث كان الخليج في الوسط وتحفة على جميع شطوطه الممتدة نحو ٢٢ ميلاً قصور ودساكر جميلة الصنع ذات ألوان لان البناء بالاختشاب ويدهن ظاهراً وباطناً بألوان جميلة مع كثرة طاقاته ويتخلل هذا البناء الصوامع المتناغية في اللون مع جودتها وتعدد ادوار مآذنها وبينها القباب الشاهقة ثم وراء هاته البنايات على سفح الجبال البساتين والجنائن والاشجار المثمرة والعيون المتدفقة فتدهش رؤيتها ابصار الناظرين وتستر البواخر خارقة لهذا الخليج في ذلك المنظر البديع مدة نحو ساعتين فلا ريب ان كانت هي سيدة البلدان السياسية خصوصاً ووضعها قد جاء على كل من قارئها اوربا وآسيا وعلى كل من البحرين الابيض والاسود ولهذا يسمونها في القدم بفاروق لقرنبا بين البرين والبحرين لكن ذلك المنظر والجمال يخط درجات عديدة اذا نزل قاصدها الى البر وتقل بالمشي في شوارعها لان طرقاتها اغلبها ضيق وميلط بمحجرات على اصل خلفتها مقلية مكعبة تنعب الركاب والماشي وكثيراً من الديار قد اخذ منه المرم مأخذه خصوصاً في هذا الوقت الذي تفاقم فيه على اهلها الضيق المالي لان اهلها المسلمون وم اكثر السكان اغلبهم له جرايات ومرتبات بحيث ان اقامتهم مناطة بالدولة التي ضاقت خزينتها عن القيام بشؤونها وبقيتهم ذوو صنائع خسيسة كسائي العربات والنوتية وما شاكل ذلك والقليل النادر لم تجارة على قدر الحاجة والتجارة المعتبرة انما هي بيد الافرنج او النصارى من رعية الدولة وكذلك اغلب الصنائع الضرورية والحاجة والتحشيشية على كثرتها كلها بيد النصارى ايضاً الا ما ندر وكان سبب ذلك هو اخضاع المسلمين قديماً بالوظائف والرتب فانحصرت معيشة غيرهم فيما يجيدونه من صنائعهم وتجارتهم ولما افتتح الباب في الازمان المتأخرة شاركوا المسلمين في الوظائف وسابقوهم فيما كان خاصاً بهم لم يد أيدي المساعدة لم من الافرنج ودولهم الاجنبية فانتسعت معارفهم الرياضية واقتنت صنائعهم واتسعت تجارتهم وتقهقر المسلمون لوقوفهم فيما كانوا عليه بل لانحطاط درجة المعارف لديهم واعراضهم عن الصنائع وغيرها من اوجه التكسب لانحصار الامال في مجرد التوظيف في الدولة ولهذا ترى البلاد ممتلئة بالقهاوي والقرايتخانات التي هي

فهاوي نظيفة يتنابها الوجهاء من الناس فلذلك صارت الديار الحسنة قليلة في هاتئ البلد العظيمة التي يتجاوز سكانها المليون وربع واذا ضمت القرى التابعة لها في جوارها مثل بيوك آطه اي الجزيرة الكبيرة وغيرها من بقية الخليج يكون مجموع سكانها مليون ونصف على ما يقال حتى انها كانت هي اعظم البلاد المعروفة وسميت بالقسطنطينية العظمى والحاصل ان طرقها الآن التي لها نوع من الحسن هي طريق يتدى من بطحاء في وسط استانبول تسمى عيذان السلطان احمد وفي وسطها مسلة من المسلات المصرية متناغية في الهواء فين الطريق على الباب العالي ثم على القنطرة الموصلة الى غلطة ثم يمر منها الى الطوبخانه على سمت نحو المستقيم وهكذا يمتد على ذلك النحو الى قطاش وبشكطاش واورطه كوى ثم قورى شيشه ثم ارنووط كوى ثم الى بيك ثم الى روم الي حصار ثم الى يني محله ثم الى طرابيا ثم الى بيوك دره ثم الى نهاية الخليج المسمى بروم الي قواضي جهة البحر الاسود والاماكن التي تقدمت اسمائها كلها حارات مثل البلدان متصل بعضها ببعض ممتدة على طول الخليج وانما كان هذا الطريق مسننا لان اغلب اماكنها بها بنات للدولة او للسلطين او ابناءهم او بناتهم او وزراءهم او امراءهم او لسفراء الدول الاجنبية او للاغنياء من الافرنج والنصارى اتباع الدولة مع كون شركة افرنجية قد جعلت بذلك الطريق عجلات الترامواي برخصة من الدولة على شرط تحسينها للطريق وتوسعتها له حتى لا يمرض مروره العجلات الاخر وهكذا يمتد هذا الطريق ايضا بفرع آخر من البطحاء المذكورة ويمر على بطحاء السلطان بايزيد ثم على آق سراي ويمتد هكذا مستقيلا على نحو استقامة الى ان يصل الى آخر استانبول في باب ادرنه ويوجد طريق آخر على ذلك النحو يبتدى من غلطة امام القنطرة ويصعد في جبلها ويمر في بايوغلي التي هي حارة السفراء في الشتاء واما في الصيف فانهم يسكنون في الخليج ومثلهم بقية الاعيان وحسن طريق بايوغلي فائق على الكل لمزيد التحسين في الديار الحافة بجانيه وقد احدثت طرق اخرى كثيرة على النوع المتعارف في اوروبا في جهات سرية يلدز ونيشان طاش الى ان تنصل بطريق بايوغلي لكن هاتئ الطرق لم تنظم الديار التي على حافتها فاعلمها خال عن البناء بالمره ويمكن ان يقال ان البنات الحسنة الموجودة في هاتئ البلاد تكاد اصحابها ان لا يخرجون عن الاصناف الذين ذكرناهم وهذه البنات قديمها كله من احشاش ذو طبقتين او ثلاث نادرا وجديدها من بناء اغلبه بالطوب المطبوخ الاحمر او الحجارة والمرمر متقاربة الشكل الحسن منها حسن الظاهر والباطن

وصورتها ان يدخل من الباب الى دهليز فيه درج قليلة يصعد منها الى الطبقة الاولى التي هي ايوان مثل وسط الدار مستوف مع بقية بيوتها وفيه ابواب هاتيك البيوت التي هي مربعة او مستطيلة وفيه ايضا نحو المقعدين يميناً وشمالاً في الغالب ثم تلك الدرج تنبعث صاعدة الى الطبقة العليا التي هي على نحو التي تحتها وتختلف اشكال الدرج في كونها ذات فروع واحد الى آخرها او ذات فرع وفروعين وكل دار تشتمل على عدة مرابض جميلة الوضع نظيفة كل منها به محل للوضوء ومحل لمندله بحيث ان الوضوء في هاتيك البلاد يسر شيء على صاحبه مع نظافة المكان والحق ان جميع الديار بل وجميع احوال السكان نظيفة للغاية كل على حسب حاله عسراً ويسراً وقصور السلطنة ومساكن السلاطين قد اشتملت على اشكال البناءات المستحسنة في أكثر البلدان واعظمها بهجة ورونقاً قصر دولاً بمنشئه الذي هو الآن قصر السلطنة الرسمي فانه له باب عظيم ذو اثنان وتزويق بالذهب لم أر مثله قط ضخامة وزخرفة في جميع اوروبا وغيرها وهو ينتج الى بطحاء عظيمة امامه وفي مقابلته جامع اتيق له باب مقابل ذو بهجة وقريب من باب القصر في الحسن باب ثان يفتح الى طريق يشكطاش وكلا البابين يدخل الى بطحاء عظيمة بها باب القصر الذي هو منقسم الى ثلاثة اقسام في الحجم متصلة ببعضها اوسطها ارتفاعه بوازي ارتفاع القسمين الآخرين مرتين وهذا القسم الوسط كله ديوان واحد هو مجلس السلطان في الموكب فانظر الى هذا البيت الذي اتساعه قدر اتساع قصر تام سلطاني فان القسم الاول هو قصر ذو طبقتين وطبقة ثالثة سفلية نصفها تحت الارض ونصفها فوقها وتشتمل كل طبقة على دواوين واواوين وحجرات مزخرفة مكحلة مزوقة بالذهب والفرش الفاخرة والثريات المتكاثرة وغير ذلك من الزخرفة والالهية التي تألق فيها السلاطين للمباهاة وهذا القسم خاص بجيوش السلطان للرجال والقسم الثالث مثل هذا القسم وربما زاد عليه رونقاً في الفرش وهو مسكن حرم السلطان ثم عند الباب الاول في الذكر قصران يميناً وشمالاً لحاشية السلطان وخاصته وبطائنه ووراء قسم الحريم قصر آخر مفصول عن السابق مثل احد القسمين السابقين هو مسكن ولي العهد لكنه لا يلقب بهذا اللقب وانما يقال فيه اكبر ابناء السلاطين بعد السلطان المستولي وهاتيك القصور انشأها السلطان المنعم عبد المجيد رحمه الله وتسمى دولاً بمنشئه وقريب منه قصر آخر انشأه السلطان عبد العزيز يسمى تشارغان هو اشبه رونقاً وزخرفة في داخله من الاول لكن الاول ابهج منظراً والجميع على

شاطيء الخليج تفتح اليه رواشيتها الكثيرة كما هو شان جميع الديار هناك فلا تجد بين الشباكين ازيد من نصف ذراع او ذراع وعلى نحو من هذين القصرين في قسم اسكودار قصر بناء السلطان محمود رحمه الله يسمى بكربك وهو اصغر من الكل ثم قصر آخر بدينق للغاية يسمى ييقوز سجارته كلها داخلا وخارجا من الممر الاحمر والاخضر فنصفه الاعلى اخضر والاسفل احمر وهناك قصور أخرى عديدة صغيرة دون هاتين الا القصر السلطاني الآن المسمى بيلدز الذي هو في الاصل مثل هاتيك الصغيرة لكنه لما رجمه السلطان المعظم عبد الحميد للانفراد فيه والسكنى به دائما تزايدت قصوره شيئا فشيئا حتى صار ابعى في الداخل من الكل وان كان من خارج لا يظهر منه الا القليل لوقوعه في وسط بستان متسع ملتف بالاشجار ومحيط به اسوار ومسكن للعساكر على جميع محيطه



فصل

في مجمل تاريخ الدولة العثمانية

اعلم ان الدولة العثمانية كانت تأسست عند ما تفرقت الملوك الاسلامية واستبد كل منهم بجهة مع الخروج عن العمل بالشرع بل اتبعوا الشهوات واسترفوا الرعية وتصرفوا في الاموال بحسب الاغراض فضعفت شوكة الاسلام وصارت ممالكهم طعمة للاجانب فدخل من وراء النهر اي نهر سيحون ويعنون بما وراءه ما كان على عدوة الشرقية قبيلة من مسلمي الترك تحت رئاسة سليان شاه جد عثمان خان ملتجئين الى السلطان السلجوقي لما شملهم من ظلم التتر فاعطاهم بالامن واسكنهم ارضا بالاناضول واذن لرئيسهم ارطغرل بعد وفاة ابيه سليان شاه والغزو حيث كانوا قوما شدادا مقررئين على الحرب فافتتح بسيفه الباتر اراضي وبلدات وفوض امرها اليه السلطان السلجوقي والى ابنه عثمان من بعدهم فتلقب بالسلطان عثمان وذلك في سنة ٦٩٩ وقد نظم الجيد الشيخ محمد بييم الثاني قصيدة تشتمل على انموذج من تاريخ هاتمة الدولة مع اسماء سلاطينها ذكرناها هنا لا يفاتها بالمقصود وسماها " عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان " وهي

اقدم قبل القصد شكرًا لشم
 على عز هذا الدين والملة التي
 واتبعه اذكى الصلاة مسلماً
 نبي له وصف النبوة ثابت
 مؤمناً من قد اظهر الله دينه
 واعلاه بالانصار اذ حل طيبة
 وما زال محروس الجانب مؤيداً
 محمداً الى ان آل تدبير امره
 لمحي حلال يعصم الناس امرهم
 كرام فلا ذوالضعف يدرك تله
 ملوك بني عثمان سلسلة العلا
 فلك ما قد شيدوا من بناؤ
 لقد احكموا امر الجهاد بما اتوا
 فكان لهم والله يكلأ مجدهم
 وقدرت في ذا النظم جمع ملوكهم
 فأولم (عثمان) يا كورة العلا
 له فتحت برصا فاضحت سريرهم
 وثاليم (ارخان) من قد اتت به
 شجاعته قد اظهرتها حروبه
 وثاليم من بال فضل شهادة
 فذاك الذي قد فض ختم ادرنة
 وراهم شمس العلا (بايزيد) هم
 لكن كان مع تيمور ما اقتد القضا
 ولا يجب للاسد ان ظفرت بها
 غربة وحشي سقت حمزة الردا
 وخامسهم نحر الملوك (محمد)
 وسادسهم ثاني (المراد) بن من رقي

علينا بما ارضى على كل انعم
 وان لحقت فازت بفضل التقدم
 على اشرف المخلوق قدرا واعظم
 وادم بين الماء والطين قاعلم
 بمكة ذي البيت العتيق المعظم
 فحيا بوجه مشرق ذي تبسم
 بكل امام بالعلا ذي تهم
 وحفظ حمار بالخميس العروم
 اذا طرقت احدى الليالي بمعظم
 لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم
 غصون تمت اذ فرغت عن غصنهم
 وما هدموا للكفر من كل معلم
 باعظم صنع فيه من بعد اعظم
 بما فعلوا حق على كل مسلم
 وبعض مزايام لتروى فتعلم
 مذيق الردا من بأس كل مجرم سنة ٦٩٩
 فكان لها في ذاك فضل التقدم
 كريمة من حلب الولي المعظم سنة ٧٢٦
 فعنه بما تختار فيها تكلم
 (مراد) محلى القرن حمرة عندم سنة ٧٦١
 فذاقت به برد الهنا والنعيم
 موافقة في الحرب مرة مطعم سنة ٧٩١
 فان ارتكاب الغدر منشأ النظم
 كلاب الاعادي من فصيح واعجم
 وحلف علي من حسام ابن ملجم
 مجدد هذا الملك بعد التصرم سنة ٨١٦
 من المزمرقي لا ينال بسلم سنة ٨٢٤

تخلى عن الامر اخياراً لشبله
وسايرهم غل التحول (مُحَمَّد)
عقيلة عن صيد الملوكة تمتعت
لقد جاءها يخنال في العز مودعا
لدى اسد شاكى السلاح مقذف
فدحرج عنها سيد الروم خاسئا
وحل بها لما تنادت جنوده
وقدوسم السيف المدافى رؤوسهم
فا الحرب الا ما رأوا من بلائد
وثانهم فرح له (بايزيد) هم
وتاسهم مفتاح فتح ممالك
(سليم) الذي قد حل بالشاه بأسه
ولاح بتريز سنه فاصبحت
ومذ يرت بالشام انوار برفق
لسكن منها روعة بقدموه
وواجه مصر بالاذى اذ تلكأت
وقد خرها النوري فغار يدايق
فاصبح مصلوبا بباب زويلة
ولم يبق من ابناء شركس ناهق
واضحى سليم للقامين خادما
وطاشهم ذوال رأي والبأس والندا
قد انتظمت بغداد في سلك ملكه
وقد ظهرت آثاره تخديشا
فنها ويا لله غزوة رودس
وفي سكتوار بعد ان قنعت له
فلاحت بافق الملك طلمة شيله
لجبتو الملياء قبرص اذعنت

وعاد لجبر الحال خوف تألم
له فتح اصطبلول اشرف مغن سنة ٨٥٥
وكلمهم بنيت وصلها ذو تعيم
خبابا المائتا بين جيش عرمرم
له لبد اغلفاره لم تقلم
لدى حيث القت رحلها ام قشم
بتكبير منشي العالمين ومعدم
كانهم قد خضبوها بظلم
وما هو عنها بالحدث المترجم
ابو الجود ما ذا سد خلة معدم سنة ٨٨٦
غدت في جبين الدهر غرة ادم
فادبر يطوي الارض من قرب جهضم سنة ٩١٨
عروسا تجلت في وشاح منمن
دعنه دماء البانس المتظلم
وضمت عليه سورها فم معصم
فاجرى بها نيلاً تدفق بالدم
واقبل طومان كذيب لفصيم
يداس باقدام ويوطا بمنسم
كانهم قد لامسوا عطر منشم
بذاك ينادي للسلطين خدم
(سليمان) جراح العدا كاس عظم سنة ٩٢٦
فصار له امر العراقيين يثني
حداء الوري تحذوها كل موسم
تغنى بها طمخ التلا بترنم
اجاب الى المولى بقلب مسلم
(سليم) عظيم الملك فرع معظم سنة ٩٧٤
تقابل مسعاه بوجه مقيم

وفي بين من بعد بدء فتوحه
واحيا به الرحمن تونس عند ما
فشد بضحي سعدا فاقامه
ومن بعده قد بايع الناس فرعه
ويتلوه في دست الامامة شبله
اقام على اخرى فابدى باقها
وعمر للرحمن في الارض وجهه
وقام ابنه ذوالحسن (احمد) بعده
ومن بعد هذا (مصطفى) بن محمد
فبويج (عثان) بن احمد بعده
وقد عاد بعد اخلع خافان مصطفى
فجاء (مراد) فجل احمد بعده
اطل على دار السلام بجيشه
وقد ليست ما زانها لمرمر
وعادت الى عادتها دار سنة
وقد قام (ايراهيم) وهو ابن احمد
بكندية منه وقد جاس ارضها
اقاموه عن كرسية وتقدموا
(محمد) فرع منه فاصدح البنا
ولكنه لما تكامل واستوى
فتم فتحه سنة والذ له
وناهيك من فتحه يضيق بيانه
ومن بعد هذا تم باخلع امره
فقام (سليان) اخوه مقامه
ومن بعده قد قام (احمد) صباه
واعقب هذا (مصطفى) بن محمد
فقام اخوه (احمد) بعد خلمه

لوالده الارضي اتي بالتم
غدت بعد عنة شاخ في تحطم
وكان بقهر الامر صاحب مجتم
(مراد) كريم النفس وابن مكرم سنة ٩٨٣
(محمد) مغني الطرف عن فعل ما ثم سنة ١٠٠٣
سحائب حرب امطرت كل لهدم
فآب بفتح الطواغيت مرغم
يجي ييدر تحت تاج منظم سنة ١٠١٢
اقم ولكن عقده غير مبرم سنة ١٠٣٦
وانزل عن قرب لامر محتم سنة ١٠٢٨
وانزل بعد العود مثل المقدم سنة ١٠٣١
لكان كعلم لاح اثر توم سنة ١٠٣٧
فألقها من رافعيه مذم
والقت بما قد شان من ثوب ماتم
تجر اذبال المنا والتنعم
فلله من حزم وحسن تونم سنة ١٠٤٩
باسياف اجناد لما نهش ارقم
لمن هو في عهد الصبا والتعلم
وهب من الكفار كل تقصم سنة ١٠٥٨
يدا منه حزم فاضح كل احزم
بكندية اعظم به من متم
عن النظم فانظر في التواريخ تعلم
فيالك من فعله قبيح مذم
ولم يال جهدا في صلاح الخلفم سنة ١٠٩٩
فبانت جراح لا تداوى بمرم سنة ١١٠٢
واخر عما ناله من تقدم سنة ١١٠٦
وسلم لما شام يرق التألم سنة ١١١٥

وقد فتحت تبريز قهراً ومورة
فبيع للسلطان (محمد) بعده
سنة ١١٦٨ ومن بعده قد قام (عثمان) صنوه
الى المستقواذ وجه العزم نحوه
ومن بعده (عبد الحميد) اماننا
ابان له الله الهدى وانا له
فهاك سلاطين الزمان جمعهم
وعدهم سبع وعشرون قد غدت
ودولتهم خمس الهندات عمرت
وذا في ثمان بعد تسعين ضمها
وناظمها البعد الفقير محمد
يقول تنادي في المعالي يقولها
ايا دولة اربت على كل سابق
وقد سلبت حتى رأت في سريرها
(سليم) ابن خاقان الخوافين مصطفى
للا زال منها قائم اثر قائم
يقول حفيد الشيخ قدس سره
لقد انجح الدعوى بفضل نواله
بتسليم هذا الامر اليه (مصطفى)
ولما قضى شجراً ثباتاً من الاولى
تعالى الى دست اخلافة حازماً
له حولة في الروسيا مع بغايت
ومن بعده قام ابنه من لخدم
ألا الله (عبد الحميد) وجيدهم
بحرب القرم اخطب دام مصابراً
ونظم قانوناً الى الخير راشداً
فاصبح وجه البسيطة مبهجاً

بايامه وجه الزمان المطهر
هو ابن اخيه مصطفى المتقدم سنة ١١٤٣
ومن بعد هذا (مصطفى) ذوالتقدم سنة ١١٧١
وجرد في حرب له كل اصرم
اخوه عظيم من عظيم مخم سنة ١١٨٧
رشاداً وبسيداً لدى كل مبهم
بنظم كسب بالالائي منظم
سماه العلا منهم تضيء بالبحر
وفي طول هذا العمر لم تكتفهم
الى مائة من بعدها الاف تعلم
اقل الوري المشهور فيهم يديم
اليك الذي قد قلت فيهم به اختم
عليها لمز الدين والملة اسلم
هاما به الدين الحيفي يعني
لديك يا مولاي سنة وسلم سنة ١٢٠٣
الى زمن المهدي وعيسى بن مريم
موافقه في الاسم لا في التعلم
كريم له النعى على كل مسلم
لعبد الحميد الفرد لقب بابن سنة ١٢٢٢
اضاعوا التي واستبدلوا الامن بالدم
اخوه الرضى (محمد) خير ميم سنة ١٢٢٣
فاروام ماء الردى والتقسيم
غدى ينشر الاعلام في كل معلم
له النصره الفراء في كل معظم سنة ١٢٥٥
فقال المني من بعد طول تهميم
ونعم ما ابداه رأيه المتقدم
بما نالها من فوط عدل متم

ومن بعد ذا وافى الى الدست ضيفم
فذاك الذي عم البسيطة عزه
وان رمت عداً للباثر تكتفي
لقد خضعت سود الجبال لعزمه
ومذ ارتقى فوق السرى تتوجت
لذاك تباشير الولاية ارحت
ولكنما قد حل ما جل امره
فتم باهل الحل والعقد خلعة
(مراد) ولكن لم يطق عبء حملها
فنادوا سراة مجتمعين باسرم
الا انه **عبد الحميد** امانا
فارى على كل المالك مفاخره
تلاقى بحسن الرأي ما جل خطبه
فارجع قهراً طاعة الصرب بوسنا
كذا الجبل المسود لان عريكة
فكان الى الروس الطغاة معاضداً
وابقى اله العرش حوط الخلافة
فاسدى لها سلطاناً يفيض عدله
ولا زال يدي كل يوم فضالاً
فنسأل من يفيض الكرم له سحي
ودونك بشرى للولاية ارحت
وان رمت بشرى الحال تاريخها ذا
فتضمنت قصيدة الجدل المشار اليه عليه سمات الرحمة تاريخ السلاطين الذين
اولم السلطان عثمان وأخرم السلطان سليم ابن السلطان مصطفى كما نقمن تذييلنا
تاريخهم من السلطان مصطفى الى سلطاننا الخاقان عبد الحميد ايده الله وتبين بما سبق
ان الدولة العلية لم تنزل منذ ستائة سنة والله الحمد قائمة معتبرة بين الامم غير انها منذ نحو
مائتي سنة تناقصت سطوتها عما كانت عليه لا سيما في حروبها مع روسيا لان الدولة

له مفتخر اربى على كل ضيفم
وسلطانه فاق السوى بالنظم
بذكر اسمه (عبد العزيز) مترجم
فاضحت لغز بالخلافة يا قتي
بافعاله هام الزمان بانعم
حبيب الاسلام مازال يحيى سنة ١٢٧٧
تخيف من الغلب العظيم المطعم
ونادوا بنجل للعام المقدم
لاخلال شرط بالامامة مخوم سنة ١٢٩٣
بين يحسم الاحوال في كل معظم
عاد الوري والدين نجل المكرم
تقلى بها الافاق في كل موسم
بدس العدو المستوق المذم
وهرسك بفساراً بنصره
بنسك وحلم ثم عاد لاعظم
وحل القضا اعظم به من محم
بايقاد جبل للمالك محممي
باجرائه تأسيس عدل منظم
تترجم من شد النهي والتقدم
بنصر لاعلام الخلافة مبرم
مفتوح ابواب الصفا والتقدم سنة ١٢٩٣
لعبد الحميد العيد اسعد موسم سنة ١٢٩٧

الروسية منذ ولها بطرس الاكبر في سنة ١٦٨٢ جعلت مطمح نظرها توهين شوكة الدولة العلية والاستيلاء على ما يتمتع لها من ممالكها ثم الاستيلاء على بقية العمور اقتداء بذيولة الرومان في استيلائها في عنفوانها على سائر المعروف من الكرة اذ ذلك ويبرهن لهذا صريح الوصية المنسوبة الى ذلك القيصر واول من اشهرها في اوربا هو فريدريك كياردي سنة ١٨٣٦ وهذا تعريفا

من بطرس الاول الخ - الى كل من يخلفني على تخت روسيا القوية . فان الله سبحانه لم يزل منذ بداية الابد في اعانتنا واسدل فضله علينا بما حملني على الاعتقاد بان الامة المسكونة تتسلط ان شاء الله على الممالك الاورباوية (لا قدر الله) والدليل على ذلك ان الامم الاورباوية قد هزم اكثرهم واخذ البعض منهم في التلاشي فان ادركت روسيا تمام قوتها لا شك انها تغلب على سائر الممالك لما لها من شوكة الصغر وعندي ان هجوم الامم الشمالية على اوربا من احكام القدرة الالهية التي لا بد من نفوذها كما وقع سابقا عند هجوم الامم المذكورة على مملكة الرومانيين فاحتها بعد اضمحلالها وانا وجدت روسيا جدولا صغيرا فتركها نهرا وارجوانا باعتهاء من يخلفني تصير بحرا عظيميا يغطي بياحه اوربا باسرها ولا يتعرض لسيلانه عرمرم تخلفني هذا الاعتقاد على ان اقرر هنا الاصول التي لا بد من اتباعها نظرا الى ادراكك هذا المقصود المتبرر وهي

أولا

على ملوك روسيا ملازمة الحرب لتكون جيوشهم دائما على حال الرياضة والاستعداد فلا يكتفوا عن الحرب الا لاصلاح شأن المالية وجبر ما نقص من المسار وتربص فرصة الهجوم على الاعداء فالجرب والصالح يتناوبان حسبما تقتضيه الحاجة نظرا الى توسيع دائرة شوكتنا وفلاح البلاد

ثانيا

عليهم ان يجلبوا من سائر الاقطار الاورباوية العارفين بالفنون الحربية مدة الحرب واما مدة الصلح فعليهم جلب من اشتهر من العلماء لتنتفع روسيا بما يلائم الاخرى من دون خسارة ما لها طبيعة

ثالثا

عليهم التداهل في سائر احوال الممالك الاورباوية وخصوصا المانيا لقرينها البنا

رابعاً

التدخل في احوال بولونيا وفي انتخاب ملوكها حتى لا ينتخب الآ المحب للروسيا
وادخال جيوشنا بها لحماية هولاء الملوك الى ان يتمسك التسلسل على البلاد راساً فان
تعرضت الدول الاخرى تحجب الاجابة الى مطالبهم الى ان تقدر على استرجاع ما سلبناه

خامساً

نأخذ من مملكة السويد ما يمكن اخذه ونجعل بينهم وبين الدانمرك عدواناً دائماً

سادساً

لا يتزوج اهل ييتنا الا بنات ملوك المانيا لتؤكد المحبة بين روسيا والمانيا وتكثير
وسائل المواصلات بينها

سابعاً

يجب الاعناء بمخالفة انكلترا لما لها من الحاجة الى اشجارنا لسفننا ولما نستفيد
منها نظراً الى اصلاح شأن اسطولنا فضلاً عن تبادل فائدة تبادل ما لنا من الخشب
وغیره من النتائج بذهب انكلترا وما ينشأ منه من كثرة المواصلات بين تجارها وتجارنا

ثامناً

نمدد بقدر الامكان من جهة الشمال وعلى شواطئ البالتيك كما يجب السعي
بالامتداد من جهة المغرب وعلى شواطئ البحر الاسود

تاسعاً

تقرب من القسطنطينية والهند بقدر الامكان فن ملك القسطنطينية فقد ملك الدنيا
فيها على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع الترك ومملكة الفرس وجعل ترسختات
بشواطئ البالتيك والبحر الاسود وهذا من اللازم لنجاح ما قصدناه وينبغي ايضاً
تجليل مملكة الفرس من الاضمحلال وتنشيط التجارة التي كانت بين الشام وجبل قاف
فتتقدم الى الهند التي هي مخازن الدنيا وان حصلنا على ذلك لا حاجة لنا بذهب انكلترا

عاشرًا

يجب السعي في تأكيد المحبة مع دولة النمسا باسماها ظاهراً على ما قصدته من
التسلط على المانيا مع اننا نعرض عليها ملوك المانيا سرّاً

حادى عشر

نشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الترك من اوربا فان ظفرنا بالاستيلاء على
القسطنطينية واظهرت دولة النمسا شيئا من الفيرة لاجل ذلك فاننا نحت دولة من دول
اوربا على مخاربتها او نسلم لها جانبها مما حصلنا عليه ولسترجع في اول فرصة

ثاني عشر

نجمع سائر الاغريق بيولونيا وبمالك النمسا ونساعهم بقدر الامكان بالحماية والدفاع
عنهم حتى يكونوا لنا احياء ما بين الاعداء

ثالث عشر

بعد الاستيلاء على مملكة السويد وغلبة الفرس وبيولونيا والتسلط على الممالك العثمانية
وجمع جيوشنا ودخول اساطيلنا بالبالتيك والبحر الاسود نشرع في المفاوضة السرية
مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة الدنيا بيننا فان ارتقت احدى الدولتين ما نعرضه عليها
نستعين بها على قهر الاخرى ثم نهجم عليها ونغلبها ولا يصعب علينا ذلك حينئذ حيث
يكون بيدنا ملك المشرق ومعظم اوربا

رابع عشر

ان امتنعت كلا الدولتين المذكورتين مما نعرضه عليها وهذا مما يبعد وقوعه يجب
السعي بفحريض احدها على الاخرى فتربص الفرصة ونهجم على المانيا بجيش عظيم
ونوجه اسطولين الى البحر المحيط والبحر الاوسط للاستيلاء على فرنسا وبعد قهر فرنسا
والمانيا لا يصعب الاستيلاء على بقية ممالك اوربا . اهـ

وهاته الوصية وان اكرهنا رجال الدولة الروسية لكن السيرة السياسية والعسكرية
الموجودة في الخارج من ذلك التاريخ الى الآن تصدق وجودها اذ هي مطابقة لما مطابقة
النصل للرجل فلا زالت تمد سطوتها في اسيا واوربا ولما كانت الدولة العلية هي الدولة
ذات الشأن المجاورة لها في كل من القارتين مع مخالفة الديانة جعلتها مطمح نظرها
ووجدت سبيلا لمخادعة الدول الاورباوية بالانتصار للمسيحيين المواقفين لهم في الديانة
لما تدبى من التعدي عليهم فتريد تحريرهم من استيلاء الدولة العلية عليهم على ما سرد
بسطه في النصل الاول من الخاتمة فجعلت تثير ثورات في احد الاقسام ثم تنتصر له بان
يجعل له ادارة مستقلة في داخلية وبعد مدة تفريغ بالاستقلال وتنتصر له فاذا تم

استقلاله لا تلبث ان تبطل ثم تنتقل الى قسم آخر يوالي وهكذا ولما تقطعت الدولة
 العلية الى هذا المقصد تداركت الامر باصلاح الادارة على حسب ما تقتضيه اصول
 الشريعة ويزيل تلك الاعتراضات حتى تقوى وتمتع نفسها وتستميل بقية الدول الاورباوية
 الى انصافها من مشاحناتها فتعاطى المرحوم السلطان محمود مبادي الانتظام بعد ان لاقى
 متاعب شديدة مع العساكر النيكشارية الذين كانوا اعظم اسباب التخضرم في الممالك
 العثمانية العلية حيث عاثوا في الارض بظلم الرعية والاستيلاء على الاحكام السياسية في
 القاعدة وانحاء الممالك وخروجهم عن طاعة السلاطين وتلاعيبهم بهم هذا بعد ان كانوا هم
 عدة الاسلام وناشري اعلام انتصاره عند ما نظمته الدولة الى خلال القرن الحادي
 عشر فابتدأوا بما سبق ذكره وتعدوا عليه الى ان هنت الشوكة وتداركها السلطان
 محمود فزال ذلك الصنف بالمرء بعد حرب ذريعة ونظم عوضهم العساكر النظامية على نحو
 انتظام العساكر الاورباوية في الممالك المتقدمة مع انه كان اذ ذاك في تعب عظيم من حرب
 روسيا التي كانت خاتمتها معاهدة ادرنة الموهنة لتامر استقلال الدولة العلية والجماعة
 لروسيا اليد في احوال الممالك العلية وكذلك كان السلطان في مهم من ثورة الاغريق في
 جزيرة مورا واضيف اليه غدر الاسطول الانكليزي باسطول واساطيل الولايات التابعة
 للخلافة كصروتونس والجزائر اذ بينما تلك الاساطيل العظام راسية في بحر الجزر للاحتراس
 في شأن ثورة مورة واذا بالاسطول الانكليزي وارد عليها في صورة المعاضد لان السلم
 متأكد بين الدولتين ولم تكن بينهما شائبة حرب بالمرء واشارت الاساطيل الى بعضها
 بعلامات السلم فلم تلبث ان تخلفت بين الاساطيل العثمانية حتى اذا تم تمككها منها اطلقت
 عليها التيران من جميع الجهات في آن واحد مع شدة الانتقام والتدخل والمسلمون في
 حال الدعة اعتماداً على السلم المحقق فهلك جميع تلك الاساطيل وغرقت في لجة البحر
 دفعة واحدة بين فيها فكانت حادثة لا تنسى ولا تنمحي من صفحات التاريخ حتى ان اعضاء
 مجلس الاعيان ومجلس النواب من الانكليز انفسهم هاجوا وماجوا على دولهم من تلك
 الفعلة والزموا الوزراء بالحكمة والقصاص فانكر وزير البحرية اذنه بذلك وقال ان فعل
 رئيس الاسطول لما فعل هو اخيتار منه ولا علم للدولة به فألزمو اعضاءه والحكم عليه
 بالقتل وعند ما احضر وروفع في مجلس الحكم وصدر الحكم بقتله وعلم انه لم يبق له من
 اقبل على وزير البحرية وسارته في اذنه بقوله ايها الوزير ان تلك البطاقة التي يخطك
 قد نسبت ان احرقها وها هي الآن في جيبك فبهت وجهه واطرق صامتاً ثم عقد جلسة

سريته واطلق سبيل الرجل ويقال ان الحامل على ذلك ما هو مركز في طباع الدول سيما اذا كان القصد هو اركاس المسطوع عليه لا يأتري به الساطي بيد ان الدولة الانكليزية لم تزل من ذلك الوقت الى الآن تعاضد الدولة العلية وتنصح لها وتظاهرها متى استطاعت كما يأتي ومع هاتو الشدائد التي تقدمت الاشارة الى بعضها فالسلطان محمود رحمه الله ونعمه لم يزل جالداً مقداماً حتى انه لما بلغه خبر الاسطول وهو يحدث احد كبراء دولته لم يزد على سؤاله عن تحقق الامر من غير انزعاج ثم عاد لحديثه الذي كان فيه وشعر عن ساعد الجد في تمديد الاسطول وقرار الراحة بانتظام العساكر النظامية والاحكام السياسية والشرعية فاخترته المنية قبل الاستيابة وتسلطن ولده السلطان عبد المجيد فاخذ في السعي في الانتظام وتغيير السيرة القديمة الى التهذيب الوقفي الذي هو موافق للشرع العزيز كما يأتي في الفصل الرابع من الخاتمة واصدر فرمان العالي المحدث للتنظيمات وتعميره هو

من المعلوم عند الجميع ان دولتنا العلية لم تزل من مبدا ظهور امرها معنية بكمال الرعاية للاحكام القرآنية الشريفة والقوانين الشرعية المنيفة وان سلطنتنا السنية قد وصلت بذلك الى الدرجة القصوى من القوة والمكانة ورفاهية الرعايا وعمارة المدن والقرى الا انها منذ مائة وخمسين سنة تناقصت قوتها ومعمورية ممالكها واخذت في التاخر والضعف وذلك لغوائل متعاقبة واسباب متنوعة نشأ منها تجاوز الحدود الشرعية والقوانين المرعية ولا يخفى ان الممالك التي لا تنسج ادارتها على منوال القوانين الشرعية لا تدوم استقامتها فلذلك لم تزل افكارنا منذ جلوسنا على سرير الملك منصرفة الى تدبير وسائل عمارة الممالك ورفاهية الاهالي مما يحصل به المطلوب في مدة يسيرة بعون الله تعالى نظراً الى حسن الموقع الجغرافي المحنوي على ممالك دولتنا العلية ذات الاراضي الخصبة والاهالي ذوي الاستعداد وتمام القابلية الى ان راينا من المهم وضع قوانين جديدة مؤسسة على القواعد الشرعية المشيدة واعتمادنا في ذلك على الناية الربانية متوسلين بحكمة سيد البرية صلى الله عليه وسلم ومدار القوانين المشار اليها على وجوب حفظ النفس والعرض والمال وعلى بيان المرجع في تعيين الاداء وجلب العساكر اللازمة اما وجوب حفظ النفس والعرض فلكونهما اعز الامور الدنيوية فاذا خشي الانسان عليها اضطرب الى التشبث بمن يبرجو به وقايتها كائناً من كان وان لم يكن في اصل لمفهومه مجبولا على الحيانة ولا يخفى ان ذلك ما يضر بالدولة والمملكة بخلاف ما اذا كان آمناً

على نفسه وعرضه فإنه لا يجيد عن طريق الصدق والاستقامة وصرف الهمة الى حسن الخدمة لدولته وملكه. واما المال فان من نقد الامن عليه لا يتأتى له القيام بمقوق دولته اذ لا يتخول دائماً من شغل بال واضطراب حال بخلاف ما اذا كان آمناً على ماله فإنه يشغل نفسه بما يعنيه في دينه ودنياه وينظر في توسيع دائرة معارفه وعيشه وبذلك يتمكن من قلبه حب الوطن وتشده غيرة عليه وعلى دولته ويكون سعيه على حسب ذلك واما تعيين الاداء فالمرجع فيه ان كل دولة تحتاج في حفظ ممالكها الى القوة العسكرية كما تحتاج في ضبط تصرفاتها الى مصاريف لازمة فلا بد لها من مبلغ واثر من المال بحسب احتياجها وانما يتحصل ذلك بما يضرب على اتباع تلك الدولة نازم ان يوضع للاداء المشار اليه طريقة مستعينة وذلك ان الاستعداد وان بقيت معه ممالكها سالمة والحمد لله على ذلك لكن ظهرت آثاره من الاختلال والخراب وذلك لان جعل زمام مصالح المملكة السياسية وامورها المالية بيد شخص واحد موكولة الى اختياره بل لا مانع ان يقال موكولة الى قهره وجبره يتسبب عنه ما ذكر خصوصاً اذا لم يكن ذلك الشخص من اهل الخير فإنه يورث منفعة على منفعة الغير وتكون تصرفاته مبنية على الظلم والفساد فوجب لذلك ان نبادر بترتيب معيار مضبوط يعتبر في توزيع الاداء على الاهالي مراعى فيه قدر المكاسب واليسار بحيث لا يؤخذ من احد ما فوق مقدوره بعد ان يجعل لمصاريف الدولة اللازمة للعساكر وغيرها حد محدود بقوانين لا تعتمد اها واما جلب العساكر فهو من ام ما يتوقف عليه حفظ الدين والوطن والذب عنها فيلزم الاهالي ان يقدموا اشخاصاً منهم للخدمة العسكرية لكن الطريقة الجارية في ذلك الى الآن معا فيها من عدم الانتظام تؤدي الى اختلال اصول الزراعة والتجارة والى قلة التناسل (فيقع النقص في الاموال والانفس والثرات) ومنشأ ذلك عدم اعتبار عدد النفوس الموجودة ببلدان المملكة فيؤخذ من بعضها أكثر من المقدور ومن بعضها اقل من المسور واستمرار الجندي في الخدمة العسكرية مدة حياته وبذلك يقل النسل ويحصل الضجر الخلل بفوائد الخدمة المذكورة فبناء على ذلك نرى من اللازم اذا مست الحاجة لاخذ العسكر من المالك ان يوضع لذلك اصول مناسبة جارية على منهج المساواة المطلوبة ثم يسلك سبيل الاستخدام العسكري طريقة المناوبة بحيث لا يبق الشخص في الخدمة المذكورة أكثر من خمسة اعوام مثلاً فبهذه الاصول التي عليها مدار القوانين والتنظيمات يحصل بمعونة الله نمو العمران والقوة والامن والراحة فلذلك نقول يلزم من الآن فصاعداً ان لا يعامل احد

من ارباب الجرائم والجنایات بما يفضي الى اتلاف نفسه من سم ونحوه بدون مبالاة بل لا يحكم عليهم الا بما تقتضيه القوانين الشرعية وان لا يسلط احد على الوقوع في عرض آخر وهتك حرمتهم وان يتصرف كل انسان في امواله واملاكه بقاية الحرية وعدم المعارضة وان من جنى جناية لا يحرم ورثته من حق وراثته بالاستيلاء على امواله للجناية التي هم براء منها وهذه المساعدة مناجارية في حق المسلمين وغيرهم من اهل الملل التابعين لسلطنتنا بدون استثناء احد منهم ولا تمام الامان ونعمم الاطمئنان يزداد في اعضاء مجلس الاحكام العدلية قدر ما يلزم النظر في سائر الوازم وفصلها بما يتفق عليه الاكثر وعلى وكلاء دولتنا العلية ان يحضروا المجلس المذكور في بعض الايام ويدي كل واحد ما يستصوبه دون تحاش ولا مداراة واما المناوذة في شأن التنظيمات العسكرية فانها تكون بدار الشورى الكائنة بمجلس السر عسكر وكل ما يستقر عليه الرأي من القوانين يعرض علينا لنوشه باخط الميون ويكون دستور العمل الى ما شاء الله وحيث كان وضع القوانين الشرعية المشار اليها انما هو لاحياء الدين والدولة والملة أكدنا ذلك بالهد والميثاق من طرفنا الملكي على ان لا يصدر منا شيء يخالفها واقتننا على ذلك في بيت الخرقه الشريفة بحضور جميع العلماء والركلاء وسخلف كل منهم على ذلك فاذا صدر بعد ذلك من احد الوزراء والعلماء ما يخالف تلك القوانين الشرعية فانه يجازى بالتأديب المناسب لجريمته الثابتة بدون التفات لرتبته ولا مراعاة لذاته وحيث ان مأموري الدولة لهم مرتبات كافية ومن ليس له ذلك الآن سيرتب له ما يكفي وجب ان نشدد في قطع مواد الرشوة المستبشرة طبعاً وشرعاً بوضع قانون يخص عقوبتها ولاستبقاء التنظيمات المشار اليها والاصول المبينة هي عليها المنيرة للعوائد الجهورية القديمة وجب ان ننشر هذه الاوراق السلطانية الى صفراء الدول القنابة القيمين بالاستانة العلية ليكونوا شاهدين على امضائها كما ننشرها الى اهالي الاستانة وسائر ممالكنا الحميمة فنسعى في حل عرى هاتئ القوانين الموضوعة على اساس شرعي متين فليعلم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا ينال فلاحاً الى يوم الدين ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لاجراء هذا الخير العميم آمين . اهـ

ثم ان الجهلاء واصحاب الفوائد الشخصية من المتنبئين العلم او من اهل السياسة كادوا ان يمدثوا تحييراً في المالك باشاعة ان التنظيمات تضاد الديانة الاسلامية فاضطر المرحوم السلطان عبد المجيد الى ازالة هذا الوم من الافكار بارساله شيخ الاسلام احمد عارف الى المالك فقام فيهم خطيباً يشرح ان الشرع الحمدي لا يخالف التنظيمات بل

يقتضيها ولما كان هذا العالم معروفاً بالرسوخ في العلم والورع اتقادت العامة لمواظبه اما ذوو الغايات الخصوصية من ذوي الرياسات فلم يأنوا جهداً في تعطيل اجراء التنظيمات بالفعل الى ان وجدت روسيا سبيلاً الى المداخلة سنة ١٢٧٠ فاضطرت الدولة العلية الى حربها المعروفة بحرب القرم وظهرها كل من دولتي فرنسا وانكلترا وسرديانيا حيث توجه نامق باشا الى فرنسا والتي على مسامع الامبراطور نابليون الثالث باعانة وزيره دوروان دولويز ان غرض النظر عن تطاول روسيا لا تأمن بوائقه الدول الغربية لان روسيا لا تسمح الله لو تسلطت على الاستانة اما حساً او معنى للملك التسلط على البحر المتوسط وسجرت التجارة عن سائر الممالك الشرقية من الممالك الغربية وايضاً تحصل على النفوذ السياسي الذي تخضع به الدول الغربية اذا لم تقل انها تستولي عليها وحيث كانت فرنسا ناشرة راية النحر في المعمور لا يسوغ لها اغضاض النظر عن هذا الحادث وترك الدولة العلية منفردة مع خصمها الالده وسط هذا المعنى بجمرة نفس حركت الفخوة الفرنسية في الامبراطور فاجابه الى معاضدة الدولة العلية واثار عليه بان يستوثق من انكلترا بمحالفتها ومعاضدتها فما وصل الى لشدة حتى وجد القوم في قاتق من انتظاره وكادوا ان يحمّلوه على الاعناق وفتحت دار الندوة لمطليبه وتلقاه اهلها بالرحب والقبول وحماية الدمار فلم تلبث الحرب بضع اشهر حتى اعلنت فرنسا وانكلترا حربهما للروسيا وانضمت اليهما دولة سرديانيا اذ كان ذلك تسبباً منها لاتحاد ايطاليا ودخولها في زمرة الدول العظام وامتدت الحرب واستمرت نيرانها الى ان سلحت روسيا للصلح على شروط معاهدة باريس ومضمونها هو ابقاء استقلال الدولة العلية في جميع اجزاء ممالكها واستقلالها في سائر تصرفاتها الداخلية التي يشترط فيها الحرية والامن التام لرعاياها على اختلاف اصنافها واما الممالك التي لها استقلال في ادارتها وهم من النمسا كالبصرب والجبل الاسود والافلاق والبلغدان فتبقى بمنزلة الخراج للدولة تحت حمايتها واما البحر الاسود فيكون حائداً حتى لا يسوغ لاحدى الدولتين المالكيتين لشطوطه جعل سفن حربية فيه سوى عدد يسير لمجرد حفظ الراحة الداخلية وكذلك نهر الطونة يكون نهراً تجارياً فقط تحت منازرة جمعية اورباوية ومن ذلك الوقت تخلصت الدولة العلية من اقبال روسيا السابقة ودخلت في سلك الدول الاورباوية العظام وتكفلت الدول باستقلالها ومن سوء الحظ لم يزل اغلب المتوطنين في غفلاتهم مصرين على السيرة الاستبدادية والعدو منهم بالمرصاد فالف جمعيات سرية في قواعد مملكتهم وارسلت عمالها الى الولايات العثمانية التي اغلب

سكانها نصارى والقوا دسائهم بتعليم الثوران والقاء العداوة بين الراعي والرعية هذا وسفير روسيا في قاعدة الخلافة يحسن اوجه التودد الى روسيا والاستماع الى نصائحها الملائمة لطباع من استماله من الرجال من الاستمساك بالميرة الاستبدادية التي هي سيرة روسيا لكن على شرط التسليم في الولايات التي يسكنها الصقالية وبذلك تعقد دولة روسيا مع الدولة العلية معاهدة على الذب والاقدام وتعضها بمعاضدتها ممالك اسلامية عوضاً عما يخرج من عندها وتساعدوا ايضاً على الخط من ديونها الى المقدار الذي يظهر لما فازرت هذه الوسوس واعلنت الدولة العلية بعدم اقتدارها على دفع فائدة ديونها حتى اغناظت منها سكان اوربا واستعمل الاهمال في شأن تلك الجمعيات السرية حتى ثارت ولايتا بوسنه وهرسك ثم البلغار ثم الجبل الاسود ثم الصرب وتدارك رجال الدولة الصادقين الخطب بمنظمتهم الى الدسائس الباطلة التي ليس القصد منها الا اضعاف الدولة بيدها وجعلها في قبضة عدوها وافرادها عن الدول الناصحة لها مع انها استقرضت من رعاياهم منذ سنة ١٢٧٠ نحو خمسة الاف مليون فرنك ولم يحصل منها ومن مداخيل الدولة التي هي نحو عشرين مليوناً ليرة في السنة على عمر تلك السنين التي هي ثيف وعشرون سنة بما يصح ان يعد الا ما تضمنه التقرير الذي قراه الصدر الاعظم بهضر السلطان عبد العزيز في الباب العالي وهذا مضمونه « انه قد اتخذ جميع الوسائل اللازمة لاصلاح شأن الجبالس الحكيمة واثقان تنظيمها وترتيب خدمتها على اعدل وجه ممكن حتى ينال جميع رعايا الدولة منها غاية مأمولهم من حسن المعاملة والانصاف من غير مراعاة الجنسية ولا المذهب وانه بذل جهده في اصلاح قوى الدولة وتنظيمها على ما يعادل تنظيمات الدول الاخرى وان جملة العساكر مع الرديف تبلغ الآن ثمانمائة الف نفر تجهز الجهاز التام ومصحوبة بما يلزمها من المدافع المتقنة حسب الاختراعات الجديدة وان الاساطيل اعنى باصلاحها غاية الاعناء حتى اصبحت الدولة العثمانية الآن عندها منها ما يجعلها بمنزلة الدول البحرية الكبار وانه متى فجزت السفن المشروع الآن في انشائها في الترسانة العلية يكون للدولة من الفرقاطات المدرعة والمونيتور (وهي سفن ذات ابراج) سبعة عشر فلكا وانه أبرز الاوامر اللازمة لتحصين سائر حدود السلطنة بالابراج والحصون حسبما تقتضيه ضروريات الوقت وانه جهز ترسانات الدولة بالادوات والمكينات والمعدات اللازمة حتى صارت الآن تستطيع ان تجاري ترسانات اوربا في انشاء السفن الحربية او اصلاحها وانه يفرغ عما قريب من انشاء المصنع الجديد الذي شرع في انشاؤه

منذ مدة في الطوبخانة وهو مضع يستطيع ان يصب ثلاثمائة مدفع في كل عام من أحسن مدافع الشيشان وان اهتمته الآن بمساعدة وزير المعارف واقرائه الوزراء الاخر موجه الى تكثير عدد المكاتب والمدارس توفيراً لاسباب التعليم وترتيبها على وجه يمكن سائر الناس من الانتفاع بها الانتفاع المطلوب وان الاعمال المتعلقة بالسكك الحديدية والطرق المعدة لسير العجلات واقع الاهتمام بها من غير انقطاع ولا توان وان في اواخر اغسطس الآتي تكمل سكة الحديد المشروع في انشائها بين اسكودار وازميد وان الحرائث لا يزال موجهاً اليها كل ما تستحقه من عظم اعنائيه واهتمامه وتنال يومياً من التسهيلات سائر ما تحتاج اليه منها دوام اغفاء الادوات والآلات اللازمة لها على اختلاف انواعها من اداء رسوم الكرك على الاطلاق في سائر اقاليم السلطنة وهذا كله لزيادة ترغيب الناس في الاشتغال بها حالة كونها هي اعظم ينابيع الثروة في الممالك وختم الصدر الاعظم تقريره بقوله ان مالية الدولة باقية على ما كانت عليه . هذا وبعض التقرير لم يكن في الخارج طبق ما ذكر ولهذا تفاقم الامر فيما بعد الى ان استندت رجال السياسة والساكر الى فتوى من شيخ الاسلام في اخلال فكر السلطان واولوا السلطان مراداً وحيث كان ضعيف المراج واترجح بكيفية ولايته وبموت عمه وبالثورة على الوزراء من بعض المعينين لم يطق تحمل عبء الخلافة فاستند اهل الحل والعقد الى فتوى ايضاً واولوا سلطاناً عبد الحميد ايدته الله فتدرك امر الادارة باصداره الخط المهايوني عند تقليد البيعة وهذا تعريه " ان لما اعتزل اخي الاكرم حضرة السلطان مراد الخامس عن مشاغل السلطنة والخلافة وفورغ منها جلسنا بموجب القانون العثماني على تحت اجدادنا العظام وقد وجهنا لعمدكم مسند الصدارة العظمى ورياسة مجلس الوكلاء ابقاء وتجديداً بناء على ما لذاتكم من الروية المسلم بها والحكمة المجرية وما لكم من الوقوف والاطلاع على مهم امور الدولة وكذلك اقررنا جميع الوكلاء على مناصبهم وانني شديد الاتكال في جميع الاحوال على تسهيلات جناب موقفي الامور (هو الله سبحانه وتعالى) وتوفيقاته الصديقية وقصارى آمالي ومقاصدي معطوفة بالحصر لتأيد اساس شوكة دولتنا ومكنتها بحيث تنال صنوف تبعتنا بلا استثناء الحرية ويتشعرون جميعاً بنعمة العدالة والرفاهية فاؤمل بثقة تامة ان جميع وكلاء دولتنا وعمالها يشاركوننا في هذا الاثر ويعاونوننا عليه وقد عرف الناس اجمع بان حال الجحران والاعغشاش الملم بدولتنا له جهات واسباب متنوعة وصور واشكال متعددة فاذا امعنا النظر في ذلك من اي جهة كانت تجتمع مبادئ واسبابه في نقطة واحدة وهي عدم

جربان القوانين والنظامات المؤسسة على الاحكام الجلية الشرعية التي هي المسند الاساسي في دولنا على حقها وتامها واتباع كل فرد اهواء نفسه في ادارة الامور اما اتساع ميدان عدم الانتظام الطارىء على ادارة دولتنا ملكا ومالوما حصلت عليه امور مالتنا من عدم الامنية في الافكار العمومية وتعدر وصول الحكم الى الدرجة المتكفلة بتأمين حقوق الناس وتأخر استفادة مملكتنا حالة كونها قابلة لانواع وسائل العمران كالخرف والصنائع والتجارة والزراعة كما هو مسلم فهو من عدم الثبات الذي وقع على كل ما شرع به من الاجراءات وكل ما حصل من التثبثات الصادرة عن نية خالصة لتقصيد اعمار مملكتنا ورفاهية حال رعايانا وتبعتها وسعادة حالم ونواهل بدون استثناء الحرية الشخصية وكون ذلك باجمعه صار عرضة لتغييرات متنوعة منعت انتاج المقصد الاصلي فلا ريب في انه تولد ونشأ عن عدم الثبات باتباع القانون والنظام ولذا كان من اهم ما يلزم ان التدابير الواجب وضعها اولاً فاولاً في مطلب قوانين المملكة المقترضي وضعها وتنظيمها في صورة لتكفل بامنية العموم وتقتضيه ينبغي ان يتندا بها من هذه النقطة المهمة وهي ان يترتب مجلس عمومي تكون افعاله وآثاره مستوحاة ثقة العموم واعتماد ويكون موافقاً لقابلية مملكتنا واخلاق اهاليها كائناً باتمام تأمين اجراء القوانين حراً بحرف سواء كانت القوانين الموجودة او التي نتأسس من الآن فصاعداً توفيقاً (موافقة) لاحكام الشرع الشريف المقدسة ولما هو بالحقيقة ضروري ومشروع لمملكتنا وملتنا وناظرًا في موازنة واردات الدولة ومصاريفها فليبحث الوكلاء في هذا المطلب ويتذكروا فيه بتدقيق وتأمل ويعرضوا قراراتهم لدينا ويستأذنوا عنه ثم لما كانت مسألة توديع الماموريات الى غير اهله من المامورين وتبدلاتهم المتوالية من غير سبب مشروع هي من جملة الامور الباعنة على ايقاع جريان القوانين والنظامات كما ينبغي في حيز الاشكال وهذا مما ياتي بغير الضرر ملكاً ومصلحة ينبغي ان يتعين من الآن فصاعداً مسلك مخصوص لكل نوع من الخدم والماموريات وتنفذ قاعدة ثابتة يستفهم بمقتضاها في كل عمل من يكون اهلاً ولا يعزل احد او يبدل من مامورين بلا موجب على وجه ان تكون كافة الوكلاء وماموري الدولة كباراً وصغاراً مسئولين عن الوظائف الموكولة لهم كل بحسب درجته وكما هو معلوم لدى الخافقين ان ترقيات ملل اوربا المادية والمعنوية انما هي حاصلة بقوة الفنون والمعارف ولما كان استعداد كافة صنوف تبعتها وما فطروا عليه من الذكاء والحمد لله يؤهلهم من كل وجه للترقيات وام ما لدينا من الامور

الاسراع بتعميم المعارف فاحص ما تقتضاه والحالة هذه ان يحصل الاجتهاد بابللاغ
تخصيصات المعارف الى الدرجة الكافية حسبما يساعد الامكان وان تستحصل الوسائل
الموصله لتعميم نشر اصول المعارف على الفور ويبادر عاجلاً لاصلاح الاصول الملكية والمالية
والضبط في الولايات بحيث توضع ضمن دائرة الانتظام في صورة مناسبة للقاعدة التي
تتخذ في المركز وحيث ان الحادثة التي ظهرت في العام الماضي في اطراف هرسك وبوسنة
باغراء ارباب الاغراض قد انضم لها ايضاً مشكلة عصيان الصرب والدم الهرق من
الطرفين انما هو دم اولاد وطن واحد وكان دوام هذه الحال التي يرثي لها موجب لكدونا
ونائرنا الشديد يلزم التشبث بالتدابير المؤثرة المنضية لاستئصالها وفيما نؤيد مجدداً كافة
احكام المعاهدات المتعقدة مع الدول المتحابة نؤثر رعايتها على الوجه الحسن فينبغي المتابعة
بالاجتهاد على ازدياد روابط الحب والمسالمة المتبادلين بيننا وبين الدول ونسئل حضرة
الرب المتعال ان يقرن مساعدتنا جميعاً بتوفيقاته السخائية في كافة الاحوال آمين . يوم
الاحد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٣ »

ثم عمل الحزم في الثورة وقرر جميع العصاة في سائر الانحاء وعند ما رأته روسيا
تهملل الوسائل التي اعدتها لم تلاق صبراً حتى جيشت الجيوش ووقفت على قدم الحرب
بدعوى ان تعهدات الدولة العلية في حق النصارى لم تنجز وانهم لا زالوا في الظلم من
الولاية والتعدي من المسلمين وان تعهداتها الجديدة الموافقة للامحة الكونت اندرامي
وزير النمسا التي قدمها على وجه المودة والنصح والمساعدة للدولة العلية للاصلاحات المطلوبة
للولايات النائرة هي غير كافية ولم ترضهم فتريد اذا الدولة الروسية ان تطلب الاستقلال
في الادارة لتلك الولايات على ان تكون تحت حمايتها وانها تنفذ هذا بقوة السلاح لولا
ان انكفروا جاشت في حلقها وصرحت لما عند ما كانت تمد التائرين حساً ومعنى انها ان
لم تكف عن هذا الحرب السري فانها تدخل معها في الحرب الجهري وكذلك دولة النمسا
اظهرت القمطرش من جهتها خوفاً من كل منعا على مصالحها اذ دولة الانكليز تخاف من
تملك روسيا خليج فارس وخليج السويس وبذلك تسقط من يدها مستعمراتها في الهند
ودولة النمسا تخشى عو كعب الصقالية بمجوارها فيظفرون عليها وتلاشى فيها بينهم مع باقيه
التآلف بين العثمانيين والهنكاريين الذين هم قسم مستقل من مملكة النمسا حتى ان رئيس
الدولة يلقب بامبراطور النمسا وملك هنكاري وهذا التآلف جاء من مساعدة العثمانيين
لهم عند ما كان قسم النمسا قاهراً لهنكارياء ومستبداً عليها في التصرفات السياسية غير

أه منع كل من الدولتين مانع من انفاذ قصدها بالفعل . فاما دولة انكلترا فانها لما كانت دولة حرة مجتة لم يكن في قدرتها التصرف الأعلى طبق ارادة الامة وامتها منقسمة الى حزبين احدهما يسمى حزب المحافظين والثاني يسمى حزب الاحرار وتقدم بسط هذه التسمية في الكلام على انكلترا وكان الحزب الثاني مضاداً لاتصار دولته للدولة العلية حتى انه لما كان يبدو زمام التصرف في سنة ١٢٨٨ وانتهزت روسيا الفرصة من حرب جرمانيا وفرنسا فطلبت تغيير معاهدة باريس فيما يتعلق بتقوية شأنها في البحر الاسود ساعدت اذ ذلك دولة انكلترا على ذلك المطلب وغير شرطه وفي هاتين النازله المتكلم عليها كان التصرف بيد حزب المحافظين لكن الحزب الآخر مضاد لم وكاد ان يجذب اليه الحزب الآخر فلم يكن في وسع زعماء هذا الحزب الذين يدعم زمام تصرف الدولة ان يخالفوه بالمرة سيما والباحث على انفاذ سياستهم مع المخالفة لم يحصل في هاتين المسألة كما يفقه البصير واضف الى ذلك عدم تحقق محالف ذي قوة برية معتبرة يمكن لانكلترا ان تعاضد معه للاتصار للدولة العلية لان فرنسا الوحيدة لمثل ذلك لم يكن في وسعها الارتباك في الحرب لما تقدم في الفصل الثالث من المقصد في الكلام على فرنسا وهذا السبب المتعلق بفرنسا ذاته هو الذي نكس دولة النمسا عن انفاذ قصد المنكاريين في معاهدة الدولة العلية حيث ان الموازنة الاورباوية تغيرت وتحالف الامبراطرة الثلاثة اي امبراطور المانيا ، روسيا والنمسا اما حقيقة واما حكماً على مساعدة بعضهم ونفهم كما بينت في الحوادث فلاجل الجواذب المتباينة المشار اليها غاية ما استطاعته كل من انكلترا والنمسا كبحج روسيا ان عقدوا مؤتمراً في الاستانة للاتفاق ما بين الدول الموقعين على معاهدة باريس على ما ينصلح به الحال ويرجع السلم بين الدولتين المتنازعتين فأرسي امرهم فيه على ان طلبوا من الدولة العلية ما يأتي

أولاً - تغيير حدود الجبل الاسود باعطائهم بعض اراضي من المملكة العثمانية . ثانياً - تشكيل لجنة من مرخصي الدول الاورباوية لتعيين تلك الحدود الجديدة . ثالثاً - ابقاء حكومة الصرب على الحالة السالفة بأن تكون لاهل ولا عليها وتقرر حدودها من جهة بوسنة عملاً بمقتضى الخط السلطاني الصادر سنة ١٢٣٢ . رابعاً - الولاة الذين يتعينون الى بوسنة وهرسك والبلغار ينتخبون من جانب الباب العالي مع موافقة دول اوربا في ذلك وابقائهم في مأمورياتهم مدة خمس سنين . خامساً - نظراً الى الموقع الجغرافي تقسم تلك الولايات الى الوية ويتعين لها متصرفون من جانب الباب العالي بعد انتخاب اولئك الولاة لهم . سادساً

انشاء مجلس مركب من ثلاثة اعضاء بكل من الولايات تنتخبهم مجالس الولايات لتعير
 دخل الولاية وخرجها وانتخاب اعضاء مجالس الادارة وتوزيع الضرائب السلطانية على
 الاهالي ما عدا رسوم الكرك والدخان الراجعة للدولة العلية . سابعاً ابطال طريقة التزام
 مداخيل الدولة واسقاط البقايا السابقة بكل من الولايات الثلاث . ثامناً دخل الولايات
 المذكورة عدا ما هو راجع للدولة كالدخان والكرك يعطى منه قسط لخزينة الدولة
 العلية والقسط الباقي يصرف في مصالح الولايات المذكورة وينظم لكل منها دستور للعمل
 بذلك . تاسعاً ترتيب المحاكم النظامية . عاشرًا اعطاء حرية الاديان . حادي عشر تنظيم
 الحرس الاهلي . ثاني عشر العفو العمومي عما سبق من الجنايات السياسية . ثالث عشر
 اعطاء رخصة للاهالي في شراء الاراضي السلطانية . رابع عشر الشروع في تنفيذ تلك
 الشروط قبل مضي ثلاثة اشهر . خامس عشر تعيين لجنات من طرف دول اوربا
 للاحتساب على اجراء تلك الشروط . غير ان الدولة العلية امتنعت من قبول الاقتراحات
 المذكورة مبنجة بانها صارت دولة قانونية حرية لجميع اصناف رعاياها على السواء
 بالقانون الاساسي الذي احاط به المملكة السلطان الغازي عبد الحميد ايد الله ملكه وقد
 سبقت الاشارة اليه في فرمان الذي اصدره عند البيعة العامة وبرزه للعمل بالفعل
 عند ما كان المؤتمر في مفاوضاته واصحبه بالخط الشريف الآتي نص تعريفيه في موكب
 مشهود وكانت تلاوته في يوم كآته يوم عيد وهو

” وزيرى سميع المالى مدحت باشا

” ان سطوة سلطنتنا كانت في حالة التهقرة في الايام السالفة واسباب ذلك التقهقر لم
 تكن ناشئة عن المشاق الخارجية فقط بل انما وقعت لاجل الانحراف عن الطريقة المستقيمة
 في الادارة الداخلية حتى ضعفت امانتي وثوق الرعايا بالدولة ولذلك كان المرحوم والدنا
 الماحد السلطان عبد الحميد منح بعض اصول في تحسين الادارة معروفة بالتنظيمات الخيرية
 اشتملت على تأمين جميع الرعايا في انفسهم ومالهم وعرضهم وشرفهم طبقاً لقواعد شريعة المطهرة
 والتنظيمات المذكورة هي التي كانت سبباً لابقاء السلطنة محافظة على لوازم الامنية الى
 الآن ومن آثارها المشكورة انها سهلت لنا نجاح مساعيها في تأسيس هذا القانون الجديد
 الذي اقتضته اراء رجال دولتنا التي نجت عنهم بهرمتهم حيث استندوا الى تلك الامنية
 وقد تسر لنا في هذا اليوم الاعلان به . ولما كان هذا اليوم من الايام السعيدة فانه
 يلزمني ان لذكر الان المقدس المرحوم والدنا ونصفه بعنوان محيي الدولة وان نذكر

مقاصده الحسنة ولا شك انه كان سعى بنفسه في ادخال السلطنة في العهد القانوني الذي سنستظل به الان ولو توفرت مدة تأسيس التنظيمات الخيرية الاسباب المتوفرة الان لكاث والدنا المرحوم اسس اذ ذاك احكام هذا القانون الاساسي ولكن العزة الالهية قدرت ان يكون هذا التبديل السعيد الذي هو الكفالة العظمى لخير رعايانا في مدة ولايتنا والله المنع على ذلك. ومن المعلوم المقرر ان اصول ادارة الدولة صارت مقايير للتبدلات المتتابة التي وقعت شيئاً فشيئاً في تصرفاتنا الداخلية وفي زيادة خلطتنا مع الدول الاحباب وغاية مرغوبا ازالة جميع الاسباب المألعة للامة وللبلاد من الانتفاع بالنتائج الطبيعية التي لم حق فيها كما يلزم وان ترى جميع رعايانا قد جاوزوا الحقوق التي من علائق الاسم المهدبة بحيث يكون كلهم متعاضدين بنية سائلة في التقدم والالفة والاتحاد فكان من الواجب اتخاذ طريقة نافعة مستقيمة للحصول على المقصد المذكور ووقاية حقوق الدولة ومحو الخطيئات والغلطات الناتجة من الاعمال الغير المباهة الناشئة من وجود التصرف الاستبدادي بيد نفر واحد او بعض انفراد وان تمنح حقوقا متساوية لجميع الطوائف المركبة منهم الامة وان نجعلهم في حالة يمكنهم معها الانتفاع بخير الحرية والعدل والتسوية ولا فرق بينهم في ذلك وهذا هو الوجه الوحيد الصالح للحياة جميع المصالح وضماناتها وهذه القواعد الكلية التي تحت وجوب عمل آخر مفيد للغاية وهو وجوب تقييد اساس ادارتنا بصورة شورية قانونية ولذلك لما اصدرونا خطنا عند صعودنا على كرسي السلطنة قررنا لزوم احداث مجلس للامة (وفي الاصل برلمان) وقد اشغلت جمعية خاصة مشكلة من رجال دولتنا واهل العلم والمتوظفين الاعيان في تأسيس اصول هذا القانون بغاية التدقيق ثم وقع التامل منها بمجلس وزرائنا والموافقة عليها وهذا القانون اشتمل على اثبات الحقوق الراجعة للذات السلطانية وحرية جميع الرعايا العثمانيين السياسية والرفية وتسويتهم لدى الاحكام السياسية والرفية ايضا وبيان مسئولية الوزراء والمتوظفين ومتعلقات وظرفهم وحق بمجلس الامة في الاحساب على اعمالهم واستقلال المجالس الحكيمة في خدمتها والمعادلة بين دخل الدولة وخرجها معادلة حقيقية وقسمة التصرفات الحكيمة بالاولان مع بقاء النظر الاعلى فيها للدولة وجميع هذه الاصول المطابقة لاحكام الشريعة المطهرة ولضروريات الوقت ولمرغوبنا قابلت النية الحسنة التي شأنها تحقيق خير الجميع حيث ان ذلك غاية المراد وقد جعلت اتكلي على الله وعلى امداد رسوله في ذلك وانطت لمهدتهم هذا القانون بعد ان وافقت عليه بامضائي السلطاني ويقع العمل به حالا بحول الله في جميع جهات السلطنة

فالآن ارادتنا انكم تعملوا بهذا القانون وتجروا العمل بمقتضاه من هذا اليوم كما يجب عليكم ايضاً اتخاذ جميع الوسائل اللازمة المتأكدة للاشتغال في تهيئة الترتيب التي تضمن ذكرها القانون المذكور والله تعالى المستول ان يقارن بالنجاح سعي كل من اشتغل فيها يؤول الى نجاه السلطنة والامة وكتب في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٢٩٣ .

فهران اعضاء المؤتمر لم يقتنعهم ذلك وسافروا جميعاً من الاستانة دفعة واحدة مظهرين الضدية للدولة العلية والدولة لم تكتث بذلك حيث ان ما فعلته من الرفض لمطالهم كان عن رأي الامة لانها عقدت مجلساً عاماً من جميع وجوه اصناف رعيها حتى انه حضره المعروف بالدراية والديانة امير الامراء (الفرقي) رسم باشا وزير الحربية اذ ذاك في المملكة التونسية حيث كان رسولا عن اميرنا في هيئة حضرة السلطان بالولاية واجمع جميع اولئك الاعيان على اختلاف ديانتهم على رفض تلك المطالب بل ان النصارى واليهود منهم قالوا نؤثر ارافة آخر نقطة من دمنا وصرف آخر درهم من مالنا على حفظ شرف مملكتنا من الاهانة بالتهزئة وان كان هذا لم يد فينا بعد حقيقة الأمن البعض دون البعض هذا بعد حين كان عرف جميعهم الرجل الوحيد مدحت باشا صاحب الصدارة اذ ذاك بمواقب الانفراد عن الدول واحتمال تصميم جميعا لكي يتصرفوا وليعلم حقيقة ضميرهم فلم يتزحزحوا شيئاً فانفذ السلطان ووزيره هذا الرفض والله درهم من رجال اذ لم يسع سائر الامم الانصالح والاذعان بان لهم الحق في رفض ذلك الاقتراح بل ان اللورد صاليسوري اشد الخاصين في المؤتمر قال عند ما استقر بمجلس الوزراء في انكلترا لقد انصف القوم في رفضهم للمطالب نعم ان الخصم زاد تألباً وأعلن بان الدولة العلية اهانت اوربا لكي يوه اسحقاف في اشهار الحرب بيد ان انكلترا مع ذلك لم تسمع له بما اراد وألحت على التطل للدولة العلية واجتمع سفراء الدول في انكلترا واستقر امرهم على لائحة هذا نص ترجمها « ان الدول التي تعاطت عموماً اسباب سلم المشرق واشتركت لهذا المقصود في مؤتمر الاستانة قد رأت ان الطريقة الوحيدة في بلوغ المقصد الذي اعتمدت عليه في المحافظة على التوافق الذي وقع من حسن الخيف بينهم ومع ذلك يجددون تقرير امر بعضهم وهو من مصالح العموم اعني تحسين حالة امم النصارى بالممالك العثمانية واجراء الاصلاحات في بوسنه وهرسك والبلغار حسبما قبله الباب العالي على ان يجرها من عند نفسه ولذلك اعتبر عقد الصلح مع الصرب هجمة اما ما يتعلق بالجيل الاسود فان الدول تعتبر عقد الصلح معاً امراً مرغوباً فيه ولا بد له من توطيد يقع تعديل الحدود وتعطي حرية الجولان في

نهر البوينا لان الدول تعتبر التأويلات التي تقع او ستقع بين الباب العالي وهاتين الولاياتين
كأنها تقدمت خطوة الى السكون الذي هو الداعي لرغبتهم العمومية ولهذا يستدعون الباب
العالي لتوكيده بترجييع العساكر على قدم السلم ولا يبقى منها هناك غير عدد العساكر اللازمة
لتقرير الراحة وبإجراء الاصلاحات اللازمة للراحة وخير الولايات في اقرب
وقت حتى يقع ما اشتغل به المؤتمر وقرروا بمقتضاه ان الباب العالي حاضرا الى اجراء
القسم المهم من تلك المطالب واتخذوا منشوره المؤرخ في ١٣ فبراير سنة ١٨٧٦ وما
قررتة الدولة العثمانية في المؤتمر حجة سببا وذلك كان علي يد وكلائها وقد كان ظنر للدول
بالنظر الى استعدادات الباب العالي الحسنة ومصالحه الحقيقية في اجرائها انها متيقنة بما
أملتة من ان الباب العالي حيث انتهز هذه الفرصة الحاضرة فانه يقوم بحزم لاجراء الوسائل
المعدة لتسكين حال النصارى حقيقة وهذا المطلوب من الامور الضرورية لراحة اوربا
وحيث سلك هذه الطريقة علم يقيناً ان من شرفه ومصالحه ان يجهد في ذلك بعزم على
وجه مستقيم فتطلب الدول اذ ذاك ان تلاحظ كيفية اجراء الدولة العثمانية مواعيدها
بواسطة وكلائهم في الاستانة ونوابهم واذا بات مأموهم عديم النجاح مرة اخرى بان لم
تحسن حال النصارى رعايا حضرة السلطان بكيفية تمنع رجوع الشعبات التي تضطرب
بها دائماً راحة المشرق فاعلم سيظهر لهم من الواجب ان يقرروا ان مثل هذا الحادث
لا يوافق مصالحهم ومصالح اوربا عموماً وفي هذا الحال تحتفظ الدول باعلان ما يرونه
عموماً من الطرق التي ستظهر لهم التزاماً لتقرير خير الامم النصارى ومصالح السلم العمومي .
وكتب في لندرة في ٣١ مارس سنة ١٨٧٧ «

وارسلوها للدولة العلية كالبلاغ الاخير لرفضتها وباليتمها قبلتها اذ هي مطابقة لما كان
اصدرته من فرمان المطابق للأشعة الكونت اندراسي والمراقبة من الدول اذا كان اجراء
الاصلاح حقيقة مقصوداً لا خير فيها سيما ونفس معاهدة باريس المصراحة بكامل استقلال
الدولة العلية في ادارة ممالكها هي ايضاً مصراحة باشتراط اصلاح الادارة المتضمن للمراقبة
الدول لها اذ لا معنى لجعلها شرطاً في معاهدتهم الا ان يكون لهم حق في طلب اجرائها كما
يطلبون اجراء سائر شروط المعاهدة نعم في ذلك ما بنا في النخوة لكن باب ارتكاب
اخف الضررين لا ينسى ولا يخفى ان دولة روسيا تشمل ما ينفي عن الجانبين مليوناً
واذا اضيف لها مظاهروها من اتباع الدولة العلية كانت نحو تسعين مليوناً من النفوس
وهي مرتاحة من الحرب وتنبأت لها منذ عشرين سنة واوصلت سمك الحديد الى اطراف

مالكها التي يعتنى بها ولا ينسى أنه منذ ثلاثة وعشرين سنة فقط قد حاربها أربع دول
معا وكانت الحرب بينهم سجالاً والدولة العلية لا تشمل أكثر من أربعين مليوناً منهم خمسة
عشر مليوناً أكثرهم معاضد لعدوها بالمال والرجال واقلهم لا يعينون بالمال إلا عن مضض
فضلاً عن الاتساع وقد كانت اذ ذاك في حرب أهلية دامت نحو السنتين ولم تنهياً بكال
الاستعداد لتقوم انتصار الدول لها فاذا هم قد اتفردوا عنها وتركوها وخصمها فقامت
الحرب على ساق وظهر من صناديد العثمانيين ما هو معروف حتى اقر سائر الاجناس لم
بانهم امة لم تزل حية سيما ما يدا من عسكر البطل الفازي عثمان باشا المشير فانه قاتل
في بيلغنا التي صيرها حصناً عظيماً في مدة حربه بجيش لا يبلغ الاربعين الفاً جيشاً عرمرماً
من الروس والرومانيا يتجاوز المائة والعشرين الفاً وقتل منهم ما ينيف على عدد جيشه
ولولا سبقيّة القدر بعدم اتجاذه لما تيسر للروس مجرد حصار جيشه حتى اضطر الى
المجئوم غرق الحصار بن بقي سليماً من جيشه الذي قدره سبعة وعشرون الفاً فراكث
عليه مائة الف او يزيدون الى ان خرج واضطر للتسليم فاقبل عليه القيصر نفسه ولا سلم
له سيفه قال له " ان مثلك ايها البطل يحق له الفخر الدائم " ورد اليه السيف وكفى بذلك
شهادة له فصحي الجول لروسيا وتقدمت الى ان بلغت جوار القسطنطينية وامتنعت من
توسط الدول في الصلح حتى طلبته الدولة العلية منها رأساً وعقد على شروط تضمنتها
معاهدة سان استيفانوس وهذا نص لمعربها

« الشرط الاول انه بموجب الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة وبمقتضى الشروط
والوجوه الاتي ذكرها تقرر تصحيح حدود ممالك الدولة العلية والجبل الاسود وذلك
لاجل انتهاء المنازعات والمصادمات المتتالية الوقوع فيما بينها فالحدود تمتد من جبل
دوبروزيجه على الوجه الذي عينه المؤتمر الذي كان حصل في الاستانة الى غوربتو ويملكه
والحد الجديد يستطيل الى غاجقة وعلى هذا متوتركيا غاجقو تبقى سيفي تصرف الجبل
الاسود وتمتد الحدود ايضاً من مجمع انهر بيوه ونارة وتمر من نهر درين الى جهة الشمال
وتنتهي الى مجمع هذا النهر مع النهر المعبر عنه فيم واما حدود الجبل المذكور الشرقية
فتبتدي من نهر فيم الى بريرة بورلة ومن روستراق الى سوق بلاتينا وبيهور وروستراق
تتبعان داخل الجبل فعلى ذلك يكون تحديد الخطوط هكذا اعني من الجبال المسلسلة
الجامعة لروغوة وبلاو وكوزنره الى شلب باقليتي ومن رؤوس جبال قوبريونيق وباباور
وبورور حذاء حدود بلاد الارناوط الى اعلى ذروة جبل بروقليتي ومن هذه النقطة الى

كثيب يسقاشيق وينتهي الحد على الخط المستقيم الى عين الماء في جيسي هوتي ويفصل
فما بين جيسي هوتي وجيسي قاستراني ويتجاوز ماء اشقودرة الى ان ينتهي لنهر
بويانة وهكذا مع النهر الى مصبه في البحر وبموجب ذلك تبقى نكسيك وناشقه واشبوزي
وبودغوريجية وزابلياق وبارضمن الجبل المذكور وقد يصير تعيين حدود امارة الجبل
قطعيًا بمعرفة لجنة مركبة من بعض مأموري دول اوربا بشرط ان تكون وكلاء الباب
العالي والجبل معهم ايضًا فهذه اللجنة تلاحظ منافع الطرفين وامنية البلاد الكائنة في
الجهتين ثم تشير في الخريطة الى التعديلات التي ترى لما لزومًا وتعلم انها هي الحق وتوضح
في ذلك ما رآته من صالح الجهتين ثم لا يخفى ان امر سير السفن في نهر بويانة لم يزل
يغلب النزاع فيما بين الباب العالي والجبل الاسود فلحل قطع هذا النزاع يصير تحرير
نظام ذلك بمعرفة اللجنة المذكورة

الشرط الثاني. ان الباب العالي يثبت استغلال امارة الجبل الاسود على الوجه القطعي
ثم فيما ياتي نقرر فيما بين دولة روسيا والدولة العلية والامارة المذكورة كيفية المناسبات
التي ستكون بين الباب العالي والجبل وقضية تعيين وكلاء من طرف الامارة في الاستانة
وفما يقتضيه الحال من مالكتها ويتقرر ايضًا امر اعادة ارباب الجنبايات الذين يفرون من
بلاد الدولة العلية الى الجبل ومن الجبل الى بلاد الدولة وامر اطاعة اهل الجبل المقيمين
او المارين في بلاد الدولة العلية واقتيادهم الى نظمات ومأموري الدولة طبق الحقوق
الجارية بين الدول والمعدات والمعاملات القديمة التي كانت تجري بينهم في بلاد الدولة
وستنقد ايضًا مقالة فيما بين الباب العالي والجبل الاسود لاجل توضيح وتنظيم المسائل
المتعلقة بالانشآت العسكرية في قرب الحدود واحوال ومناسبات الاهالي المتجاورة
هناك واذا اختلف الباب العالي مع الجبل في بعض مسائل ولم يكن فصلها باتفاقها فنسب
بينهما دولتا روسيا واوكرانيا ومن بعد هذه المعاهدة اذا وقعت مباحة او مصادمة
فما بين الباب العالي والجبل ما عدا المطالبات الملكية الجديدة ينبغي ان يفوض امرها
الى دولتي روسيا واوكرانيا باتفاقها بفصلانها بينهما وقد نقرر انه من بعد امضاء
مقدمات الصلح الى عشرة ايام يجب على عساكر الجبل الاسود ان يخرج من البلاد التي
الداخله ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الثالث. ان امارة الصرب تكون مستقلة ويكون حدس بموجب الخريطة
المربوطة لهذه المعاهدة يجري نهر « درين » وتبقى « كوجك ازورنيق » و « سقار » في

ادارة الصرب ويمتد هذا الحد الى منبع نهر «ر زهوه» الكائن بجوار «استايلاق» على حسب الحدود القديمة وتبتدى الحدود الجديدة من هنا اعني مع مجرى نهر زهوه الى نهر راسقة ومنه الى «يكي بازار» ومن يكي بازار يصعد لخط الفاصل ويمر من جوار قريتي «مهنره» و«ارغويج» الى اعلى النهر المذكور حتي ينتهي الى منبعه ويمتد الى بوسور بلاتينا الكائنة سيف وادي ايار وينزل مع الماء الجاري الذي يصب في النهر المذكور ومنه يسير مع انهر ايار وسيدج ولاب الى منبع نهر ياتسه الكائن في جبل غرابا شينجة بلاتينا وبعدما يمر من التلال الفاصلة بين نهري قريه وثرينجة ومن اقصر الطرق الموجودة على مصب نهر ميرو واجقة حتى ينتهي ايضا الى نهر وثرينجة ويسير مع هذا النهر ويقطع ميرو واجقة وبلاتينا ويصل الى جهة موراوة في قرب قرية قاليانس ومن هنا يسير الى قرب قرية استايقوجي ويجمع هناك مع نهر بلوسينه وهكذا مع النهر الى موراوة ويمتد مع النهر الى اعلى حتى يصل الى «قوتناويجة» ويقطع سوق بلاتينا ويجمع بنهر نيساوة ويتصل بقرية قرونجياج ومنها يمر من اقصر الطرق ويمتد على حدود الصرب القديمة الى جنوب شرق «قرو ول بور» وعلى هذا الخط يتصل بنهر الطونة وتقرر اخلاء «اطه قلعة» وهدمها وترتيب لجنة مركبة من «أموري الدولة العلية والصرب لاجل تعيين خط الحدود على الوجه القطعي في برهة ثلاثة اشهر ويكون ذلك بمعاونة مأمورين من طرف دولة روسيا وهذه اللجنة تفصل ايضا المسائل المتعلقة بجزائر نهر «درين» وتقطعها وحيثما تبتدى هذه اللجنة بتعيين الحدود الفاصلة بين بلاد الصرب والبغار ينبغي ان يكون وكيل واحد من طرف البغار بين يشترك معهم في هذا الامر

الشرط الرابع ان المسلمين الذين لم املاك في البلاد التي صار الحاقها بالصرب اذا لم يريدوا الاقامة هناك فلهم اختيار ان احبوا اجروا املاكهم وان احبوا اقاموا وكلاء من طرفهم لاجل حفظها واستغلالها والمسائل المتعلقة باموالهم الغير المشقولة تقصلا لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والصرب باعانة مأمورين من طرف دولة روسيا في ظرف سنتين وهذه اللجنة تفصل ايضا في برهة ثلاث سنين امر فراخ املاك الدولة والاقواف والمسائل المتعلقة ببعض الاشخاص الذين لم علاقة ونفع في الاملاك المذكورة وذلك يكون بحسب العقاد المعاهدة فيما بين الدولة العلية والصرب والانس المقيون او الذين يمولون في بلاد الدولة العلية من تبة الصرب تكون المعاملة معهم على القواعد الكلية بمقتضى الحقوق الكائنة بين الدول وقد تقرر انه من بعد امضاء مقدمات الصلح الى خمسة عشر يوما

يجب على عساكر الصرب ان يخرج من البلاد التي ليست داخلية في ضمن الحدود المذكورة اعلاه

الشرط الخامس. ان الباب العالمي قد اثبت استقلال رومانيا اعني المملكتين ولها ان تطلب من الدولة العلية غرامة الحرب وتجري المذاكرة بهذا الشأن فيما بينها وعند ما تنعقد المعاهدة بين الدولة العلية ورومانيا تنال تبعة رومانيا الامن والامتياز طبق تبعة دول اوربا الشرط السادس. نقرر ان تكون البلغار امانة غنثارة في ادارتها تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون مأمورو الحكومة والعساكر الاهلية من المسيحيين ويصير تعيين حدودها على الوجه القطعي بمعرفة لجنة مركبة من مأموري الدولة العلية والروسيا وذلك قبل خروج عساكر الروسيا من الروم اليها وهذه اللجنة تبين هناك في الخريطة التعديلات التي ينبغي ابرائها وتلاحظ مليّة أكثر الاهالي وتوضح المنافع المحلية تطبيقاً لفن تخطيط الاراضي ونقرر تعيين وتبين مقدار اتساع ملك الصقالية في خريطة وجعلها اساساً في قطع الحدود وخط الحدود يتبدى من حدود الصرب الجديدة ومن غرب « وراجه » الى سلسلة الجبل الاسود ومن جهة الغرب يمر من غرب « قومانه » و « قوجاني » و « قلغان دلي » الى جبل « قوارب » ومن هناك يمر من نهر « بوجيج » الى درينه ويلتقي الى جهة الجنوب الى حدود غرب قضاء اخرى حتى ينتهي الى جبل ليناس ومنه يمر من غربي كوريجيه واستاوره ويتصل ببجل غراموس وكذلك يمر من ماء « قاستريا » ويلتصق بنهر موغلينجيه ويسير مع النهر الى « بكيج » ويمر من نهر وارديكيجيه ومن مصب نهر « واردار » وقرية « غاليقو » الى قراء « بارغ » و « حاري كوي » وهناك يمر من وسط عين الماء المبرعنة « بشيك كل » الى مصب نهر « استروما » و « قره صو » ومن السواحل الى « بوروكل » ويمتد الى الشمال الغربي ويمر من سلسلة جبل « رودوب » الى جبلي « جالبه » و « اشوه » ويمر من جبال « اشك قولاج » و « جيبليون » و « قره قولاس » و « جيقار » الى « نهر ارد » ويلتفت لجهة الجنوب ويمر من قراء سوكوتلين وقره حمزة وارناود كوي واقارجي وينتهي الى « تكه دره سي » سيف قرب « ادرنه » ومن تكه دره سي و « جورلي دره سي » الى « لوله برغوسي » ومن هنا وعن نهر « صوجق دره » الى قرية « سوركن » ومنها من التلال ويقطع « حكيم طايه سي » حتى يتصل في ساحل البحر الاسود وينتدئ ايضاً من « منقاليه » ويترك السواحل ويمر من شمال حدود لواء طولجي ومن فرق راسوه الى نهر الطونه

الشرط السابع . ان امير البلغار يصير انتخاباً من طرف الاهالي بالحرية التامة والباب العالي يثبت بافهام اراء الدول ولا يجوز انتخاب احد من اقارب ملوك دول اوربا الجالسين على سرير الملك للامارة المذكورة وحينئذ تنحل الامارة كذلك يكون انتخاب الامير الجديد على هذا المنوال وهاتئ الشروط وقد تقرر انه ينبغي من قبل انتخاب الامير ان يجتمع مجلس معتري البلغار اما في « فله » واما في « طرنوفا » تحت نظارة مأمورين من طرف روسيا وفي حضور مأمورين من طرف الدولة العلية وتؤسس نظمات هذه الادارة المستقلة توفيقاً لامثالها اعني لنظامات المملكيتين التي تنظم في سنة ١٨٣٠ غب انعقاد مصالح « ادرنه » وعند تأسيس تلك النظامات تستصير راية حقوق ومنافع الاهالي من المسلمين والاروم والاولاخ وغيرهم الموجودين والمختلطين مع البلغاريين وتقرر ايضاً احالة تأسيس هذه الادارة الجديدة في البلغار مع ما يترتب من النظر في صور اجرائها لعهدة مأمورين موظفين من طرف دولة روسيا من هنا الى سنتين وفي انقضاء السنة الاولى من تأسيس الادارة الجديدة اذا لم يحصل اتفاق بهذا الشأن فيما بين روسيا والباب العالي ودول اوربا يكون للدول المشار اليهم حق ان يوظفوا مأمورين يراقبون المأمورين الروسين

الشرط الثامن . ليس لمساکر الدولة العثمانية حق بعد هذا . لتقامة في البلغار وسيصير هدم القلاع القديمة الكائنة هناك بعمرة الحكومة المحلية وان الباب العالي له حق ان يتصرف بالادوات الحربية الموجودة في قلاع الطونة التي صار اخلاؤها من المساکر بموجب سند المشاركة الذي تم في ٣١ يناير والاكات الحربية الكائنة في مدينتي شمشي ووارنه وجميع الاملاك المتعلقة بالحكومة العثمانية كيفما شاء وتبقى عساكر روسيا في البلغار مقيمة الى ان ينتهي ترتيب المساکر الاهلية الكافلة لحفظ الراحة وتوطيد الامنية واذا اقتضت الحال يقومون فعلاً باعانة المأمورين وسيصير تعيين عدد المساکر الاهلية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولة روسيا وان مدة اقامة عساكر روسيا في البلغار تكون سنتين والمساکر التي تبقى هناك بعد خروج جميع المساکر الروسية من بلاد الدولة العلية تكون عبارة عن ست فرق مشاة وفرنقتين خيالة وجميعاً خمسون الفا ومصروف هؤلاء المساکر يكون على البلغار ويكون لها طرق مراسلات في المملكيتين في شطوط البحر الاسود من جهة وارنة وبرغوس وفي مدة اقامتها هناك يكون لها الخازن المقتضية على الشطوط المذكورة

الشرط التاسع . ان المرتب السنوي الذي يلزم على البلغار ايقاؤه للدولة العلية يتسلم الى البنك الذي يعينه الباب العالي وهذا البنك يصير تعيينه بمعرفة دولة روسيا والدولة العلية وسائر الدول وذلك في انتهاء السنة الأولى من ابتداء اجراء اصول الادارة الجديدة ومقدار ذلك المرتب يتأسس بالنظر لايراد البلاد والاراضي التي تكون في ادارة الامارة على الحساب المتوسط والبلغار تعهد بالقيام في التعهد الذي على الدولة العلية الى شركة سكة الحديد في طريق وارنة وروسيق غب المذاكرة مع الباب العالي وادارة الشركة المذكورة ومسألة سكة الحديد الاخرى الموجودة ضمن الامارة يصير فصلها بمعرفة الدولة العلية وحكومة البلغار وادارة الشركة

الشرط العاشر . ان الباب العالي له حق في مرور العساكر ونقل المعات والدخائر من الطريق المعينة في داخل البلغار الى الايالات العثمانية التي وراء البلغار ولاجل عدم وقوع مشاكل في هذا الخصوص وتأمين الايجابات العسكرية العثمانية سيوضع نظام بالاتفاق مع الباب العالي والامارة من ابتداء تعاطي هذه المعاهدة الى ثلاثة اشهر في ذلك وهذا الحق المتعلق بالمرور والعبور يخص بالعساكر النظامية فقط دون الباشبوزق والجراسك والعساكر المعاونة والباب العالي كذلك له ان يتعاطى البوسطة عن طريق الامارة ويستعمل مسالك التفراف في مخابراته فهذان الامران كذلك يصير تعيينهما وتنظيمهما في المدة والشروط المحررة اعلاه

الشرط الحادي عشر . ان المسلمين وغيرهم من اصحاب الاملاك اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة لم ان يحفظوا املاكهم ويؤجروها او يفوضوا امر ادارتها الى من يريدونه ثم ان مأمور الدولة العلية ومأمور البلغار بين يمينهما تحت نظارة مأمور روسيا ويفصلون المسائل المتعلقة بتصرف الاملاك وفي منافع مسلمي البلغار وذلك يكون في ظرف سنتين واملاك الدولة والاقواف يصير تعيين امرها اما بالبيع واما باستعمالها على الوجه الذي يكون فيه النفع الزائد لجهة الباب العالي ويصير تعيين ذلك بمعرفة لجان مخصوصة محدودة في السنتين المذكورتين والاراضي التي تبقى بدون صاحب عند انقضاء السنتين تباع بالمناذاة والمزايدة ويؤخذ ثمنها ويدفع الى ايتام وارامل المصابين في الاحوال الاخيرة من المسلمين والمسيحيين

الشرط الثاني عشر . ان القلاع الكائنة على نهر الطونة يصير هدمها جميعاً ولا يبق من بعد هذا على سواحل نهر الطونة قلعة ما مطلقاً ولا يجوز وجود سفن حربية في مياه

رومانيا والصرب والبلغار سهرى السنن الصغيرة والزوارق المخصصة والمستعملة في الامور الانضباطية فقط وحقوق ووظائف وامتيازات لجنة الطونة المختلطة تبقى بتمامها على اصلها الشرط الثالث عشر . ان الباب العالي يتعهد بتنظيف البحر في مضيق « سنه » وارجاعه الى حاله السابق ليصلح لمرور السفن منه ويتعهد ان يضمن العطل والضرر الذي حصل للتجار بسبب منع مرور السفائن من نهر الطونة مدة الحرب وسيصير فصل ٥٠٠٠٠٠ فرنك من اصل دين لجنة الطونة الى الباب العالي لاجل هذا الامر

الشرط الرابع عشر . ان الاصلاحات التي قدمت الى مرخصي الباب العالي في اول جلسة مؤتمر الاستانة يتبني حالاً اجراؤها بالنفل في بوسنة وهرسك مع التعديلات التي ستقرر فيما بين دولتي روسيا واوكرانيا ويجب ان لا يطلب من هاتين الايالتين بقايا الخراج وان لا يؤخذ شيء من الواردات الى ابتداء شهر مارس سنة ١٨٨٠ بل تصرف كلها في الاحتياجات المحلية ويسد بها عوز الاهالي والعيال الذين اصبوا في الاحوال الاخيرة ومن بعد انقضاء المدة المذكورة يتعين المبلغ الذي يلزم على الاهالي دفعه في كل سنة الى الحكومة المركزية بالاتفاق فيما بين الدولة العلية ودولتي روسيا واوكرانيا الشرط الخامس عشر . يتعهد الباب العالي باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع في سنة ١٨٦٨ المخصص بجزيرة كريد طبق مطالب الاهالي الذي يبنوه مقدماً ويلزم اجراء الاصلاحات الماثلة لنظامات كريد في « ترعاه » و « يانيه » وفي سائر جهات الروم ايلي التي ليس لها نظامات مخصوصة ويصير تشكيل لجنة مركبة من الاهالي المحلية في كل ايالة لاجل ترتيب وتأليف النظامات الجديدة ثم يصير تقديمها الى الباب العالي ليتذكر مع دولة روسيا في ذلك

الشرط السادس عشر . ان خروج عساكر روسيا من ارمينية وارجاع تلك البلاد الى الدولة العلية يمكن ان يفضي الى المناقشة والاختلاف فيما بينهما فلذلك يتعهد الباب العالي حالاً باجراء الاصلاحات على حسب الاحتياجات المحلية في الولايات التي سكانها ارمن وتأمين المسيحيين من تعدي الاكراد والجرأكسة

الشرط السابع عشر . ان الباب العالي سيعمل الففو العمومي عن المتعمين في الاحوال الاخيرة ويطلق سبيل المحبوسين والمنفيين بسبب ذلك

الشرط الثامن عشر . ان الباب العالي يتعهد بالتبصر بعين الدقة الى ما بينه وكلاهما الدول المتوسطة في خصوص قضاء قوتور وتعيين الحدود الايرانية على الوجه القطعي

الشرط التاسع عشر. ان مبالغ الفرامة الحرية التي طلبها قيصر روسيا هي في مقابلة الاضرار والخسائر التي تكبدتها دولة روسيا بسبب هذه الحرب والباب العالي قد تصد بدفعها فن هاته المبالغ (اولاً) ٩٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل في مقابلة مصروف المساكين والادوات الحرية والاشياء التي بليت. (ثانياً) ٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الاضرار الحاصلة في سواحل بلاد روسيا الجنوبية وفي اخراجات البضائع التجارية وفي طرق الحديد (ثالثاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل بمقابلة الضرر الحاصل من الهجوم على قوقاس (رابعاً) ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل لاجل الخسائر التي حصلت لتبعة الروسيا المقيمين في الممالك العثمانية ولتأسيساتها فعلى ذلك تكون هذه المبالغ من حيث المجموع عبارة عن ١.٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل يعني ١٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠ ليرة عثمانية وريال مجيدي ايض ونصف هذا وان القيصر المشار اليه قد لاحظ ضيق حال الدولة العلية من جهة المال وتامل في مقاصدها التي لوحت عنها في هذا الشأن ووافق بالتبول على ان تترك الدولة العلية الاراضي المحررة اسمائها ادناه عوضاً عن القسم الاكثر من المبالغ المذكورة. (اولاً). لواء طولجي يعني قضاء كيليا وسنه ومحمدية وايساقجي وطولجي وماجين وباباطغي وخرسوه وكوستنجة ومجيديه والجزائر الكائنة في نهر الطونة قد تركتها الدولة العلية جميعاً لئلا ان الدولة الروسية ليس لها فكر بالحاق هاته البلاد الى ملكها بل انها تحفظ حق مبادلة هذه البلاد بقطعة بسارايا التي اخذت منها بموجب معاهدة سنة ١٨٥٦ لحدود قطعة بسارايا من جهة الجنوب طرف من اراضي كيليا ومصب نهر الطونة والجهات التي يصطادون بها السمك في النهر يصير تفريقها بمعرفة مأمورين من طرف الروسية ومن حكومة المملكتين في برهة سنة واحدة اعتباراً من تاريخ تملطي هذه المعاهدة. (ثانياً). اردهان وقارص وباطوم وبايزيد مع الاراضي الحاوية عليها الى جبل صوغانلي سيصير تسليماً الى دولة روسيا وحينئذ الحدود الفاصلة تكون هكذا اعني يبتدىء الخط الفاصل من الجبال التي فيها بين المياه الجارية والمنصبية في نهري «هوبا» و«جورق» ويمر من الجبال المتسلسلة الواقعة في جنوب قضاء «وارتوين» ومن جوار قريق «والا» و«بشاك» ومن فوق «درونيك» و«كقي» و«هوجه زار» و«بيحقين طاغ» ومن الجبال الفاصلة للمياه التي تختلط بنهري «تورم» و«جورف» ومن فوق قراء «يالي» و«هين» و«لم كليسا» الى ان ينتهي الى نهر تورم ومن هنا يمر من سيوري طاغ ومن مضيق سيوري طاغ ويصل بقرية نزيان ويلتفت الى جهة الجنوب حتى يصل الى «زوين» ومن زوين يمر

من غربي طريق اردوست وخراسان الى جنوب جبل صوغانلي ويتصل بقرية « كيلنجان »
ومن غير من جبل « تريا » ومن قرية خمير ومن اون رست مسافة ومن تلال « طاندور »
ومن جنوب وادي بايزيد وينتهي في الجهة الجنوبية من « فازلي كول » وهذا المحل هو
الحد الفاصل قديماً في ما بين حدود اراضي الدولة العلية واراضي دولة ايران وات
الاراضي التي صار الحافها بمالك الروسية ومذكورة في الخريطة المربوطة بهذه المعاهدة
يصير تعيين حدودها قطعياً بمعرفة مأمور من طرف الروسية ومأمور من طرف الدولة
العلية وما يلاحظان قواعد تخطيط الاراضي وقضية تأمين حسن ادارة القضاة .
(ثالثاً) ان الاراضي التي صار تركها للدولة الروسية كما هو محرر اعلاه قد اعتبرت ببلغ
١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل (مليار ومائة وعشرة ملايين روبل) واما الباقي من الترامة
وهو ٣٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل (يعني ثلاثمائة مليون روبل) ماعدا ١٠٠.٠٠٠.٠٠٠ روبل
التي هي في مقابلة خسائر تبعة الروسية وتأسيساتها ستبقى دولة الروميا مع الدولة العلية على
قضية دفعها وتأمين انفاثها . (رابعاً) ان العشرة ملايين روبل التي تخصصت لتبعة الروسية
ومؤسساتها يصير تسويتها هكذا اعني ان سفارة الروسية في الاساتنة تجري التديقات
اللازمة بهذا الشأن على مستديعات ارباب العلاقة وتعرض الكيفية الى الباب العالي والباب
العالي يجري التسوية على مقتضى عرض السفارة

الشرط العشرون . ان الباب العالي يتعهد بان يستعمل التدابير المؤثرة سريعاً في
فصل الدعاوي المنازع فيها منذ سنين عديدة المتعلقة بتبعة الروسية وانه اذا اقتضى الامر
يدفع غرامة وينفذ احكام الاعلامات

الشرط الحادي والعشرون . ان اهالي البلاد التي تسلمت الى الروسية ان ارادوا
الهجرة منها لم ان يبيعوا املاكهم واراضهم ويهاجروا وقد اعطي لهم مهلة في ذلك ثلاث
سنين من تاريخ تماطي هاتمة المعاهدة فالذين لا يبيعون املاكهم في هاتمة المدة ولا
يهاجرون يدخلون في حكم الروسية عند انقضاء تلك المدة واملاك الدولة والاقواف
يصير بينهما على حسب الاصول التي يعينها مأمور الروسية ومأمور الدولة العلية في مدة
السنين المذكورة وما يتبان ايضاً كيفية نقل الادوات الحربية الموجودة في العلات التي
هي الآن في يد الروس سواء كانت من البلاد التي تسلمت الى دولة الروسية او غيرها
الشرط الثاني والعشرون . ان القسيسين والزوار الذين يسكنون او يسبحون في
الممالك العثمانية في الروم الي والاناتولي من تبعة روسيا سينالون الحقوق والامتيازات

التي ينالها القسيسون والزوار من تبعة سائر الدول سوية وسفارة روسيا الكائنة في الاستانة وقناصلها يحمون حقوق الاشخاص المذكورة وذواتهم ومؤسساتهم والرهبان وغيرهم الموجودين في الاماكن المقدسة وبالأخص في « اينوروز » فهم حائزون حقوقهم التي كانوا حائزين عليها في السابق ويحفظون الديورة الثلاثة الكائنة في اينوروز مع مشتملاتها المتعلقة بهم كسائر الديورة والمؤسسات المذهبية الكائنة لغيرهم هناك سوية

الشرط الثالث والعشرون . ان المعاهدات والمقاولات التي كانت موجودة فيما بين الدولة العلية والروسية المتعلقة بالتجارة والحاقة وبتبعة الروس المقيمين في بلاد الدولة العلية وتمطلت احكامها بسبب هذه الحرب ينبغي ان يجري احكامها كما في السابق وان دولتي الروسية والعثمانية قد اعدوا المناهيات التي كانت قبل هذه الحرب في الامور التجارية وغيرها يقتضى احكام المعاهدات والمقاولات المذكورة ما عدا المواد التي نسختها هاته المعاهدة

الشرط الرابع والعشرون . ان خليج الاستانة وخليج جنائ قلعه سواء كان في زمن الحروب او زمن الصلح يكون مفتوحا للسفن التجارية التي تريد المرور منه الى بلادالروسيا من الدول التي تكون على الحيادة والباب العالي ليس له من بعد هذا ان يضع الحصر الغير المؤثر على الشطوط الموجودة فيما بين البحر الاسود وبحرالازاق والمخالف المضمون معاهدة باريس التي صار امضاؤها في ٤ ابريل سنة ١٨٥٦

الشرط الخامس والعشرون . ان عساكر الروس يخرجون من بلاد الدولة العلية الكائنة في اوربا (الروم ايلي) ما عدا البغار وذلك من تاريخ انعقاد الصلح القطعي الى ثلاثة اشهر هذا وان العساكر المذكورة لهم ان يأتوا الاساكن الموجودة في البحر الاسود وبحر مرمرة عند السفر للركوب في السفائن التي تحضرها او تستأجرها دولة روسيا حتى لا يكونوا مجبورين على اطالة مدة الاقامة في الممالك العثمانية وفي رومانيا واما خروج عساكر الروسية من الاناطول فيكون بعد انعقاد الصلح القطعي بستة اشهر ولهم ان يأتوا الى طرابزون لاجل الركوب في السفن ومن هناك يسافرون الى القريم او القوقاس

الشرط السادس والعشرون . ان اصول الادارة والاوامر التي وضعتها دولة الروسية في البلاد التي دخلتها عساكرها والتي ينبغي تسليمها الى الدولة العلية بموجب هاته المعاهدة تكون باقية وجارية الى حين توجه العساكر منها وليس للباب العالي المشاركة في الاحكام ولا للعساكر العثمانية الدخول اليها قبل ذلك بناء على هذا

ان امير العساكر الروسية يجبر الضابط الذي يعينه الباب العالي عن سفر عساكر الروسية وليس للباب العالي ان يجري الاحكام من قبل ان تسلم له القلاع والابالاء الشرط السالع والعشرون. ان الباب العالي لا يجازي احدا بسوء من تمتعوا الذين دخلوا في المناسبات مع دولة الروسية في زمن الحرب وليس للأموري الدولة العلية ان تمنع او توقف احدا من الاهالي الذين يرغبون ان يسافروا مع العساكر

الشرط الثامن والعشرون. ان اسرى الحرب يصير ارجاعهم تحت نظارة مأمورين مرتبين من طرف الدولتين وذلك عقيب تعاطي مقدمات الصلح وهؤلاء المأمورون يسافرون الى اودسا وسباستبول واما مصروف اسراء العساكر العثمانية تدفعها الدولة العلية في ظرف ست سنوات تحت ثمانية عشر قسطا بموجب الدفتر الذي يحرره المأمورون المذكورون واما قضية مبادلة الاسرى فيا بين حكومتى رومانيا والصرب وامارة الجبل الاسود فيصير اجراؤها على هذا الاساس لكن يطرح مقدار الاسرى الذي عند الدولة العلية من مقدار اسرى عساكرها ولا تنزما فيه تلك المصاريف

الشرط التاسع والعشرون. ان حضرة امبراطور روسيا والحضرة الملاكانية سيثيون هذه المعاهدة وامضاء ثبوتها يكون في بطرسبرغ في ظرف خمسة عشر يوما او بوجه اسرع من ذلك ان امكن وكذلك يجري التصديق رسميا على الشروط المذكورة في هذه المعاهدة على حسب الاصول الجارية في المعاهدات الصلحية وان الدولتين المتعاهدتين من تاريخ تعاطي المعاهدة يعدون انفسهم رسميا بانهم متعهدون بان مرخصي الطرفين قد امضوا هذه المعاهدة كما يأتي تصديقا لضمونها. — حرر في ايا ستفانوس في ١٩ شباط الرومي (فبراير)

و ٣ ايار (مارس) الالرنجي سنة ١٨٧٨ الامضاء

الكونت اغنايف صنفوت اليديوف سعدالله

لكن انكثرا لم تسمح بالاقرار بذلك حتى ادخلت اسطولها بحر مرمر وعاضدتها بقية الدول في طلب تعديل تلك المعاهدة وعقدوا لذلك مؤتمرًا في برلين وارسل الامر فيه على معاهدة نص تعريها

بسم الله القادر على كل شيء

لما كان حضرة سلطان العثمانيين وحضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى وارلاندة وامبراطورة الهند وحضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وحضرة امبراطور اوستريا وملك بوهيميا وملك هنكاريّا وحضرة رئيس جمهورية فرنسا وحضرة ملك إيطاليا وحضرة

امبراطور جميع روسيا يريدون لاجل اقرار الراحة العامة في اوربا امهاء المسائل التي ظهرت في الشرق بسبب تقلبات الاحوال فيها في هذه السنين الثلاث وبسبب الحرب التي عاقبتها بمعاهدة ايا. سطفانوس استقر رأبهم جميعاً على عقد مؤتمر يكون احسن الوسائل لاجل الاتفاق بحسب ما تقرر في معاهدة ايا سطفانوس وبناء على ذلك عينت الدوات الملوكية المشار اليهم وحضرة رئيس جمهورية فرنسا مرخصين وهم

حضرة ملكة مملكة بريطانيا العظمى واراندا وامبراطورة الهند عينت الاونورايل بنيامين دزرايلي الذي هو كبير وزراء انكلترا والاونورايل روبرت ارثر تاليت حاسكون ميسل موكيز صالسبري اللسيه هو ناظر خارجية انكلترا والاونورايل لورد اود وليم ليوبولد روسل الذي هو سفير من الطبقة الاولى لانكلترا لدى حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا

وعين حضرة امبراطور جرمانيا وملك بروسيا البرنس بسمارك كبير الوزراء في بروسيا ورنارد ارلست دويولى مستشار الخارجية والبرنس هوهنلو شلفورست سفير المانيا لدى رئيس جمهورية فرنسا

وعين حضرة امبراطور اوستريا وملك بوهميا وملك هنكاري الكونت اندراسي وزيره الخاص ووزيره في الامور الخارجية والصكوت لويس كاروليني سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا والبارون هنري دوهايل سفيره لدى ملك ايطاليا وعين حضرة رئيس جمهورية فرنسا موسيو وليم هنري وادنطون احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وشارل رايوند كونت دوصان فاليه من اعضاء مجلس الاعيان وسفير فرنسا لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وليكس ديسبرز المكلف بادارة الامور السياسية في دائرة الخارجية

وعين حضرة ملك ايطاليا الكونت لويس كورتي احد اعضاء مجلس الاعيان ووزيره في الامور الخارجية وادورد كونت دولفي سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين امبراطور جميع روسيا البرنس الكسندر غورجيفوف وزيره في الامور الخارجية والكونت دوشوفالوف من قرناء الحضرة الامبراطورية ومن اعضاء المجلس الخاص وسفيره لدى دولة بريطانيا وهول دويريل سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك بروسيا وعين حضرة سلطان العثمانيين الكسندر قره تيودوري باشا وزيره في الامور النافمة ونجده علي باشا المشير في عساكره وسعد الله بك سفيره لدى امبراطور جرمانيا وملك

بروسيا فاجتمعوا في برلين بحسب اشارة دولة اوستريا هنكارياء وبوجوب استدعاء دولة
جروانيا ومعهم سائر المحررات المؤذنة بالتخصيص فبعد ان وجدت مطابقة للاصول وقع
بينهم الاتفاق على المواد الآتية

(المادة الاولى) صارت لأن البلغار امارة مستقلة في امورها الداخلية (ادارة مخزارة)
تدفع خراجا في كل سنة الى الباب العالي وتكون تحت تابعة الحضرة السلطانية ويكون
لها حكومة مسيحية وعساكر وطنية

(المادة الثانية) تكون امارة البلغار عبارة عن الاراضي الآتي ذكرها وهي ان
حدود تلك الاراضي من جهة الشمال تبتدئ من حدود الصرب القديمة وتمر عن يمين
ساحل نهر الطونة وتنتهي الى محل في شرقي سيلستريا وهذا المحل سيصير تعيينه من طرف
المؤتمرا الذي يشكل من ماموري دول اوربا ومن هنا ايضا يتصل الحد في البحر الاسود ويمر
من جنوب منقاليا التي صار الحانها يرومانيا اما من جهة الجنوب فانه يبتدئ من مصب
النهر ويمر من جوار القرى المسماة « هوجه كوي » و « سلامكوي » و « ابواجق »
و « قوبله » و « صوجبلي » على شاطئ النهر الى جهة فوق الحاذية « اوادي قابجق »
ومن جنوب « بلييه » و « كمالق » على بعد من « جنكة » مقدار متر ٢ وانصب وبجناز
« دلي فاجي » ويمر من شمال « حاجي محله » ويصل الى ذروة المحل الكائن فيما بين « تيكناك »
و « ايدوس برهسا » ومنه الى بلقان « قرين اباد » وبلقان « ويره زويقه » ومن بلقان
« قرغان » الواقع في شمال المحل المسما « قوتل » الى ان يتصل بمحل « تيورقو » وعلى
هذا يكون مروره من سلسلة البلقان الكبير الاصلية ويمتد على جميع مساحته الى ان
ينتهي الى ذروة « قوزيقه » ومن هنا يترك ذروة البلقان ويلتفت الى جهة الجنوب ويسير
من بين قريتي « بيرتوب » و « دوزنجي » ويفادر قرية بيرتوب المذكورة الى البلغار
وقرية دوزنجي الى شرق الروم ابلي ويتصل بنهر « طوزلي دزه » ويسير مع مجرى النهر
الى مصبه في نهر « طوبولينجه » ثم الى نهر « اسهوسكيو » الذي يصب في نهر طوبولينجه
المذكور بمجرى قرية « هاريجوه » ويترك من الاراضي الكائنة فوق نهر اسهوسكيو المذكور
مقدار كيلومتر ٢ الى شرقي الروم ابلي ويمر من مقسم المياه فيما بين اسهوسكيو ونهر
قامنيقه ويلتفت الى الجنوب الغربي من الثل المسما وونجاق وينتهي رأسا الى النقطة
المذكورة في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ومن هنا يقطع بخط مستقيم
الجهة العليا من وادي ايمان ويمر من بين بوغدينه وقره ولي ويتصل بالخط في مقسم انهر

المرج فيما بين اسقر وقرلي وحاجيار ويسير مع الخط المذكور من تلال « ولينا » و « موغلا » الى البحر الواقع في نقطة عدد ٥٣١ والى المحلات المسماة « ازمابليقا » و « ره وسوماتيقه » ويدخل من بين « سيوري طاش » و « قادرتيه » ويتصل بمحدود لواء صوفية ومن هنا يتدنى من « قادرتيه » الى جهة الجنوب الغربي ويمر من بين نهر قره صو ونهر « استروما قره صو » ويسير مع خط مقسم المياه ومن تلال الجبال المسماة « تيمورقو » و « اسقوفنيه » و « قاضيمسار بلقان » و « حاجي كدك » تجاه بلقان قابنتيق ويتصل بمحدود لواء صوفية القديمة وكذلك يمر من بلقان قابنتيق المذكور ومن بين وادي « ريلسقارقا » ووادي « بسقرارقا » ويسير مع خط مقسم المياه ويدور تل « دوينجه بلانينا » وينزل الى وادي استروما في المحل الذي يخطط به نهر استروما مع نهر ريلسقارقا ويدع قرية « براقلي » للدولة العلية ويصعد من جنوب قرية « بلشينقة » الى فوق ويمر من اقصر خط الى سلسلة « غولما بلانينا » وتل « غينقة » ويتصل بمحدود لواء صوفية ويترك كامل منشأ صوهارقا للدولة العلية ويلتفت الى جهة الغرب من جبل « رجينقا » ويدور جبال فارونا يابوقه وحدود لواء صوفية القديمة من جبل « قرني وره » ويمر من فوق مياه « اكريسو » ولبنيقه ويطلع الى تلال « بابانولانا » حتى ينتهي ايضا الى جبل قرني وره المذكور ومن هذا الجبل يمر من تلال « استرزر » و « ويله غوصو » و « مسيد بلانينا » ومن بين « استروما » و « موراه » مع خط مقسم المياه الى غاسينا وقرنه طراوه ودار قوسقة ودرانيقة بلان وبعدهما من فوق دوشا قلادائق ومن مقسم انهر صوقوه وموراوه ويذهب رأسا الى المحل المدعو « استول » ومن هنا ينزل الى الطريق الموصلة الى صوفية ويبروته ويقطع في هذه الطريق الف متر ومنه عرف طريق ويدليا بلانينا ويصعد على خط مستقيم الى جبل « رادوجينا » الكائن في سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية دويغيجي الى صربستان وقرية سناقوس الى البلغار ثم يلتفت الى جهة الغرب ويدور تلال البلقان المسمى سبروق من صوب استاره بلانينا ويتصل بشرقي حدود اماره الصرب القديمة بجوار « تولا اسميلوه قوفه » ويسير على هاتئ الحدود حتى ينتهي الى نهر الطونة عند « رافويجه » ثم ان هذه الحدود جميعها سيصير تعيينها بمعرفة لجنة مركبة من وكلاء الدول الحمضية على المعاهدة وحصل الاتفاق اولاً على ان هاتئ اللجنة تنظر بالاعتناء في خصوص محافظة حدود بلقان شرقي الروم اليي الكائن تحت سلطة الدولة العلية وثانياً ان لا يصير انشاء استحكام في اطراف « صهاق » بمسافة ١٠ كيلو متر

(المادة الثالثة) يكون انتخاب امير البلغار من اهلها بحرية تامة واقراره من الباب العالي يرضى دول اوربا العظام ولا يصح انتخاب امير عليها من بيوت الدول المذكورة فاذا توفي عن غير ولد يكون انتخاب امير بعده على الشروط والاصول المقررة

(المادة الرابعة) بعد انتخاب الامير تجتمع اعيان البلغار بين في طرولنا لترتيب احكام ونظامات تخص الامارة وفي الجهات التي تكون سكانها من الترك واهل رومانيا والروم وغيرهم يلزم مراعاة حقوقهم ومصالحهم فيما يتعلق بقضية الانتخاب وترتيب الاحكام الاساسية

(المادة الخامسة) المواد الآتية تكون اساسا للحقوق العمومية في البلغار وهي « ان الاختلاف في المذاهب والاعتقادات لا يخرج احدا من الاهلية والجدارة من تمتعهم بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره فان الحرية ومباشرة جميع الاعمال الدينية ينبغي تأمينها لجميع الناس القاطنين في البلغار من اهلها ومن الاجانب ايضا ولا يسوغ اتخاذ مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لملاقمتهم مع رؤسائهم الروحانيين »

(المادة السادسة) تكون ادارة « البلغار الموقفة » تحت ادارة مأمورين من دولة الروسية الامبراطورية الى ان تنتظم فيها القوانين الاساسية ويستدعى مأمور من طرف السلطنة العثمانية والتناصل الذين تنتخبهم الدول الذين وقعوا على هذه المعاهدة بقصد مراقبة اعمال « الادارة الموقفة » المذكورة فاذا حصل خلاف بين التناصل المذكورين فابرام العمل يكون على حسب اكثرية الاراء كما انه اذا حصل خلاف بين اكثرية اراء المذكورين والمأمورين من طرف امبراطورية الروسية او المأمورين من طرف الحفصرة السلطانية تجتمع سفراء الدول بالاستانة الذين وقعوا على هذه المعاهدة في مؤتمر (كنفرانس) ليقروا بهم على انتهاء الخلاف المذكور

(المادة السابعة) تشكيل « الادارة الموقفة » المذكورة لا يبق اكثر من تسعة اشهر اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة وبمجرد انتخاب الامير تصير مباشرة اجراء الاحكام الجديدة تصير تلك الاحكام دستورا للعمل وتكون الامارة قد حازت استقلاليتها الادارية (ادارتها الحفصرة) جهوزا تاما

(المادة الثامنة) جميع المعاهدات التجارية والسفريّة والاتفاقات التي جرت بين الدول الاجنبية وبين الباب العالي والتي لم يزل عملها جاريا تبقى مرعية الاجراء مع اماره

البلفار فلا يصح تبديل شيء منها مع احدى الدول المذكورة بدون رخصة منها ولا يسوغ وضع شيء من الضرائب على البضائع التي ترسل الى احدى الجهات في مرورها على البلفار وتكون معاملة جميع الاهالي ورعايا الدول وتجارتهم في الامارة على قدم مساواة تامة وتبقى امتيازات وخصائص الاجانب المقررة في المعاهدات (التي امضيت بين الدول والباب العالي) مرعية الاجراء في الامارة ما دام لم يحصل تعديلها برضى الدول

(المادة التاسعة) الويركو السنوي الذي يجب على امارة البلفار ان تدفعه في كل سنة الى متبوعها الحضرة السلطانية يكون دفعة الى البنك الذي يعينه الباب العالي ويكون تعيين المبلغ عند ختام السنة الاولى من جريان نظاماتها الجديدة باتفاق بين الدول الموقعين على هذه المعاهدة وهذا الويركو يحسب بنسبة ايراد الامارة وحيث انها ستحمل جانباً من ديون السلطنة العمومية يلزم للدول ايضاً ان يتذكروا على مقدار الدين الذي يعين على الامارة وذلك عند مذكرتهم في امر الويركو

(المادة العاشرة) جميع التعهدات والاتفاقات التي وعدت السلطنة العثمانية باجرائها مع شركة سكة الحديد بين وارته وروصحي تدخل في عهدة امارة البلفار اعتباراً من مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة اما تسوية الحسابات السابقة التي كانت بين الشركة المذكورة وبين الباب العالي فامرها يكون بين الباب العالي وحكومة البلفار والشركة المذكورة وكذلك دخل في عهدة البلفار سائر تعهدات الباب العالي مع دولة اوستريا وهنكاريا ومع الشركة المنوط بمهدتها تشغيل سكة الحديد في الروم ايلي فيما يتعلق بانعام السكك المذكورة واتصالها في الاراضي التي دخلت الآن في حوزة البلفار ويكون عقد شروط الاتفاقات اللازمة لتسوية هذه المسائل بين دولة اوستريا وهنكاريا والباب العالي والصرب وامارة البلفار عند اقرار الصلح

(المادة الحادية عشرة) بعد هذا لا تبقى العساكر العثمانية في البلفار وهدم سائر القلاع والحصون يكون على مصروف حكومة الامارة في ظرف سنة واحدة او اقل من ذلك ان امكن وينبغي لتلك الحكومة ان تتخذ وسائل مجدية لذلك ولا يسوغ لها ان تبني بدلاها حصوناً جديدة ويكون للباب العالي حق في ان يتصرف في المعات الحربية وغيرها من الاشياء التي هي ملك له الباقية في حصون الطونة التي احتلتها العساكر العثمانية بموجب الهدنة التي حصلت في ٣١ جنيناري (كانون الثاني) وكذلك التي في شمלה (شين) ووارنه (المادة الثانية عشرة) المسلمون وغيرهم الذين لم املأ في البلفار ويريدون السكنى

خارجاً عنها يقعون متمتعين باملاكهم فيمكنهم والحالة هذه إيجارها الى غيرهم وأدارتها بمعرفة من ينتخبونه وتشكل لجنة مؤلفة من الترك والبلغاريين لتسوية جميع المسائل المتعلقة بكيفية نقل وتشغيل املاك الوقف لحساب الباب العالي والمسائل المتعلقة بالذين لم مصالح فيها وهذه التسوية تكون في ظرف سنتين ثم ان البلغاريين الذين يسألون يسكنون في باقي اطراف الممالك العثمانية يكونون تحت الاحكام والقوانين العثمانية

(المادة الثالثة عشرة) تشكل على جنوب البلقان ولاية تحت اسم « ولاية الروم اليلى الشرقية » وتكون تحت نايبة الحضرة السلطانية نايبة سياسية وعسكرية بشرط ان تكون مشغولة باستقلالية ادارتها ويكون وليلها نصراًياً

(المادة الرابعة عشرة) حدود « ولاية الروم اليلى الشرقية » تكون متصلة بحدود البلغار من جهتي الشمال والشمال الغربي والولاية المذكورة تكون عبارة عن الاراضي الكائنة ضمن الدائرة الآتية ذكرها « تحده هذه الولاية ابتداء من البحر الاسود ويسير على النهر الواقع في جوار القرى المسماة هوجه كوى وسلام كوى وايواجى وقوبله وصوجليق الى جهة فوق محاذياً لوادى « دلي فامجق » ويمر من فوق « حكنه » مقدار مسافة كيلومتر ٢ ونصف تقريباً ويتصل بجنوب قراء « بلبيه » و « كحالق » ثم يصعد الى التل الكائن فيما بين « تبهكلك » و « ايدوس بره سا » ويمر من بلقائى « قرين اباد » و « بره زويجه » و « قزغان » حتى يصل الى « تيورقبو » بالجهة الشمالية من « قوتل » وبعدها يدور جميع سلسلة البلقان الكبير وينتهي الى تل « قوزيقه » وفي هذه النقطة اعني من ذروة البلقان الكائن على غربي حدود الروم اليلى ينزل الى جهة الجنوب ماراً من بين قرية ييتروپ التي تركت للبلغاريين قرية دوزانس الباقية في الروم اليلى ويصل الى نهر « طوزلي دره » ويسير مع النهر الى مجمه مع نهر طوبولينقا وكذلك يمر مع هذا النهر الى مجمه مع نهر « سمو سقيور » في جوار قرية « بتريسوا » وعلى هذا يترك لروم اليلى الشرقية في شطوط بحاري هاتى الانهر محلاً بمقدار كيلومتر ٢ ثم يتبع الخطوط الفاصلة للواء المذكورة ويسير الى جهة فوق على طول انهر « سمو سقيور » و « قامنيقا » ويأتفت الى الجنوب الغربي في تل « ووانجاق » ويصل الى المحل المبين في خريطة اركان حرب دولة اوستريا عدد ٨٧٥ ثم يقطع على خط عمودي بحرى نهر « ايجهان دره » من الاعلى ويمر من بين « بوغدينا » و « فارولا » حتى يصل الى الخط الفاصل الكائن فيما بين نهري « اسقر » و « ماريفاقا » ويسير على طول الخط الموضح في الخريطة المذكورة تحت رقم ٥٣٠

من تلال «ولينجا موبجلا» و «جمابليقا» و «روه سومناتيقا» ويجمع محدود لواء
 صوفيه فيما بين «سيوري طاش» و «قادر تبه» فعلى هذا تفرق حدود الروم الي
 والبلغار من جبل «قادر تبه» ثم الخط الفاصل المذكور يمر الى قدام من بين انهر
 ماريقا وتوابعه وبين انهر «مستافره صو» واتباعه تابعا استقامة الخطوط الفاصلة لهذه
 المياه ويتوجه الى جهتي الجنوب الشرقي والجنوب مارا من تلال جبل «دسيوط» الى
 صوب جبل «كروشوا» وهذا الجبل كان مبدأ الحدود التي عينتها معاهدة اياسطفانوس
 ثم الخط المذكور يتبع الخط المدين في المعاهدة المذكورة اعني انه يتدث من هذا الجبل
 ويمر على سلسلة «قره بلقان» من تلال «قولاقلي طاغ واشك جلي وقره قولاس»
 وايشيقلر ويسير جهة الجنوب الشرقي حتى ينتهي الى نهر «وارد» ويسير مع هذا النهر
 على طول حتى يصل الى قرية «اطه قلعه» وتبقى هذه القرية في سلطة الدولة العلية ومن
 هنا يصعد ذروة جبل «بش تبه» ثم ينزل ويمر من جسر «مصطفى باشا» ويتجاوز
 نهر المريج من جهة فوق بمسافة خمسة كيلومتر ثم يتوجه الى جهة الشمال مع بين الانهر
 الصغار التي تصب في نهري «خاني دره» و «مريج» ويسير على خط مقسم المياه الى
 المحل المسمى «كودلاري» ومن هنا يلتفت الى جهة الشرق ويمتد الى «صقار بايري»
 ومنه الى وادي «طونجه» والى «يوك دربند» ويترك «يوك دربند» و «صوجاق»
 الى جهة الشمال ثم يسير من بين الانهر التي تصب في نهر طونجه من جهة الشمال وفي نهر
 المريج من جهة الجنوب على خط مقسم المياه ويصعد الى تل «قيار» وتبقى قيال سيفه
 الروم الي الشرقية ثم يلتفت الى جهة الجنوب ويمر من بين المياه الكائنة فيما بين نهر
 المريج من جهة الجنوب وبين قريتي «بلورن» و «تلي» التي تصب في البحر الاسود
 ويصل الى جنوب قرية «المالي» ويدور تلال «ووسنه» و «زواق» من شمال المحل
 المسمى «قراكلق» ويسير مع الخط الفاصل فيما بين نهري «دوكه» و «قره اغاج»
 حتى يتصل بالبحر الاسود

(المادة الخامسة عشرة) يكون الحاضرة السلطانية حق في ان تبشر محافظة الحدود
 البرية والبحرية وذلك بان تبني في تلك الحدود استحكامات وتقيم فيها عساكر ولتأمين
 الراحة العمومية في ولاية «الروم الي» الشرقية يشكل فيها ضبطية وعساكر داخلية
 ومذاهب الاهالي الذين تولف منهم هذه العساكر والضبطية تكون مرغية ويكون تعيين
 ضباطهم من طرف الحاضرة السلطانية وقد تعهدت الحاضرة السلطانية بان لا توظف في

حصول الحدود عساکر غیر نظامیہ کالیاشی یوزق والجراکسة وفي جميع الاحوال لا يسوغ للعساکر النظامیة المذكورة ان تعتمد على الاهالي وعند مرورهم في الولاية (لاستقرارهم في الاستحکامات) لا يسوغ لهم الاقامة فيها

(المادة السادسة عشرة) يكون للوالي حق في ان يستدعي العساکر العنایة اذا حصل ما يخل بالراحة الداخلية والخارجية فاذا وقع ما يوجب ذلك يخبر الباب العالي بنواب الدول بالاستئذان عن قراره وعن السبب الذي اوجبه اليه

(المادة السابعة عشرة) يكون تعيين والي « ولاية الروم ابلي الشرقية » مدة خمس سنين من طرف الباب العالي باتفاق الدول

(المادة الثامنة عشرة) بمجرد مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة تشكل لجنة اورباوية للنظر في ترتيب ادارة « ولاية الروم ابلي الشرقية » بالاتفاق مع الباب العالي ومن خصائصها ان تبين في ظرف ثلاثة اشهر وظيفة مأموريته الوالي وما له من الاستطاعة وترتيب الولاية الادارية والنظامية والمالية ويكون ابتداء اشغالها تنظيم اختلاف احكام الولايات وما حصل عليه المذكرة في الجلسة الثامنة من المؤتمر الذي عقد في الاستانة وبعد ان يحصل القرار على جميع المصالح المتعلقة بالولاية المذكورة يصدر فرمان من طرف الحضرة السلطانية فيبلغه الباب العالي الى الدول

(المادة التاسعة عشرة) يناط بمهدة اللجنة الاورباوية المذكورة بالاتفاق مع الباب العالي ادارة المالية في الولاية الى ان تنجز القوانين الجديدة المراد وضعها

(المادة العشرون) جميع المعاهدات والاتفاقات والمعاملات التي جرى تداولها بين الباب العالي والدول الاجنبية او التي ستعقد فيما بعد يكون معمولاً بها في « ولاية الروم ابلي الشرقية » كما هو جار في سائر السلطنة العنایة وجميع الامتيازات والخصائص التي حازتها الاجانب على اختلاف وظيفتهم ومصلمتهم تبقى محترمة في الولاية المذكورة وقد تعهد الباب العالي بان جميع احكام السلطنة هناك فيما يخص المذاهب المختلفة يكون معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الحادية والعشرون) تبقى حقوق الباب العالي وتمهدياته فيما يتعلق بسكك الحديد في الروم ابلي الشرقية معمولاً بها ومرعية الاجراء

(المادة الثانية والعشرون) تكون قوة الروسية في البلقان وفي « ولاية الروم ابلي الشرقية » مؤلفة من ست فرق من المشاة وفرقتين من الخيالة وجميع ذلك لا يزيد على

٥٠٠٠٠ نفر وتكون مصاريفهم على الولايات التي يتبوأونها وتبقى علاقاتهم ومواصلتهم مع روسيا بواسطة رومانيا بحسب الاتفاق الذي يحصل بين الحكومتين المذكورتين وفضلاً عن ذلك تكون بواسطة مراسي البحر الاسود مثل وارنه وبورغاس حتى يمكن لهم ان يتخذوا هناك مخازن للوازم مدة اقامتهم ويقرر ايضاً ان اقامة العساكر الامبراطورية في « ولاية الروم ابلي الشرقية » والبلغار تكون مدة تسعة اشهر اعتباراً من يوم مبادلة التوقيع على هذه المعاهدة وقد تعهدت دولة الروسية الامبراطورية انه قبل انقضاء هذه المدة تمنع مرور عساكرها من رومانيا فتظل منهم امانة البلغار

(المادة الثالثة والعشرون) قد تعهد الباب العالي بان يجري في جزيرة كريد المنظمات التي تقرر فيها في سنة ١٨٦٨ والتعديلات التي يرى من المدل اجراؤها وكذلك يجري في بقية الولايات نظامات وقوانين على ما تقتضيه المصالح الداخلية كما في كريد مما لم ينص عليه في هذه المعاهدة نصاً خصوصياً الا فيما يتعلق بالناء الضرائب كما هو جارٍ الآن في كريد ويشكل من طرف الباب العالي لجاناً مخصوصة يكون اكثر اعضائها من الاهالي للنظر في متعلقات النظامات اللازم اجراؤها في كل ولاية ثم تعرضها على الباب العالي للتروي فيها وقبل ان يعمل بها وتجعل دستوراً للعمل يلزم الباب العالي ان يستشير اللجنة الاورباوية المتقدمة للنظر في احوال الروم ابلي الشرقية

(المادة الرابعة والعشرون) اذا فرض انه لم يقع اتفاق بين الباب العالي ودولة اليونان فيما يتعلق بتعديل الحدود كما تقرر في المادة ١٣ من مضبطة مؤتمر برلين فدول جرمانيا واوستريا هنكاري وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا والروسية تحفظ لنفسها عرض التوسط بين الفريقين لتسهيل المذاكرات

(المادة الخامسة والعشرون) تنبؤ عساكر اوستريا وهنكاريا ولايتي بوسنه وهرسك ويناط بها ايضاً امر ادارتهما وحيث انها لا تريد ان تتولى ادارة سنجيقة يكي بازار المتحدة بين الصرب والجبل الاسود على الخط الجنوبي الشرقي ما وراء ميترووتسه فالادارة الثمانية تبقى ممولاً بها هناك وحيث ان المراد اقرار الاحوال السياسية الجديدة وحرية المواصلات وتأمينها فدولة اوستريا وهنكاري تحفظ لنفسها الحق بان يكون لها قشل وطرق تجارية وعسكرية في جميع الجهات المذكورة ولهذا الغاية تحفظ لنفسها هي والدولة الثمانية ان تتفقا على المواد المتعلقة بهذه المسألة

(المادة السادسة والعشرون) قد اعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود

وكذلك اعترفه بقية الدول الموقعين على هذه المعاهدة الذين لم يعترفوه سابقاً
 (المادة السابعة والعشرون) اتفق الموقعون على هذه المعاهدة على ان استقلال
 الجبل الاسود يكون مربوطاً بالمواد الآتية وهي «لا يسوغ التمييز في الاعترافات الدينية
 في الجبل فلا يخرج احداً من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية
 والسياسية او بدخوله في الوظائف البرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله
 الصنائع والحرف المختلفة كيفما كان مقره لجميع الاهالي التابعين للجبل الاسود وللأجانب
 أيضاً الحرية التامة في جميع المعتقدات المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات
 ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين»
 (المادة الثامنة والعشرون) قد صار تعيين حدود الجبل الاسود كما سيأتي وهي انها
 تبدأ من «إيلينو برودو» وتسير الى شمال «قلوبوق» وتجر من فوق «ترة بنيجيه»
 وتصل بحمل «غرانقارو» وتبقى غرانقارو ضمن لواء هرست ومنها يصعد الخط الفاصل
 الى جهة فوق من نهر غرانقارو ويصل الى محل يبعد عن النهر الذي يصب في «سبيلقه»
 مقدار كيلومتر فقط ومن هنا يسير على اقصر طريق ويصعد الى التلال التي في جوار
 «ترة بنيجيه» ثم يذهب الى «بيلاتوه» ويترك هذه القرية للجبل يسير من التلال الى جهة
 الشمال وعلى قدر الامكان يرب بعيداً عن طريق «يملكه» و«قوريتو» و«غاجقه» مقدار
 ٦ كيلومتر ويصل الى الطريق الكائنة فيما بين «سوبنا بلانينا» وجبل قوريله ومنها عن
 جهة الشرق يمتد الى جبل اورلين ويترك قرية «وارنقويجي» لهرست ثم يمتد من
 الشمال الشرقي ويدع «روانه» داخل الجبل ويمر من تلال «لبوسليك» و«ولجاق»
 ويسير من اقصر طريق وينزل الى نهر «بيوه» ويتجاوز هذا النهر ويصل الى «تاره»
 الكائنة بين «قرويقه» وبين «وندوينه» ومن تارة يصعد الى «موجقواق» ويتصل
 بحمل «سقوج زرو» ومن هنا الى قرية «صوقولار» ويجتمع بالحدود القديمة ثم يمر الى
 تلال مقرا بلانينا وتبقى قرية مقرا داخل الجبل ويمر أيضاً من السلسلة الاصلية الى
 الطريق المذكور في خريطة اركاث حرب اوستريا تحت رقم ٢١٦٦ ومن فوق مقسم
 المياه الواقع بين «ليم» و«درين» وبين «سيونه زم» ثم يتصل بالحدود الجديدة بعد
 مروره فيما بين قبيلة «قاجي دره فالويجي» وبين قوسقار جهه «قلانتي» و«غرودي»
 وبعد ذلك ينزل الى صحراء بودغوريجيه ويترك قبائل قوسقار جهه وقلانتي وغرودي وهوتي
 لبلاد الارناووط ويتصل «بيلاونيقه» ومن هنا يمر من جوار جزيرة «غوريقه طولاب»

ويتجاوز مائة اشقودره ويسير رأساً من « غوريقه » طوبول الى التلال ويمر من مقسم المياه الكائن فيما بين « مفورد » و « فاليد » مع خط المقسم المذكور ويترك « ميرفويك » داخل الجبل وينتهي الى بحر ونديك (فينيسيا) عند قرية « فروجي » ثم يلتفت الى الشمال الغربي ويمر في الساحل من بين قرى « شوسانه » و « زويسى » ويتصل بمبتهى الحدود الجديدة في جهة الجنوب الشرقي فوق « ورسوته بلانينا »

(المادة التاسعة والعشرون) انضمام اتواري (باري) وشطوط البحر التي تخصها الى الجبل الاسود مشروط على الصورة الآتية وهي ان يعاد على الدولة العثمانية الاراضي الكائنة على جنوب تلك الجهة الى بويانا من ضمنها دولسجو ويضم الى دلتايا مرمى سبزا والاراضي المتعلقة بها الى غاية حدودها الجنوبية كما هي مينة بالتفصيل في الخريطة ويكون للجبل الحرية المطلقة التامة للسفر في نهر بويانه ولكن لا يسوغ له ان يبني على النهر حصوناً او استحكامات الا ما لزم للحفاظ على اشقودره خاصة فتكون تلك الحصون والحالة هذه غير خارجة عن دائرة مسافتها حول المدينة المذكورة بستة كيلومتر (٦٠٠ متر او نحو عشرة اميال) ولا يكون له بواخر حربية ولا راية ولا يسوغ لاي دولة كانت ان تدخل بواخرها الحرية الى مرمى اتواري اما الحصون الكائنة في ارض الجبل بين النهر وشط البحر فتهدم بالكليّة ولا يسوغ اعادتها وبنائها وبفوض لعهدة اوستريا وهنكاري ادارة البحرية والصحية في اتواري وفي شطوط الجبل وعلى الجبل ان يستعمل القوانين والاصطلاحات البحرية على موجب القوانين والاصطلاحات الجارية في دلتايا (باوستريا) وقد تعهدت اوستريا وهنكاري بان تحمي بواخر الجبل الاسود التجارية ويلزم للجبل ان يتفق مع اوستريا وهنكاري على مد سكك الحديد وانشاء طرق عادية في الاراضي التي دخلت حديثاً في حوزته وعلى تأمين حرية المواصلات عليها

(المادة الثلاثون) المسلمون وغيرهم الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الجبل الاسود ويريدون ان يستوطنوا خارجاً عن الامارة لم يحق بان يبقوا مالكين عقاراتهم بايجارها او تشيئها بواسطة من يختارونه وتشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من العثمانيين واهل الجبل الاسود لتسوية المسائل التي تتعلق بكيفية نقل الاملاك او حرثها او ادارتها سواء هي من املاك الوقف او الاملاك الميرية التي للباب العالي فتجري تسوية جميع متعلقات الذين لم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين (المادة الحادية والثلاثون) على امارة الجبل الاسود ان تتفق مع الباب العالي على

ما يتعلق بتعيين وكلاء من طرفها في الاستانة او في جهات اخرى من السلطنة العثمانية
تأمر يرى لازماً اما اهل الجبل المقيمون في السلطنة العثمانية او المسافرون فيها فيكونون
تحت احكام الدولة العثمانية على حسب الاصول المقررة بين الدول وعلى حسب العوائد
المقررة مع الجبل

(المادة الثانية والثلاثون) يلزم ان عساكر الجبل الاسود تخلي الاراضي التي هم
الآن مستولون عليها كما لم يدخل في حدود اماره الجبل الجديدة وذلك في ظرف عشرين
يوماً اعتباراً من يوم التوقيع على هذه المعاهدة او اقل من هذه المدة اذا امكن كذلك
يلزم للعساكر السلطانية ان تخلي في المدة المذكورة الاراضي التي دخلت الالف في
حوزة الجبل

(المادة الثالثة والثلاثون) حيث انه يلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من
الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي دخلت في حوزته بموجب
شروط الصلح تعين نواب الدول الاجنبية في الاستانة هذا المبلغ بالاتفاق مع الباب
العالي على اصول عادلة

(المادة الرابعة والثلاثون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية
امارة الصرب ربطتها بالشروط المحورة في المادة الآتية

(المادة الخامسة والثلاثون) لا يسوغ التمييز في الاعتقادات الدينية في الصرب ضد
احد حتى يخرجه من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية
او بدخوله في الوظائف المدنية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع
والحرف المختلفة كيفما كان مقراً فجميع الاهالي التابعين للصرب والاجانب ايضا الحرية
التامة في جميع المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ ما في ترتيب درجات ارباب
المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين

(المادة السادسة والثلاثون) اماره الصرب تكون مالكة للاراضي الموجودة في ضمن
الحدود الآتي ذكرها وهي ان الخط الفاصل يمر على طول الخط الحالي ومن مصب نهر
« درينا » في نهر صاوا ويذهب مع المجرى ويترك « ازرونيق وزخار » للامارة ولا يترك
الخط المذكور اعني الحدود القديمة الى « قابونيق » ثم ينفرد سيف ذروة جبل قابونيق
عن الخط المذكور ويسير من جنوب الجبل على طول حدود نيش الشرقية ويمر من
تلال « ماربا وماردار بلاتينا » وهذه التلال هي الخط الفاصل بين نهر « ايلباروسيتيكا »

وطولبقا « وعلى هذا تبقى « بره بولاد » للدولة العلية وبعده يسلك خط مقسم المياه الى جبة الجنوب من بين « يرونيقا » ومدودجا ويترك وادي مدودجا كلها للصرب ويصعد الى تل « قولجاق بلانينا » ويكون هو الخط الفاصل فيما بين الانهر المسماة « بولجنيقا وترنيقا ومورا » ويصل الى تل « بولجنيقا » ثم يذهب من اتجاه « قابنا بلانينا » الى مجمع انهر « قوانسقا وموراوه » ويتجاوز « ويسير على الخط الفاصل فيما بين مياه النهر الذي يختلط بنهر موراوه في جوار « قوانسقا ونزه دوس » ويتصل « يولانينا ايليجه » فوق « ترغويست » ومن هنا اعني من ذروة جبل ايليجه يتد الى ذروة جبل « قناروق » ويمر من المحلات المدرجة في الخريطة تحت عدد ١٥١٦ و ١٥٤٧ ومن « بابينا غورا » وينتهي الى جبل « قرفي وره » ثم يتدفع من هذا الجبل ويجمع محدود البلغار اعني يمر من تلال « استره سرو ويلوغلو ومسيد بلانينا » ويسير على خط مقسم المياه الواقع فيما بين استروما و « موراوه » وينتهي الى المحلات المدعوة « غاسينا وقرنه تراوه ودارقوسقوه ودرانيقه بلان » وبعدها يمر من فوق « دشافي قلادق » ومن اعلى مقسم مياه « صوفوه وموراوه » ويذهب رأساً الى « استول » ومن هنا ينزل الى قرية « سفوزه » من جهة شمالها الغربي ويقطع طريق « بيروت » بمسافة مقدار الف كيلومتر عن صوفية ويصعد على خط مستقيم الى « وبدليق بلانينا » ويمر من جبل « رادوجينا » الواقع على سلسلة البلقان الكبير ويترك قرية « دوفنجي » لامارة الصرب وقرية « سناقوس » الى البلغارستان ثم يسير من ذروة هذا الجبل الى جهة الشمال الغربي ويمر من بلقان « سيروق » ومن « استارا بلانينا » ويصعد الى تلال البلقان وفي جوار « قولاسميليجه قوقا » يتصل بمعدود الصرب الشرقية القديمة ويسير على هذه الحدود الى نهر الطونة وينتهي عند النهر في « راقويجه »

(المادة السابعة والثلاثون) لا يغير شيء في الصرب من الشروط الحالية فيما يخص العلاقات التجارية الكائنة بين الممالك الاجنبية وبين اماره الصرب الى ان يجري بدلها اتفاقات جديدة ولا يسوغ ان يؤخذ على البضائع التي تمر في الصرب مرسلة الى جهة اخرى شيء من العوائد او الرسومات اما الزايات والامتيازات الشاملة الآن رعايا الدول الاجنبية في الصرب وحقوق الاحكام وحماية القناصل لرعاياهم على الاصول المعمول بها الآن فتبقى مرعية الاجراء الى ان يحصل اتفاق بين اماره الصرب والدول الاجنبية على تعديلها

(المادة الثامنة والثلاثون) للمعهدات التي تمهيدها الباب العالمي مع دولة اوستريا وهنكلاريا او مع شركة سكة الحديد في الروم الي اوفيا يتعلق باتمام السكك الحديدية وتشغيلها في الاراضي التي دخلت في حوزة الصرب تبقى مرعية الاجراء عند اماراة الصرب وعند التوقيع على هذه المعاهدة بحري اتفاق بين دولة اوستريا وهنكلاريا والباب العالمي والصرب وامارة البلغار على قدر ما يخصها لتسوية هذه المسائل

(المادة التاسعة والثلاثون) المهجرون الذين يملكون عقارات في الاراضي التي انضمت الى الصرب ويريدون ان يستوطنوا خارجا عن الامارة لم الحرية بأن يبقوا مالكي عقاراتهم بموجب اجرتها او تشغيلها بواسطة من يختارونه وستشكل لجنة مؤلفة من مأمورين من الثنائيين والصربيين لاجل تسوية جميع المسائل التي تتعلق بكيفية نقل وإدارة الاملاك المتعاقبة بالموقف او الاملاك الميرية التي للباب العالمي وكذلك تسوية جميع متعلقات الناس الذين لم مصلحة فيها وهذه التسوية تكون في ظرف ثلاث سنين (المادة الاربعون) تكون معاملة رعية الصرب القاطنين في السلطنة العثمانية او المسافرين فيها بحسب اصول الاحكام والقوانين المتداولة بين الدول الى ان تحصل معاهدة بين الدولة العثمانية والصرب

(المادة الحادية والاربعون) يلزم معسكر الصرب اخلاء جميع الاماكن التي لم تدخل في حوزة امارتهم ستة نظرف خمسة عشر يوما اعتبارا من يوم التوقيع على هذه المعاهدة كذلك يلزم للمعسكر السلطانية ان تغلق في المدة المذكورة الاماكن التي دخلت في حوزة الامارة

(المادة الثانية والاربعون) حيث انه يتعين على الصرب حمل جانب من الديون العثمانية العمومية في مقابلة الاراضي الجديدة التي حازتها بموجب هذه المعاهدة فسفراه الدول الاجنبية في الاستانة يعينون مبلغ قيمة الاراضي المذكورة على صورة عادلة بالاتفاق مع الباب العالمي

(المادة الثالثة والاربعون) لما كان الموقعون على هذه المعاهدة معترفين باستقلالية رومانيا وبطاعتها بالشرطين الاتيين

(المادة الرابعة والاربعون) لا يسوخ التمييز في الاعتقادات الدينية في رومانيا ضد احد حتى يخرج من الاهلية والجدارة لجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية بدخوله في الوظائف الميرية او العمومية او نواله الشرف او استعماله الصنائع والحرف

المختلفة كيفما كان مقره فجميع الاهالي التابعين لرومانيا والاجانب ايضا الحرية التامة في جميع المتعلقة المذهبية ولا يسوغ اتخاذ مانع ما في ترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او في علاقتهم مع رؤسائهم الروحانيين فتكون معاملة رعايا جميع الدول سواء كانوا من التجار او غيرهم في رومانيا بدون تمييز في المذهب على قدم مساواة تامة (المادة الخامسة والاربعون) امارة رومانيا تعيد على حضرة امبراطور الروسية اراضي بيسارايا التي كانت انفصلت من الروسية بموجب معاهدة باريس التي امضيت في سنة ١٨٥٦ وحدودها في الجهات الغربية من مجرى نهر البروث وفي الجنوب من نهر « كيلا » و « ستاري استانيول »

(المادة السادسة والاربعون) يضم الى رومانيا الجزر الثلاثة التي على الطونة وجزر « بلان طاغ » و « سنجية » وهي تشمل قضائت كيلا وسولينا ومجدية وزانجه وطولجي وماجين وبابا طاغ وهرسوا وكوستنجه ومجدية وما عدا ذلك يعطى لها ايضا الاراضي المكننة على جنوب الدبروجه الى ان تصل الى وسط بيتديه من شرق سيلستريا ويمتد الى البحر الاسود على جنوب منغاليه ويكون تعيين تخوم تلك الحدود في تلك المواقع بمعرفة اللجنة الاورباوية الشوط بمهدتها تعيين حدود البلغار (المادة السابعة والاربعون) مسألة تقسيم المياه والصيدا تعرض على لجنة الطونة الاورباوية فتكون حكما عليها

(المادة الثامنة والاربعون) لا يجوز وضع رسومات او عوائد في رومانيا على السلم التي ترد اليها بقصد ارسالها الى جهة اخرى

(المادة التاسعة والاربعون) يسوغ لرومانيا ان تعقد مع الدول الاجنبية اتفاقا لتسوية مسألة امتيازات ووظائف فئصلهم فيما يتعلق بحماية رعاياهم في الامارة الا ان الحقوق الحالية تبقى مرعية الاجراء مادام لم يحصل اتفاق عمومي بين الامارة والدول (المادة العاشرون) تبقى رعية رومانيا القاطنون في الممالك العثمانية او المسافرين فيها او رعايا العثمانيين المسافرين في رومانيا او القاطنون فيها متمتعين بالحقوق التي تشمل رعايا بقية الدول الاورباوية الى ان تعقد معاهدة لتسوية امتيازات الفئاصل ووظائفهم بين الدولة العثمانية ورومانيا

(المادة الحادية والعشرون) تعهدات الباب العالي ووظائفه فيما يتعلق باتمام الاشغال النافعة وما اشبهها في الاراضي التي دخلت في حوزة رومانيا تعود الى عهدة رومانيا

(المادة الثانية والخمسون) لاجل زيادة تأمين حرية السمر في نهر الطونة ألتي اعترف انها من المصالح الاوربوية قرّر رأي الموقعين على هذه المعاهدة بأن جميع الحصون والاستحكامات الموجودة الآن على النهر من عند المجل الذي يقال له «ابواب الحديد» الى ثم النهر تهدم بالكلية فلا يسوغ بعد هذا بناء غيرها ولا يجوز جسر احدى البواخر الحربية على الطونة مصدر «ابواب الحديد» الا البواخر الصغيرة المينة لخدمة الضبطية في النهر وخدمة الجبارك ولكن يسوغ لبواخر الدول الموجودة في ثم نهر الطونة لاجل الحراسة ان تسافر في النهر الى غاية «غلايس»

(المادة الثالثة والخمسون) تبقى لجنة الطونة الاوربوية مقررة في وظائفها ولزومانيا فيها نائب وتجري اعمال وظائفها الى «غلايس» بحرية تامة مستقلة عن مداخله بأمرى تلك الاراضي وتبقى ايضا سائر معاهداتها واتفاقاتها واشغالها واعمالها وقراراتها فيما يتعلق بامثيازاتها وخصائصها ووظائفها ثابتة الاجراء

(المادة الرابعة والخمسون) قبل نهاية الاجل المقرر لبقاء لجنة الطونة الاوربوية بسنة واحدة يلزم للدول ان يتفقوا على تطويل سلطتهم او على التعديلات التي يرون اجرائها من اللازم

(المادة الخامسة والخمسون) جميع المنظمات المتعلقة بالسفر في النهر ووظائف الضبطية فيهم من «ابواب الحديد» الى «غلايس» يكون ترتيبها وتنسيقها من طرف اللجنة الاوربوية بمساعدة نواب من طرف الممالك الكائنة بسواحل النهر ويصير تأليفها بالنظامات الموجودة او التي ستحدث في امور النهر اسفل من غلايس

(المادة السادسة والخمسون) يلزم للجنة الطونة الاوربوية ان تتفق مع الدول فيما يتعلق بتوفير الفئارات الكائنة على جزر «يلان طانغ»

(المادة السابعة والخمسون) قد فوض لاوستريا وهنكاري الاشغال اللازم اجرؤها لازالة موانع السفر التي تحدث من «ابواب الحديد» والشلالات ويلزم على الممالك المجاورة النهر من الجهة المذكورة ان تجري جميع التسهيلات اللازمة لصحة تلك الاشغال اما المواد المقررة في المادة الرابعة من معاهدة لندرا التي اضيفت في ١٣ مارس سنة ١٨٧١ فيما يتعلق باخذ ضرائب مؤقتة لسد مصاريف تلك الاعمال والاشغال فبقى منوطة بدولة اوستريا وهنكاري

(المادة الثامنة والخمسون) الباب العالمي يسلم الى امبراطورية الروسية في اسيا

(الاناطول) اراضي اردهان وفارس وباطوم مع مرسى باطوم وجميع الاراضي الكائنة بين
نجوم الروسية والتركية القديمة والنجوم الاثني يانها وهي « الحدود الجديدة » تبدي
من البحر الاسود على حسب الخط المقرر في معاهدة اياستفانوس الى نقطة في الجهة
الشمالية الغربية من « خورده » وعلى جنوب « ارتوين » وتمتد على خط مستقيم الى نهر
« جوروك » وبعد عبوره هذا النهر بسير شرقي « اثمشين » ويستمر على خط مستقيم
في الجنوب. وهناك يلاقي حدود الروسية المشروحة في المعاهدة المذكورة وذلك في
نقطة على جنوب « ناريمان » مع بقاه مدينة « اولتي » في حوزة الروسية ثم يتبدى الخط
بالقرب من « ناريمان » الى الجهة الشرقية ويكون مروره من « تربنيق » وبعد دخول
مدينة تربنيق في حوزة الروس يسير الى « بنك شاي » مجارياً نهره الى ان يصل الى
« باردوز » وبعد دخول مدينة باردوز ويكي كوى في عهدة الروسية يؤخذ نقطة من
غرب قرية « قره اوغجان » تجمل الحدود عليها على خط الى ان يصل الى « ميجنجرت »
ومنها على خط مستقيم الى ان يصل الى تلال « قباداغ » فيستمر على خط مصب نهر « الاركس »
في الشمال ومصب نهر « مرادصوى » في الجنوب الى ان يصل الى حدود روسيا القديمة
(المادة التاسعة والخمسون) امراطور الروسية يصرح هنا بان غاية مقصده ان
يجعل باطوم مرسى حراً (معنى حر ان تكون البضائع معفاة من جميع رسومات الدخول
او الخروج)

(المادة الستون) تعهد الروسية على تركية اودية الشغراد ومدينة « بايزيد » التي
سلمت للروسية بموجب المادة ١٩ من معاهدة اياستفانوس وقد سلم الباب العالي الى
مملكة ايران مدينة « قطور » وارضها كما قرأ عليه رأي اللجنة الانكليزية والروسية
التي نيط بعهدتها تعيين نجوم تركية وايران

(المادة الحادية والستون) الباب العالي يتعهد بان يجري بدون تأخير في الولايات
التي سكانها من الارمن سائر الاصلاحات والتحسينات التي تحتاج اليها امورها الداخلية
وان يتعهد بتأمينهم من تعدي الجراكسة والاكراد عليهم وينفذ الدول الاجنبية المرة بعد
المرة التثبثات التي اتخذها لهذه الغاية وهي تراقب كيفية اجرائها

(المادة الثانية والستون) حيث ان الباب العالي اظهر رغبة في ابقاء اصول حرية
الديانة وتوسيع مداها توسيعاً مطلقاً فان الموقعين على هذه المعاهدة ينزلون هذه الرغبة
منزلة الفعل فلا يسوغ التمييز في الاعترافات الدينية في جميع اطراف السلطنة العثمانية

حتى يخرج احداً عن الاهلية والجدارة بجميع ما يتعلق بتمتع بالحقوق المدنية والسياسية او بدخوله في الوظائف البلدية او العمومية او نواله الشرف او استعمال الصنائع والحرف المختلفة كيما كان مقره ويؤذن لجميع الناس بان يؤدوا الشهادة في جميع الحاكم بدون تمييز احد في الدين واستعمال سائر الامور الدينية يكون بحرية فلا يكون مانع ما لترتيب درجات ارباب المذاهب المختلفة او لعلاقتهم مع رؤسائهم ويكون الاكليروس (اصحاب الرتب الكنائسية) والزوار والربان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية في الروم ايلي والاناطول حائزين حقوقاً واحدة وامتيازات وخصائص واحدة وفوض الى القناصل ونواب الدول الاجنبية في تلك الممالك حق في حماية اولئك المذكورين وحماية مصالحهم الدينية والظهيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة او غيرها اما الحقوق المسلمة لفرنسا فلم تزل مرجعية الاجراء وصار من المعلوم المقرر هنا انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة اما زوار جبل اثوس من اي جنس كانوا فيبقون حافظين لاملاكهم وامتيازاتهم ومنهم السابقة وبقون متمتعين بمساواة تامة في الحقوق والمزايا

(المادة الثالثة والستون) بقي معاهدة باريس التي امضيت في ٣٠ مارس ١٨٥٦ ومعاهدة لندرة التي امضيت في ١٣ مارس ١٨٧١ مرجعية الاجراء وذلك لما يتعلق بالمواد التي لم تنسخها ولم تعد لها هذه المعاهدة

(المادة الرابعة والستون) يقع التصديق على هذه المعاهدة بمد ثلاثة اسابيع او اقل ان امكن وللشهادة بذلك اثبت الموقعون امضاءهم على هذه المعاهدة بعد ان وضعوا عليها اخنامهم

تحريراً في برلين في اليوم الثالث عشر من شهر يولييه (تموز) سنة ١٨٧٨

الامضاء

فون بسمارك	صالسبري	هايمول	شوفالوف
فون بولوي	اود روسل	وادنطون	دويريل
هوهنلو	كورتني	سان فاليه	قره تيودوري
اندرامي	لاوني	ديبريس	محمد علي
سكارولي	غورجيوف	بكنسفيلد	سعد الله

وعند الاخذ في العمل يقتضى هذه المعاهدة طلبت روسيا عقد معاهدة نهائية لتصبح ما سلم من معاهدة سان استيفانوس لتخرج عساكرها من الاراضي العثمانية فاستقر الامر على معاهدة تعريبها

(المادة ١) يقع بمقد هذا صلح ووداد بين السلطنتين

(المادة ٢) قد وقع الاتفاق بين الدولتين على ان نصحرا بان المواد التي تضمنتها معاهدة برلين التي صار اجراؤها بموجب توسط الدول السبع جرى العمل بها عوضاً عن شروط صلح معاهدة اياسطفانوس التي صار تعديلها او تبديلها في مؤتمر برلين

(المادة ٣) جميع مواد معاهدة اياسطفانوس التي لم يحصل تبديلها او تعديلها او الغاؤها في معاهدة برلين جرت تسويتها في المواد الاتية من هذه المعاهدة تسوية قطعية

(المادة ٤) بعد اسقاط قيمة الاراضي التي سلمتها تركية الى الروسية بموجب معاهدة برلين يبقى مبلغ الغرامة الحرية المتعين على الباب العالي اداءه ٨٠٢٥٠٠٠٠٠٠ فرنك وكيفية اعطاء هذا المبلغ والضمان عليه تكون بالاتفاق بين دولة الخصرة العلية السلطانية ودولة قيصر الروسية ما عدا ما صرح به في المفضلة الحادية عشرة من معاهدة برلين فيما يتعلق بالغرامة الارضية والحقوق الاولوية المخصصة بالدين لم مطالب على الدولة العلية

(المادة ٥) مطالب رعية الروسية القاطنين في تركية بصفة تمريض عن الضرر الذي حصل لهم في مدة الحرب الاخيرة تعطى عند رؤيتها وتسويتها بمعرفة سفارة الروسية بالاستانة واخراج الباب العالي عليها وعلى كل حال لا يمكن ان تزيد على ٢٦٧٥٠٠٠٠ فرنك ويلزم تقديمها الى الباب العالي في ظرف سنة واحدة اعتباراً من يوم مبادلة هذه المعاهدة المصدق عليها وبعد مضي سنتين لا يقبل الباب العالي شيئاً منها

(المادة ٦) يمين من طرف الباب العالي ومن طرف دولة الروسية مأموارات مضمونة لتسديد حساب قوئين العساكر العثمانية الذين كانوا اسرى في الحرب الاخيرة وهذه المصاريف تعين الى يوم التوقيع على معاهدة برلين ويسقط منها المبلغ الذي صرفته الدولة العثمانية على موفولة الروس الذين كانوا اسرى عندها وبعد تسوية هذا الحساب يدفع الباب العالي المبلغ الى الروسية في احد وعشرين قسطاً متساوية يكون دفع آخر قسط منها في ظرف سبع سنين

(المادة ٧) سكان الاماكن التي الحقت بالروسية الذين يريدون الالاماة في غيرها يسوغ لم الخروج منها بحرية تامة كما انه يسوغ لم ايضا بيع املاكهم وعقاراتهم « الغير المنقولة » ولأجل هذه الغاية تعطى لم مهلة ثلاث سنين اعتباراً من يوم التصديق على هذه المعاهدة فإذا انقضت هذه المدة ولم يخرجوا من الاماكن ولم يبيعوا عقاراتهم يصيرون رعية للروسية

(المادة ٨) قد تعهد الموقعون على هذه المعاهدة بان لا يعاقبوا او يسبوا معاقبة رعية الدولتين الذين كان لم علاقة او مشاركة مع عساكرها في الحرب الاخيرة واذا اراد احد من العنانيين ان يتبع عساكر الروس عند خروجهم من ارض الدولة العلية فلا يسوغ لأموري هذه الدولة ان يمنعهم

(المادة ٩) منحت رعية الدولة العنانية الذين اشتركوا في الانقلاب الاخير الذي وقع في ولاياتها بالروم ايلي الامان والعفو التام بحيث ان كل من حبس منهم لهذا السبب او نفي او ابعد من بلادهم يعني عنه ويغزل الحرية التامة

(المادة ١٠) جميع المعاهدات والاتفاقات والتعهدات التي كانت حاصلة بين الموقعين على هذه المعاهدة فيما يتعلق بالاحكام وحال رعية الروسية القاطنين في تركية ثم الفيت بسبب الحرب الاخيرة تصير معمولاً بها كما كانت سابقاً فتبقى علاقة كل من الدولتين من جهة تعهداتها وعلاقتها التجارية وغيرها على الحالة التي كانت عليها قبل الاعلان بالحرب ما عدا ما صرح به في هذه المعاهدة او في معاهدة برلين

(المادة ١١) يتشبه الباب العالي بالوسائط الفعالة لتسوية جميع الدعاوي والمنازعات المختصة برعية الروسية الموقوفة منذ بعض سنين ويعطى لم تعويض اذا اقتضتها الحال مع المبادرة الى انهاء جميع الدعاوي التي صدر بها لم اعلانات وقرارات المجالس

(المادة ١٢) بعد التصديق على هذه المعاهدة يقع تبادلها في صان بطرسبرج في ظرف اسبوعين او اقل اذا امكن

تحريراً بالاستانة العلية في ٨ شباط (فبراير) ١٨٢٩

فتلخص مما تقدم ان سائر الممالك العنانية هي آمنة للوارد عليها واحكام الدولة المعلنة بها لكل من حوثة ممالكها شرعية سياسية منظمة ولها مجلس شورى ومجلس اعيان

ومجلس مبعوثان (نواب) وان اعترض الآن من القلائل الخارجية ما اوجب تأخير
اجتماع المجلسين الآخرين لانتهاء اجراء الاصلاحات حقيقة واما تعيين قواها البرية
والبحرية والمحل والمخرج فقد تقدم ذكره مع بقية الدول

﴿ الى هنا وقف المؤلف رحمه الله القلم ﴾ وبذلك اختتم هذا الكتاب وتم ﴿



تقاريطا

﴿ كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ﴾

مكتوب

وارد من فخر العلماء والاشراف السيد علوي السقا شيخ السادة بمكة المكرمة سابقا حرسه الله
الحمد لله تعالى

حضرة العالم العلامة والخبير الفهامة الملاذ الانعم والماجد المهام الاكرم مولانا الشيخ
محمد بيرم ادام الله النفع به امين
بعد اداء تحيات عاطرة . واشواق متكاثرة . هو اني بعد ان تشرف فاطري بالمرور
على جملة صالحه من تحريراتكم البديعة العالية المنار . وجدتها جديرة بما نعتت به من صفوة
الاعتبار . بمستودع الاقطار والامصار . اضاء بسياحي فيها فاطري . وتنزه من الغيوم
بيولاني بها فاطري . كيف وهي خريدة غراء عريضة الا انها غريبة سيف بلاد الروم .
وعروس تجلت في منصفها الا انها لا يكافئها كل خاطب لها يروم . اشرفت فيها كواكب
التدقيق . واضاءت في آفاقها شمس التحقيق . ابدعتم معانيها واحسنتم . واحكمتم مبادئها
واثقتنم . فشكر الله تعالى لكم حسن هذا الصنيع . واسأله تعالى دوام النفع بكم لكل وضع
ورفع . وما هي يد الخادم عائدة اليكم . بجمية عريضتنا هذه النابتة عنا في لثم اياديكم .
ودمت . في عز كرامتم

مستمد دعواتكم الصالحة

في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٠٠

﴿ علوي بن احمد السقا ﴾

ترجمة مكتوب

وارد عن لسان صاحب المحنة ملك السويد والنرويج اوسكار الثاني من مدينة اوسالا
تاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٨٨٩

حضرة السيد

بأمر من جلالة الملك اتشرف بأن اخبركم بورود تأليفكم الموسوم بصفوة الاعتبار
الذي تفضلتم بتقديمه الى مقامه السامي بصفة كونه حاميا ورئيس شرف للمؤتمر الثامن
الدولي للمستشرقين وقد كلفني جلالتكم بان ابليج سيادتكم جزيل شكره على هذه الهدية
النفيسة وتفضل يا حضرة السيد بقبول فائق اجلاي واحترامي رئيس الكتاب
دوسيلسنگ

واسم الكتاب المذكور في الصفحة ٦٢ من فهرسة الكتب التي قدمت الى جلالة الملك المشار اليه بجلالك المناسبة

ترجمة مكتوب وارد باللغة التركية

من اكتب كتاب عمرو الوزير المرحوم سعد الله باشا سفير الدولة العلية في ويانه سابقا
من مدينة ويانه بتاريخ ٤ مايس ١٨٨٨

فضيلتو افندم حضرتاري

وصلت ليد الاعزاز نيفتكم الكريمة واني لني غاية الابتهاج مما تفضلتم باظهاره في
حق هذا العاجز من آثار توجيهاتكم الودادية وارجوكم قبول عذري لتأخري عن المبادرة
بالاجابة. هذا واني اتباهي بوقوفكم بالخبر على ما كنت احممه بالخبر عن فضائل ذاتكم العلية
وكالاتكم المشهورة وانكم تحرير صاحب قلم او فقهوه غلدة الملقوا المدنية الاسلامية واقبالها
وترقيها وقد حفظت ذكرى ملاقاتنا التي تشرفت بها عند ما حضرتم الى اوربا لتبديل
المواد واهنيكم على توفيقكم تحرير رحلتكم المسماة بصفوة الاعتبار المشهورة بالفوائد العلية
التي تحتشرفني بنسخة منها لطفكم منكم وتكرمكم « فخير الناس من ينفع الناس » واني ارجو
ان لا تنسوني من دوام توجيهاتكم والامر لسيدي في كل حال
سعد الله

ترجمة

المرحوم السيد محمد بيرم الخامس

هو السيد محمد بن مصطفى بن محمد الثالث بن محمد الثاني بن محمد
الاول بن حسين بن احمد بن محمد بن حسين بن بيرام حضر الى تونس
قائدًا على احدى فرق الجيش العثماني عند فتحها من يد الاسبانيول على
يد الصدر الاعظم سنان باشا سنة ٩٨١ هجرية وقد تزوج بيرام بنتًا من آل
ابي عبد الله بن الابار القضاي صاحب كلاب التكلة ولعبت الكتاب
وهو الذي ارسله صاحب بلنسية زيان بن ابي الحملات الى صاحب افريقية
(تونس) ابي زكريا يحيى بن ابي حفص يستغيث به لما حاصره ملك برشلونة
الاسبانيولي فانشده قصيدته المشهورة التي اولها

ادرك بجيلك خيل الله انداسا ان السيل الى منجاتها درسا

وقد قدر الله ان الاسطول الذي ارسله صاحب تونس لم يصل في
الوقت المناسب لانجاد الاندلسيين فرجع ابن الابار لتونس حيث استوطن
بها سنة ٦٣٥ وقد امهرها بيرام اربعة الاف ريال هذا هو المنشأ الاصيل
لهذه العائلة

وقد ولد السيد محمد بيرم بمدينة تونس في الحرم سنة ١٢٥٦ هجرية الموافق
للمرس سنة ١٨٤٠ ميلادية وامه بنت الفريق محمود خويجه وزير البحرية
بالايالة التونسية وامها بنت التماذي الشرف المعروف ويتصل نسب آل بيرم

بالسادة الاشراف من جهات اخرى ايضا اهبا جهة محمد بيرم الاول فان والدته بنت السيدة الشريفة حسينة بنت محمد بن ابي القاسم بن محمد بن علي بن حسن الهندي الشريف وهذا السيد قدم الى تونس واجمعت عامتها وخاصتها على الاعتقاد بنسبه الطاهر والتبرك به ونسله فيها بركة اهل تونس الى الآن اما نسبه فيتمصل الى الحسين السبط عليه السلام وقد تولى محمد بيرم الثاني نقابة الاشراف في حياة ابيه مضافة الى خطة القضاء التي كانت بيده سنة ١٢٠٦ واستمرت النقابة في يده ولده محمد بيرم الثالث وحفيده محمد بيرم الرابع الى حين وفاته سنة ١٢٧٨ كما ان رئاسة الغتبيين الحنفية المبرع عنها في تونس بمشيخة الاسلام استمرت في يدهم ويد ابيهم محمد بيرم الاول من ذي القعدة سنة ١١٨٦ الى ٤ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ اي احدى وتسعون سنة وسنة اشهر ولم تقطع الا مدة قليلة بين وفاة بيرم الاول وولاية بيرم الثاني . وكان جسيم آل بيرم منخرطين في سلك العلماء مفتخرين بخدمة العلم الا القليل منهم فقد دخروا في الخدمة العسكرية فاجتمع لهذه المائلة خدمة الدين من الطريقين طريق العلم وطريق الجهاد حتى ان احمد بيرم توفي بجراحة اصابته في محاربة الجزائر بين لمراد باي امير تونس اذ ذاك سنة ١١١٢ وكأنت هذه الخدمة السياسية اثرت في صاحب الترجمة مع قرابته لوزير البحرية حينئذ فصار له ميل كلي للتدخل في الامور الملكية ومعرفة احوال الحكومة وقد كان جده محمود خوجه رام ادخله في الخدمة العسكرية لولا ممانعة عمه شيخ الاسلام بيرم الرابع فدخل صاحب الترجمة الى جامع الزيتونة وقرأ على مشايخ الوقت المدودين ولم ينمه ذلك عن افعال فكره بما يهواه من

امور الادارة مع تباعد اهل العلم عادة عن كل ما هو خارج عن دائرة دروسهم وقد جرت عادة الكثير من العلماء والادباء بتونس ان يكون لكل واحد منهم سفر شبيه بالسفينة يسمونه "كناشا" يجتمعون فيه ما يحلو لبيهم جمعة من انشائهم او انشآت غيرهم علمية وادبية نفاها ونثرا متضمنة انقوائد مختلفة في فنون ومعار شتى وقد خطى صاحب الترجمة على خطاهم وعمره سبعة عشر سنة واول ما افتتح به كتابه ما تجمع لديه من اوامر وقوانين ونظامات في شؤون الحكومة اصدرها اذ ذاك صهره الامير محمد باشا وهذا يدل دلالة واضحة لا شبهة فيها على ميل صاحب الترجمة وتعلقه باحوال السياسة وقد كان في حال صباه يرى العربان يفدون على والده وهو مشغول بالزراعة يتفجرون ويوجعون مما يصيبهم من ظلم الحكام وتشديدهم في نهب الاموال بسائر الطرق التي اخترعوها في ذلك الوقت مما هو مبسوط في الكلام عن سياسة تونس الداخلية في صفوة الاعتبار فائز فيه تحبيهم وبكلاؤهم فاوقف حياته من ذلك المهد على الانتصار للرعايا وتخفيف الاستبداد عليهم والسعي وراء نشر القوانين وتأسيس المجالس النيابية والميل بكل جوارحه للحرية مع ما جرت به العادة من تباعد ذوي البيوتات عن مثل ذلك حتى لقد بلغ به الولع بالحرية وحسب المجالس الشورية ان تخالف رأيا يوما وهو صغير السن لا يتجاوز من العمر عشرين سنة مع ابيه وابن عمه عندما افتتح الامير الصادق باشا المجلس الاكبر واسس قوانين عهد الامان (كونستيتسيون) فكان صاحب الترجمة ينتصر لهذه المستحدثات ويرسم فيها خيرا للبلاد وذلك يخالفنا مع ان احدهما كان من جملة اعضاء المجلس لما غرس في اذهان اصحاب

البيوتات من التنحي عن مثل هذه الاستحداثات التي لا تروق في عين
حكامهم وبعد وفاة عمه الشيخ بيوم الرابع ولاه الامير مشيخة المدرسة العنقية
في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٧٨ فباشّر التدريس فيها ومن عادة علماء تونس
من مشايخ المدارس ان يقرأوا فيها صحيح البخاري خصوصاً في الاشهر الثلاثة
المكرمة واعتباراً من ١٥ رمضان يبتدى كل واحد منهم بحسب الدور يجتهد ما
قرأه وذلك بان يتلو الحديث الشريف الذي وقف عليه ويكتب عنه ما يمين
له من الشروح والتعليقات ويكون لذلك مجلس حافل يستمر من العصر الى
قريب الغروب وتتوالى الاحتفالات المذكورة الى الليلة السابعة والعشرين
من رمضان حيث يكون ختم جامع الزيتونة ودور المدرسة العنقية في اليوم
الخامس والعشرين منه وقد حضر الامير بنفسه ذلك الختم في تلك السنة تشجيعاً
للشيخ الجديد وكان حديث الختم قوله عليه الصلاة والسلام "ان امتي يدعون
يوم القيامة غراً محجلين فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل" وفي ٩
جمادى الثانية سنة ١٢٧٨ صار مدرساً في جامع الزيتونة من الطبقة الثانية
وفي ١٥ رجب سنة ١٢٨٤ رقي مدرساً من الطبقة الاولى فاستمر مباشراً
للتدريس مشغولاً بإدارة املاكه وعقاراته واموره الخصوصية وتوفي والده
الى رحمة ربه في ١٤ جمادى الاولى سنة ١٢٨٠ وترك له ثروة عظيمة وفي
تلك الاثناء ظهرت الفتنة العمومية في الايالة التونسية متسببة عما كان
يتوقعه ويخشاه من عاقبة ظلم الرعية واستبداد الحكم وقيل ذلك اقلت
المجالس الشورية التي كان صاحب الترجمة يتولع بها ويهاها ولا يتوسم
لخير المملكة سواها وكان ذلك اثر عليه تأثيراً شديداً حتى انه كاتب احد

اصدقائه من امراء المسلمين اقيمين بأوربا بما نص محل الحاجة منه " فيا لها من حال . يرثي لها من رام النزال . وتغر لشدتها شاحنات الجبال . الى ان قال فقد فاز من نهض بنفسه . واستراح من فتنة باطنه وحسه . اذ الآيات وردت على ذلك ناصة . فقال تعالى وانقوا فتنة لا تصيبن الذين ظالموا منكم خاصة . ففاز المخففون . وابتلوا المتأهلون . ووالله العظيم ونبيه الكريم . طالما نهضت عزائي الى الترحال . فاثقلني قيود العيال . مع ما انا عليه من الوحدة عن اخ شقيق . اذ قريب يخلفني فيهم عند الضيق . ولم استطع التخلص بكلي . لما لا يخفى مما يشغل كلي . واقسم بالقرآن . وصفات الرحمن . اني عرضت للبيع املاكي . لاتخلص بها من اشراكي . واستعين منها بالاثمان . فلم اجد من يصرف لهذا الوجه اي عنان . ولو من اعيان الاعيان . الخ^٢ (والمكتوب كله منشور في الصحيفة ٣٦ من الجزء الثاني من صفوة الاعتبار) ومن ذلك الحين اشتد اتصاله بالوزير خير الدين باشا اذ كان هو رئيس المجلس الاكبر . الذي انفي وكانت مناسبة الوصلة بينها حبهما للحرية وتعميم الشورى في المملكة وهما كما لا يخفى القوتان الوحيدتان لحفظ استقلال البلاد من التلاشي ولذلك فانه لما تولى خير الدين باشا الوزارة الكبرى في تونس في رمضان سنة ١٢٩٠ كان صاحب الترجمة من اكبر انصاره ومحازبيه وتفاهر بذلك تظاهراً كلياً حتى نشر في الرائد التونسي الذي هو جريدة الحكومة الرسمية مکتوبين اظهر فيها انبساط الاهالي من تغيير الوزارة وبين ظلم المنتصرين للحاكم السابق وانهم فئة قليلة لا تحب خير البلاد وكان بذلك اول تونسي جاهر بآرائه السياسية في الجرائد تحت امضائه على ما اذن وزاد

على هذا التظاهر الادبي بان سعى في اعمال تظاهر مادّي وذلك بان اتفق مع علماء جامع الزيتونة على اقامة احتفالات في الجامع شكراً لله على انقاذ البلاد من عهد الجور وادخالها في عصر الامن والرجوع لهد الامان وحمل بالفعل ذلك الاحتفال واعقبه كثير من له في جهات الحاضرة وبقية بلدان المملكة فكانت نهضة حقيقية وطنية صادرة عن اخلاص نية حبا في الحرية واستقامة الاحكام ولما استقرّ الوزير المشار اليه في المنصب ووجه عزمته لاصلاح الادارة رأى ان الاوقاف مشقة قد استولت عليها ايدي الخراب والاطاع فرأى ان جمعها في ادارة واحدة يكفل حفظها ويجمع ريعها فيصرف في اوجه المشروع وذلك على النحو الجاري في دار الخلافة السعيدة وقد رأى الوزير ان يهد الى صاحب الترجمة امر هذه الادارة الجديدة لما يعهده فيه من معرفته بالاحكام الشرعية واطلاعه على مقتضيات الوقفية فاستنعم المحرمين اولاً من قبول اي وظيفة كانت لانه لم يكن يميل الى التقيد بشيء مما يمنعه عن السعي وراء ضالته المنشودة وهي الحرية للرعية ودخوله في الوظائف بجملة بل ارب مفيداً مع الوزير بالآداب التي تقتضيها الوظيفة اما بقاؤه خارجاً عن دائرة الحكومة فيبقى على حربه التي تمكنه من تذكير الوزير بما عساه ينساه من تميمه لما كان تهد باجرائه هذا فضلاً عما كانت عليه سجة صاحب الترجمة من الهمة واباء النفس حتى كان جده حسين يبرم المتوفي سنة ١١٥٥ قد انظر اليه بظفر الغيب لما ذبل البيتين الشيرين

شيان لو بكت الدماء عليها عيناى حقّ تؤذنا بذهاب
لم يلبغا المعشار من حقيها فقد الشباب وفرقة الاحباب

يقوله

واشد من هذين ان يلقي الفتي ذل السؤال ووقفه الابواب
 ومع ذلك فقد تنلب اصحابه عليه وقبل ادارة الاوقاف في ١٧ صفر
 سنة ١٢٩١ ولم ينفرد مع ذلك بامرهابل شاركه معه مجلساً مؤلفاً من ثلاثة
 اعضاء اقدم من رجال الادارة والاثنان الآخرا من اعيان الاهالي والتجار
 وجعل نظرم في الاوقاف على قسمين الاول الاوقاف الالهية اي التي هي
 موقوفة على ذرية الواقف او قرابته والثاني الاوقاف التي على اعمال البر
 مثل الخوامع وقراءة القرآن وغير ذلك فاما نظرم في الاول فهو مجرد نظر
 ارشاد واما القسم الثاني فنظرم عليه نظر تصرف مطلق والمباشر للاعمال هو
 الرئيس بعد اخذ رأي الاعضاء عنها وقد جمع الاوقاف كل نوع منها لجهة
 واحدة بان ضم مثلاً جوامع الخطب كلها لجهة والمدارس كلها لجهة واوقاف
 القرآن لجهة وهكذا الى اخر انواع الموقوف عليه وجعل لكل قسم وكيلًا
 خاصاً يباشر العمل في ذلك تحت النظر الاصلي فيقبض الوكيل ويصرف في
 اقامة الشعائر وفي اصلاح الموقوف والموقوف عليه ولكنه لا يعمل شيئاً الا
 بعد الاستئذان من رئيس المجلس وجميع حساباته ترسم في دفترين مخصوصين
 بشهادة عدلين احد الدفترين للحسابات اليومية والثاني للحسابات العمومية
 وانما جمع كل نوع من الاوقاف تحت نظر وكيل واحد لان الموقوف عليه
 مختلف الربع بعضه غني وبعضه فقير فاذا كانت ادارتها جميعاً متحدة فيصرف
 من دخل الفتي على الفقير لانها من نوع واحد وبذلك تيسرت سهولة
 الاصلاح ثم انه في آخر كل اسبوع يقدم الوكلاء حساباتهم ويوردون

للخزينة العمومية كل ما زاد عندهم من الايراد على المصروفات الضرورية وهذه الخزينة لما ثلاثة مفاتيح اثنان منها يبقيان بطرف امين المال والثالث يحفظ عند الرئيس ولا تفتح الا بحضور الجميع ثم ان جميع اماكن الاوقاف لا يحصل تأجيرها الا بعد الاعلان وللزائدة علناً بمحضر القاضي ثم ان اموال الاوقاف اول ما يقام منها الوقف والموقوف عليه حسب نص الوقف ويقدم الالم على الهم وجميع مداورات المجلس ودفاتر الايراد والصرف في الخزينة العمومية يمضيها جميع الاعضاء مع الرئيس يومياً وكان يصرف من فواصل الاوقاف على الاوقاف التي لم يحضرها دخلها وذلك على وجه القرض ولما يحضر مالها تعيد ما استقرضته للخزينة العمومية ثم يدفع منها جميع مرتبات الحكام الشرعيين من قضاة ومفتيين في جميع المملكة والسادة الاشراف ويدفع منها مصروفات نظارة المعارف من موظفيها ومرتبات مدرسي جامع الزيتونة ومصروفات دواوين الشريعة المطهرة ومصروفات المجلس البلدي بماضرة تونس واصلاح الطرقات وتنظيفها واقامة الجسور والقناطر ومصروفات المستشفى والمكتبة العمومية وغير ذلك من مصاريف بعض المهمات التي تحدث احياناً وترجع الى مصلحة عمومية ان كان في الفوائض ما يوفي بها وبسبب اجراء قوانين الاوقاف حقيقة بدون عناية تحسن حالها وزادت ايراداتها حتى بلغت في السنة الخامسة من وجود هذه الادارة مليونين ومائة وخمسين الف ريالاً ونيفاً وكانت في السنة الاولى مليوناً واحداً ومائتي الف ريال ونيفاً زيادة على ما ظهر من الاوقاف التي كانت تلاشتها ايدي العدوان حتى بلغت الى مئات من قطع الاراضي والدكاكين والبيوت وآلاف من شجر

الزيتون كما هو مبسوط في العدد ١٨ من الرائد التونسي سنة ١٢٩٧ وظهرت
اوجهه من الموقوف عليه لم تكن في الحسبان كالوقوف على تنوير الاماكن
المظلمة في الليل والوقف على التقاط العقارب الى غير ذلك من اوجه البر.
وقد التزم الرئيس ان يفرغ جهده لاصلاح هذه الادارة المستجدة وتدريب
عمالها على العمل حسب المرغوب حتى انتزم في اول الامر ان يباشر جميع
الاعمال بنفسه جزئية وكلية ليلاً ونهاراً واستمر على ذلك مدة طراً عليه في
اثناها مرضٌ عصبي لم يفارقه الى ان قضى عليه وكان ابتداء المرض في
صيف سنة ١٢٩٢ وبسبب هذا المرض عزم على السفر للتداوي في اوربا
فسافر اليها في شوال سنة ١٢٩٢ وكان ذلك سبباً لكتابتها صفوة الاختبار ولم
تكن هذه الرحلة اول تأليف له بل قد سبق له كتابة رسالة سماها "تحفة
الخواص في حل صيد بندق الرصاص" ومضمونها احتواء عنوانها وسبب
تأليفها الخلاف الحاصل بين بعض العلماء في حل اكل الصيد المذكور من
عدمه والى ايضا في اول نشأته مجموعاً مختصراً مفيداً في فن العروض
وذلك عند بداية تعاطيه لنظم القريض وحرر مسألة فقهية في جواز اسدال
شعر الرأس وسببها ان الامير امر رجال حكومتهم باسدال شعرهم وكانوا
يحملونه فاستفتي في جواز ذلك من عدمه واختلف فتاوى العلماء خشية
القول بالتشبه بالافرنج فكتب المرحوم رسالته بالجواز مستنداً على عمل النبي
صلى الله عليه وسلم . وفي تلك السنة اي سنة ١٢٩٢ افتتحت في تونس اول
مدرسة على حسب النظام الجديد المتبع في اوربا سميت المدرسة الصادقية نسبة
لالامير فكان المرحوم من اعضاء اللجنة التي رعت نظاماتها واهتم كثيراً باقناع

الناس على ادخال ابنائهم فيها وكان هو من اول العاملين بقوله فجعل ابنه كاتب هذه الاسطر من جملة تلامذتها وقد حصل في بداية الامر نفور الناس منها اذ ان العادة جرت بنقرة غير المألوف ولم تنزل تلك المدرسة ناشرة فوائدها بين التونسيين واكثر المتولين مناصب الحكومة بتونس الآن هم من الشبان الذين تقذوا بلبان معارفها

وفي ١٠ جمادي الثانية سنة ١٢٩٢ عهدت اليه نظارة مطبعة الحكومة فنظمها واصلح شأنها واصدر الرائد التونسي (الجريدة الرسمية) في مواعيده المعينة كل اسبوع مرة وكان لا يصدر الا بحسب التيسير ولما كان الرائد التونسي هو الجريدة الوحيدة التي تصدر في تونس بذل كل ما في وسعه لجمع له مفيدا لبني وطنه واستعان على تحريره بمجاهذة اعلام كاشيخ حمزة فتح الله المصري والشيخ محمد السنوسي التونسي ونشرت فيه مقالات رنانة حاثثة على الجامعة والوحدة والعدل والائتلاف لا سيما زمن الحرب بين الدولة العلية والروسيا وقد قسم المرحوم وقته فكان يتوجه لادارة الاوقاف صباح كل يوم ويتوجه للمطبعة بعد الظهر وفي تلك الاثناء نظم المكتبة الصادقية بازاء جامع الزيتونة وهي مكتبة جمعت آلافا من الكتب النفيسة في كل فن تبرع بجانب عظيم منها الوزير خير الدين باشا واكثرها كتب استولت عليها الحكومة من مملوكات الوزير القديم مصطفى خزندار وجعلها مفتوحة للمطالعة واستفادة العموم في جميع اوقات النهار بشرط ان لا يخرج منها كتاب وجميع مصاريف هذه المكتبة تحملت بها ادارة الاوقاف على ما مر بيانه وفي سنة ١٢٩٣ لما ظهرت الحرب بين الدولة العلية والعرب بذل

صاحب الترجمة غاية مجهوده لمساعدة الدولة بالمال والخييل والبغال حيث لم تيسر مساعدتها بالرجال لاسباب سياسية وموانع محلية وقد نشر صاحب جريدة الجوائب الصادرة بالاستانة قصيدة لصاحب الترجمة في الحث على التعاون والائتلاف عند تلك المناسبة قال فيها

يا امة الاسلام صونوا عزكم	بتعاقد وتمدن وتنافس
يا امة الاسلام احبوا ذكركم	بتآلف وتودد وتانس
يا امة الاسلام نموا صيتكم	بمعارف وصنائع ومجالس
يا امة الاسلام حوطوا امركم	بتشاور وتدبر وحوارس
يا امة الاسلام اجلوا فخركم	بديانة قد سترت بمخادس
يا امة الاسلام هبوا للفلا	ح ولا تضيعوا نعيمكم بتقاعس
يا امة الاسلام عوا واستيقظوا	ان الهلاك مسارع للناعس
يا امة الاسلام زيدوا ثروة	بتعاون ومصانع ومغارس
يا امة الاسلام شيدوا مجدكم	بتناصر وتناصر وتجانس
يا امة الاسلام شدوا عزمكم	فتبائنكم بين البرايا ما نسي

ولما خات وظيفة شيخ الاسلام بتونس عند وفاة صاحبها توجهت الانظار لتولية صاحب الترجمة عليها حتى ان المنصب المذكور بقي خاليا مدة شهرين لذلك فاعتذر بان الوقت غير مناسب لاعادة جاه هذا المنصب ورجوع عزه اليه كما كان عليه زمن عمه

ولما استعفى خير الدين باشا من الوزارة التونسية في رجب سنة ١٢٩٤ رام صاحب الترجمة التخلي عن وظائفه ايضا غير ان مداخلة الامير الشخصية

منعته من تنفيذ هذا العزم وقد رأى من الوزير محمد خزنة دار جميل العناية كما يستدل عليه من المکتوب الآتي

”الهام الاوحد التحرير الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف دام مجده اما بعد السلام عليكم وبركاته فالواصل اليكم ترجمة مکتوب ورد من المکلف بامور دولة اسبانيا للاطلاع عليها وتعرفونا بما يجاب الرجل في النازلة وفي امن الله دتم والسلام من كاتبه محمد في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٤“ ومن ذلك الحين ايضاً صار الوزير مصطفى بن اسماعيل يظهر له كمال التودد والتلطف وفي مصيف سنة ١٢٩٥ اثناء وجود المعرض الباريسي سنة ١٨٧٨ توجه المرحوم ثانيًا الى باريس للعالجة من مرضه الذي لم يفرقه وفي هذه السنة زار لندره من بلاد الانكليز وعند عودته عرج على الجزائر وفي مدة اقامته بباريس اكرمه المارشال مكهاون رئيس الجمهورية الفرنسية اذ ذاك باحضاره في الاوبره وهو التياترو الكبير في نفس لوجته (حجرتو) وحضر بعض الاحتفالات التي اقامها الوزراء اثناء المعرض وبالجملة فان القوم اكرموا اكراماً فائقاً وفي تلك السفرة احتفل ولي عهد الامارة بتونس وهو الامير الحالي بجنتن تجليه فكاتبه المرحوم بالتهنئة وكانت بينها علاقة ودية قديمة فاجابه الامير بهذا المکتوب ونصه بهد الحمدة والتصلية

تبدت في حلا الحسن الحلي	خريدة ذات ثغر العسي
تجر مطارقاً وغميس نيباً	ويسطو لحظها في كل حي
فيا لله ما احلى دلالة	واعذب لفظها شهد الشهي

فما للبحر لم يصبح فراتا وقد امست به زمن المي
 فقلت لها انتم يا اخود فخر فقات بنت فكر البيرومي
 لقد حاز المعارف والمعالي وحيد الدهر ذو الحسب النقي
 انت من نحوكم درر التهانى منظمة بسلك جوهرى
 وكيف يفوت حظك بابتعاد وفي الاحشاء ذو ودّ خفي
 وها ولدي الزكي يروم وصلاً لجانبكم بباريس السبي
 واني ارتجى بشرى الشفاء وعودكما مع اللطف الخفي
 الماجد الزكي العالم ابو عبد الله الشيخ السيد محمد يرم حرسه الله تعالى .
 اما بعد اتم السلام فقد ورد نظمكم الرائق . وما تضمنه من التاريخ الفائق .
 في التهئة بالحنان واني اهنيك بذلك كما ارتجى هناءك . بتمام شفائك . وانت
 ان ترحلت عن حمانا جسماً . فلم يزل ودك مرتسماً . بدفاتر الاحشاء رسماً .
 والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء علي باي امير الاحمال عفى عنه
 في ٢ رجب الاصب من سنة ١٢٩٥

ولما رجع من هذه السفرة واستقر مدة احب ان ينفذ المستشفى التونسي
 على النحو الذي رآه في اوربا من ائقان المستشفيات والاعتناء بالمرضى
 وتقسيمهم كل قسم على حدة وكذلك تحسين حال المجانين اذ ان المستشفى
 التونسي واحد يقبل جميع المرضى واستعان على ذلك بحكام ماهرين اهمهم
 الدكتور ملكرو حكيم الامير الخصوصي وقد حسن للوزير مصطفى بن
 اسماعيل هذا العمل وتخصيص احدى القشلاقات العسكرية القديمة الواسعة
 لهذا الغرض وكانت معطلة خاوية تعمي بفراغها واقفال ابوابها ما كانت عليه

البلاد التونسية في العصر السالف من القوة والاستعداد والتأهب للمكافحة
 والجلاد والمدافعة عن استقلال البلاد والقشة واقعة في حي مزقق نقي الهواء
 وفي تلك الاثناء حصلت منازعة بين الحكومة التونسية واحد الفرنسيين
 المدعو الكونت دو صانسي على ارض فسيحة تعرف بهنشيرسيدي ثابت
 كانت تنازلت له عنها الحكومة لتحسين حالة الزرع وانتاج الخيل ولما اخل
 بالشروط التي اعطيت له بمقتضاها وانتهت مدة التنازل رامت الحكومة
 استرجاعها وبينما هي تنازعه فيها اذا بالوزير وبعض اعوانه دخلوها عنوة
 فوقع لذلك هرج ومرج وانتهزها قنصل الفرنسيين الموسيو روستان فرصة
 لارهاب الامير والاستيلاء على الوزير وزيادة شوكة دولته في تونس
 فقطع العلاقات السياسية وطلب عدة مطالب للترضية اهمها عزل الوزير
 والتمويض على الكونت . وكل مطلع على تاريخ تونس الحديث لم بما كتب
 عن مصطفى بن اسماعيل في صفوة الاعتبار وغيرها يعلم انه لم يكن اهلا
 لتقليد الوزارة ولا لمباشرة شؤون المملكة باي وجه من الوجوه وهكذا
 جرت سنة الخلق . كلما اخذت امة في الانحلال والاضمحلال تسلط عليها
 الوضع . ونبد الرفيع . ونقدّم الغافل . وتأخر العاقل . وتملك الغبي .
 واحتقر الذكي . واتصر الجبل . وخذل الفضل . وقامت دولة الاوغاد والسفل .
 ليقتضي الله امرا كان مفعولا ولولا سيطرة الظلم والاستبداد من الحكام
 والجاهل الاهاالي بلجام من الجور والاعتساف . لما رفع مصطفى بن اسماعيل
 من حضيض الارض الى عنان السماء . ومن دائرة السوق الى منصب الوزراء
 والله الامر من قبل ومن بعد ولما كان الوزير المذكور يحس من نفسه بعدم

البايعة لمركوه كان دائماً متوقفاً الشر من كل مقتدر على تفهيم الباي بحقيقة حاله وسوء اعماله ولذلك فان رستان علم ان لا شيء يقوده غير الارهاب فطلب عزله ارهاباً له فسهل عليه قياده من ذلك الحين فصار في يده كالميت في يد غاسله وقد اسرع الوزير بترضية القنصل ترضية رسمية على الاعتداء الذي حصل منه فداءً لمركوه واستقر الرأي على تشكيل لجنة للتحكيم تحت رئاسة قاض فرنساوي يكون فيها عضوان تونسيان وعضوان فرنساويان تنظر في جميع مدعيات الطرفين وتصدر حكمها فيها فكان صاحب الترجمة احد ذينك العضوين التونسيين وقد ناضل عن حقوق حكومته بجميع قواه وبلغ به تعب الفكر والبدن منتهاه حتى عاد اليه المرض بعد ان كاد يشفي منه وقد اوصاه الحكماء الذين باشروا معالجته في باريس وفي مقدمتهم شاركو الشهير بان يقلل ما امكن من الاشتغال بالفكر ويتباعد عن الانفعالات النفسانية اذ ان مرضه عصبي واقع في الاعصاب الواصلة بين المعدة والقلب مع ضعف شديد في الدم تظراً عليه ادوار غريبة في الوجع والالم التزم لتسكينها بتعاطي المرفين وهو روح الافيون وقد رجع من باريس آخر مرة وكاد يبطل استعماله بالمرّة بل بقي عدّة اشهر لا يستعمله اصلاً غير ان مسألة صانسي وما رآه فيها من حيف الاجنبي لاهتضام حقوق البلاد والتلاعب باستقلالها اعاد اليه المرض كله باشد مما كان عليه وقد صدر الحكم بحقوقية الحكومة التونسية كما هي العادة في جميع المسائل التي تقع من هذا القبيل في البلاد الشرقية في مثل هذه الاوقات

وفي تلك الاثناء انني تنظيماً للمستشفى الجديد المسمى بالصادقي وهو على

فسمين احدهما مجالي للفقراء يسع مائة مريض والآخر للوسرين باجرة معينة زهيدة وافتتحه الامير بنفسه في موكب حافل حضره في يوم ١٠ فبراير سنة ١٨٧٩ (١٨ صفر سنة ١٢٩٦) وأعلن الوزير عن لسان الحكومة بحسن مساعي صاحب الترجمة في تنظيم هذا المستشفى بقوله في خطاب القاء على مسامع الامير في ذلك الاحتفال وهو "بمقتضى الاذن اليلي وعناية سيدنا ادام الله تعالى بقاءه بمصالح بلاده وقع انجاز هذه المأثرة الجميلة التي هي احدى آثار الحضرة المليّة وهي هذا المستشفى الصادقي الذي شرفه سيدنا ايداه الله تعالى بالحضور فيه هذا اليوم وقد اعتنى الشيخ السيد محمد يريم ببذل الجهد في انجازه وترتيبه على الكيفية المشاهدة بما نرجو من الله تعالى ان يحمل ذلك من سيدنا محل الاستحسان" فاجاب الامير بالشكر والتناء واهدى الى صاحب الترجمة في ذلك اليوم علبة مرصعة ذات قيمة وافرة مكتوب عليها اسمه بالاحجار الكريمة. وفي اواسط تلك السنة تناول احد اعوان الوزير على القاضي المالكي الشرعي بديوان الحكم وهو امر لم يعده له مثل في تونس حيث لم يزل الاحكام الشرعية وحكامها مرموقين بين التبجيل والاحترام اللاتنيين فهاجت البلاد لذلك وماجت واتفق الحكام الشرعيون على تعطيل الاحكام الى ان يسترضيه الامير بعزل الوزير وعقاب تابه العقاب الصارم واجراء القوانين والمجالس الشورية في البلاد لتكون ضمانة كافية على عدم العود لمثل هذا الحادث المكدر وعدم تسليم الادوية لمن لا يكون كفوا لها وبعد ان اتفقت كلمتهم على هذه المطالب وكادوا ان يحصلوا عليها دخل بين بعضهم داخل الفرور والفرقة ففتشت آراؤهم وانحلت جامعتهم ورضوا

بتباعد التابع المتناول لاحدى معاقل المملكة في قابس الواقعة على حدود طرابلس وبشكل الامير لمجلس سماء مجلس الشورى للنظر في مهمات امور الدولة وجعله تحت رئاسة الوزير نفسه واعضائه بقية وزراء المملكة ومستشاروها وليس فيهم الا اثنان من الاهالي والباقي كلهم من ممالك الجزائر وكذا وزاد عليهم اثنين هما السيد محمد يرم والعربي باشا زروق رئيس المجلس البلدي وكانا من اشد المعضدين لزام الحكم الشرعيين في مطالبهم التي طلبوها وكان ذلك في ١١ رجب سنة ١٢٩٦ ولا يخفى ما في رضا المشايخ بمثل هذا المجلس خصوصا بعد تعيين صاحبهم فيه من الايقاع بها والتفاضي عن صالح البلاد الحقيقي ولم تطل الايام حتى اخفق الوزير مأمورية لصاحب الترجمة وارسله بها الى فرنسا وحاصلها السعي لدي كبراء القوم وبخصوصا غامبيتا رئيس مجلس النواب اذ ذاك وصاحب القول الفصل في بلاده لتشير فصلهم في تونس لانه اشتد على الحكومة اشتدادا لم يبق لها حرية للعمل في شؤونها الداخلية قط ولم يقف عند حد في القاء المسائل والفتن وتوغير الصدور بين الراعي والزعية حتى انه لما طلب اعيان الاهالي التونسيين ما طلبوه من تأسيس الحرية والشورى في بلادهم كان الموسو رستان نائب الجمهورية الفرنسية ينصح الامير بعدم الاصفاء الى هذا الطلب وان الماسكر الفرنسية بالجزائر مستعدة لمصادته وكسر شوكة الاهالي واذالهم عند اللزوم وهي سياسة قديمة اتبعتها فرنسا في تونس نفسها فان قوانين عهد الامان السابق ذكرها المؤسسة في تونس سنة ١٢٧٤ كانت بمساعي فرنسا وانكثروا ظاهرا ومهددها للامير باسطوليهما اللذين حفروا لذلك الفرض

وكان ذلك لمجرد قتل يهودي في اقامة حدّ اقتضته الشريعة ولما أجريت تلك القوانين بالفعل سنة ١٢٧٢ وتوجه الامير لمقابلة الامبراطور نابليون الثالث في الجزائر واهدى اليه نسخة من تلك القوانين اقتبها منه بالشكر ظاهراً ولما احتلى الامبراطور بقنصله ليون روش وبخه توبيخاً شديداً على ما رواه المرحوم الجنرال حسين واقفه غلظه من المعاضدة على اجراء القوانين الشوروية في تونس حقيقة وقال له ان العرب اذا تأنسوا بالعدالة والحرية فلا راحة لنا معهم في الجزائر مطلقاً ومن ذلك الحين وجه القنصل هتة لاقناع الوزير مصطفى خزنة دار البقاء تلك القوانين ووجد منه اذناً صاغية فالتأها وبقيت كذلك الى هذا الوقت . وقد قبل السيد محمد يرم مأموريته كما قبل المرحوم حسين باشا وزير المعارف اذ ذاك بتونس مثلاً لدى البرنس بسمارك ولما توجه صاحب الترجمة للسلام على الامير سلام الوداع واجهه بكلام اللوم والعتاب على ما جرى منه من تعضيد المطالب الالهية فاجابه الشيخ يرم بكلام اثر في نفسه تأثيراً لم يزل يكرّره بتوجع الى آخر مدته وهو انه قال له اننا نطلب الحرية التي قال سيدنا انه لا يعطيها لنا غيره فاجابه الامير بان اعطي الحرية للتجار والحداد ام لك . او لهذا (واثار الى احد كبار الحاضرين) فان التجار والحداد اذا اعطيا الحرية اساءوا التصرف بها ولم تبقى لنا معها راحة فقال له السيد يرم ان الحرية التي يعطيها سيدنا للحداد والتجار تصيرها مثلي انا ومثل هذا واثار الى ذلك الوجه وسبب انزعاج الامير من هذا الجواب هو تكرار لفظة الحرية فيه ولم يهد انه سمعه من قبل حتى ان امراء تونس قديماً كانوا يعتقدون انهم يمتلكون البلاد بين فيها من

الارزاق والاعانم والسكان امتلاكاً شرعياً لا ينازعهم فيه منازع واورد المؤرخ اللبيب الشيخ احمد بن ابي الضياف في تاريخه نادرة جرت له مع امير تونس حسين باشا الثاني في هذا الموضوع كادت ان تورده حفته رحمه الله . ولما وصل صاحب الترجمة هذه المرة الى باريس وكان ظاهر امره انه توجه للتداوي اجتمع بالموسيو غاميتا وفاوضه في المسألة التي كلفه بها الوزير وسلمه تقريراً فيها هذه صورته

"اني اقدم على وجه خصوصي غير رسمي الى حضرتكم العلية تقرير ما هو واقع في المملكة التونسية مما عساه ان يكدر صفاء القلوب حيث كنت أنا واهل بلادي على علم من ان الدولة العظيمة الحرة لا يبلتها ما هو حاصل الآن من نابها في تونس الذي اتخذ طريقة التشديد والتخويف ديدناً في كل شيء حتى صير حكومتنا متعذرة من اصدقائهم عوضاً عن زيادة الالفة والركون الذي هو الواجب مع الامة الفرنسية التي كل اهلنا يعلم انها وحدها هي التي تفيدنا ولهذا عند ما امتلأ وطابنا من الكدر لم نقصد الا ابلاغ الحال الى رجالها المنصفين من غير ان نطرق باباً غير بابها وذلك ان موسيورستان النائب المذكور بعد ان اوقع دولتنا في ارتباك وكاد يغير علينا الدولة الفرنسية في نازلة موسيو دو صالسي التي لا تستحق تلك الاهمية حسبما يوضح ذلك التقرير الذي حرره مجلس التحقيق المعين من فرنسا وبعد ان اضطر حكومتنا الفقيرة التي لم تستطع دفع كيونها (فوائد ديونها) ولا مرقبات متوظفها الى دفع مبالغ مجاناً من المال والاملاك الى اناس لا فائدة بهم لكلا الدولتين لاسباب نتحاشى عن ذكرها امام فحاشكم حتى انه خسرنا

في مدة الستة اشهر الاخيرة فقط نحو مائة الف وسبعة واربعين الفا فبعد هذا كله اذا هو الآن يتعرض رسمياً لتحسين ادارة البلاد التي بها تثمدن الاهالي ويدخلون في الحضارة وكانت الدولة الفرنسية انثلتنا اياها على يد نائبها سنة ١٢٧٤ (١٨٥٨) انتصاراً للانسانية والحق فعوضاً عن زيادة التقدم مع تقدم العالم اذا هو الآن مضادٌ لتلك وقال الى سيادة سيدنا الباي لا تفعل مجلس الشورى الذي طلبته منك الاهالي وابق على حالتك العتيقة بل اوعز اليه مع بعض اعوانه المتكشف حالم بان يقتل نحو ثلاثة اشخاص وينفي نحو سبعة ويلتجئ الى حمايته ولا عليه في شيء فلولا مكارم سيادة سيدنا البايد لا وقع البلاد بل فرنسا ذاتها في ارتباكات مضادة للانسانية والعدالة المحبولة عليها الدولة الجمهورية الفرنسية . فيا ايها الحضرة الفخيمة هل ترضى الامة والدولة التي ترسل ابنائها الى اقصى المشرق والمغرب لحفظ الانسانية ان يكون نائبها مضاداً لتلك في بلاد هي جارة لها عندما كانت الدولة العظيمة تخرج اهل الجزائر من الحكم العسكري الى الحكم البلدي مستترا في دعوته بعدم التعرف بالمجلس بانه سمع ان المقصد منه هو التعرض لمصالح فرنسا مع انه على علم بان مصلحة الامة الفرنسية يعتبرها ويراعها كل من الامر والمأمور في بلادنا لعلمنا بمقامها بيد انه اذا كانت المصلحة ليست لفرنسا وانما هي مجرد فوائد شخصية فان مصلحة البلاد تقدم عليها وهو الذي نؤمل للمعاهدة عليه من الرجال المشهورين في العالم من الدولة الفرنسية وتبقى بما ترم من مزية صحف التاريخ فهذا انا انهي الى مسامعكم الشريفة اختصار ما هو حاصل والحضرتم ان تطلبوا الايضاح ممن يعلم حالة بلادنا من الذين لم خبرة بها من الضادقين

وقد بادر صاحب الترجمة بإرسال تفصيل المقابلة وما حصل فيها من الكلام الى الوزير بكتوب مؤرخ في ١٢ شعبان سنة ١٢٩٦ من جملة ما قاله له فيه عن لسان غاميتا " ان كنتم تريدون الارتياح من الرجل (اي رستان) فيجب ان تكتسبوا هذا الامر بل ولا اجتماعكم بي في شأنه والأمر كان ذلك ينقض قصدكم " وما كاد يصل هذا المكتوب الى تونس حتى انتشر الخبر بسر المسألة ولم يعلم ان كانت الاشاعة حصلت من نفس الوزير او من المترجم الذي كان الواسطة في الكلام بين غاميتا وصاحب الترجمة الذي لم يكن يتكلم اللسان الفرنسي والحاصل ان القنصل انتهز هذه الفرصة الجديدة وارعد وابرق على الامير والوزير وزاد في ايقار صدورهما على صاحب الترجمة وساعده البخت او الصدفة بانه في الوقت الذي كان الاهالي في تونس يطلبون تأسيس الشورى في بلادهم كانت الدول مشغولة في مصر بجملع اسماعيل باشا وحصل ذلك على يد خير الدين باشا صاحب الصدرة حينئذ وارتباطات الباشا المذكور بتونس وخصوصاً بصاحب الترجمة مشهورة عند الجميع فاستمتعوا من ذلك ان طلب الشورى في تونس لم يكن القصد منه الا أحداث ارتباك في المملكة تفتح الباب لمداخلة الباب العالي خصوصاً وكان صاحب الترجمة معارضاً شديداً للمعارضة في وصل سكة الحديد بين الجزائر وتونس وتعيين الحد الفاصل بينهما الا بعد العرض للدولة العلية وزادوا في اقتناع الباي بالتلغراف الذي ارسله خير الدين باشا يعلمه فيه بفصل اسماعيل باشا عن خديوية مصر وقد استعمل الصدر الاعظم في تلغرافه عبارات اشتم منها راحة التهديد والوعيد للباي حتى التزم الحال للاستفهام من الباب العالي

بواسطة السفارة الفرنسية عن الغرض من عبارات ذلك التلغراف مع انه في ذلك الوقت كانت العلاقات الخصوصية بين المرحوم وخير الدين باشا معقدة من حين خروج الباشا المذكور من وزارة تونس ولم يعف ماؤها الا بعد ذلك التاريخ كما يدل عليه المکتوب الآتي

“الفاصل الزمني الثقة المتعد الشيخ سيدي محمد يرم حرم الله تعالى كاله وبعد قد وصلنا مکتوبكم في ٢٢ من الشهر وعلمنا ما احتوى عليه من لتليذ الخطاب ونحن لله الحمد على ما يسر الاحباب من العافية التامة في امورنا الحسنة والمعنوية واما ما اشترتم اليه من الاحوال السالفة عن قدومنا لدار الخلافة فجزاه عن الله عما سلف والسلام من خير الدين في ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٦”

ومن راجع تاريخ مکتوب صاحب الترجمة المذكور اعلاه وجواب المرحوم خير الدين باشا عنه وقارن بينها وبين تاريخ اتصال الباشا المشار اليه عن الصدارة العظمى الواقع في ٩ شعبان سنة ١٢٩٦ يعلم علم اليقين انه في مدة صدارة الباشا المشار اليه لم تكن ينفذ وبين الشيخ يرم ادنى علاقة وان كل ما بناء اذ ذلك المرجفون بناء على علاقاتها الودادية القديمة هو محض اختلاف وكان الوزير التونسي غفل او تغافل عن حقيقة المأمورية التي اتاها بمهمة صاحب الترجمة فارسل اليه تلغرافاً رسمياً الى باريس نص ترجمته

من باردو في ٢ اغسطس سنة ١٨٧٩ (الموافق ١٨ شعبان سنة ١٢٩٦) “من الوزير الاكبر الى الشيخ سيدي محمد يرم . شاعت الاخبار بانك متداخل في امور سياسية خصوصاً وانه لم يصدر لكم ادنى امر فيها ولذلك

فان سيدنا العظمَّ يأمركم صريحاً بان لا تتداخلوا مطلقاً في هذه المسائل حيث انكم سافرتُم لمعالجة صحتكم واذا انتهت مدّة التداوي فارجعوا الى تونس

ثم بعد ذلك ورد له مكتوب من الوزير بتاريخ ٢٥ شعبان جواباً عن مكتوبه المؤرخ في ١٢ شعبان وفيه يقول " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بلغنا مكتوبكم الخصوصي وعلنا ما ذكرتم وما وقع مع موسيو غامبيتا فنلك من يعتمد عليه وعلى صداقته واما كتمان السر فيكون مهناً لان نفعه لنا وانما الله يحقق الامل من اتمام الوعد لان القنصل في غابة البقوة الخ "

فلم يسع صاحب الترجمة بعد هذا الاضطراب في اقوال الوزير الا ان يستغنى من وظائفه فاجابه الوزير عن الاستعفاء بهذا المكتوب ونصه " الفاضل الزكي المدرس الشيخ السيد محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف حرسه الله اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان ما عرضتموه علينا من طلب الاعفاء من رئاسة جمعية الاوقاف علمناه ومن معلوماكم انكم كنتم طلبتم هذا منا قبل سفركم على خير فلم نسمعكم لذلك والذي نعرفكم به انني لم نزل على رأيي في عدم اسعافكم لما ذكر ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام من الفقير الى ربه امير الامراء مصطفى الوزير الاكبر عفا عنه في ٣ رمضان سنة ١٢٩٦ "

وفي اليوم نفسه ارسل له مكتوباً آخر نصه " اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فانه بلغنا كتابكم المؤرخ في ٢٥ الشهر الفارط متضمناً ما نحن

على ثقة منه من سلوككم الطريق المستقيم في افعالكم واعمالكم وتحرككم في
الاجتماع من ان ينسب اليكم غير ما قصدتموه ولا يستغرب ذلك من مثلكم
ونرجو الله ان يجمعنا بكم وانتم على حال كمال ودمتم بحفظ الله والسلام
وقد رجع صاحب الترجمة الى تونس بعد الالحاح الشديد عليه من اصدقائه
فوجد الحال متغيراً وملاح الوزير تظهر الشر ومع ذلك فقد ابلغه صاحب
الترجمة ما رآه وسمعه في باريس بخصوص المسئلة التونسية وراء رجال
السياسة فيها ومن جملة ما بلغه ان الاخبار رائجة هناك بان القنصل اقدمه
بمساعدة فرنسا على مرغوباتها من ضم تونس اليها وفي مقابلة ذلك تضمن للوزير
ولاية العهد على الامارة واستيلائه عليها بعد سيده ونصحه بان لا يقتر بهذه
الترهات فان القنصل اذا حصل على مرغوبه لا يوفي وعده الوزير ولا
تعود الخسارة الا على البلاد واهلها وقد حقق الزمن حدس السيد يرم فانه
لما دخلت فرنسا في تونس سنة ١٢٩٨ لم تطل مدتها فيها حتى عزلت مصطفى
ابن اسماعيل عن الوزارة واخرجته من البلاد للمرة ولم توف له بما وعده
به بل نظرت اليه نظر الخائن وكثيراً ما تكلمت جرائدها وارباب الوجاهة
فيها لتجريده عن نشان البعيون دونور الفرنسي وهو حامل اول درجة
منه وبقي يتقارب متغرباً في البلد ان نفقذه امواج اللل والسؤال بعد ان صرف
ما اذخره ايام عزه من الاموال الطائلة واصبح

يوماً يجذوى ويوماً بالعقيق وبأحدب يوماً ويوماً بالخيلياء

الى ان جاءت به المقادير الى القسطنطينية حيث تفاضت الدولة
العثمانية عن ذنوبه وابقتة يتنعم بلذيد الحياة ويتحسر على ماضي عزه وغبن

صفته . اما صاحب الترجمة فانه بعد عودته الى تونس من مأموريته توجه الى (المرسى) للسلام على ولي عهد الامارة الامير الحالي السابق ذكره فوجد الامير المشار اليه في مركبته امام محطة السكة الحديد فاركبه معه وسارا الى بستان الامير فكبر هذا الامر على مصطفى بن اسماعيل وامر صاحب الترجمة بالكف عن التردد على ولي العهد وكثرت الدلائل على سوء نية الوزير نحو السيد يرم وتقلب دسائس موسيورستان ضده حتى لصحه بعض الاصداقاء من خواص حاشية الباي بالسفر خارج المملكة لان بقاءه في البلاد فيه خطر عليه فطلب بعد عيد الفطر التوجه لاداء فريضة الحج خصوصا وقد تهدده الوزير بانه اذا شاع الخبر الذي كان اعلمه به بخصوص مساعيه لولاية الامارة يلقيه تحت اعباء المسئولية الثقيلة فامتنع الوزير من اعطاء الرخصة بالسفر وقد توسط حينئذ السيد الشريف نقيب الاشراف السابق في تونس للحصول على تلك الرخصة وبين للوزير عدم جواز منع المسلمين من اداء فريضة الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وللسادة الاشراف في تونس التفوذ الكبير والكلمة المسموعة فالتزم الوزير بالاجابة وقد سافر صاحب الترجمة من تونس في ٢٦ شوال سنة ١٢٩٦ ولم يعد اليها بعد وقصد مالطه ومنها للاسكندرية ومصر القاهرة وفيها تقابل مع الحديو المرحوم توفيق باشا وكان ذلك في ابتداء ولايته فقدّم له قصيدة في التهنئة بالولاية وتاريخها وقد دار الحديث بينها عن كيفية نظام اللجنة المالية الدولية المؤلفة في تونس لادارة اشغال الدين وعن النتائج التي انتجتها وهل البلاد متضررة منها ام لا وكان ذلك بسبب ما اقترحه انكلترا وفرنسا اذ ذاك على الحكومة

المصريّة من اقامة لجنة للبراقبة الماليّة ثم ان المرحوم سار الى الحجاز وقد تقابل
 في مكة المكرمة مع المولى الشريف حسين الامير الاسبق واكمرم وفادته ثم بعد
 اداء فريضة الحج والمتاسك توجه للزيارة في المدينة المنورة حيث اقام ثلاثة
 ايام وكان مرضه المعصي مستدًا عليه في الطريق وهناك توسل للحضرة النبويّة
 بقصيدة طويلة طالبًا من الله الشفاء للبدن والطف بالوطن ومطلع القصيدة
 اى السدة العظمى شددت عزائي الى سدة الاجلال شمس المكارم
 الى باب خير الخلق خصصت وجهتي ومن فضل باب الله املت راحي
 اليك رسول الله قد جئت ضارعا وفضلك ممدود على كل قادم
 فياخير خلق الله جدي بالرضا وامن مخافي من عقاب المآثم
 ويا اكرم الامجاد هب لي توبة واسس على التقوى قيام دعائي
 وانت ملاذي في اموري كلها فمجل شفائي من سقامي الملازم
 ألا يا رسول الله طهر بلادنا فقد جار في الانحاء غلما عناصمي
 يريد خلاف الحق في الخلق جائرا فننصحه رشدا لدا كان ظالمي
 فمجل بانقاذ البلاد من الذي تأبط شرًا وارtedy بالمظالم
 وفرج هومي والكروب وطلتي وليس سواك يرتجي للعظام
 وللعدل ان يقاد كل ملوكنا لكيما يحل الدين اطل العوام
 ومن المدينة المنورة توجه الى ينبع وسافر منها الى يروت مارًا على خليج
 السويس وقد ذكر هذه الرحلة في اول هذا الجزء الخامس وما لاقاه في سفره
 من كرم واكمرام صاحب الساحة السيد السند سلمان افندي القادري
 نقيب اشراف بهداد

ولما وصل الى بيروت لافاه والي سورية اذ ذاك المنعم المقام الجليل
الذكر مدحت باشا بزيد العناية الرعاية واحتفل به اعيان المدينة من مسلمين
ومسيحيين بما ابقى لهم في نفسه الذكر الحسن والثناء المستطاب وكان المرحوم
من جملة المشتركين المساعدين في جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست في
بيروت لانشاء مدارس خيرية وقد زار تلك المدارس ولاقى من احتفال
الاساتذة والتلامذة وانشادهم القصائد والمقالات الرائقة بين يديه ما زاد
ابتهاجه وقد هنأه الشاعر الدراكاة الهليخ المرحوم الشيخ ابراهيم الاحدب
بقصيدة شائقة ذات اربعة واربعين بيتاً مطلعها

بدر الملى تاريخه (من غربه) في الشرق اشرق نوره لهجو

ومنها

من اين هذا الطيب هل ربح النقا ليلاً سرى ليدير راحة صبه
او جاء بيروتاً محمد يرم من طيبة فذكت نوافح قربه
حيث الزمان على تلون طبعه اذى به كفارة عن ذنبه
وقد مدحه ايضاً الاديب الفاضل واللودعي الكامل الشيخ ابو حسن
قاسم افندي الكسبي البيروتي بقصيدة غراء منها

به تونس الغرب استعزت واحرزت بصحبته الفضل الذي ليس يمحذ
يفار على الدين الخفيف لانه خير به لا يعتريه التردد
عليه من العلم الشريف جلالة يقوم لها الدهر الحسود ويقعد
وسيرته الحسنة في كل موطن بالسنه الايام تنلى وتنشد
وبعد ان اقام هناك اسبوعاً رام فيه التوجه لدمشق الشام لرؤية

معالمها العظام وملاقة السيد الامير عبد القادر الجزائري غير ان الوقت لم
يسعف بذلك لتراكم الثلج في الطريق وتعطيله للسكة فتوجه نوا الى
القسنطينة وهناك ورد عليه مكتوب من الامير المشار اليه نصه

بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله حمد المتوسلين . والصلاة والسلام
على سيد المرسلين . وعلى آله وصحبه آمين . من خادم اهل الله عبد القادر بن
محيي الدين الحسيني الى جناب العالم الفاضل . والهام الكامل . صاحب المقام
السني . الشيخ السيد محمد بيرم افندي المحترم . ادام الله عليه سوانح النعم . اما بعد
اهداء تحية مقرونة بالاخلاص والتكريم . وادعية متوالية بدوام نفعم العميم
فالوجوب لتحريره اولاً السؤال عن راحة وجودكم السعيد . والابتهاج
بسماع حديثكم المجيد . وثانياً قد بلغنا من ولدنا عبد القادر افندي الدنا
سلامكم . ومزيد محبتكم وودادكم . وحصل لنا بذلك تمام السرور . زادكم الله
نوراً طلي نور . ورغبة يربط اسباب المودة بينناكم . واستجلاب بدائع
خطابكم . ومجابه دعائكم على الدوام . تحورت لكم هذه الارقام . وعليكم السلام
في ١٦ جمادى الاولى سنة ٩٧

المخلص

عبد القادر الحسيني

وكان المرحوم قبل توجهه الى الاستانة ارسل مكتوباً بواسطة بعض
خواصه للوزير بتونس نصه " الصدر الهام امير الامراء جناب الوزير الاكبر
سيدي مصطفى اطال الله عمره اما بعد السلام التام فاني قضيت المناسك والله
الحمد ولم استطع المبادرة بالرجوع الى الوطن لاني في اضطرار الى اراحة البال
والبدن للاسباب التي تعلمونها حقاً فلزمتني مراعاة الحال الى ان يفس الله

الكرب لقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة والله حفيظ وولي من يتوكل عليه والسلام في غرة صفر سنة ١٢٩٧ "الآن هذا المكتوب لما بلغ تونس منحة احياء صاحب الترجمة وخواصه من الوصول ليد الوزير وبقي المرحوم في وظائفه الى حين وصوله للاستانة ولما ورد خبر وصوله اليها اسرعت الحكومة التونسية بتوجيه جميع وظائفه الى غيره وهو المرحوم الشيخ احمد الورتناني وبما يجعل بي ذكره هنا ان عائلة صاحب الترجمة رأت من مكارم اخلاق هذا الخلف وحسن تودده وطففه بها ما يندر وجود مثله في العصر السالفة فضلاً عن هذا الزمان في وقت اضطهاد الحكومة لسلفه ومراقبتها الشديدة لكل ما يمتاع به ثم ان صاحب الترجمة لما استقر بدار الخلافة مدرج الحضرة السلطانية بقصيدة مطلعها

النصر والتأييد والعمر المديد قد توجت في عرشها عبد الحميد
وأرّخ سنة الجلوس الشاهاني بقوله

بشرى الولاية قد امت تاريخها لخلافة يسنى بها عبد الحميد

ولم تطل الايام حتى ارسل الوزير التونسي يطلب من الباب العالي ارجاع الشيخ يريم الى تونس مدعيًا انه سافر بدون رخصة الحكومة ولم يقدم حسابًا عن ادارته في الاوقاف والواقع ونفس الامر انه لم يطلبه الا بالحاح فتصل فرنسا عليه من جهة لان فرنسا لا تحب حصول الارتباط بين تونس والدولة العلية بأي وجه من الوجوه حتى انها من بين سائر الدول لم تعترف بفرمان سنة ١٢٨٨ المقرر لتابعية تونس للخلافة الاسلامية ومن جهة اخرى قد خشي الوزير من التهام صاحب الترجمة بغير الدين بلشا وافسادها مساعيه

لتولي الامارة واطلاع الدولة العثمانية على دسائسه وسوء سياسة الحكومة التونسية في مدة الصادق باي لانه سلم جميع الامور بيد وزيره العديم الخبرة وقد بذل مصطفى بن اسماعيل جميع مجهوده واغرى بعض كبار الرجال في الاستانة لمساعدته على اخراج الشيخ بيرم منها غير ان حكمة مولانا امير المؤمنين وعدالته حالت بين صاحب الترجمة وبين اعدائه واصدر امره العالي بانه اذا كانت هناك دعوى على ناظر اوقاف تونس المقيم بالاستانة فلترفع فيها اذ ان تونس لم تخرج عن كونها من الولايات العثمانية التي تجمعها جامعة تحت السلطنة وبذلك سكت مصطفى بن اسماعيل عن دعواه الفاسدة اما اولاً فلان صاحب الترجمة لم يخرج من تونس الا ببوار (باسبورت) رسمي مضمي عليه من الوزير نفسه بصفة كونه وزير الخارجية لم يزل محفوظاً للآن وقد حضر لوداعه يوم السفر كثير من كبار رجال الحكومة بما فيهم وزير البحرية وأعدله بامر الوزير الاكبر زورق خصوصي من زوارق الهابي لتوصيله للباخرة وقد اوصاه الوزير بمحضر جمهور عديد من التونسيين لاحضار بعض هدايا من الحرمين المحترمين هذا ما يتعلق بالسفر واما حساب الاوقاف فقد جرت العادة بنشره سنوياً في الجريدة الرسمية "الرائد التونسي" ولم يتأخر نشره قط وهو محفوظ في مجموعة الرائد يمكن مراجعته ثم ان صاحب الترجمة قبل سفره للعجاز اخذ براءة من مجلس ادارة الاوقاف مضمي عليها من جميع الاعضاء ومن امين الصندوق وهي حجة قوية ناطقة بان لا شبهة في الحساب ولا شيء من اموال الاوقاف باق في ذمة الناظر وتلك البراءة هي بنصها بالحرف الواحد

الحمد لله
وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم

ريالات فضة

٣٥٣٩٣٩ $\frac{1}{2}$

٣٠٤٨٧٩ $\frac{2}{100}$

٤٩٠٥٩ $\frac{3}{1000}$

٨٦٢ ٥٠٠٠٠

٤٠٤٣٤ $\frac{4}{10000}$

اطلعت الجمعية على حساب دخلها وخرجها سنة ١٢٩٦ التاريخ بأنضمام حسابات السنين السابقة اليها فكانت جملة الدخل ثلاثمائة الف وثلاثة وخمسين الف ريال وتسعمائة وتسعة وثلاثين ريالاً ونصف ريال وعشرة نواصر فضة وجملة الخرج ثلاثمائة الف واربعة آلاف ومائتان ريال وثمانين ريالاً الأثمانية نواصر ونصف ناصري فضة الذي بتذاكر الجمعية وكان الفاضل ما قدره تسعة واربعون الف ريال وستون ريالاً الأ سبعة نواصر ونصف ناصري فضة اخرج منه الرئيس ثمانية آلاف ريال وستمائة ريال وخمسة وعشرين ريالاً فضة صرف خمسة آلاف فرنك صرفت في مصالح الدولة وخرجت فيها تذكرتين منها لقاوضها يدفعها مصروفاً على يد الوزير الاكبر ولم يدفعها القاوض الى الآن احداها تذكرة مؤرخة في ٢٧ القعدة من عام ١٢٩٣ عدد ٤٦١٩ بها الف فرنك اثنان وثانيتها مؤرخة في ١٥ الحجة سنة ١٢٩٥ عدد ٣٥٦٩ بها ثلاثة آلاف فرنك ولما كان الفصل الواحد والعشرون من ترتيب الداخلية للجمعية قاض به بابقاء الفتح الثالث

للخزنة الثانية عند الرئيس والفصل السابع عشر من الترتيب المذكور قاض بان كاهية الجمعية يقوم مقام الرئيس عند غيبته وقد اراد الرئيس السفر الى اوروبا فبمقتضى ذلك اقيمت تذكرتا الدولة المذكورتان بالخزنة الثانية المذكورة وسلم الى الكاهية مفتاحها الثالث بمحضر الجمعية بعد اطلاعها على الحساب المذكور وسلامة ذمة الرئيس مما في عهده وكان الباقي تحت يد امين مال الجمعية اربعين الف ريال واربعائة ريال وخمسة وثلاثين ريالاً الا سبعة نواصر ونصف ناصري فضة وكتب في ٢٠ يونيو الموافق لرجب الاصب ١٣ من عام ستة وتسعين ومائتين والف

صح احمد الورثاني صح محمد بن الامين

صح محمد الشاذلي السنوسي صح من محمود بن سالم

هذا وقد خرج صاحب الترجمة من القطر التونسي وترك وظائفه فيه ولم يكسب منها شيئاً مع انه كان يسهل عليه كثيراً في تلك الاوقات الدخول في ابواب الكسب بلا معارض ولا ممانع كما جرت به العادة عند الكثير محافظة منه على الاستقامة واحترام الحق لا سيما والاقواف لم تكن في بادئ امرها مضبوطة ولا معلومة فامرها في الواقع موكل لثمنه وطهارة نفسه فكان كثيراً ما يلتزم لبيع املاكه وعقاراته لتسديد مصاريفه الواسعة حتى ان مصاريف سفره الاخير لباريس حيث توجه بمأمورية من طرف الوزير التونسي تحمل بها من ثمنه وبلغت اربعة عشر الف فرنك مع ان الوزير المذكور وعده بتسديدها ولم يوف بعد . ولما استقرت اقامته في دار الخلافة وجد المرحوم خير الدين باشا مهتماً

بتقديم تقرير بشأن الاصلاحات المقترحة ادخلها في نظام الدولة العلية
 لزيادة سطوتها وتأيد عظمتها على حسب ما يفتكر وقد انهى التقرير المذكور
 بالفعل غير انه لم يميز محل القبول لانه لم يكن مطابقاً في بعض وجوه
 لاحكام الشريعة الفراء فاخذ الشيخ يرم في تطبيقه عليها ولما انتهى منه حصل
 تقديمه للحضرة السلطانية ومن ذلك الحين شملته الانظار الشاهانية بعين
 ملاحظتها لدقة علومه واتساع معارفه ثم انه تفرغ لتدوين "صفوة الاعتبار
 بمستودع الامصار والاقطار" وتم الجزئين الاولين منه وكان يقصد تقديمه
 للحضرة العظيمة المشار اليها عقد اتمامه خصوصاً وهو شارع في جعل خاتمة
 الكتاب المذكور على نحو مقدمتي ابن خلدون واقوم السالك اي انها
 تضمن ما يقتضيه الحال لاصلاح الاحوال في البلاد الاسلامية لعود عصر
 شبابها اليها كما هو غرضه الوحيد الذي يدأب له منذ زمان ويتحمل في
 سبيله كل مشقة وعناء وقد تحسنت صحته اذ ذاك واستراح من اتعاب المرض
 وكاد ان يشفى منه تماماً حتى ان استعماله المرفين قل بحيث بلغ درجة تقرب
 العدم وبينما هو على ذلك الحال منعم البال منتظراً الرحمة من الله بانقاذ
 بلاده من حكومتها الجائرة اذ ذاك وقد اعتذر عن العمل بمقترحات
 اقترحها عليه الموسو فورنييه سفير فرنسا في ذلك الحين حاصلها الرجوع الى
 تونس تحت كنف فرنسا او الاقامة بالجزائر او بباريس اذ فاجأته الاخبار
 بزحف العساكر الفرنسية على الحدود التونسية وابتداء حركة "خخير"
 المخترعة . ثم ان الشيخ يرم كان عالمًا بما ستؤول اليه البلاد من السقوط في يد
 فرنسا ولكنه لم يكن ينتظر حصول ذلك في العصر الحاضر وكانت في تلك

الاثناء ترد عليه مكاتبات من بعض احبائه التونسيين وغيرهم بما يحصل في تونس من تلاعب الوزير بين قنصلي فرنسا وايطاليا وارضائه احدهما يوماً واغضابه الآخر يوماً ثانياً وكان الشيخ ينصح مكاتبيه وعجبيه بتجنب هذه الالاعاب المضرة خصوصاً تظاهر الوزير بالميل الفجائي لايطاليا واغضائه مرة واحدة عن فرنسا حتى انه اهان كرامتها لان ذلك لا تؤمن عواقبه ولم يرض على ذلك شهر حتى ايدت الوقائع ما كان يمشاه وليس من غرضنا تكرار كتابة ما حصل في ذلك العهد لدخول فرنسا الى تونس واعلان حمايتها عليها اذ ان ذلك تكفلت به كتابات غيرنا ولكننا نقول ان الحضرة السلطانية اصدرت امرها لخير الدين باشا ولصاحب الترجمة بتقديم ما يريانه في هذه المسئلة لجانبها وقد كتب صاحب الترجمة في ذلك تقريراً مفصلاً لخص فيه بيان حقوق الدولة العلية على البلاد التونسية وارتباطاتها قديماً وحديثاً واستنهض هم الدولة لانقاذ تلك المملكة المسلمة حيث انها مرقدة المجاهدين ومدفن الصحابة والتابعين من الوقوع في يد دولة اجنبية وختم التقرير بشيعة ما يراه وهو انه اذا كانت الدولة تشغلها شواغل الحرب الروسية وعواقبها من انقاذ تونس بالقسر من مفتعبيها فلا اقل من انه يلزمها التحالف مع دولة اجنبية اخرى للتساعد بها على نيل ذلك المرام ولو اقتضى الحال التنازل لها عن مدينة واحدة مثل مينا بنزرت في مقابل هذا التحالف وكانت الدولة جرت على مثله مراراً عديدة فان خسارة مدينة واحدة خير من خسارة مملكة برمتها وقد كان الشيخ بيرم يكتب هذا التقرير والدموع تفرح عينيه والالم المصبي الذي تحرك وتجدد يفتك بجسده وكان يكرر القول على جلسائه بان

لا حذر بما قدر لا سيما وان الفرصة المناسبة للدولة قد فاتت وهذا الزمن
 زمن قتال لا وقت جدال وسيأتي ذكر هذا التقرير في مجموعة منشأته
 ورسائله ولما رسخت قدم فرنسا في البلاد يس المرحوم من قرب العودة اليها
 ورام التقرب من عائلته للمخاطبة في شؤون بيع مائتي من املاكه وبقوله العائلة
 من تونس الى بلاد اخرى فسافر الى ايطاليا لذلك الغرض واقام في مدينة
 ليفورنو لقرىها من تونس وكان مدة اقامته في الاستانة معاشراً لاهلها
 وخصوصاً أبناء العرب منهم معاشره الصفاء والاخلاص متباعداً عن المزاحمة
 في طلب المناصب او التداخل فيما لا يعنيه ولم ير منهم الا ما يسهه وكان
 السيد سلمان القادري رجع من القسطنطينية الى بغداد فلما استقر بها كاتب
 صاحب الترجمة بما نصه

”كتابي هذا وانما يمتلي من الاشواق . ومضطرب لما لها من الاحراق .
 كيف لا وحب ذلك المولى الاجل . والنجيب الافضل . قد اخذ بهجامع
 القلوب . واحاط بالفكر على اتم اسلوب . لمزيد ما انطوى عليه من الاوصاف
 الحميدة . والمكارم السديدة . مع طبع رائع . وعلو جناب فائق . وشهامة
 كاملة . ونجابة فاضلة . وعلم وافر . وفضل متكاثر . فكل فضيلة به حرية .
 وكل منفعة له سجية . وليكن معلوماً لسيدي ادام الله تعالى بقاءه . واناله
 كل ما يمتناه . باني لم اخل ذكر ثنائيه الجميل من لساني . ولم ينفك تحيل
 شخصه النير لحقة عن جناني . بل زلت آنساً بما ذكرته من الذكر والحيل .
 مفخرًا بما خصته من محبة ذلك المولى النبيل بين الاحباب في جميع الاحوال .
 ثم اني وان قدمت من قبل هذا عريضة لم احظ بمجولها من ذلك الجناب

الرفيع لكفي ابدي عذراً لما وقع من القصور مدة من عدم ترديفه بكتاب آخر اذ ترادف المرائض . معدود لدي من جملة الفرائض . فلم يكن التأخير المذكور ناشئاً من قصور في المحبة . ولا عن نقصير في العلم بعلو الدرجة والمرتبة . بل ذلك نوع من التقدير . ووجدانك القوي عالم خبير . يصدق ما يدعيه هذا الخالص الفقير . فالرجو من بعد هذا ان تستمر المراسلات في البين . وينقطع بوجودها البين . افندم

الداعي

في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ پوست نشين حضرت كيلاني

نقيب بغداد

* السيد سلمان القادري *

وفد كان صاحب الترجمة على عادة اهل تونس وعلى ما امتاز به من التشيع الكلي لآل البيت النبوي الكريم يميل ميلاً خاصاً للسيد المشار اليه نسبته العالي وحسبه العالي وفضله المتلافي حتى ان ذلك كان من جملة البواعث على الايقاع به تشغيلاً من سيادة السيد الفقيب حرمة الله ومع ذلك فقد كان المرحوم يسعى جهده لجعل علاقاته مع جميع من يعاشره من العرب وغيرهم في الاستانة على احسن ما يكون من الجمالة وحسن المعاملة وكان مع صاحبي الساحة السيد احمد اسعد افندي والهيدي ابي المدي افندي على قدم الوداد وحسن الاعتقاد كما يظهر من آثارها المحفوظة لديه ونذكرها هنا تبركاً بهما واقتضاراً بودها

" اخذت يا بيجة الفضلاء . وقرّة اعين العلماء .

كتابكم الكريم . وامركم المحترم الفعيم . واطلعت على رسالتكم الجميلة ^(١)

(١) عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان

الشاهدة لحضرتكم بإيادي العلم الطويلة . واني بحمده تعالى ممن يجب ان
يسدي المعروف لاهل الفضائل . سيما لمثل حضرتكم من ارباب المزايا العلية
والفواضل . فاذا وفق المولى نقوم بتقديمها لعلها . ودمتم ارباب المناقب واهلها

الداعي

(ابو الهدى)

”قدوة الاماجد الكرام . ذو الفضل والاحترام . محبنا العزيز السيد
محمد يرام . حفظه الله آمين

وبعد مزيد السلام . مع التحية والاكرام . نعرف سيادتكم هو ان الساعة
ثلاثة ونصف في يومنا هذا لازم تشرفونا في البيت مع نجلكم الكرم لاجل
ان تترك بكم . هذا ما لازم ودمتم . في عز وسرور . وانتم حبور
في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٠٠

الداعي

(احمد اسعد)

وبعد ان اتفق صاحب الترجمة مع عائلته على العود الى الاستانة
والسكنى بها حيث لم ير محلاً انسب منها من بلاد الاسلام ولا تليق
السكنى بعائلة مسلمة في بلاد اجنبية مع انه كان يخطر في بال بعض
التونسين اذ ذاك التوجه في عدد كبير الى امريكا للاستيطان بها غير ان
هذا الفكر لم يمكن تنفيذه لمعوقات حالت دونهُ فقصده المرحوم التوجه
الى القسطنطينية وعرج على جنيفاً من بلاد سويسره حيث ابقى كاتب هذه
الاحرف في احدى مدارسها المعتبرة ثم قصد وياه وبلاد المجر والعرب
ورومانيا حيث اقام ليلة في بخارست ومنها توجه الى وارنه من اعمال البلغار

ومنها ركب الباخرة فاصداً دار الخلافة حيث لم تتصل السكة الحديد
 إذ ذاك بينها وبين أوروبا وقد قام في هذه السفرة آلام البرد والقاب
 السفر الذي حق فيه القول بأنه قطعة من العذاب خصوصاً ولم يكن
 صاحب الترجمة يتكلم بلغة اجنبية إلا بعض كلمات فرنساوية وليس في
 النمسا ولا في البلاد التي عرج عليها كثيراً من يتكلم تلك اللغة وكان يسرع
 المسير للوصول قبل عائلته الى الاستانة لتحضير محل لزولها وقد وصل اليها
 قبل العائلة بنحو يومين او ثلاثة وبعد ان استراحوا قليلاً فاجأهم ذوب
 المساس والاعراض بوشايات اوغرت الصدور على صاحب الترجمة
 وكادت ان توقعه فيما لا تحمد عقباه وكان مبنى تلك الوشايات على حصول
 الحركة الرائية بمصر اثناء وجود الشيخ بيرم في أوروبا فبنى عليها اصحاب
 الاعراض اقوالاً فاسدة ومزاعم مبيدة منشأها الحقيقي حزازات في
 صدورهم من الحسد له وبغية الايقاع بارياب المناصب من اصدقائه واحبائه
 فارادوا الانتقام منهم بالاساءة الى صاحبهم وجعله محل تهمة يستخرجون
 منها ما يروج غرضهم في النكاية باولئك الرجال فالتزم هذا المهاجر بدينه الى
 دار الخلافة الاسلامية ان ينزوي في بيتو ويلزمه مدة تقرب من السنة
 اشهر لا يخرج منه الا لقضاء الضروري او اداء فرض عين كصلاة الجمعة
 وقد رأى في تلك الاثناء من تودد الهام الابر الصالح الورع الشيخ محمد ظافر
 افندي المدني وتلطف الفريق الفيور الحاج حسن باشا محافظ مركز بشكطاش
 محل سكنه وكلاهما من اقرب المقرئين للذات الشاهانية المخلصين لها في السر
 والعلاية ما اطلق لسانه بالشكر وقلبه بالدعاء الصالح لها والحق يقال ان

الحضرة الخاقانية لم تقترعن شمول صاحب الترجمة بعين رعايتها وكثيراً ما كان امير المؤمنين نصر الله به الدين يظهر علاماً رضائه وصفائه عليه حتى انه لما اراد يهدي الى امبراطور المانيا فريدريك الثالث وكان اذ ذاك ولي العهد بعض جياذ الخيل امر احد الاعوان ان يتوجه الى الشيخ ييرم ليكتب رسالة عربية يصحبها المأمور السلطاني معه عند ذهابه الى برلين ليتقدمها مع الخيل الى الامير المشار اليه وكان ذلك بعد صلاة يوم الجمعة الثالث والعشرين من رجب سنة ١٢٩٩ وكان يطلق عليه عند ذكره من الفاظ العناية ما يستدل به على قرب منزلته من خليفة المسلمين وبمجرد وصول جلالتهم الى قصره الاخر ييلدز بعد صدور ذلك الامر جاءه الرسول بالكتابة المطلوبة فسر بها كثيراً واثى على كاتبها وتلك الرسالة هي "الحمد لله بديع الخلق كما شاء واراد . جاعل الصافنات الجياذ . عدة مستمرة من أهم آلات الاستعداد : وصلاته وسلامه على رسوله متم مكارم الاخلاق . الحاث على الفروسية واقتناء الخيل العتاق . وعلى آله واصحابه فرسان ميادين الوفاق . اما بعد فلا يعزب عن نباهة نبويه . ودراية خبير في المعارف وجيه . ما للخيال على الاطلاق من المزية . في المنافع البشرية . بسائر الآفاق . حتى ورد في الخبر الشهير " الخيل معقود بشواصمها الخير " لاسيما نوع العراب منها . الجامعة لاشتات الحسن فلا مندوحة لاهل الفضل عنها . ألم تر انها قد حوت جمال الصورة واستقلت بالخلق وهذيب الاخلاق المشكورة . فكادت ان تشارك النوع الانساني في الادراك . وفعلت سائر انواع الحيوان بلطافة الذات والمزية في مواعن العراك . ألا وهي العاديات ضبعاً . المغيرات ضبعاً .

متوسطة الجموع . مستشرفات الفروع . مبلغات الآمال . مقربات الشوايع
لحم الرجال . فذلك توجهت اليها عناية اهل الفضل . وتسابت اليها
الرغبات في الخصب والمحل . ولم تزل كريمة محفوظة الانساب . متوارثة الخصال
الحميدة من الاجداد الى الاعقاب . لا يأتلي اهل العناية عن اقتنائها . ومعرفة
اصلها ونسبتها وانتشائها . ويفوز عليها بالمزية ما صلح منها لاقتناء الملوك العظام .
سيما ما اختص بان يعتلى صوته خليفة الاسلام . لا زال تاجاً على هامة الايام .
وما تحبارة اليه العرب من صفوة جياها الكرام . وعلى الخصوص ما تميز
باهدائو . لخلاصة اهل ولائو . من الملوك الفخام . وكان منها هاتو الخمس
الجياد . العتيقات الاعراق الاجباد . ثلاثة منها عراب الآباء والامهات .
واثنان من خلاصة الاعاجم الوطن وان ناكبت العراب في الصفات . وقد
تحرر هذا التعرير في التعريف باصولها . وما جمعت من سمات الكمال وفصولها .
فاما الثلاثة العراب . السابقة القرين في العراقة والانساب . فاولها اشقرها
المبارك . الذي لا يدانيه في استجماع الحسن مشارك . واسمه المجلى . وقد
طابق اسمه مسماه اذ هو لمفاخر الخيل مجلى . وهو من جياها نجد العربية .
الشهيرة الصفات والمزية . سقلاوى القبيلة . شامل لما يحمده في امثاله من
الفصيلة . كل سلسلة اصوله من قبيلته الحمودة . وكلا ابويه متفرع من ذلك
القبيل الى جدود كثيرة معدودة . سماة اجداده وجداته . خالصة من
اشتباه النسب وكالاته . واما ثانيها وهو الاشهب . الجاعل ابعد القصبات
الحين الاقرب . واسمه السابق . فهو مفاكب متقدمه في جميع صفاته حتى غدى
به لاحق . سوى انه استعوض عن النجدية . بان كان من العراق العربية .

ولا ينفى ما لعتاقها من شهرة المزية . سيما في حفظ النسب من الاختلاط .
وانتساق عمودهم على اقوم صراط . لا جرم ان كان وحيد اقارنه . بنباهة
شانه . واما ثالثها المسموم . وهو الاحمر المستكمل المقوم . واسمه ابو ليلى . فقد
جمع لما في جياذ الخيل يتلى . اذ هو من صنف كحيل المعجوز . الذي هو
لصفات العتاق من العراب يحوز . وعلى من جاره في ميادينها يفوز . فهو
لا يجارى اذا ما ضم . لانه من خلاصة خيل قبيلة شمر . فلهمري ان هاته
الثلاثة وان اختلفت انسابها . فقد اتحدت عراقتها واحسابها . وكل منها
قد استكمل صفات الجودة والفضيلة . واستتبت فيه محامد كل الخصال
الجميلة . فلا بدع ان تبها ما يكمل به عدد الخنس . مما تبسط له الروح
وتشرح به النفس . وهما الفرسان الاخضران . اللذان استكملتا صفة العتاق
ولو انها اعجيبان . وهما من جزيرة مدلي الشهيرة . ذات النقطة المهمة من
البحر الابيض الفائزة بالخيول ذات المناقب الخطيرة . وهما وان افترقا هيكلًا .
فقد نفردا منظرًا مجملًا . اذ هما فرسا رهان . متحدا الاخلاق والسمات
والالوان . فاستكملت هاته الخيل مزايها التناسب . وكانت لها جمعة ملائمة
بما للمهادين من التوادد المتقارب ”

وقد كان السلطان ارسل له قبل ذلك ايضا كتاب التفاء لابن سينا
في نسخة جميلة لتفحصه وتقدم كتابة بضمونه وبعد مدة من الزمن صفا فيها
الحو الشئخ يرم من رمي الاعادي وحسد الحساد زاد السلطان في اكرامه
باحساب مصاريف اقامته في الاستانة على خزينة الدولة باعتباره ضيفًا من
ضيوف الحضرة السلطانية وذلك بان تدفع نظارة المالية اجرة المنزل ولوازم

اليت وقدرت في الشهر بخمس وعشرين ليرة عثمانية وقد استمر صرف هذا المرتب مدة ثمانية عشر شهراً اي لحين خروج صاحب الترجمة من الاستانة وقد بادر المرحوم بكتابة المکتوب الآتي لاداء واجب الشكر على هذه العناية السلطانية ونصه

المقام الذي اناخت به مطايا البيان واستقرت . واعترفت بالبلاغة بانه وحيد عصره واقرت . وعضد البراع اشهادها اذ كان بعد ان جست يدها استطاعته ونقرت . فلا بدع ان ابصرت به عين الوزارة وقرت . وكان يمين الخلافة المؤمن منها على ما تشاء . ألا وهو صاحب الدولة علي رضا باشا . باشكاتب الحضرة السلطانية . افاض الله عليه آلاءه القدسية . اما بعد سلام تحمله ابيدي التعظيم . وتحفه آداب الاجلال والتفخيم . فقد بلغ العبد ما حصل له من عناية مولانا صاحب الخلافة العظمى . والسلطنة الباذخة المجد الشهي . فوقع مني هذا الانام الموقع الذي ليس وراءه حد في الاعجاب . وهزني السرور حتى اعجزني عن التلطف بالخطاب . كيف لا وقد لاحت من ذاك الانام بفضل الله علام اخلاصي فيما اقتنعت من مفارقة وطني وكسي وعشيرتي وخواصي كما كنت بسطته لدى جنابكم قبل ان تحدث على وطني الطامة الكبرى . المرجو من الله ان يبدل بأمر المؤمنين عسرهما يسرا . من اني امد على قربة الله جل وعلى . اذ في ذمتي ورقبتي يعة لامير المؤمنين لا تبلى . ولا يجوز لي شرهما ان ابغني بعبد الحميد سلطاني بدلا . فقد ورد في صحيح البخاري " من خرج عن السلطان قيد شهر مات ميتة جاهلية " فلم ابالي لذلك بالمضادات الوطنية والخارجية . واستقررت في ظل الخلافة

الاسلامية . إلى ان غمرتني الانعامات الخافائية . فكيف لا اطير لهذا الانعام سروراً . وهو علامة بارادة الله تعالى ان تنال النفس الرضى موفوراً . فقلت يا نفس قري عيذاً . وردى من مناهل امير المؤمنين عذباً معيناً . فما انت شاهدت قسطاً من عدله . واين انت من جوده وفضله . وفوق ذلك الطاف العناية . التي ليس وراءها للتطلب من غاية . فحسي حسي . ولتوجه ضارعا الى ربي . بشرائري . واخلاص قلبي . ونقول اللهم يا من تحلى بجلائل انماؤه . ويا من احتجب برداء كبريائه . يا من توجهت الى جنابه الاقدس عزائم الآمال . ويا من تعلقت بعيم جوده اطاع السؤال . نستوهبك من الصلوات والتسليمات . ما يناسب من فضله على جميع المخلوقات . وانرت به اقطار الارض والسموات . سيدنا ومولانا محمد خاتم الرسالة . ومنار الدلالة . وتظلم فيها معه صحبة الكرام وآله . وتضرع اليك اللهم ان تكسو هاتو الدولة العثمانية حلة النصر . خافقة ألوبة عدلها الى آخر الدهر . مؤيدة اعلامها . مكتوباً على صفحات الايام اجلالها واعظامها . بتأييد اسد غايبها . وامام محرابها . قرة عين المسلمين . مولانا امير المؤمنين . المحفوف بالتأييد الرباني . الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد الثاني . اللهم وكما جعلته منخرطاً في سلك المدح من رسولك عليه الصلاة والسلام لامراء القسطنطينية من آله الكرام حسبها هو في الصحيح المأثور . فاجعله اللهم مظهرآ لوعدك حيث قلت " وليفصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور " واطل اللهم في طاعتك عمره . واجعل السداد

والصلاح فيما دبره . منكسة اعداؤه على الاعقاب . مستبشرة احباؤه بعمله
المستطاب . وألستم بالدعاء اليه صادحة . خاتمين ضراعتهم بأسرار الفاتحة .
وبعد ان انتظمت دعواتنا بمشيئة الله في سلك الاجابة . واحرزت من حضها
موقع الاصابة . حان لمصابة الشكر والحمد والثناء ان تكون لسدة امير
المؤمنين ايده الله مصروفة . ومن البديهي ان وقوعها موقع القبول لدى
جلالته على حسن فهم مثلك أيها الوزير بعد الاعتماد على الله تعالى موقوفة .
فلتور لها زناد الحمية . من تلك الغيرة الرضائية . لا زلتم صاعدين مدارج
السمادة في العناية السلطانية "

وفي تلك المدة تفرغ الشيخ لتأليف الجزء الثالث من صفوة الاعتبار
وتحرير رسالة سماها " التحقيق في مسألة الرقيق " بحث فيها عن كيفية
معاملة الرق عند المسلمين بمقتضى الشريعة وبيان اسباب الرق ودواعيه
واحكامه وذهب فيها الى ان العبيد المباعين الآن هم احرار وان منع
الحكومات الاسلامية لتجارة العبيد هو شرعي محض لا يحتاج الحال فيه
لطلب الدول الاجنبية وقد حرر قبل ذلك جواباً علمياً لبعض نبلاء الانكليز
عن سؤال وجهه اليه مضمونه هل ان التونسيين مسرورون من دخولهم
تحت دولة اجنبية فواضح السيد يرم في جوابه بان التونسيين ليسوا اقل
الام حياً في الاستقلال والتتم بلذاثه والغيرة على الوطن وانهم مسلمون
يتمنون بكل جوارحهم دوام صلهم بالجامعة الكبرى الاسلامية واستدل على
ذلك بأدلة عقلية ونقلية طويلة مقنعة وقد كانت من عادة صاحب الترجمة
منذ كان في تونس ان يحتفل كل سنة بالمولد النبوي الشريف احتفالاً

شأنها واظب عليه لحين وفاته حتى أنه كان آخر أعماله في هذه الدنيا رحمه الله وفي كل سنة يكتب رسالة مخصوصة في موضوع من المواضيع العلمية يتخلص فيها لذكر المولد الشريف وقدائف في الامتانة رسالتين لذلك الغرض احداها فيما يجب لآل البيت النبوي الكريم من التبجيل والتعظيم مبيناً حقوقهم على المسلمين بشرط ثبوت النسب العلي حتى لا يدخل في هذه السلسلة السامية دخیل نرتب له تلك الحقوق الواجبة وثاني الرسالتين فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم على سائر المسلمين وألف رسالة أخرى في سكنى دار الحرب وذلك عند ما رأى ما طرأ على بلاد الاسلام من التفتت المستمر أسأل الله اللطف والسلامة وقد ذهب في هذه الرسالة بعد شرح ما عليه البلاد الاسلامية الآن الشرح الكافي وإيراد الأدلة والنصوص الشرعية الى ان الانسان حر فيما يختاره حسب مصلحته واجتهاده . وقد سأله بعض الافاضل عن رأيه في مسألة الاجتهاد والتقليد مستنداً على الرسالتين المطبوعتين في الامتانة للمفسرين للملك بهوبال صديق حسن خان فشرع في الجواب غير انه لم يتمه ويظهر من فحوى كلامه واعماله الخصوصية انه يرى تقليد احد الائمة الاربعة واجباً على حسب المشهور في مذهب اهل السنة . ولما تولى امير تونس الحالي منصب الامارة هنأه الشيخ بيرم بمكتوب مصدر بهذين البيتين

ألا بعلي ملك تونس سداً فلا زال فخرًا للبلاد مؤيداً
ونجح دعائي بان اذ قلت ارخن ألا بعلي ملك تونس سداً
وقد توجهت في ذلك الوقت آمال احباء قائل هذين البيتين لرجوعه

الى تونس اذ ان نفوره الثاني كان من الوزير مصطفى بن اسماعيل الذي
 اقل نجمه بوفاة سيده الصادق باي ولم يبق من مانع له من العود الى بلاده
 ومسقط رأسه ومدفن اجداده خصوصاً ورستان نائب فرنسا استبدل بغيره
 وصفا الوقت وزال المقت فكاتبه بعض المتشيعين للسفارة الفرنسية بتونس
 بمناسبة الفرصة لا سيما وقد كان وعد الامير عند توديعه وهو اذ ذاك ولي
 العهد بالعود الى الوطن عند ولايته عليه فاعتذر صاحب الترجمة عن كل ذلك
 بان السيرة العمومية هناك لم تبقى على الحالة المألوفة ثم ان صحته لم تزل في
 تدهور في الاستانة لتأثره من الانفعالات النفسانية المتسببة عن دسائس ذوي
 الاغراض السابق شرحها التي لا يكاد يخلو منها من كان له شأن بين الناس
 او فضل يميزه بين اقرانه والمعالجة والعيال يلزمها الكثير من المال فباع
 صاحب الترجمة جميع املاكه بتونس وصار يصرف من ثمنها في حاجياته وعوائده
 التي لم يغير منها شيئاً بحيث رأى نفسه في تأخر مالي مستمر لا يأمن معه من
 الوقوع في محال الفقر وهو لم يحسن من العمل الا مباشرة عقاراته والتفرغ
 للاشغال العلمية وكان بعض كبار اصدقائه ينفرون من سائر الوظائف العادية
 لاعداده الى وظيفة مخصوصة تليق بعلمه وما زال منتظراً حتى ضاق لذلك
 ذرعاً وزاد عليه اشتداد المرض العصبي اذ وجد عاملاً لتحريكه قوياً وهو
 الانفعال النفساني المستمر فنظر في امره فلم يجد من البلاد الاسلامية التي
 يمكنه الاقامة فيها براحة بال الا القطر المصري وهو مع حرارته التي يأبأها
 مزاج صاحب الترجمة الا انه اوفق من غيره من البلاد الاخرى . اما
 الولايات العثمانية فقد اشار عليه بعض المطلعين على الاحوال على ان طلبه

التوجه اليها لا يجوز عمل القبول خصوصاً وهو لم يكن له ميل الا للتوجه الى المدينة المنورة للجاورة او الى الشام ويمنعه عن الإقامة في الحجاز احتياجه المستمر للحكام والعلاجات وهما شيان مفقودان تقريباً من تلك الجهات المباركة فاستخار الله في القدوم الى مصر وساعدته المقادير بالحصول على مكاتب توصية لبعض ذوي النفوذ في هذه البلاد فاراد طلب الرخصة للقدوم اليها ولكنه استشعر ان طلب الاذن للتوجه اليها ربما لا يجوز قبولاً خصوصاً وأنه تعذر عليه وجود من يبلغ الحضرة السلطانية تفصيل امره وشكوى حاله على الوجه الحقيقي والأفان احترام الخليفة لثله من علماء المسلمين كان يدفع شكواه ويرفع عنه ألم معيشته ولكن دون الملوك من عقبات الاشغال ما يمنعهم عن الوقوف احياناً على مثل هذه الاحوال فاذا فقد الناصح الامين الذي يتيقظ لملافاة هذه الامور يحسن تبليغها الى مقام الخلافة حصل الاهمال الذي وقع فيه صاحب الترجمة وامثاله فالتزم التمثل بطلب العودة الى الوطن وقارن هذا الطلب الاجابة اذ كاتبه علي رضا باشا باشكاتب الماين المايوني بهذه البطاقة العربية وهذا نصها بالحرف الواحد بخط يده

” العالم - ضل والاديب الكامل محمد افندي يريم سلمه الله
بعد التحية الوافية نبدي لكم اتنا عرضنا مادة العزيمة الى بلادكم فصدرت
الارادة السنية السلطانية على عزيمتكم الى ذلك الطرف ان شاء الله تكون
مصوباً بالسلامة ونزوم منكم ان لا تنسونا من دعائكم الصالح في السفر
والاقامة ودمتم في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٠١ (علي رضا) ”

ومما يذكر هنا مقروناً بـ يد الاسف ان القسطنطينية العظمى تشتمل على نحو المليون نفس من السكان من اجناس مختلفة اقليم ابناء العرب او المنقسمون اليهم ومع ذلك لا ترى اشد منهم تهافتاً على الايقاع فيما بينهم فبينما ترى الروم والارمن واليهود يعاضدون بعضهم بعضاً ويسعون لبني جنسهم في الخير بحيث يصدق عليهم انهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ترى اولاد العرب المسلمين ينتحلون ويتلفهون على اختلاق الاسباب وابتعادها لابعاد بني جنسهم عن دار الخلافة وتنفير قلوبهم منها والله في خلقه آيات . فند راجت فيهم سوق التحاسد والتباغض والتنافر والتشاحن حتى لا يكاد يحلو حديث من احاديثهم او حركة من حركاتهم الا في ايداء بعضهم وايقاع السوء بأنفسهم والتخاذل فيما بينهم لا فرق في ذلك بين الكبير والصغير والعظيم والحقير بل الداء واحد في الكل الا من وفق الله ولا شك ان هذا من سوء حظ الاسلام الذي كان ينبغي ان يصرفوا له اوقاتهم في خدمته بما في يدهم من التدرية على نفعه لسأل الله ان يرفع من بينهم آفة الدسائس التي يشوشون بها على انفسهم وعلى بلادهم ويسقطون بها سائر الامة العربية في أعين الامة التركية

وقد غارت الشيخ مركز الخلافة والدين منورقة بالدمع والحشاء مملى بالاسى والصد مغم بالانسف ليس ذلك لمنصب فارقة او لرفاهة عيش ذابها او لطمع في شيء من نعم الدنيا الزايل وعيشها القاني وانما كان يتحرق ذواده لما كان يرى عليه الامة الاسلامية من الانحلال والاخذ في اسباب الضعف وكيف ان بلاده وقعت اولاً في يد الاجنبي وخرج لاجل ذلك

مشتقاً بمائتة في البلاد ليسكن بها بلدة اسلامية فلم يراهم مكاناً هو اولى
 ان يقصد لهذا الغرض وألقى بعالم مسلم مثله من اولاد نهباء الاشراف ان
 يقيم بمائتة فيه مبعوث دار الخلافة وعلى النفس بأن ما يراه هناك من صولة
 الاسلام وتشديد الدين واستقامة أمور المسلمين واجتهاد امير المؤمنين ومن
 حوله من خاصته وحاشيته ورجالهم لا تقاذ الاسلام واهله مما سيسل مصابه
 بفقد بلاده ومتى النفس بأنه لا يأس على ضعفه وعجزه من القيام بمجدة
 تقيد الاسلام او نصيحة تشيد الدين او اشتراك في عمل يجمع بكلمة المسلمين
 او بما ياتل ذلك مما يجب على كل فرد من المسلمين القيام به وخصوصاً من
 كان من طائفة العلماء فرأى لسوء الحظ من تلك الدسائس ودنايا
 السعيات ومسابقة الوشاة اضراراً بكل من كان مثله على رأيه حتى يخلو
 الجوف لاولئك السابقين ما اضطره الى مبارحة دار الاسلام للتشتت مرة
 اخرى في البلاد بمائتة بعد ان يش من العمل في حقه بمقتضى الآية الشريفة
 "قل لا أسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى" والمرحوم يت بحبل النسب
 الى البيت الطاهر النبوي من جهة ويصل من الجهة الاخرى الى مجاهد في
 سبيل خدمة الدولة العلية اراق دمه في افتتاح البلاد التونسية ولم تزل
 اعقابه لتوارث الولاء والاخلاص والصدقة الثينة للدولة العلية في كل
 زمان ومكان حتى انه لما اهدى السلطان عبد المجيد كركاً من السمر الفاخر
 من ملبوساته الذاتية الى امير تونس احمد باشا لم يرا الا امير المشار اليه أليق
 بلبسه من الشيخ يرم الرابع فاعطاه اياه ولم يزل محفوظاً يترك به في بيت
 يرم بنونس وصار لبس الكرك نزيه لم لم يقلدهم فيها سواهم وقد اكتفى الشيخ

الرابع بذلك عن قبول نشان الافتخار التونسي لما عرضه الامير عليه واتبعة في ذلك صاحب الترجمة ايضا سنة ١٢٩٥ اذ صارت العادة في تونس ان العلماء لا يتقدمون النياشين وفي حرب الدولة مع الروسية سنة ١٢٤٤ نقاعست الولاية التونسية عن نصرة الدولة ماديا وادبيا فلم يجد شيخ الاسلام بالاستانة من يستعين به لحث المسلمين في تونس على مساعدة الدولة الأجد صاحب الترجمة يرم الثاني لما هو مشهور عن هذه العائلة منذ القدم انها متعلقة بمجدة الدولة لا تقتر عن ذلك ابدا فاجابه بالكتاب الآتي نصه

”ربنا افرج علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .
 ان احسن ما تشرفت به الامة الحمديّة . وتجلت به العصابة الاحمديّة . اتباع
 اوامر الله تعالى ونواهيه . وبذل الجهد في اعلاء هذا الدين وتشديد مبانيه .
 اقتداء بصدرها الاول . وعملا بسنة نبيه المرسل . ولعمري ان هذا في
 العبارة وان كان سهلا يينا . ففي ابرازه للوجود ليس هينا . لتوقفه على
 امدادات الهية . وهداية ربانية . وداع الى هذا بلسانه . ورعه وسنانه .
 وقد تطابقت حملة الانباء في سائر البلاد . من جميع العباد . ان القائم بهذا
 الشأن . والحائز قصب السبق في هذا الميدان . ومجدد الدين بعد الاندلس .
 ومظهر اعلامه اثر الانقراض . الدولة العثمانية اعلى الله منارها . وضاعف
 اقتدارها . وانام الانام في ظلها . واعاد عليهم من فيض فضلها . فلم تحل
 والحمد لله من امام يهدي الى الحق والى طريق مستقيم . ولم يأل جهدا في
 رعي اعدائهم بالعذاب الاليم . مؤيد من الله بعلماء . عاملين هم ورثة الانبياء
 ناهجين في نصيح العباد مناهج الاصفياء . وقد ورد علينا من حضرة مولانا شيخ

الاسلام . وامام العلماء الاعلام . ومرجع الحكماء في الاحكام . ومن بيده
مقاليد النقض والابرام . لا زالت اقلامه في بحار العلوم ساجدة . ومواعظه
للقلوب جارية . وتجارته عند الله تعالى رابحة . كتاب كريم . هادٍ باوامره
ونواهيهِ الى الصراط المستقيم . لا يقايله كل مؤمن الا بالقبول والتسليم .
وكيف لا وقد جاء بالذكرى التي تنفع المؤمنين . المأمور بها في الكتاب
المبين . حائثاً على الجهاد . والتشهير عن ساق الاجتهاد . وتعاطي اسبابه .
وطرح الامور الصارفة عن بابه . فاجتمع لقراءته الاعيان من العلماء وغيرهم
بمحضرة الامير جهم . وفتحوا له قلباً وسمعاً . وتلقوه بالاذعان والقبول .
والمبادرة لامثاله بالفضل والقول . واميرنا مثابر على تنفيذ اوامر الدولة
العلية . التي طاعتها من طاعة رب البرية . وما هو الا ان يؤمر فيطيع .
ويكلف فيأتي بما يستطيع . والله تعالى يؤيد سلطاننا بمد نصره . ويجعل
اعداء الدين تحت قهره . ويعلي رايته الشاعخة في البر والبحر . ويكتب على
صفحاتها سورة الفتح والنصر . والسلام اللائق بجلالك . من العبد الفقير
محمد يريم

وفي الحرب الاخيرة تأخرت الحكومة التونسية عن مساعدة الدولة
ايضاً لخوفها من معارضة فرنسافنام الشيخ بمقتضى ما ورثه عن ذويه من محبة
الدولة العلية يمرض الوزير وينصح الامير ويحض المسلمين جميعاً على اعانة
الدولة ولم يكتب بذلك فقط بل سعي سعيه حتى توصل لاستخراج فتاوى
شرعية بوجوب القيام بواجب المساعدة للدولة حتى لا يبقى هناك عذر لمعتذر
في ذلك التقاعس وهذا صورة السؤال الذي طلب عليه الفتوى

"علماء الاسلام . بعد اهداء السلام . والتحية والاکرام . ما قولكم .
 رضي الله عنكم . في نازلة صورتها ان امام المسلمين قد اخبر اهل قطر من
 المسلمين من هم تحت طاعته . وداخلون تحت بيعته يخطب انتم باسمه على
 منابرهم بان العدو قد فاجأ بلاد المسلمين مملناً بالحرب ووقعت منه المباشرة
 بالفعل في حدود المملكة وكان الامام استشعر من العدو ما آل امره اليه
 من مباشرته بالحرب فيأ من العساكر بحدود المملكة للمدافعة عن يضة
 الاسلام نحو الستمائة الف وحين اطلعه على جيوش العدو وعلم ما يمكن
 من اخبارهم رأى الامام ان الستمائة الف تحتاج الى ضم آخرين اليهم من
 العدد الكثير الذي تحصل به مقاومة العدد ويمكن له به مدافعة العدو فاستنفر
 كل من استطاع من اهالي ذلك القطر الى الانضمام الى حوزة العساكر ثم
 الذي وقع في الخارج بعد استنفر الامام هو ان العدو قد استولى على
 بلدان وقرى من مملكة ذلك الامام واهاليها مسلمون جارية في تلك البلدان
 والقرى شعائر الاسلام كما استولى على قسم من مملكة ذلك الامام سكانه
 نصارى يؤدون الخراج ويدعون بالطاعة للامام وهذا القسم له بال من
 المملكة يبلغ عدد سكانه نحو الخمس ملايين وقد جعله العدو مركزاً لذخائره
 وعدده وعدده بما فيه من الحصون ومع ذلك لم يقدر العدد الوافر المهيأ
 من عساكر المسلمين على اخراج العدو لما تسلط عليه ثم حصلت للعدو مضرات
 اخرى من غزو سفنه وثورة قسم من كان تحت سلطانهم من المسلمين باهانة
 الامام لم فعل يجب والحالة ما ذكر على احاد ذلك القطر المستنفر اهله من
 قدر على الزاد والكراع والسلاح ان ينفر للامام ويولي دعوته سواء كان

ذلك القطر مواليا لموضع الهجوم او بعيدا عنه وعلى تقدير ان يكون الموضع الموالي اهله تكاسلوا او عرض لم تلحق يتعلق الوجوب حيث ينبغي ان يلي من يلزم وهكذا ام لا يجب واذا قلنا بوجوب ذلك على الافراد والاشخاص بذلك الشرط فلو كان هناك من له منفعة عامة كمثل عالم لا اعلم منه سيف في البلد بفصل القضاء قل ذلك مسقط للوجوب عنه ام لا جوابكم الشافي

وما فتى رحمه الله بخلص الخدمة للبيت العثماني عند كل فرصة وبكل وسيلة حتى انه رأى رأيا ينتج عنه نفع المسلمين وارتفاع شأنهم جميعا من جهة توثيق عرى الجامعة الاسلامية واتلاف ممالك المسلمين وتنظيم احوالها على ما يضمن قوة المركز وثبات الوجود ومن جهة اعتلاء شأن البيت العثماني بتشديد امر الخلافة فيه على جميع المسلمين وممالكهم وذلك الرأي هو ان تتحد الممالك المستقلة الاسلامية والولايات العثمانية المستقلة استقلالا داخليا ثم يصير الجميع عصبة واحدة ومملكة واحدة تحت رئاسة الخليفة السلطان العثماني ومن ضمن الامور التي اوصى بها في روابط هذه الجامعة ان يجتمع امراء الممالك الاسلامية في بعض السفين بالكمبة المطهرة لتكون شاهدا على قوة ارتباطهم وفي ذلك من اعلام شأن الممالك الاسلامية ما لا يخفى على كل من امن النظر في نظام الممالك الالمانية التي كانت ضعيفة ضئيلة بتفرقها ممالك صغيرة يسهل على الطامع ابتلاعها كما حصل مرارا فلما اتحدت جميع المقاطعات الالمانية على النمط الذي نراه الآن بمملكة بروسيا اصبحت اعظم الممالك شأنًا واشدها قوة وصارت مملكة بروسيا التي كانت تحت رحمة الطامع لضعفها وانفرادها اقوى الممالك باتحادها مع بقية الممالك الالمانية وقد

كتب المرحوم في هذا الباب كلاماً طويلاً مستشهداً فيه بالشواهد الدينية والتاريخية كقول أحد مشايخ اسلام الاستانة الاقدمين عند تحصيله هذا المشروع لمن كان يعارضه ان الاليق بمجد السلطان وفخر الدولة ان يكون السلطان سلطان السلاطين لاسلطان الولاة وربما ادخلناه في ضمن ما سنشره من بعض كتاباته التي تركها عند الفرصة

وقد خرج الشيخ على تلك الحال بقلب طرفه في البلاد لعله يجد بلدة اسلامية يشد اليها رحله فلم يجد من بلاد المسلمين بلدة يطمئن فيها الساكن على نفسه وعرضه ولا يكون عرضة لمثل تلك المساس بالبلاد المصرية وان كان دمه لجري اسفاً على تلك البلاد ايضاً التي اصابها ما اصاب غيرها من سيطرة الاجنبي عليها ولكن رب ضار نافع وبعض الشرايون من بعض وقد انكر عليه المتشدقون عمله هذا وقدموه على مصر في حالة وجود الانكليز وتضارب الاحوال فيها غير انه كان يجيب على ذلك " بان لاحق لأحد في الاعتراض عليّ " اذ ان الدولة رضيت لي الاقامة في تونس تحت حماية فرنسا حسب منطوق الارادة السنية المسطرة اعلاه وتونس انسلخت بالمرّة عن الممالك العثمانية ولا اثر لسلطة الدولة او المسلمين فيها. اما مصر فانه مع وجود الانكليز فيها فانها لم تزل ولاية من ولايات الدولة وسيطرة الحكومة المحلية فيها قائمة وعلى فرض المساواة في المعاملة لا قدر الله فلا فرق بين الانكليز والفرنسيين "

وقد انتقل المرحوم بمائتته الى مصر معرجاً في طريقه على بلاد اليونان وذلك في الحرم سنة ١٣٠٢ (نوفمبر سنة ١٨٨٤) اي بعد الاحتلال الانكليزي

بستين وشهرين ولما استوطن بالقاهرة هناك حضرة المصنف البليغ الشيخ حمزة
افندي فتح الله يهذين البيتين البديعين
لئن اشرقت في الشرق مصر بيبرم واضحت به تلك الكنانة تونس
فكم شاد مع آباءه من مكارم اضاءت بها في الغرب من قبل تونس
وبعد ان استراح اياماً قابل الجناب الحديوي التوفيقي المرحوم فلما ظهر
له مزيد العناية وانزله منزلة الثقة الامين فحكي له سموه جميع ما جرى في
الثورة العسكرية وتفصيلها وكلما يتعلق بما قاساه فيها وختم كلامه بقوله "انني
ذكرت لكم كل هذا لتأكدوا من صداقتي لكم" ثم اظهر له من علام الاكرام
ما جعله دائم الشكر له ومن ذلك انه امر بان تكون مصاريف الشيخ على نفقة
الحكومة كما كان في ضيافة مولانا السلطان وفي ٢٥ ربيع الاول من تلك
السنة اصدر جريدة الاعلام وهي جريدة علمية ميسرة يومية غير ان صحة
صاحب الترجمة وقلة اختباره بالقطر المصري لم تساعده على تولي اصدارها
يومية فجعلها تظهر ثلاث مرات في الاسبوع ثم صارت اسبوعية واستمرت
كذلك مدة طويلة بحيث ان اول عدد منها صدر في التاريخ المذكور واخر عدد
وهو ٢٦٩ صدر في غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٦ ثم احتجبت الجريدة المذكورة
عن الظهور بثولي صاحبها خطة القضاء في محكمة مصر الابتدائية الاهلية وكان
في نيته عند تأسيسها مع فتح مطبعة مخصوصة به ان يشغل نفسه بتحريرها وبطبع
الكتب المفيدة طالبا لنفع العموم بما اكتسبه من الاختبار بالتجول في البلدان
وبما يعلمه من العلوم الشرعية الاسلامية وتطبيقها على الاحوال السياسية التي
يتج منها تحرير البلاد وانتظام امورها كما كانت تتوهم به نفسه منذ القديم

حتى قال خير الدين باشا عن هذه الجريدة انها لا تلبث ان تكون " تيمس العرب " ودفعه الى ذلك ايضا ما كانت عليه سميت من حب الاشتغال بالعلوم وفن التحرير والانشاء وما يتسع هذا الغرض الا في مثل الاشتغال بطبع الكتب وانشاء الصحف ولكن قد خاب جميع امله اذ ان الجريدة لم تفلح اياها حتى رماها بعض الناس بانها تحت على الانتماء للاجنبي وهو امر لم نقله ابداً وضاية ما هنالك انها كانت تحت على الاستفادة من الانكليز ما داموا موجودين في البلاد اذ ان معاكستهم وامر البلاد والامة جميعاً في يدهم لا تعتمد عقباها كما بينته التجربة بعد والذي أُلجأُ لانتهاج هذا المسلك ما قاساه من ظلم الاستبداد وما رآه من وجود عوامل محركة في مصر باغراء بعض الاجانب لتوغير صدور الناس على حكاهم اذ ذلك وخشى من دوام الحال على ذلك المنوال ان يأتي بالفرع المادي والمعنوي على الطائفة الاسلامية والحاصل ان كثيراً من الناس لم يقدرُوا عمله حق قدره هذا زيادة عن ان حال الجرائد في الشرق ليس هو على ما يشاهد في البلاد المرفقية في التمدن والحضارة بحيث ان الجرائد هنا لا تنجح الا اذا كان لها معصد قوي ولم يتعود الشرق لغاية الآن ان يعني شيئاً ما لم تكن يد الحكام فيه والشيوخ يرم كان قليل المعرفة بالناس واخلاقهم في مصر فلم يمين من جريدته ثمرة تذكر ثم ان الكتب التي طبعها تحمل بخسارة مصاريفها ولم يكسب منها شيئاً وزد على ذلك انه تربى في ترف وعزة نفس وهمة عالية ومن تكن هذه اخلاقه فلما يتبع في عمل تجاري ثم ان الحراضر بصحته وزاد في تهتمرها فزاد في استعمال المرفين زيادة مفرطة حتى صار يستعمل نحو الغرام وكسور

في اليوم وهو مقدار كاف لقتل عدة من الانفس الغير المتعودة عليه
فالتزم بعد سنتين ونصف من الإقامة بصران يسافر الى اوربا وكان ذلك قرب
احتفال ملكة انكلترا بمضي الحسين سنة على توليها الملك فتوجه اولاً الى
مدينة فلورنسا من اعمال ايطاليا للملاقة صديقه المرحوم الجنرال حسين
باشا التونسي حيث طلبه لتسوية شؤونه لما اعياء المرض فأوقف جملة من
املاكه على بعض اخصائيه وخصصها بعدم لجيوش المسلمين ومن هناك قصد
المرحوم مدينة باريس لاستشارة حكائمه في امر صحته ثم سافر الى لندن
عاصمة الانكليز وهناك قابل جملة من نبلائها وكبار اعيانها كالورد سالسيوري
والورد نورثبروك وقد تكلم مع من قدر الله والاهمال ان يكون يدهم
زمام الاحوال المصرية بما رآه نافعاً لبني جلدته وجنسه وحامياً لدمارهم
ومشيداً في المستقبل لغارهم وكان اذ ذاك النفور متمكناً بين نائب الانكليز
في مصر وبين رئيس مجلس النظار فيها فكان القوم في حيرة من هذا
الامر خصوصاً والمرشحون لمنصب الوزارة في مصر قليلون جداً والفكر
القائم في اذهان بعضهم حينئذ ان رياض باشا مكروه في البلاد مستبدلين على
ذلك بظهور الثورة فيها مدة وزارته الاولى فبدل المرحوم جهده ليعرف
هذا الفكر وسعى بقدر استطاعته لما فيه اطلاق شأن المسلمين وبعد ان حضر
الاحتفال رجع الى باريس لاتمام المعالجة ثم عاد الى مصر بعد ان تقيب عنها
نحو الخمسة اشهر معرجاً في طريقه على برلين وويانه وفي الاثناء المذكورة
سعى الساعون كثيراً لارجاعه الى الامتانة وكاتبه بعض اصدقائه
في ذلك حسب ما صدرت به الاوامر السلطانية فأظهر المرحوم كمال

استعدادهم للرجوع اليها قائلاً ان يعة امير المؤمنين لم تنزل في عنقي
واوقف رجوعه على تسوية احواله المالية ثم يقدم الى القسطنطينية ومع
ذلك فلم تكن الاعداء تكف عنه الاذى في غيابه ايضاً حتى انه لما طبع
صاحب الترجمة احدى رسائل المذكورة آنفاً المختصة بمقوق الاشراف
دس ارباب الدسائس له في دار الخلافة ما اوجب المخابرة مع الحكومة
المصرية بشأن موضوع تلك الرسالة اذ قيل انه تعرض فيها لمسألة الخلافة
وهو امر لم يخطر له على بال ومن العبث ان يفكر فيه عاقل وحاشا لمثل
الشيخ يرم وقد وصل لما وصل اليه من التعب المادي والمعنوي غيره
منه على بني جنسه وملته ان يتصور حدوث زيادة الشقاق بينهم وزرع
بذور الخلاف بمسألة استقرّ القرار عليها منذ قرون واجمع السامعون قاطبة في
مشارك الارض ومفاريها عند عربها وتركها وزنجها بالاقرار فيها لبني
عثمان منذ عهد السلطان سليم الاول ثم تعبهوه ايضاً فيما يكتب في
جريدة الاعلام الى ان يسر الله بقدم النازي مختار باشا الى مصر وظهر له
بالبيان فساد تلك الوشايات

وفي اثناء سفره كاتبه العلامة المرحوم الشيخ عبد الهادي نجا الابراري
من كبار علماء الجامع الأزهر ومفتي المعية السنية بهذا المکتوب

بسم الله والسلام عليكم ورحمة الله

ورد الكتاب على الحب الغرم فشفاه من وجد الغرام المؤلم
قد شمت منه مذ شمت اريحه بشراً بصحة ذي السيادة يرم
حيّاً فأحيا مهجة كانت بما فاساه تسمي في اشد تألم

واييك ما ذاق شرباً سائفاً من بعد فرقه وراحة قائم
 الآ بان سرّت سرائرنا بما ابداه من سرّيان برء محم
 لجناب مولانا المهام فانه هو بهجة الدنيا ونور العالم
 جمع الاله له الفضائل مثلاً جمع الزهور الروض تحت الميزم
 ما بين اخلاق كازهار الربى ومحاسن تزمو بكل غنم
 بجمالة وجلالة وفخامة وساحة موروثه عن حاتم
 وسيادة ومساعدة ابدية وجميل تدبير برأي محم
 فالله بكل صحة لجنابه ما غردت قمرية بتغم

استفتح ألوكتي هذه بلطائف تحييات نلتسك بها نسائم الاسعار فتتسك .
 واستفتح كماثم رقائق تضرعاني بقلب سليم الى ربه تنسك . مبتللاً اليه تعالى
 ان ينم البال ويشرح الصدر بكمال صحة مزاج حضرة فصرة وجه الايام .
 وغرة طلعة الزمان وقرّة اعين الانام . شامة الدنيا التي بها تتأرج . وشمس
 قلادة الملياء التي بها تتبرج . علامة العصر . الذي انست محاسنه محاسن ابناء
 سلافة العصر . فما هو الأ روح الارواح . ولوح الفضائل التي تتباج في المساء
 والصباح . وان شفاء جسمه لشفاء لكل عليل . وروا ظمأ كل غليل . فبها صح
 مزاجه الشريف صح مزاج الايام . ومها لبس حلل العافية فعلى الدنيا السلام .
 هذا ورجائي ان تمعشوا روحي بنوالي اخبار صحتكم كلما وقد وافد . وتمعموا
 نفسي بورود اخبار صحتكم كلما ورد لهذا الطرف وارد . ثم سعادة المهام فكري
 باشا يتحف حضرتكم بلطائف التحييات . احسن الله لنا وله ولحضرتكم النهايات
 في ١٣ الحجة سنة ١٣٠٤
 عبد الهادي نجا الايباري

وعلى ذكر هذا المکتوب والشيء بالشيء يذكر ننشر هنا بعضاً من
محررات وردت على صاحب الترجمة عن لسان المغفور له توفيق باشا دلالة
على منزلته لديه وانموذجاً على معاملته له فنها تلتراف جاءه جواباً على التهنئة
التي قدّمها يوم تذكار الجلوس الخديوي في ٢٦ يونيه سنة ١٨٨٨

حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد يبرم بمصر

تلتراف حضرتكم الوارد بتهنئة الحضرة الخديوية على اليوم السعيد
بعرضه قد صارت الممنونة لجناحه العالي من ذلك ولزم تبليغ الامر للعلومية

سر تشريفاتي خديوي

برأس القين

ومنها مکتوب ورد له من محمد زكي باشا تشريفاتي اول خديوي

اذذاك وهو

حضرة والدنا العزيز المحترم دام بالخير والنعيم

تشرفنا بمرور تذكرة حضرتكم ومتشكرين غاية التشكر وبوقته قدّمنا
الامانة للاعتاب الكريمة فحصلت الممنونة التامة وامرنا بتبليغ ذلك لسيادتكم

افندم

الداعي

محمد زكي

في ٦ شبّان سنة ١٣٠٦

ولما كنا بصدد ذكر هذه المحررات فلنجل خاتمتها مکتوباً ورد على

المرحوم من صديقه الحميم . الملاذ العظيم . ذي القلب السليم . الاستاذ الابر
مولانا الشيخ محمد ظافر دامت برکاته اذ الغاية بيان ما كانت عليه صلات
صاحب الترجمة بعماسريه ومعارفه ومخاطباته مع محبيه ونص المکتوب

الى حضرة الهام الفاضل . والعمدة الكامل . جامع شتات الفضائل . وناظم
فرائد محاسن الشئائل . ومنبع المعارف . ومجمع اللطائف . وقطب فلك السياسة
ومركز دائرة ارباب الرئاسة . جناب الاعز الاكرم . مولانا الشيخ سيدي محمد
يبرم . ادام الله عزه واقباله . وانا له مناه وآماله . آمين

بعد اهداء تحيات اطيب نفعا من روض الازهار . وألفف من اسم
الاسمار . فقد وصل كتابكم الكريم . المشتغل على البد النظيم . الحري بالتبجيل
والتعظيم . وفرت به اعيننا سرورا . وامتلات به قلوبنا بهجة وجورا . وما
اعلنتموه من الفرح والجلد . بمحصل نشاط محبكم من عارض المرض الذي
حصل . فهو من علامات تمام الوداد . وخلوص محبتكم الاصيله وكال
الاعتقاد . ولكم عندنا من ذلك الحظ الاوفر . والقسط الاكبر . وما عطفتم
به على ذلك من الذكر الجميل . والثناء والتبجيل . على الحب فهو من
انطباع كما لاتكم الظاهرة . التي تجلت في مرات ذاتي واصبحت في عالم
الشهادة لكم ظاهرة . كما هو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة اخيه
كما يشهد بذلك ذوق كل صديق وموفق وعلى كل فنحن معترفون بالقصور .
ولسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق في جميع الامور . وان يجعلنا بركة دعاكم
مظهرا للخيرات . واسطة لتوالي المبرات . وان يجعل العاقبة للمتقين . وينجز وعده
بنزول نص النصر على اعلام جيوش المؤمنين . ونخص بالسلام كامل من
محضر تكم وجناب اخينا الشيخ سيدي حمزه مسلم عليكم . وكذا كامل اولادنا
مقبلين يديكم . وهذا ما لزم . ودام مجدكم والسلام

خادم الفقرا
محمد ظافر المديني

١٣ شعبان سنة ١٢٩٤

وقد تفرغ صاحب الترجمة في الاوقات التي يتركها له المرض لانعام تأليف ابتداءه في استانبول سماه "تجريد السنن" للرد على الخطيب رونان " وذلك ان العالم الفرنساوي المذكور وهو من مشاهير اهل بلاده تعرض في خطابة القاها بباريس تحت عنوان " الاسلام والعلم " الى ذكر الديانة الاسلامية وانها تمنع العلوم من الانتشار بين ابنائها فأفسد صاحب الترجمة هذا الزعم برد مقنع اتى فيه على ذكر جميع العلوم والفنون التي استنبطها المسلمون او تمحوها وله رسالة في صورة سؤال جررها في جواز شراء اوراق الديون التي تصدرها الممالك الاسلامية حتى تبقى اموال المسلمين في بلادهم ولا يجبرهم عنها اشتباه الرباء الذي لا ينطبق في هذه الحالة عليها وكتب تقريراً مسبباً في شأن التعليم بمصر ذهب فيه الى لزوم انتشاره باللغة العربية لسهولة تناوله وتعميمه بين العموم مستنداً في ذلك على عمل العرب في صدر الاسلام وعلى عمل الاروباويين انفسهم فانهم لا يعلمون الا بلغاتهم وقد نجحوا اما مصر فلما اتبعت طريقة التعليم باللسان الاجنبي لم تنتشر فيها العلوم والفنون مع طول الزمن الذي مضى من حين تأسيس المدارس فيها وله ايضاً عدة كتابات على جملة احاديث نبوية شريفة وهي التي كان يحتفل بجمعها في تونس على حسب العادة الجارية هناك في المدرسة العنفة التي كان شيخاً عليها وفي سراي المرسى عند جناب الامير الحالي وسنشر جميع هذه الرسائل والمنشآت والقصائد وغيرها من التحارير العلمية والسياسية التي كتبها في مجموعة خاصة بحول الله تعالى ولم تتركه ايضاً في مصر دسائس بعض الفرنسيين وبهمهم الباطلة فمن ذلك ان جريدة لانترون

(المصباح) الباريسية نشرت خبراً عن مكانها في القاهرة في شهر أغسطس سنة ١٨٨٩ مفاده ان الشيخ يرم سافر متوجهاً الى الشيخ السنوسي للاتفاق معه على اهاجة نار الفتنة في السودان بواسطة المهدي والقصد من ذلك كله معاكسة فرنسا وصادف نشر هذا الخبر خروج صاحب الترجمة حقيقة من القاهرة ولكن لاستنشاق الهواء البارد على شاطئ البحر في جهة رأس البر بدمياط وقد تجول المرحوم في كثير من انحاء القطر المصري وكان يكتب اثناء تجوله في ذهنية بقية صفوة الاعتبار فاتم الجزء الرابع واول الخامس ولم يمله الاجل لانامه فانه كان يقصد التوسع في الكتابة عن بلاد النمسا وسويسره والمانيا ورومانيا والبلغار والصرب واليونان وهي البلاد التي شاهدها ولكن ما كتهه اجمالاً عنها في الجزء الاول يمكن ان يعني القارئ عن التفصيل والاسهاب وكان ينوي كتابة خامسة صفوة الاعتبار على نمط مقدمتي تاريخ ابن خلدون واقوم المسالك فلم تمكنه صحته ولا اجله من اخراجها من حيز الفكر الى قوة العمل ونحن نورد هنا بعض تعليقات كتبها ليوسع البحث فيها في هذا الموضوع عسى ان يقيض الله من يمشي على نخطها اذ المقصود هو نفع ملتنا وايقاظنا من غفلتنا وكفى بما جرى للامة في القرنين الماضيين من التقهقر والتلاشي والانحلال واعظاً في ديوان العبر واهم باب المبتدا والخبر لمن يروم الاستفادة بالماضي يدفع به غائلة المستقبل اما تعليقاته فهي فيما ينبغي لنا اتخاذه وتديير نفوسنا عليه وفيه فصول الاول في زيادة نشر العلم الثاني في كيفية الحكم وانه ينبغي اتخاذه قول واحد من المذهبين (اي بفتح تونس حيث الاجكام جارية بمنتهى المذهبين الحنفي والمالكي). الثالث في كيفية ادارة

السياسة وما هو عمل الملك وما هو عمل كل وزير وما هو عمل مجلس النواب الذي حقّه ان يتخذ من الاهالي وان لا تعطى الكلفة دفعة واحدة بل على قدر استطاعة الاهالي وقابليتهم وان ذلك يأتي في المسلمين من الملك وهو المرعي لرعيته والسبب في عدم اعطاء الحرية التامة في فرنسا كما هو جار في انكلترا ثم تعامل الدول مع دول الاسلام على خلاف التصرف في داخلتهم لضعفها وعدم انصافهم فطينا بالوسائل وحكم تذاكر البنوك شهراً وليس هو من قبيل السفتجة . وعلاقة الدول والاحكام وفوائد الصحف وفوائد سكك الحديد والبريد والتكلم عليه وعدم تأخير المقصد في الكلام عند الزيارة لاثنتين معاً . والنهي عن القية بين الاخوان . اجتهاد اليهود في المال بكل بلاد واغلب الصناعات بأيديهم وعدم تعاطيهم الصنائع المجهدة . الطرق الموجبة للنفرة بالتفاضل . ابلاغ الشريعة الى الكفار واجب ولو بدون حرب . اجتهاد الاجانب في العمل حتى وصلوا بين شاطئ اميركا والبحرين الاحمر والايض وخرق الفسني والخرق تحت المنش . اسباب عدم استواء الدول الاجانب في الظلم ببلاد الاسلام على حسب مقاصد وقوتهم فامريكا مثلاً وان كانت رعيته عند الترك قدر رعية الانكليز فلا تجد منهم تظلاً ولا اقامة حجة مسترة من سفيرهم . الوجوب على الحكومة والعلماء فيمن يتوجه الى الحج بتعليمه ما يجب عليه قبل السفر والا فيمنع

وفي ١٢ جمادي الاولى سنة ١٣٠٦ (١٤ يناير سنة ١٨٨٩) عين صاحب الترجمة قاضياً في محكمة مصر الابتدائية الاهلية في مدة وزارة رياض باشا الثانية وكان في وزارة نوبار باشا كلف المرحوم بكتابة ما يراه

عن القوانين المعمول بها في المحاكم الالهية من حيث مطابقتها للشرعة الفراء
او القوانين الجارية في القولة العثمانية الشامل لها كتاب المجلة والمستور فرام
اولاً التوسع في الموضوع بتقسيم القوانين المصرية باباً باباً ومقارنتها بالمجلة
او الدستور واذا لم يجد نصاً مطابقاً لها فيها فيطبقها بقدر الامكان على قول
احد المجتهدين بدون تقييد بمذهب مخصوص غير ان عملاً مثل هذا يلزمه
طول الوقت وكثرة العمال والزمن غير قاض بذلك فالترزم ان يصرف النظر
عن هذا العمل وكتب عن القوانين ما نصه

” القوانين الاصول التي عليها مدار الحقوق في الحكومة المصرية هي القانون
المدني وقانون التجارة البري وقانون التجارة البحري وقانون العقوبات وهاته
القوانين الاربعة لظن مطابقتها للقوانين العثمانية اول الشرعة المطهرة على التفصيل الآتي
فاما قانون العقوبات وقانون التجارة البرية والبحرية فجميع ما يوجد
من موادها في القوانين العثمانية الماثلة لها هو مطابق مطابقة كاملة وهو ايضا
الاكثر من مواد القوانين المصرية لكن القليل جداً من مواد هاته القوانين
لا يوجد اصلاً في مثلها من القوانين العثمانية . واما القانون المدني المصري فهو
مخالف للمجلة العثمانية التي هي قائمة مقامه مخالفة كثيرة كلية غير ان القانون
المدني المصري مع ذلك أكثره مطابق للشرعة المطهرة على الاطلاق من غير
نظر الى خصوص مذهب معين بل بالنظر الى اقوال الائمة المعمول باقوالهم في
الديانة والقليل من هذا القانون المدني مخالف ايضا لجميع تلك الاقوال غير
ان تحويره بما يرجع به الى مطابقة احدها بما يقتضيه الحال امر سهل يسير
بفضة حذاق اهل الخبرة والعلم ”

وكذلك كلفه الباشا المشار اليه تقديم تقرير بما يراه لاصلاح حال
الاقواق وقد فُعل وكان موجهاً همتُهُ في مدة توظيفه بالمحاكم للسعي وراء
تطبيق قوانينها على الشريعة الفراء ولما قدم ولي عهد الانكليز الى مصر كان
صاحب الترجمة من الافراد القليلين الذين اجتمعوا به وفي تلك السنة انهى
رياض باشا ترميم منزله بالحلمية فهناهُ المرحوم بهذه الايات

ان الوزير المصطفى في عصره	لا زال عوناً للمليك بازرو
ابدى من التدبير في الاصلاح ما	قد حقق المهود منه بقطره
فلقد اتى في قصره ما يبتغي	حسناً به ومثانةً مع وفرو
والقطر قصر واسع الارجاه قد	ابدى له انموذجاً من قصره
وكلاهما مستأهل بعياله	وادارة باصابة من فكره
فكما تشاهد في الصنوبر اجادة	فكذا الكبير نراه صار بامره
اذ اتفن التحسين حتى ارخوا	قصر رياض فيه جنة مصره

(سنة ١٨٨٩)

وقد عُين عضواً في اللجنة التي تشكلت للنظر في تميم المحاكم الالهية
بالوجه القبلي وعضد هذا التميم وكذلك انتُخب عضواً في لجنة تشكلت في
الحكمة بناء على طلب نظارة الحفائية لتقديم تقرير للنظارة بكل ما يرى
لزوم تعديله في القوانين على حسب ما يلائم حالة البلاد وعُين عضواً في
لجنة بنظارة الداخلية لمراجعة الاحكام الصادرة من قومسيونات الاشقياء
وانبنى على عمل هذه اللجنة الافراج عن عدد عظيم من المحكوم عليهم
بالاشغال الشاقة في طره وكان امضاؤه على تقرير هذه اللجنة آخر اعماله

الرسمية فتوجه الى مدينة حلوان لتغيير الهواء وهناك اشتد عليه المرض وبلغ به الضعف غاية الفتى وظهر في جهة جنبه الايسر خراجان بسبب الحقن بالمرفق اعقبها بعد فتح الطبيب لها تكوّن المادة في الرئة وبعد ان لازم الفراش بالمرض المعروف بذات الجنب نحو الخامسة والعشرين يوماً فارق الحياة وذلك في الساعة الخامسة ونصف بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ (١٨ ديسمبر سنة ١٨٨٩) وقد خلف ثلاثة بنين رزق بهم من بنت عمه التي تزوج بها في ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ وكان قبل ملازمته للفراش معتملاً بالمولد النبوي الشريف هناك بحضور بعض الاصحاب وقد دخل الى الحرم من تلك الحفلة ولم يخرج حياً وفي مدة مرضه ورد عليه مكتوب من صديقه رياض باشا ونصه

جناب الاستاذ

من صميم القواد قد تكدرت من خبر ما طرأ على جنابكم من انحراف المزاج الذي لم اعلم به الا من منذ كم يوم وادعو المولى سبحانه وتعالى ان ينّ عليكم بالشفاء وكمال الصحة والعافية ونراكم معتناعن قريب وعلى اي حال اترجاكم ان لا تؤاخذوني والمذر عند كرام الناس مقبول

عبد المخلص

في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٠٧

رياض

وقد حضر دولة الباشا المشار اليه الى حلوان وقصد عيادته وارسل اليه نجله وكذلك كان المرحوم توفيق باشا كثير السؤال عنه يومياً بواسطة طبيبيه عيسى باشا حمدي ولما توفي اظهر لابنائيه جميل التلطف تيمده الله

برحمته وقد شيع رياض باشا جنازة صاحب الترجمة صبيحة يوم الجمعة وكانت مودتها صافية خالصة ودفنه في التربة المخصوصة التي شيدها بقرب ضريح الامام الشافعي رضي الله عنه وقد كُتب على قبره هذه الايات وهي من انشاء الشاعر البليغ حفي بك ناصف

يا قبر اضنانا البكاء وتبسمُ ادرت ان الفضل فيك مخيمُ
أعلمت انك قد حوت محمدًا وتركت اكباد الوري تنضمُ
هذا الذي كانت بدائع فكره تلي البيان على اليراع فينظمُ
من عترة ثوت العلوم بدارهم فهم لطلاب الهداية انجمُ
اولاه مولاه مواهب فضله والله يعطي من يشاء ويرحمُ
واقام في دار النعيم فأرخوا في جنة الفردوس أسكن يرمُ

سنة ١٣٠٢

وقد رثاه جملة من احبابه وكتبت الجرائد تنعيه ولفقتصر منها على ما قالته "الوقائع المصرية" جريدة الحكومة المصرية الرسمية الصادرة في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٨٩ نمرة ١٤٥ "انا لله وانا اليه راجعون". في آخر ليلة الخميس الماضي انتقل من هذه الدار القانية الى الدار الآخرة الباقية المرحوم الشيخ محمد يرم احد قضاة المحكمة الابتدائية الاهلية بمصر وصاحب جريدة الاعلام العربية وكانت وفاته رحمه الله بمدينة حلوان عقب اشتداد الداء العصبي الذي مني به من عدة سنين ولم ينجع فيه علاج الاطباء

وفي صباح يوم الجمعة الماضي احتفل بنقل جسده من حلوان احتفالاً يليق بمقامه وفضله وانتظره على محطة ميدان محمد علي العدد العديد من

رجال الحكومة السنية وأكبرها وفي مقدمتهم صاحب الدولة رياض باشا رئيس مجلس الفظار وناظر الداخلية والمالية وكثير من العلماء وقضاة المحاكم الالهية ومشاهير الحامين وذوي الفضل من الوجوه والاعيان . وبما هو جدير بالذكر في هذا المقام ما كان من صاحب الدولة رياض باشا من العناية بأمر المرحوم والاهتمام بشأنه والمساعدة في أكرام تشييع جنازته ودفعه وتعزية اولاده وتشجيعهم على تحمل المصاب الى غير ذلك من الاحتفال والاكرام ولما وصلت الجنازة الى المحطة شيعت في مشهد حافل مشى فيه دولة رئيس الفظار ومن تقدم ذكرهم ومن حضروا من حلوان بغاية السكون والوقار وكان في مقدمة المشهد المذكرون ومرتلو البردة وغيرها من الاحزاب والاوراد ثم الشيعون للجنازة فعملة السرير وكلهم أسفون لفراق هذا الرجل العظيم الشأن وقد دفن رحمه الله في المدفن الذي بناه صاحب الدولة رياض باشا برفقة الامام الشافعي عليه الرضوان وفرفت الصدقات على الفقراء والمساكين ودعا الناس للمرحوم بالرحمة والفران

اما الرجل رحمه الله فكان عالماً فاضلاً فقيهاً كاملاً متضلعا من العلوم الشرعية بأنواعها مطلقاً على احوال الامم وله الباع الطولى في فنون التاريخ القديم والحديث وكان من ذوي الاقلام البليغة فيما يريد كتابته من المواضيع وقد ألف رسائل كثيرة في الاحاديث والاصول والاحكام الشرعية والجغرافيا التاريخية والسياسة وغيرها وكلها تدل على غزارة مادته وسعة تفننه في المعارف والعلوم وكان كثير الاستشهاد بأحوال الامم الغابرة والحاضرة في كتاباته واقواله وله قوة حاضرة في اقامة الدليل والبرهان كما يشهد بذلك

المقامات الافتتاحية التي كُنَّ ينشرها في جريدة الاعلام رحمته الله رحمة واسعة
وافرغ على آله وذويه جميل الصبر . وعزام على مصابيم فيه أكل العزاء
وآثامهم على الصبر عظيم الاجر آمين "

وهذا ما قالته جريدة الحاضرة الصادرة بتونس في ٢٤ ديسمبر سنة
١٨٨٩ عدد ٧٤ " صباح يوم الخميس الفارط نشرت اخبار التلغراف من
حلوان مصر القاهرة خبر وفاة العلامة التحرير صاحب الصيت الشهير
المؤلف الشيخ السيد محمد يريم وبما انه من مفاخر البلاد التونسية تقوم الحاضرة
بواجب رثائه وهي ادرى من غيرها بفضائل رجاله فقد ولد هذا العالم
في بيت العلم البيروني سنة ست وخمسين ومائتين والف وتربي في مهاد العلم
والتعليم وقرأ على ابن عمه الشيخ احمد يريم وعلى عم جده الشيخ مصطفى
يريم وعلى شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية وقرأ على الشيخ الطاهر بن
عاشور والشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد الشاهد والشيخ علي العفيف
وغيرهم من فحول جامع الزيتونة الى ان حصل على مرتبة عالية وتقدم لخططي
التدريس وقرأ كتباً مهمة بجامع الزيتونة وولي مشيخة المدرسة العنقية بعد
وفاة عمه شيخ الاسلام الرابع وختم بها الاختام المهمة وكان يميدها كل سنة
في بيت الحضرة العلية وكان عالماً فاضلاً عالي الهمة عزيز النفس رفيع
الحسب منشئاً فصيح اللسان جميل الحاضرة صاحب اناة ووقار خبيراً
بالسياسات الشرعية والوقفة حسن التدبير واسع الادارة امتنع من قبول
الخطط الشرعية عدة مرار متعللاً بضعف بدنه وكان عضواً في عموم
الجمعية التي انعقدت لوضع التراتيب العلمية والتنظيمية اول الوزارة

الخيرية وهو الذي قام برئاسة جمعية الاوقاف عند تأسيسها فأسس اصولها بعد ان جمع شملها بما يقتضيه العلم والانصاف وولي نظارة المطبعة الرسمية واعتزته امراض عصبية بعدته سافر بسببها عدة مرار لباريز وايطاليا وحسنه الاسفار بما يزيد في الاعتبار وبأشارته كان انشاء المستشفى الصادقي وبأشرافه على النمط الذي رآه بباريز ومن قلبه كان انشاء قانونه وشكره الامير يوم فتحه في المركب العمومي وولي عضواً في مجلس الدولة الشوري على عهد وزارة ابن اسمعيل واشتد مرضه والح في طلب الإعفاء ولم تسعفه الدولة بذلك وخرج لبيت الله الحرام اواخر سنة ست وتسعين ومائتين وألف ورجع على طريق الشام ولما رأت الدولة انحلال وظائفه احوالها لغيره في الثامن والعشرين من محرم سنة ١٢٩٧ وتنقل من الشام الى دار الخلافة الثمانية فنزل بمنزل التعظيم والتكريم وعرضت عليه نقابة الاشراف والفنوى بالشام فلم يقبل لضعف بدنه ثم انضم اليه ابناؤه وعائلته واجرت عليه الدولة جراية سلطانية وهناك ألف رحلته صفوة الاعتبار بمستودع الاقطار والامصار واودعها من الاصول السياسية والاصول العلمية ما يدل على كمال تضلعه وقوة عارضته واقام بالاسكندرية الى ان شق عليه مرضه العصبي وأشار عليه الاطباء بالتنقل الى البلاد الحارة فتنقل بأهله وابنائهم اول المحرم سنة اثنتين وثلاثمائة والف وتلقته الديار المصرية بالرحب والقبول وانزله الجناح الخديوي منزلة التكريم واجرى عليه جراية تليق بأمثاله وفتح بها مطبعته الاعلامية وافادت صحيفة "الاعلام" في سائر الجهات العربية الى ان ولي حاكماً بالمحكمة الاهلية وفي اثناء هاته الاسفار كان مجتهداً في الاعتناء بكرام

ابنائهم في المدارس الى ان وصلوا الى قدم الكفاءة للهبات وترقى اولم لحظة
 كاتب مجلس النظار بالديار المصرية نسال الله ان يجعل منهم خلفاً محموداً
 وان يديم عليه في نعم الجنان ظلامدوداً

هذا وقد قيل ان قيمة المرء لا تقوم بمقدار مادحيه فقط بل بانضمام
 المنتقدين عليه ايضاً وعلى ذلك نقول انه من دون سائر الجرائد العربية
 والافرنجية قد انفردت احدى جرائد الاستانة العربية بنشر ما يخالف امره
 عليه الصلاة والسلام اذكروا موتاكم بخير

ولم يكن ذلك ليؤثر على حسن صيته وشهرته فقد قيل - كلام
 المدي ضرب من الهذيان - ومن تأمل في تاريخ حياة المغفور له علم انه
 كلما خفف الاعداء والحساد من شأنه ذراعاً ارتفع ميلاً وكلما اشتدت به
 ملات الحوادث وكوارث الزمن زاد قدره اعتلاء فقد خرج المرحوم من
 دياره مغرباً مشرداً فما زالت به همته حتى بلغت به الى شرف المقابلة
 بالحضرة الشاهانية ونوال اقصى الرعاية السلطانية وخسر امواله واملاكه فقام
 له فضله وعلمه بعدم الحاجة لاحد فعاش ميسوراً ومات ميسوراً واجتهد
 بعض ذوي التقصير في الخط من سيرته والاعمال في شهرته فما زاده ذلك الا
 اعتلاء في الصيت واحتراماً في النفوس وتوقيراً في الصدور ففضى حياته
 حميد السيرة وانتقل الى رحمة ربه طاهر السريرة وعلى كل حال فنسال
 الله ان يجازي الجميع خيراً ولا يريم خيراً هذا وقد كتبت ما كتبت والله
 يعلم اني لم اقصد به فخراً ولا جباً في الظهور وانما هي حقائق مثبتة مستنداتها
 القيتها تحت نظر القارئ ليرى في حياة هذا المؤلف وما طرأ عليه من

نسيم وبؤس العبرة التي يتوخاها وقيامًا بحقوق الابوة والتربية واجابة لما
كان كلفني به عند قدومه الى مصر ولكوني اعلم الناس بأحواله رحمه الله
رحمة الابرار

وكما تذكرت على قبره محاسن افعله في حياته الصومية وجميل اخلاقه
وشهامه نفسه في حياته الخصوصية أكاد انشد بيت المعري مخاطباً
لقبرايه

لأطبت أطباق الحارة فاحتفظ بلؤلؤة المجد الحقيقة بالخرن
٩ ذي الحجة سنة ١٢١١ * محمد يرم *



كتاب

صفحة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار

وهو رحلة

الشيخ الجليل والعالم المحقق النبيل السيد محمد يريم الخامس التونسي
رحمه الله وطيب ثراه

الجزء الاول — يشتمل على مقدمة وأقسام وفيها مباحث في احكام السفر شرعا والاستدلال على قبحه الخالق والقول بتكوير الارض ودورانها والاستدلال على ذلك بأقوال الحكماء والفقهاء والصوفية وغير ذلك من المباحث الشرعية والعلمية الطبيعية وذكر ما ورد في السفر من كلام الحكماء والادبائه وحكم السفر لغير ارض الاسلام واسباب سفر المؤلف وتقسيم احوال اهل الارض الآن مقسما ذكرهم الى ٨٧ فصلا اي على عدد الحكومات المستقلة مشروحة كل واحدة منها بالشرح الوافي وهو اتم كتاب في الجغرافية العمومية للكرة الارضية مطبوع باللغة العربية وفي هذا القسم كثير من الفوائد كدخول الاسلام الى الصين وذكر دولهم فيه والمملكة التي أنشأها السلطان سليمان وذكر استيلاء الانكليز على الهند والموكب الذي حصل لتلقيب ملكتهم بسلطانة الهند وسفر ولي عهدهم الى ذلك القطر وما جرى له من الاحتفال وكذلك سفر شاه ايران الى اوربا والاستانة وما لاقاه فيها من اكرام السلطان عبد العزيز وتقصيل احوال مملكة مراکش واسباب تقدم اوربا ويلي هذا الكلام على القطر التونسي منشأ المؤلف ثم جدول عمومي عن احوال جميع ممالك الارض ويبين عدد سكانهم وديانهم وقوانينهم الحربية والبحرية وايرادهم ومصروفهم وتجارتهم وديونهم وطول السكك الحديدية فيها

الجزء الثاني — في بقية الكلام على القطر التونسي بالتفصيل عن ادارته وسياسته واحكامه واخلاق اهاليه وجميع ما يتعلق بذلك من زمن الفتح الاسلامي الى حين دخول فرنسا فيه

الجزء الثالث — في الكلام على مملكتي إيطاليا وفرنسا بالامهات واسباب تقدمها وتاريخها القديم والحديث وحالتها الادارية والسياسية وقواتها الحربية والمالية وانتشار العلوم والمعارف فيهما ورسوخ الحرية في ابناءهما

الجزء الرابع — في الكلام على قطر الجزائر وتاريخه ودخول فرنسا فيه وما وقع في حربه مع الفرنسيين وبيان حاله الآن كل ذلك بغاية البسط والشرح وكذلك الكلام على مملكة انكلترا وما رآه المؤلف فيها وذكر تاريخها واسباب تقدمها وتقدمها وانتشار مستعمراتها واحوالها بالتفصيل ثم ذكر جزيرة مالطة واستيلاء الانكليز عليها وحالتها قديما وحديثا

وفي هذا الجزء الكلام على القطر المصري وبيان احواله الى سنة ١٣٠٣ هجرية اي حين وصول المرخين العثماني والانكليزي اليه وذكر الديار المصرية وجغرافيتها وتاريخها وحكوماتها وسياستها وتفصيل الثورة العسكرية وفيه بحث عن افساد دعوى حرق المسلمين لمكتبة الاسكندرية

الجزء الخامس — في الكلام على الحجاز بالتفصيل والدولة العثمانية وتاريخها الى حين عقد معاهدة برلين واسماء سلاطينها وتاريخ ولايتهم مع بيان اعلمهم الشهيرة منظومة في قصيدة وفي جميع هذه الاجزاء مكاتبات لبعض الملوك والسلاطين والامراء ومعاهدات دولية كثيرة وفرمانات سلطانية متعددة في اغراض ومقاصد شتى ويلى هذا الجزء ترجمة المؤلف بغاية الشرح والبسط وما حصل له في اسفاره وتقلابه ومخاطبات الامراء والوزراء والعلماء والشعراء له وهي خاتمة الكتاب



فهرست

❖ الجزء الخامس من صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ❖
صحيفة

- ٢ فصل في تاريخ الحجاز — مطلب في تاريخو القدم
- ٢ ذكر العرب البائدة
- ٣ بحث في عمر الارض
- ٤ ذكر العرب العاربة
- ٧ اصول التشريع في الاسلام
- ٨ ذكر العرب المستعربة
- ٩ ذكر العرب المخضرمين
- ٩ فصل في التاريخ الجديد للحجاز
- ٩ مختصر سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٢ ولاية العائلة الشريفة الحالية اماره الحجاز
- ١٣ مطلب في السياسة الداخلية للحجاز
- ١٧ مطلب في سياستو الخارجية
- ١٧ مطلب في عوائل و صفات الاهالي بالحجاز
- ١٩ مطلب في التجارة بالحجاز
- ٢١ مطلب في الصنائع به
- ٢٣ مطلب في المعارف به
- ٢٤ مطلب في الاحكام به
- ٢٦ مطلب في هيئة المساكن به
- ٢٧ حكم تنظيم المدن في الاسلام
- ٢٨ مطلب في اللبس وبقية المادات بالحجاز
- ٣٠ مطلب في اللغة به
- ٣١ الباب العاشر — في المملكة العمانية
- ٣١ فصل في سفر المؤلف اليها

- ٣٢ ذكر خليج السويس
 ٣٥ ذكر مدينة بيروت
 ٣٦ ذكر رستم باشا متصرف لبنان اذ ذاك
 ٣٩ ذكر المرحوم مدحت باشا
 ٤٠ ذكر من اجتمع بهم المؤلف من الاعيان في بيروت
 ٤٠ ذكر مدينة ازمير
 ٤١ ذكر جنائق قلعه
 ٤١ وصول المؤلف للقسطنطينية
 ٤٢ مطلب في صفة القسطنطينية
 ٤٦ فصل في مجمل تاريخ الدولة العثمانية
 ٤٧ قصيدة « عقد الدر والمرجان في سلاطين آل عثمان » الشيخ بهرام الثاني
 ٥٢ وصية بطرس الاكبر فيصر روسيا
 ٥٥ اصلاحات السلطان محمود الثاني وترتيب الجيش النظامي سنة ١٢٤٩
 ٥٥ واقعة نافارين بين الجزائر وسرق الاساطيل العثمانية
 ٥٦ فرمان كليخانه الصادر بالتنظييات الخيرية في ٢٦ شعبان سنة ١٢٥٥
 ٥٩ ذكر حرب القرم ومعاهدة باريس الموقعة في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦
 ٦١ فرمان الذي اصدره جلالة السلطان عبد الحميد الثاني عند جلوسه
 ٦٣ دسائس روسيا وثورة بعض الولايات بالروم الي
 ٦٤ اقتراحات مؤتمر الاستانة
 ٦٥ فرمان الصادر بالقانون الاساسي
 ٦٧ لائحة (بروتوكول) لثدره وهي البلاغ النهائي قبل الحرب الاخيرة
 ٦٨ اشتاب الحرب بين الدولة العلية وروسيا سنة ١٢٩٤
 ٦٩ معاهدة الصلح الموقعة في اياستفانوس في ٣ مارس سنة ١٨٧٨
 ٧٩ معاهدة برلين الموقعة في ١٣ يولييه سنة ١٨٧٨
 ٩٨ المعاهدة التي ابرمت مع الدولة العلية لاخلاء الاراضي العثمانية من العساكر الروسية
 ١٠١ تقاريط الكتاب
 ١٠٣ ترجمة المؤلف رحمه الله

